لُبابُ التَّفاسيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمْزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ

المُتوفَّى بعْدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبع أوّلَ مرّةٍ محقّقاً على ثلاثِ نُسخٍ خطّيّةٍ

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٤)

حُقُوقُ الطّبعِ محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدّراسَاتِ وتحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لُبابُ التفاسير

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بْنِ حمزةَ بْنِ نصرٍ الكَرْمانيِّ

المُتوفَّى بعْدَ سنةِ ٥٠٠ هـ

يُطبع أوّل مرّةٍ محقّقاً على ثلاث نُسخٍ خطّيّة

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الرّابع

دار اللُّباب

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ التَّوبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ[1]

مئةٌ وتسعٌ وعشرون آيةً[2]، مدنيَّةٌ.

مُقاتلٌ: إلّا آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [١٢٨][3].

وهي آخرُ ما نزلَتْ منَ السُّورِ.

ولهذه السُّورةِ أسماءٌ: سورةُ براءة، وسورةُ التَّوبةِ، والفاضِحةُ، والمُبعثِرة، والمُنقِّرة، والمُثيرة، والبَحوثُ[4].

وفي تركِ التَّسميةِ في ابتدائِها أقوالٌ:

---

(١) في (ن): «براءة».

(٢) «مائة وتسع وعشرون آية»: ليست في (و).

(٣) يعني: والآية التي بعدها، وهما آخر آيتين من سورة التوبة. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٥٤).

(٤) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٣٠): «ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المقشقشة، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة؛ لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج».

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم قالا: لأنَّ (بسمِ الله) أمانٌ، و(براءة) نزلَتْ برفعِ الأمانِ[١].

أبيُّ بنُ كعبٍ: لأنَّها نزلَتْ في آخرِ ما نزَلَ، ولم يأمرِ النَّبيُّ عليه السَّلامُ فيها بكتبِ (بسمِ الله)، وكانت قصَّتُها تُشبهُ قصَّةَ الأنفالِ في ذكرِ العهودِ ورفعِ العهودِ، فضُمَّتْ إليها وكُتِبَتْ في السَّبعِ الطِّوالِ[٢].

وقيل: اختلفَتِ الصَّحابةُ فيهما؛ فقال بعضُهم: الأنفالُ والتَّوبةُ سورةٌ واحدةٌ، وقال آخرون: هما سورتان؛ ففُصِلَ بينَهما على قولِ مَن قال: هما سورتانِ، ولم يُكتَبْ: (بسمِ الله) على قولِ مَن قال: هي سورةٌ، فرضُوا بذلك جميعًا. وسُمِّيتا قرينتَين.

وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: نسيَ الكاتبُ أن يكتُبَ: (بسمِ الله) في أوَّلها، فتُرِكَتْ بحالِها، حكاه أبو اللَّيثِ في «تفسيرِه»[٣]، وفيه بُعدٌ.

***

(١) ـ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قولُه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: هذه السُّورةُ أو الآياتُ براءةٌ، فيكونُ رفعًا بالخبرِ، وقيل: ارتفَعَ بالابتداءِ، والخبرُ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٥٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٣) عن ابن عباس قال: «سألت علي بن أبي طالب: لم لم يكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة ليس فيها أمان، نزلت بالسيف».

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٧). وهو مردود؛ لأن كتابة القرآن وإثبات ما فيه ليس مقتصراً على ذلك الكاتب، وما كان الصحابة ليسكتوا عن كتابة آية علموها من كتاب الله لأن الكاتب نسيها.

والبراءةُ: انقِطاعُ العِصمةِ؛ أي: برِئَ اللهُ إلى المُشركين منَ العهودِ التي عاهدَهُم النَّبيُّ عليه السَّلامُ والمُؤمنون، وانقطعَتِ العِصمةُ بينهما.

وقيل: انقطَعَتْ لانقضاءِ مدَّةِ العهدِ.

واختُلِفَ في الذين عاهَدوهم:

قال ابنُ عبّاسٍ: كان لقومٍ عهودٌ، فأُمِرَ أن يُؤجِّلَهم أربعةَ أشهرٍ ولا عهدَ لهم بعدَها، وكان قومٌ لا عهودَ لهم فأجَّلَهم خمسينَ يومًا؛ عشرينَ من ذي الحجَّةِ والمُحرَّمَ كلَّه[1].

وقيل: هم صِنفانِ؛ صِنفٌ عاهدَه عليه السَّلامُ أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، وصِنفٌ عاهدَه إلى غيرِ[2] أجلٍ، فردَّ الجميعَ إلى أربعةِ أشهرٍ.

وقيل: هم صِنفانِ؛ صِنفٌ عُوهِدوا إلى أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، فأُتِمَّت[3] لهم أربعةُ أشهرٍ، وصِنفٌ عُوهِدوا إلى أكثرَ فأُمِروا[4] بالوفاءِ له، وهو قولُه: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾ [التوبة: ٤].

وقيل: هم الذين نقَضُوا العهدَ، فأُمِرَ بنبذِ العهدِ إليهم وتأجيلِهم أربعةَ أشهرٍ، ومَن لم ينقُضِ العهدَ فهو على عهدِه، ومَن لم يكُنْ له عهدٌ أُجِّلَ خمسينَ يومًا.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٠٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٢/ ٣٨٧).

(٢) «غير» من (ن).

(٣) في (و): «فأتى».

(٤) في (و): «فأمر».

(٢) ـ ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾؛ أي: أَمِنْتُم فسيروا في الأرضِ كيف شِئتُم، والسَّيحُ: السَّيرُ على مَهَلٍ، والسِّياحةُ: الذَّهابُ في الأرضِ للعبادةِ.

وقيل: أقبِلُوا وأدبِرُوا أربعةَ أشهرٍ.

واختُلِفَ في قولِه: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ابتداءَه كان يومَ عرفةَ إلى عشرينَ من شهرِ ربيعٍ الآخرِ.

وقيل: شوّالٌ وذو القعدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

وقيل: ابتِداؤُه منَ العشرينَ من ذي القَعْدةِ؛ لأنَّ الحجَّ في تلك السَّنةِ كان في ذلك اليومِ؛ لِمَا كانوا عليه في الجاهليَّةِ منَ النَّسيءِ، ثمَّ صار في السَّنةِ الثّانيةِ في العشرينَ من ذي الحجَّةِ، وفيها كان حجَّةُ الوداعِ، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ بعَثَ عليًّا رضي الله عنه بعشرِ آياتٍ ـ وقيل: تسعِ آياتٍ، وقيل: ثماني عشرةَ آيةً، وقيل: بأربعين آيةً ـ من أوَّلِ براءة، فقرأها في الموسمِ يومَ النَّحرِ على جمرةِ العقبةِ، وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه صاحبَ الموسمِ، فقال عليه السَّلامُ: «لا يُبلِّغُ عنِّي إلّا رجلٌ منِّي»، وبعثَ عليًّا رضي الله عنه، وألحقَه بأبي بكرٍ، وأمرَه أن يتولَّى قراءةَ الآياتِ، فلمّا لحقَ أبا بكرٍ قال له[١]: أميرًا جئتَ أم مأمورًا؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: بل مأمورًا، وقصَّ عليه القصّةَ[٢].

---

(١) «له»: ليست في (و).

(٢) انظر في هذه القصة:

حديث جابر عند الدارمي في «سننه» (١٩١٥)، والنسائي (٢٩٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٤٥).

وحديث ابن عباس عند الترمذي (٣٠٩١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٤٥).

=

وكان أبو هريرةَ مع عليٍّ رضي الله عنهم[١].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾: غيرُ فائِتيه ولا سابِقيه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: مُهلِكُهم، وقيل: مُذِلُّهم بالقتلِ والأسرِ.

ابنُ عيسى: الإخزاءُ: الإذلالُ بما فيه الفضيحةُ والعارُ.

* * *

= وحديث أبي هريرة عند أحمد (٧٩٧٧)، والنسائي (٧٩٧٧).

وحديث علي عند أحمد (٥٩٤)، والترمذي (٣٠٩٢)، و«الأباطيل والمناكير» للجوزقاني (١٢٧).

وحديث أنس عند أحمد (١٣٢١٤)، والترمذي (٣٠٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٠٦).

وحديث أبي سعيد الخدري عند ابن حبان في «صحيحه» (٦٦٤٤).

وأصل القصة عند البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما قوله ﷺ: «لا يؤدِّي عنِّي إلَّا رجلٌ منِّي»، فقد ورد نحوه ضمن بعض الأحاديث التي ذكرناها، وهو مما ضعفه بعض العلماء واستنكروه، فقد أورده الجوزقاني في «الأباطيل» (١/ ١٣١) من عدة روايات، وقال: فهذه الروايات كلها مضطربة مختلفة منكرة، واستنكره أيضاً ابن تيمية في «منهاج السنة» (٥/ ٦٣)، ونقل عن الخطابي قوله في كتاب «شِعَارِ الدِّينِ»: وقولُه: «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» هو شيءٌ جاء به أهلُ الكوفةِ عن زيد بنِ يُثيع، وهو متَّهم في الرواية منسوبٌ إلى الرفض، وعامَّةُ مَن بَلَّغَ عنه غيرُ أهل بيته، فقد بَعث رسولُ الله ﷺ أَسعد بنَ زُرارةَ إلى المدينة يدعو الناسَ إلى الإسلام ويُعلِّم الأنصار القرآن ويُفَقِّهُهم في الدِّين، وبَعث العلاءَ بنَ الحضرميِّ إلى البحرين في مثل ذلك، وبَعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وبَعث عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ إلى مكة، فأين قولُ مَن زعم أنه لا يُبلِّغُ عنه إلَّا رجلٌ من أهل بيته؟

(١) روى البخاري (٣٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر، نؤذن بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ عليًّا، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

(٣) ـ ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾؛ أي: إعلامٌ، وقيل: الأذانُ هاهنا: النِّداءُ، وقيل: القَصَصُ، حكاهُ الماوردِيُّ[1].

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: إلى العربِ ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قيل: يومُ عرفةَ، وقيل: يومُ العيدِ، وقيل: أيّامُ الحجِّ، فيكونُ اليوم بمعنى الوقتِ.

والحجُّ الأكبرُ: الحجُّ، والأصغرُ: العمرةُ.

وقيل: (الحجُّ الأكبرُ): القِرانُ، والأصغرُ: الإفرادُ.

وقيل: (الحجُّ الأكبرُ): يومُ النَّحرِ.

وقيل: اجتمعَ عيدُ المؤمنين وعيدُ اليهودِ وعيدُ النَّصارى في ذلك اليومِ، فسُمِّي: يومَ الحجِّ الأكبرِ.

وقيل: كان ذلك الاجتماعُ في حجَّةِ الوداعِ.

ويحتمِلُ أنَّ (الحجَّ الأكبر) هو الحجُّ في ذلك اليومِ فحسبُ؛ أي: أكبرُ من سائرِ الحجِّ؛ لِمَا جرى فيه ما هو إعزازٌ للإسلامِ وإذلالٌ للشِّركِ.

وقيل: (الحجُّ الأكبر) أن يكونَ يومُ عرفةَ يومَ الجمعةِ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: من عُهودِهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: هو ورسولُه.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾: رجعتُم عن الكفرِ وأخلَصْتُم التَّوحيدَ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: التَّوبُ، والتَّوبُ والمتابُ والتَّوبةُ: الرُّجوعُ عن المعصيةِ إلى الطّاعةِ.

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» (٢/ ٣٣٩)، وذِكرُ أنَّ الإعلام هو قول الكافة.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ منَ الإقامةِ على الكفرِ.

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عـن الإيمـانِ ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: لا تفوتُونه طلبًا ولا تُعجِزُونـه هربًا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاءٌ بهم.

***

(٤) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ استثناءٌ من قولِـه: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

الحسنُ: استثناءٌ من قولِه: ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥]. قال: وهذه الآيةُ نزلَتْ قبلَ تلك، وهم بنو مُدْلجٍ وكنانةُ، كانت بقي لهم تسعةُ أشهرٍ فأُتِمَّت لهم[١].

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: شيئًا من شروطِ العهدِ؛ يُريدُ: وَفَوا بالعهدِ وأخلَصُوا النيَّةَ ولم ينقُضُوا العهدَ.

وقُرِئَ بالضَّادِ في الشَّواذِّ[٢]، وهو رائقٌ، لكنَّ الصَّادَ أولى ليقعَ في مُقابلةِ التَّمامِ.

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: لم يُعاوِنُوا عليكم أحدًا[٣].

﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى تمامِ مُدَّتِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الذي يتَّقون نقضَ العهدِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٦) عن السدي وابن إسحاق والكلبي، والسمعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٨٨) بلا نسبة وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٣٦) عن ابن عباس.

(٢) نسبت لعطاء بن يسار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٦)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (٢/ ٣١٨).

(٣) في (ن): «لم يعاونوا أعداءكم عليكم».

(٥) ـ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ الانسلاخُ: خروجُ الشَّيءِ ممّا لابَسَه، من سَلْخِ الشّاةِ.

﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ قيل: هو رجَبٌ وذو القَعْدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

وقيل: هي الأشهرُ التي تقدَّمَ ذكرُها، وهي مدَّةُ التَّأجيلِ.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: حيثُ ظفرتُم بهم من حلٍّ وحرمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ قيل: هو مُقدَّمٌ؛ أي: خذوهُم واقتلُوهم، وقيل: تأخَّرَ لأنَّ الواوَ لا يُوجِبُ التَّرتيبَ.

وقيل: ﴿خذوهم﴾؛ أي: ائسِروهُم، والأخيذُ: الأسيرُ.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ أي: احبِسُوهُم، ابنُ عيسى: أصلُه: المنعُ منَ الخروجِ عن مُحيطٍ[1].

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾؛ أي: خذوا عليهم الطُّرُقَ، وقيل: طريقَ الحجِّ، وتقديرُه: على كلِّ مرصدٍ، وقيل: هو كقولك: اقعُدْ مقعَدَكَ، واجلِسْ مجلِسَك.

وللعلماءِ في نسخِ هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ[2]:

أحدُها: أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، ولا يحلُّ قتلُ أسيرٍ صبرًا.

والثّاني: أنَّها ناسخةٌ لقولِه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، ولا يُؤخَذُ منَ الأسيرِ الفِداءُ، ولا يُمَنُّ عليهم، إنَّما هو السَّيفُ أو الإيمانُ.

وقال بعضُهم: هما مُحكَمانِ، والأمرُ في ذلك إلى الإمامِ.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ عن الشِّركِ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ، ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ دَعُوهُم وما شاؤوا، ولا تتعرَّضوا لقتلِهم وأَسرِهم وحَصْرِهم.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٩٤)، والرازي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٨) بلا نسبة.

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٤٩٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفرَ الله لهم ما تقدَّمَ من ذنوبِهم ورحِمَهم.

* * *

(٦) - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾؛ أي: وإن استجارَكَ[1]، والمعنى: إنْ طلَبَ منك واحدٌ ممَّن أُمِرْتَ بقتلِهم أن يكونَ في جوارِكَ، ﴿فَأَجِرْهُ﴾: آمِنْه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنَ؛ فيتبيَّنَ ويعرِفَ صِدقَكَ، وتقومَ عليه الحجّةُ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾؛ أي: فإنْ أبى أن يُسلِمَ فرُدَّه إلى موضعِ أمنِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المأمورُ في حقِّه ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله ونبوَّتَكَ.

* * *

(٧) - ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، ولهذا حسُنَ بعده (إلّا)، والمعنى: ليس لمَن لا يَفِي بعهدِه أن يَفِيَ اللهُ ورسولُه بالعهدِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهم الذين استَثْناهُم اللهُ.

ويجوزُ في محلِّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ النَّصبُ والجرُّ.

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكن مَن عاهدتُموهُم عند المسجدِ الحرامِ، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ على وفاءِ العهدِ ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاءِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) فـ (أحدٌ) في الآية فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهذا على رأي البصريين. انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٠٤).

(٨) ـ ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

﴿ كَيْفَ ﴾؛ أي: كيف لهم عهدٌ وحالُهم هذا، وقيل: كيف لا تقتُلونَهم ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾: يظفَروا بكُم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ﴾: لا يحفَظُوا فيكم ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾؛ أي: لا يُبقُونَ عليكم لا لأجْلِ قرابةٍ ولا لأجْلِ عهدٍ.

والإلُّ: القرابـةُ والعشـيرةُ، والإلُّ: العهـدُ، والإلُّ: الحلـفُ واليميـنُ، والإلُّ: الجِوارُ.

وقيل: الإلُّ: هو اللهُ سبحانَه، واستبعَدَه الحُذَّاقُ، وقالوا: إنَّما هو (إيل) في العِبْرانيِّ[١].

الخليلُ: الإلُّ: الرُّبوبيّةُ[٢].

وفي اشتقاقِ (إلٍّ) قولانِ:

أحدُهما: من قولِه: أَلَّل الشَّيءَ: إذا حدَّدَه[٣].

والثَّاني: من أَلَّ البرقُ: إذا لمَعَ.

والذِّمَّةُ: العهدُ والميثاقُ، وأصلُه منَ (الذَّمِّ)؛ أي: يخافُ الذَّمَّ والعيبَ فيه.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بالوعدِ بالإيمانِ والطَّاعةِ والوفاءِ بالعهدِ ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلَّا الكفرَ والعصيانَ والغدرَ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾: خارِجُونَ عن العهدِ، وقيل: معنى ﴿أكثرهم﴾: كلُّهم.

وقيل: معنى قولِه: ﴿فَاسِقُونَ ﴾: مُتمرِّدون في الكفرِ، وتلك صفةُ رُؤسائِهم.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٣٥٧)، ونقل هذا عن الأصمعي. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٨٢)، ونقل القول بأن الإل هو الله سبحانه عن يحيى بن يعمر ومجاهد، كما في «غريب الحديث» (٣/ ٨٣).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٦٠).

(٣) في (ن): «حدده».

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدَلُوا ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرَضًا يسيرًا.

وقيل: استبدَلُوا الدُّنيا بالآخرةِ، وهم الذين جمعَهم أبو سفيانَ على طعامِه.

وقيل: هم اليهودُ، وآياتُ الله: التَّوراةُ، وهم قومٌ منهم دخلوا في العهدِ ثمَّ رجعُوا عنه.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دينِه وطاعتِه، وقيل: ﴿سَبِيلِهِۦٓ﴾ بالمنعِ عن بيتِ الله.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ الصَّنيعُ صنيعُهم، فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ فكان تفسيرًا لا تكرارًا.

وقيل: المُرادُ بهم: اليهودُ، فيكونُ (الإلُّ) هو الله عزَّ وجلَّ؛ إذ لم يكُنْ بين اليهودِ وبين العربِ قرابةٌ.

* * *

(١١) ـ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: أسلَمُوا ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾؛ أي: فهم إخوانُكم ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ لا في النَّسبِ، ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: نُبيِّنُها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهَمون فيتفكَّرون فيها.

* * *

(١٢) - ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾؛ أي: نقضُوا العهودَ ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: أظهَروا الذَّمَّ له، وقيل: قصَدُوا إفسادَه[١].

الزَّجَّاجُ: الطَّعنُ في الدِّينِ: نسبةُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى الكذبِ، وأنَّ القرآنَ غيرُ كلامِ الله، وتقبيحُ أحكامِ المسلمين، وهذا يُوجِبُ قتلَ الذِّمِّيِّ[٢].

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾؛ أي: القادة، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم أبو سفيانَ وأبو جهلٍ، والجماعةُ الذين همُّوا بإخراجِه[٣].

وقيل: هم أهلُ البدعِ والأهواءِ.

وقيل: ذكرَ البعضَ وأرادَ الكلَّ.

وقيل: كلُّ كافرٍ إمامُ نفسِه، فهو عامٌّ.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ صادقةً، وقيل: لا وفاءَ لهم بالأيمانِ.

و﴿لا إيمان لهم﴾[٤]: لا إسلامَ لهم، الفرَّاءُ: يجوزُ أن يكونَ مصدرَ (آمَنَ)؛ أي: لا يُوثَقُ بأمانِهم[٥].

---

(١) في (ن): «فساده».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٤)، وفيه: «وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا أظهر الطعن في الإسلام؛ لأن العهد معقود عليه بألا يطعن، فإذا طعن فقد نكث».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢١٥، ٢١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٣).

(٤) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٢)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٥) في (و): «يجوزُ أن يكونَ مصدراً؛ أي: لا يُوثَقُ بإيمانِهم». وعبارة الفراء: «وقد يكون المعنى على: لا أمانَ لهم؛ أي: لا تُؤْمِنوهم، فيكون مصدرَ قولك: آمنته إيماناً، تريد: أماناً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢٥) ونسب القراءة للحسن.

وقيل: ﴿لا إيمانَ لهم﴾ من جهةِ المسلِمين[1].

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: لكي يَنْتَهوا عن الكفرِ والطَّعنِ ويدخُلوا في الإسلامِ.

***

(١٣) - ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ هذا تحريضٌ على القتالِ ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾: نقضُوا العهودَ وحنِثُوا في أيمانِهم، وقيل: نَكثُهُم العهدَ: إعانتُهم بني بكرٍ على خُزاعةَ.

وأصلُ النَّكثِ: نَقضُ الغَزْلِ بعد فَتلِه.

﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ قيل: هو ما سبقَ ذكرُه في قولِه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقيل: هم اليهودُ، همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ منَ المدينةِ، ونكَثُوا عهدَه، وظاهَرُوا أبا سُفيانَ عليه يومَ الأحزابِ.

وقيل: همَّت قُريشٌ يومَ الحديبيَةِ بأن يُدخِلُوا محمَّدًا مكَّةَ للحجِّ ثمَّ يُخرِجُوه قبلَ أن يُتِمَّ الحجَّ استِخْفافًا به.

وقيل: معنى ﴿همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ﴾: تسبَّبوا بخُروجِه.

وقيل: ﴿همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ﴾ فأخرَجُوه.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتالِ، وقيل: بدؤوا خلافَكُم فوجدتُم الرُّخصةَ؛ لقولِه: ﴿لَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١].

---

(١) وهذا يستقيم على ما نقلناه عن الفراء؛ أي: معنى: (لا إيمان لهم): لا أمان لهم من قبل المسلمين.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾؛ أي: أتخشونَ قتالَهم وأن ينالَكُم منهم مكروهٌ، ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾؛ أي: عقابَه وعذابَه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُصدِّقين بعذابِه.

* * *

(١٤) ـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾: يقتُلْهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: بسيوفِكُم ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: إنْ تُقاتلوهُم فالظَّفَرُ لكم، وهذا وعدٌ بالنُّصرةِ للمُؤمنين.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعَلَ بنبيِّهم، وقيل: ببني خُزاعةَ[1].

جعَلَ الموتورَ سقيمًا، وإصابةَ الثَّأرِ شفاءً.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: حُزنَها وكربَها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: يُوفِّقُهم للإيمانِ، كأبي سفيانَ وجماعةٍ هَداهُم الله للإسلامِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٩٠٢) عن عكرمة قال: «لما وادع رسول الله ﷺ أهل مكة، وكانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ في الجاهلية؛ وكانت بنو بكر حلفاء قريش، فدخلت خزاعة في صلح رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في صلح قريش، فكان بين خزاعة وبين بني بكر قتال، فأمدتهم قريش بسلاح وطعام، وظللوا عليهم، فظهرت بنو بكر على خزاعة، وقتلوا منهم، فخافت قريش أن يكونوا نقضوا، فقالوا لأبي سفيان: اذهب إلى محمد فأجرِ الحِلف وأصلح بين الناس....»، فذكر قصة الفتح، وفي آخر الخبر: أن النبي ﷺ أمن الناس إلا خزاعة من بني بكر، قال: فقتلهم خزاعة إلى نصف النهار، وأنزل الله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ إلى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: خزاعة.

(١٦) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ ﴾ في المُخاطَبين به قولانِ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم المُنافقون[1].

غيرُه: المُؤمنون، خُوطِبُوا به حينَ كرِهَ بعضُهم القتالَ وشقَّ عليهم.

و﴿ أَمْ ﴾ هي المُنقطعةُ بمعنى: (بل) والألفِ[2]، كأنَّه أضرَبَ عن الاستمرارِ في تلك القِصَّةِ واستفهَمَ عنِ الثَّانيةِ، والمعنى: أحسِبْتُم أن تُترَكوا بلا مُجاهَدةٍ ولا براءةٍ منَ المُشركين.

وقولُه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾؛ أي: لـم يعلَمْ علمًا يُجازي عليه. وقيل: ولم تُجاهِدوا، فنَفيُ العلمِ لنفيِ المعلومِ. وقيل: لـم يعلَمْه موجودًا.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾: دَخيلةً من غيرِهم يُوالونَهم ويُفشونَ أسرارَهم إليهم، والوليجةُ والبطانةُ والدَّخيلةُ نظائرُ، واشتقاقُها من (وَلَجَ)، والتَّوْلَجُ: الكِناسُ[3].

وقيل: الوَليجةُ: المدخلُ يُدخَلُ فيه على سبيلِ الاستِسرارِ، شُبِّه به النِّفاقُ.

وقيل: خيانةً، وقيل: خديعةً، وقيل: خليطًا وودًّا، والوجهُ ما سبقَ.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: من خيرٍ وشرٍّ فيُجازيكُم عليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٦).

(٢) أي: بمعنى (بل) مع تكرار همزة الاستفهام بعدها. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٢)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٤٨).

(٣) التولج تاؤه مبدلة من واو، والكناس: مأوى الظباء. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٤١).

(١٧) ـ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّه لـمَّا أُسِرَ العبّاسُ يومَ بدرٍ عيَّرَه المسلمون بكُفرِه بالله وقطيعةِ الرَّحمِ، وأغلَظَ له عليٌّ رضي الله عنه القولَ، فقال العبَّاسُ: ما لكم تذكُرونَ مساوِئَنا ولا تذكُرونَ محاسِنَنا؟! فقال له عليٌّ رضي الله عنه: ألكُم محاسِنُ؟! فقال: نعم، إنَّا لنعمُرُ المسجدَ الحرامَ، ونحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحاجَّ، ونفكُّ العانيَ، فأنزَلَ اللهُ ردًّا على العبّاسِ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[1]؛ أي: لا يحقُّ ولا يليقُ بهم عمارةُ المسجدِ الحرامِ؛ أي: دخولُه والقعودُ فيه.

وقيل: عمارةُ المسجدِ: رَفعُ بنائِه وإصلاحُ ما استرَمَّ[2] منه.

وقيل: عمارتُه: التَّعبُّدُ فيه والصَّلاةُ والطَّوافُ، لا ترميمُه وتجصيصُه.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: هو شركُهم بالله، حيثُ قالوا في الطَّوافِ: لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلّا شريكٌ هو لكَ، تملِكُه وما ملَكَ.

وقيل: هو إذا سُئِلوا عن دينِهم قالوا: نعبُدُ اللّاتَ والعُزَّى.

وقيل: إذا كذَّبُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ فقد شهِدُوا على أنفُسِهم بالكفرِ.

وقيل: الشَّهادةُ: البيانُ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بطَلَ ثوابُها، مُشتقٌّ من حبِطَ بطنُ الشَّاةِ، وقد سبقَ.

﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾: دائمونَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٨) وفي «أسباب النزول» (ص: ٢٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩).

(٢) في (و): «سيرم»، واسترمَّ الحائط: حان له أن يُرمَّ. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ١٨٥).

(١٨) ـ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾؛ أي: بالبعثِ والنُّشورِ.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾؛ أي: في أبوابِ الدِّينِ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

أي: يجوزُ لهم ويليقُ بهم عمارتُها، وجُمِعَ لأنَّ سائرَ المساجدِ في هذا كالمسجدِ الحرامِ.

﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: المُتمسِّكين بطاعةِ الله، و(عسى) منَ الله واجبٌ[1].

وقيل: (عسى) راجعٌ إلى المؤمنين؛ أي: هم بهذا العملِ على رجاءِ الجنَّةِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ السِّقاية هنا: مصدرُ سقَيْتُ، وكان المشركون يسقُونَ الحاجَّ الشَّرابَ والعسلَ والسَّويقَ والماءَ.

﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: ترميمَه وتجصيصَه.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كإيمانِ مَن آمَنَ، ويجوزُ أن يكونَ تقديرُه: أهلَ سقايةِ الحاجِّ كمَن آمَنَ[2]؟!

---

(١) كرّر المصنف هذا، وقيل: (عسى) من الله واجب إلا في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦).

(٢) يعني: السقايةُ والعمارة مصدران، وقوله: ﴿كَمَنْ﴾ تشبيه بالجثة، والحدَث لا يُشَبَّهُ بالجثَّة، فلا بدَّ مِن مُضْمَرٍ مدلولٍ عليه بقرينة السياق؛ إما في الأول ـ وهو: «أهل» ـ فلتقابل الجثةُ الجثةَ، وأما في الثاني ـ وهو «إيمان» ـ فليقابل المصدرُ المصدرَ. انظر: «البسيط للواحدي» (٣/ ٥١٨)، و(١٠/ ٣٣٧)..

﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ نزلَتْ في مُناظرةِ عليٍّ والعبَّاسِ[١].

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ حين أفتَوا قُريشًا بأنَّهم أفضلُ منَ المؤمنين[٢] لذلك[٣].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

***

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعلى رُتبةً وأرفعُ منزلةً؛ لأنَّهم في الجنَّةِ، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظَّافرون بالأماني.

***

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنَّاتِ، وقيل: في الجنَّاتِ والرَّحمةِ والرِّضوانِ والبُشرى؛ لأنَّ الجنَّاتِ جمعُ القليلِ، وضميرُ جمعِ القليلِ (هُنَّ)، والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: ليِّنُ العيشِ على الدَّوامِ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: دائمًا سرمدًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧٨ ـ ٣٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والشعبي ومحمد بن كعب والسدي.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٣٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٠٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٦).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ويحتمل أن يكون فيها تحريف، وأن الجملة تنتهي بكلمة المؤمنين، وتكون الجملة بعدها: كذلك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

والأبدُ: الدَّهرُ المُستقبَلُ من غيرِ آخِرٍ، وقطُّ للماضي، وجمعُه: الآبادُ والأُبودُ، وكذلك (أَبيدٌ)، من قولِك: لا أفعَلُ أبدَ الأَبيدِ(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(٢٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: لمَّا أمرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بالهجرةِ إلى المدينةِ جعَلَ الرَّجلُ يقولُ لابنِه ولأخيه ولقرابتِه: إنَّا قد أُمِرْنا بالهجرةِ، فمنهم مَن يُسرِعُ إلى ذلك ويُعجِبُه، ومنهم مَن يتعلَّقُ به زوجتُه وعيالُه وولدُه فيقولون: أنشدُكَ الله أن تدعَنا إلى غيرِ شيءٍ فنضيعَ، فيرِقُّ ويجلسُ معَهم ويدَعُ الهجرةَ، فنزلَتْ يُعاتِبُهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية(٢).

ونزلَتْ في الذين تخلَّفوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا(٣).

قولُه: ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾: أحبُّوه واختارُوه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: مَن تولَّى المُشركَ فهو مُشركٌ؛ لأنَّه رضيَ بشركِه.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣١٠)، و«متخير الألفاظ» لابن فارس (ص: ٢٠٦).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٤١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٤) عن مجاهد بلفظ: «أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فأنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٣ ـ ٢٤] بالفتح...».

(٢٤) ـ ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ ابنُ عيسى: الأبُ: المُختصُّ بانفصالِ نطفةِ الولدِ عنه.

﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الابنُ: الولدُ الأكبرُ.

﴿وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ الأخُ: الشَّقيقُ في النَّسبِ منَ الأبوَين أو من أحدِهما.

﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ الزَّوجةُ: المرأةُ التي زُوِّجَتْ على عقدِ نكاحٍ صحيحٍ.

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرِباؤُكم، العشيرةُ: الجماعةُ ترجعُ إلى عقدٍ كعقدِ العشيرةِ.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: اكتسبْتُموها، وقد سبقَ.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: فواتَ وقتِ النَّفاقِ، وقيل: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: البناتُ الأيامَى إذا كسَدْنَ عندَ آبائِهنَّ ولم يُخطَبْنَ، حكاه أقضى القضاةِ[1].

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾: توقَّفُوا وانتظِرُوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: عذابٌ عاجلٌ أو عقابٌ آجلٌ.

وقيل: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ فتحُ مكَّةَ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾: لا يُرشِدُ مَن عصاه.

***

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٩).

(٢٥) ـ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ في الخبرِ: أنَّ المواطِنَ التي نصرَ الله فيها النَّبيَّ عليه السَّلامُ والمؤمنين ثمانونَ مَوطِنًا[1].

والمَوطِنُ: مكانُ الإقامةِ، وكذلك الوطَنُ.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وادٍ بينَ مكَّةَ والطَّائفِ، وقيل: وادٍ إلى جنبِ ذي المجازِ، وكانت الحربُ فيه مع هوازنَ وثَقيفٍ.

وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ خرجَ مُتوجِّهًا إلى حُنينٍ بعدما افتتحَ مكَّةَ، وكان معه اثنا عشرَ ألفًا منَ المُهاجرين والأنصارِ، وقيل: أحدَ عشرَ ألفًا وخمسُ مئةٍ، وقيل: عشرةُ آلافٍ، وكانوا يومَئذٍ أكثرَ ما كانوا قطُّ، وكان المُشرِكونَ أربعةَ آلافٍ، فلمَّا التَقى الجمعانِ قال عليه السَّلامُ: «لن نُغلَبَ اليومَ من قلَّةٍ»[2]، وقيل:

---

(١) روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥١٨) عن الحسين بن يحيى قال: «اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء، فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر [بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب]، فسأله، فقال: يتصدق بثلاث وثمانين ديناراً، فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فرد الرسول إليه، فقال له: قل لأمير المؤمنين: في هذا الوفاءُ بالنذر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له وأجدى عليه في الدنيا والآخرة».

(٢) ذكر ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٤)، وفي «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٩٠) أن =

قالَـها رجلٌ منَ المسلمينَ اسمُه: سلَمةُ بنُ سلامةَ(١)، فاقتتلَ المسلمون قتالًا شديدًا، فانهزمَ المُشركون وخلَّوا عن الذَّراري، ثمَّ نادَوا: يا حُماةَ السَّوءِ، اذكُروا الفضائحَ، فرجَعُوا وانكَشَفَ المسلمون(٢).

= القائل ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي «مسند البزار» (٦٥١٨) عن أنس رضي الله عنه أن القائل غلام من الأنصار، وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٣)، عن السدي أن قائل ذلك رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. وكذا روى الطبري عن قتادة أنه قال: «وذكر لنا أن رجلاً قال...»، ومثله روى البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٣) عن الربيع.

والقول بأن قائل ذلك هو النبي ﷺ مردود مستبشع، وقد تابع فيه المؤلف الثعلبي (١٣/ ٢٤٧)، فكيف يتصور أن يقول النبي ﷺ مثل هذا الكلام البعيد عن فهم حقيقة الشرع وهو المبلِّغ عن ربه والمعلم للناس وأعلم الناس بهذا الدين وما يصح فيه وما لا يصح؟! أم كيف يغيب عنه أن الناصر هو الله سبحانه لا كثرةُ الجنود؟! وكذلك لا يتصور مثل هذا من الصديق أعظم الصحابة فهماً لدين الله وتصديقاً به ودفاعاً عنه، وأجلِّهم مكانة، وأقواهم إيماناً، وإنما يتصور مثل هذا من أولئك الذين كانوا حديثي عهد بالدين، أو الذين لم يترسخ الإيمان في قلوبهم، وقد خرجوا مع الجيش وكانوا فيه كثرة كالطلقاء وأمثالهم.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤٦)، وفي «الوسيط» (٢/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤١٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره دون نسبة: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٨).

وهذا من المستبعد أيضاً؛ لأن سلمة بن سلامة هذا صحابي كبير شهد العقبتين وبدراً وأحداً والمشاهد، فلا يخبر عنه بلفظ: «غلام من الأنصار» كما جاء في حديث أنس، علماً أن خبر ابن عباس الذي ورد فيه أنه سلامة قد ذكره الواحدي في تفسيريه من رواية عطاء عن ابن عباس، وهذا الطريق قد كثر وروده عند الواحدي، وإسناده ساقط لا يحتج به.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٤٨).

قال الكلبيُّ: فبقيَ مع رسولِ الله ﷺ ثلاثُ مئةٍ منَ المسلمين، وانهزَمَ سائرُ النّاسِ عنه(١).

ثمَّ قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ للعبَّاسِ: «نادِ: يا معشرَ الأنصارِ، يا معشرَ المُهاجرينَ»، وكان العبَّاسُ رجلًا صيِّتًا، فجعلَ يُنادي: يا عبادَ الله! يا أصحابَ الشَّجرةِ(٢)! يا أصحابَ سورةِ (البقرةِ)! فعطفَ المسلمون حين سمِعُوا صوتَه عطفةَ البقرةِ على أولادِها، فالتقوا مع المشركين، فقال عليه السَّلامُ: «هذا حينَ حمِيَ الوطيسُ»(٣)، ثمَّ أخذَ بكفِّه(٤) كفًّا منَ الحصى، فرماهُم بها وقال: «شاهَتِ الوجوهُ»، ثمَّ قال: «انهزَمُوا وربِّ الكعبةِ، انهزَمُوا وربِّ الكعبةِ»، فهزمَهم اللهُ عزَّ وجلَّ، وأنجزَ وعدَه وأنزَلَ نصرَه وجُندَه(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٤٩)، وفي هذا العدد نظر، فقد ذكر غير الكلبي أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ نفر قليل عدُّوهم بأسمائهم، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٥٠٢٧) بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته غير كثير، ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته، علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد..». وفي عددهم خلاف، أنقص بعضهم عمن ذكر وزاد آخرون حتى أوصلوهم إلى مئة رجل. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٣٠).

(٢) في (و): «العشيرة».

(٣) «حمي الوطيس»: الوطيس: شبهُ التنور يُخبز فيه، ويُضرب هذا مَثَلًا لشدة الحرب، فيُشبّه حرُّها بحرِّه، أو للأمر إذا اشتد، وذكر ابن دريد أن هذه الكلمة لم تُسمع قبل النبي ﷺ، ولم توجد في متقدم كلامها. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٣٩)، و«الزاهر» (٢/ ٩٦)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٥).

(٤) في (ن): «بيده».

(٥) سياق المصنف مختصر من «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٥٣)، وروى القصة مسلم (١٧٧٥) عن =

وهو قولُه: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾؛ يعني: قولَه: «لن نُغلَبَ اليومَ من قلَّةٍ».

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾: لم تدفعِ الكثرةُ عنكم شيئًا منَ العدوِّ، ويجوزُ: شيئًا من الغَناءِ[1].

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: برُحْبِها وسَعَتِها، والباءُ للحالِ؛ أي: رحيبةً، والمعنى: لم تجِدوا مَوضِعًا لفرارِكُم عن أعدائِكم، وقيل: لم تثبُتوا فيها كما لا يثبُتُ مَن لا يسعُه مكانٌ.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾؛ أي: ولَّيتُم للكفَّارِ ظُهورَكم مُدبرين عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ مُنهزِمينَ.

والإدبارُ: الذَّهابُ إلى خلفٍ، خلافُ الإقبالِ.

* * *

= العباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس! ناد أصحاب السمرة»... الحديثَ.

(١) فـ ﴿شَيْـًٔا﴾ على القول الأول مفعول به، وعلى الثاني مفعول مطلق.

(٢٦) ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: رحمتَه، وقيل: أمنَه وطُمَأنينتَه، وقيل: وَقارَه، فأَمِنُوا وسكَنَتْ قلوبُهم بعد الخوفِ.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا ﴾ يعني: الملائكةَ، وكانوا خمسةَ آلافٍ، وقيل: زيادة.

﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بأعيُنِكم، وقيل: رأى بعضُهم الكفَّارَ يُقاتَلون، وقيل: لـم تُعايِنُوه.

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالخوفِ والقتلِ والأسرِ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾؛ أي: ما فُعِلَ بهم جزاؤُهم في الدُّنيا.

***

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ وهم الذين أسلَمُوا منهم بعدَ ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

***

(٢٨) ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾: قذَرٌ، فاجتَنِبُوهُم كما تُجتَنَبُ الأنجاسُ.

الحسنُ: نجِسُ العينِ، فمَن صافحَهُم وجَبَ عليه غسلُ يدِه[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩٨)، بلفظ: «﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فلا تصافحوهم، فمن صافحهم فليتوضأ».

قتادةُ: ﴿نَجَسٌ﴾ لأنَّهم لا يغتَسِلون منَ الجنابةِ، ولا يتوضَّؤُونَ منَ الحدثِ[1].

وقيل: ﴿نَجَسٌ﴾: خبيثٌ، والخبيثُ[2]: الرَّديءُ منَ الشَّيءِ.

وحكَى قُطرُبٌ في ماضي ﴿نَجَسٌ﴾ ثلاثةَ أوجهٍ[3]، و(نَجَسٌ) مصدرٌ، و(نَجِسٌ) اسمٌ، و(نِجْسٌ) مُوافقةُ (رِجْسٍ).

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ نَهاهُم عن الاقترابِ، والمرادُ: منعُ المؤمنين إيَّاهُم عن مُقاربةِ المسجدِ، وقيل: هو المسجدُ فحسبُ، وقيل: الحرمُ كلُّه، وقيل: خاصٌّ لمَن حجَّ، وقيل: عامٌّ فيهم.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ قيل: هو سنةُ تسعٍ، وهي سنةُ براءة، وقيل: سنةُ عشرٍ، وهي سنةُ حجَّةِ الوداعِ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقْرًا؛ عالَ يعيلُ، والاسمُ: العائلُ، والجمعُ: العُيَّلُ.

قال المُفسِّرون: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال بعضُهم: الآنَ تنقطعُ عنَّا الميرةُ، فنزلَتْ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[4].

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ بما تأخُذونَ منَ الجزيةِ وتنالونَ منَ الغنيمةِ، وقيل: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من رزقِه، فمُطِرَتِ البلادُ وأخصبَتْ، فحُمِلَتِ الميرةُ إلى مكّةَ من كلِّ صَوبٍ، وقيل: هذا وعدٌ منَ الله قد أنجزَه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩٧) عن معمر قال: «لا أعلم قتادة إلا قال: النجس: الجنابة». وفي رواية للطبري عن قتادة: «﴿نَجَسٌ﴾: أجناب».

(٢) في (و): «والخبث».

(٣) في هامش (ن): «الأوجه الثلاثة في ماضي (نجس) اختلاف حركات العين من فعله»، و(نجس) ككرُم وسميع أما (نَجَس) بفتح الجيم فمعناها: عوّذ الصبي. انظر: «تاج العروس» مادة: (ن ج س) (١٦/ ٥٣٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

﴿إِن شَآءَ﴾ قيَّدَه بالمشيئةِ؛ لأنَّ الغِنَى(١) يقعُ في حقٍّ بعضٍ دونَ بعضٍ، وفي عامٍ دونَ عامٍ.

وقيل: هذا تعليمٌ بتعليقِ الأمورِ بمشيئةِ الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما أمرَ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قدَّرَ.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على قولِه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ على تقديرِ: لا تقربُوا وإنْ خِفتُم عَيلةً، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾(٢).

***

(٢٩) ـ ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يُريدُ بهم: أهلَ الكتابِ، فنفى عنهم الإيمانَ بالله واليومِ الآخرِ؛ لأنَّ سبيلَهم سبيلُ مَن لا يُؤمِنُ، وقيل: لأنَّهم يصِفُونَ الله بما لا يليقُ به سُبحانَه، ويصِفُونَ نعيمَ الجنَّةِ بخلافِ ما هو عليه، يزعُمونَ لا أكلَ فيها ولا شربٌ.

وقيل: هذا على سبيلِ الذَّمِّ.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنَّهم أحلُّوا ما حرَّمَ الله عليهم، وحرَّمُوا ما أحلَّ، وقيل: أحلُّوا الخمرَ.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الحقُّ: هو اللهُ؛ أي: لا يدينون دينَ الإسلامِ، وهو دينُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ النَّاسخُ لسائرِ الأديانِ.

---

(١) في (و): «الغناء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠).

وقيل: ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾: طاعةَ الحقِّ، تقولُ: دانَ له: إذا أطاعَ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، و﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ[١]، وأمَّا المجوسُ فمُلْحَقون بأهلِ الكتابِ في الجزيةِ فحسبُ؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتابِ»[٢]، وكذلك التُّركُ والهندُ والرُّومُ، فأمَّا العربُ فالسَّيفُ أو الإسلامُ.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾: هي ما يُؤخَذُ منهم، مُشتقٌّ من جزَى دَينَه؛ أي[٣]: قضاه، وقيل: هي من قولِهم: هذا[٤] يَجزِي عن هذا؛ أي: يَكفي عنه.

---

(١) في (و): «للنبيين».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٨)، والبزار في «مسنده» (١٠٥٦)، عن جعفر بن محمد بن عليٍّ عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ذَكَر المجوسَ فقال: ما أدري كيف أصنعُ في أمرهم؟ فقال عبد الرحمن بن عوفٍ: أشهدُ لَسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتاب».
قال البزار: «وهذا الحديث قد رواه جماعة عن جعفر، عن أبيه، ولم يقولوا عن جده، وجده علي بن الحسين، والحديث مرسل ولا نعلم أحداً قال: عن جعفر عن أبيه عن جده إلا أبو علي الحنفي عن مالك».
وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١١٤ ـ ١١٦): هذا حديث منقطع لأن محمد بن علي لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف... ولكن معناه متصل من وجوه حسان.
وروى البخاري (٣١٥٦) عن عمرو قال: «كنت كاتباً لجزء بن معاوية، عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر».

(٣) في (ن): «إذا».

(٤) في (ن): «فلا».

وقوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ قيل: عن سُلطانٍ وقوَّةٍ لكم عليهم، وقيل: من إنعامٍ منكم[١] عليهم، واليدُ: السُّلطانُ، واليدُ النِّعمةُ.

وقيل: ﴿عَن يَدٍ﴾؛ أي: نقدًا.

وقيل: معنى ﴿عَن يَدٍ﴾: يُعطُونَها بأيديهم، يُعطي كلُّ رجلٍ ما عليه بيدِه لا يُرسلُه.

وقيل: ﴿عَن يَدٍ﴾: عن غِنًى.

وقيل: ﴿عَن يَدٍ﴾: عطاءٌ لا يُقابلُه جزاءٌ، يُؤخَذُ منَ الرِّجالِ البالغين دون النِّساءِ والأطفالِ في ابتداءِ الحولِ، وقيل: بعدَ حَوَلانِه.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ الله عنه أوجَبَ على مَن كانَ من أهلِ الذَّهبِ أربعةَ دنانيرَ، وعلى أهلِ الفِضَّةِ أربعينَ درهمًا[٢].

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: أذلَّاءُ يمشون بها خاضِعين، لا يركَبُونَ ولا يجلِسُونَ حتَّى يُعطُوا[٣].

وقيل: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: ذلك الصَّغارُ بعينِه، فيكونُ استِئنافًا، وعلى الوجهِ الأوَّلِ يكونُ حالًا.

***

---

(١) في (و): «لكم».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٢٩).

(٣) وقعت العبارة في (و) هكذا: «لا يركبون البحر ولا يجلسون حتى يعطون الزراعة».

(٣٠) - ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال ذلك بعضُ منهم، فنُسِبَ إلى الكلِّ لكونِهم منهم، وقيل: انقرَضَ قائلوه، وقيل: قالها فنحاصُ في جماعةٍ، وقيل: فنحاصُ وحدَه.

قالوا ذلك لمّا أحياهُ الله بعدَ مئةِ عامٍ، فأملى عليهم التَّوراةَ حِفظًا، وقد سبقَ في (البقرةِ).

واختلفَ القُرَّاءُ في التَّنوينِ، فمَن أثبتَ فلأنَّه مبتدأٌ، و(ابنُ) خبرُه، والتَّنوينُ يُحذَفُ في النَّسبِ[١]، ومَن حذَفَ التَّنوينَ فلالتقاءِ السَّاكنَين[٢]، وهذا كثيرٌ في الشِّعرِ، وقد رُوِيَ عن أبي عمرٍو: (أحدُ اللهُ) بحذفِ التَّنوينِ[٣].

وقيل: حُذِفَ؛ لأنَّه لا ينصرفُ للعُجمةِ والتَّعريفِ[٤].

وقيل: حُذِفَ للنِّسبةِ على زعمِ اليهودِ، والخبرُ مُضمَرٌ؛ أي: عُزَيرُ ابنُ الله نبيُّنا،

---

(١) لأنهم يجعلون الاسم مع (ابن) بمنزلة اسم واحد. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٢٠٤).

(٢) قرأ عاصم والكسائي بالتنوين، وباقي السبعة بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٣)، و«التيسير» (ص: ١١٨). وقد ذكر القول في توجيه القراءة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٣٢).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٣) عن نصر بن عاصم وأبي عمرو، ورويت عن عمر كما قال، والمشهور عن أبي عمرو التنوين كقراءة الجماعة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠)، واستغربه، ونقل عن النحاس قوله: «هذا سهو من قائله؛ لأن (عزيرًا) مشتق من قوله: (عزروه)، والياء فيه للتصغير».

قال: «وهذا لا يدفع كلام من قال: لا ينصرف؛ لأن (إسحاق) أيضاً يمكن أن يقال فيه: إن الألف والهمزة زائدتان، واشتقاته من (السحق)، وكذلك (يعقوب)، وأخواته». وانظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٧٤).

وهذا الوجهُ وإنْ كان قائلوه كبارًا مُزيَّفٌ؛ لأنَّ الإنكارَ ينصرفُ إلى الخبرِ، فيبقى النَّسبُ مُسلَّمًا، سُبحانَه عن ذلك[١].

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قيل: ذلك قولُ بعضِهم، وقيل: هو قولُ عامَّتِهم، قالوا ذلك حينَ أبرأ الأكمَهَ والأبرَصَ وأحيَى الموتَى.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: لا[٢] حجَّةَ لهم ولا برهانَ على قولِهم، وقيل: قيَّدَ القولَ بالأفواهِ نفيًّا للمجازِ؛ لأنَّ القولَ يُستَعملُ لغيرِ المنطقِ، قال:

امتلأ الحَوْضُ وقال قَطْني   مَهلًا رُويدًا قد مَلأْتَ بَطْني[٣]

والأفواهُ: جمع فُوْهٍ، حُذِفَ الهاءُ من آخرِه وقُلِبَ الواوُ ميمًا، فصارَ (فمًا).

﴿يضاهون﴾: يُشبِّهون ويُشاكِلونَ، والهمزُ لغةٌ[٤].

والمُضاهاةُ: المُشاكلةُ، وامرأةٌ ضَهْياءُ: لا تحيضُ، وقيل: التي لا ثَدْيَ لها.

﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم الذين قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ومنهم مَن قال: الأصنامُ بناتُ الله، وسمَّوا اللهَ أبا العُزَّى، سُبحانَه.

---

(١) ذكر الوجه الذي أنكره المصنف الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٤)، وذكر الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٣٥٦) أنه خبر لمبتدأ محذوف، والإشكال وارد عليه أيضاً، وتابعه النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٥)، وأبو علي في «الحجة» (٤/ ١٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا القول ضعيف وإن كان قائلوه أقوياء؛ لأن الإنكار أو الرد ينصرف إلى الخبر؛ لأنهم قالوا: تقدير: عزيرُ ابن.. نبيُّنا، أو: نبيُّنا عزيرُ ابن.. ، فيبقى النسب بينهما سبحانه عن ذلك».

(٢) في (و): «ولا».

(٣) الرجز بلا نسبة في: «العين» (٥/ ١٤)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٥٠)، و«الكامل» (٢/ ٧٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٩). وفي بعض المصادر: «قد خنق الحوض» بدل «امتلأ الحوض».

(٤) قرأ عاصم وحده: ﴿يضاهئون﴾ بالهمز وكسر الهاء، وقرأ الباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

وقيل: ضاهَى النَّصارى اليهودَ، وقيل: ضاهى خلَفُهم سلَفَهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم؛ أي: لعنَهُم الله، وقيل: أهلَكَهُم الله؛ لأنَّ مَن قاتلَه اللهُ هلَكَ، وقاتَلَ؛ بمعنى: قتَلَ[1].

وقيلَ: تعليمٌ؛ أي: قولُوا: قاتلَهُم اللهُ.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفونَ عن الحقِّ إلى الباطلِ، والإفكُ: الصَّرفُ، وقيل: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُكذِّبون.

***

(٣١) ـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حَبْرٍ، وقد سبقَ.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾: جمع راهبٍ؛ كفارسٍ وفُرسانٍ، وهو كالعَلَمِ لزُهَّادِ النَّصارَى، مُشتقٌّ منَ (الرَّهبةِ)، ومصدرُه: الرَّهبانيَّةُ.

﴿أَرْبَابًا ﴾: آلهةً ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: سِوى اللهِ من حيثُ أطاعوهُم في تحليلِ ما حرَّمَ الله وتحريمِ ما أحلَّ اللهُ من غيرِ دليلٍ وبيانٍ كطاعةِ الله.

وقيلَ: كانوا يأمُرونَهم بالسُّجودِ لهم.

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ عطفٌ على ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ ﴾: ليُوحِّدوا ويُطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجوزُ أن يكونَ وصفًا لقولِه: ﴿إِلَٰهًا ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مُستأنفًا.

---

(١) فهو لا يدلّ على المشاركة.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهًا له عن أن يكونَ له شريكٌ.

(٣٢) - ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾: يرُدُّوا ويُخمِدُوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: دلائلَه وحُجَجَه، وقيل: القرآنَ. وقيل: بيانَ صفةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشِركِهم وكذِبِهم، وقيل: خُصَّ الفمُ دونَ اللِّسانِ لأنَّ الإطفاءَ بالشَّفةِ يكونُ.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾: لا يرضى ولا يتركُ ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاءِ كلمةِ الله وإعزازِ دينِه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك، وجوابُ (لو) محذوفٌ، ودخلَ (إلَّا) في الإثباتِ لأنَّ في الإباءِ معنى النَّفيِ[1]، وتقديرُه: ويأبى الله كلَّ شيءٍ إلَّا إتمامَ نورِه.

* * *

(٣٣) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾: محمَّداً عليه السَّلامُ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالقرآنِ ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلامِ.

وقيل: هو من بابِ: مسجدُ الجامعِ، وصلاةُ الأولى[2].

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُعلِيَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على سائرِ الأديانِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٢٧٠)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٨٦).

(٢) أي: هو من إضافة الشيء إلى صفته. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٨)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي (ص: ٢٧١).

(٣٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ﴾: يتملَّكُونَ ﴿أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ وقيل: يبتاعُ أموالَ النَّاسِ ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالرُّشا في الحكمِ، وقيل: هي المآكلُ التي كانوا يُصيبُونَها من عوامِّهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ معاويةَ قال: نزلَتْ في أهلِ الكتابِ. وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: فينا وفيهم. فجرَى بينَهم في ذلك كلامٌ وخِصامٌ(١).

واختلفَ المُفسِّرون فيه أيضًا، والأكثرُ على أنَّها نزلَتْ في مانِعي الزَّكاةِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الكنزُ: الذي لا يُؤدَّى زكاتُه(٢).

وقيل: كانَ هذا في أوَّلِ الإسلامِ، كان الواجبُ عليهم أن يُؤدُّوا الفضلَ، ثمَّ نُسِخَ بآيةِ الزَّكاةِ(٣).

ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: أربعةُ آلافٍ وما دونَها نفقةٌ، وما فوقَها كنزٌ(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٥٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣٢)، ولفظه: «هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم. قال: وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الأرض أو في بطنها فهو كنز، وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الأرض أو في بطنها».

(٣) هذا مروي عن السدي. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٤٤٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٨).

ورَوَى ثوبانُ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: أنَّه لمَّا نزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ قال عليه السَّلامُ: «تبًّا للذَّهب تبًّا للفضَّة» قالوا: يا رسولَ الله، فأيُّ المالِ ندَّخِرُه؟ قال: «قلبًا ذاكرًا، ولسانًا شاكرًا، وزوجةً صالحةً»[1].

والوجهُ ما قالَ ابنُ عبَّاسٍ، فقد قال عليه السَّلامُ: «كلُّ ما أدِّيت زكاتُه فليس بكنزٍ»[2].

---

(١) حديث حسن بطرقه وشواهده، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٩٢)، والترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، من طريق سالم بن أبي الجعد عن ثوبان به، وهو منقطع، قال الترمذي: هذا حديث حسن، سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان؟ فقال: لا.

ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٨) بعضه عن سالم مرسلاً، وبعضه عن عمر، وفيه انقطاع؛ فإن سالم بن أبي الجعد روى عن عمر لكنه لم يدركه، وهو ثقة روى له الجماعة.

ويشهد له ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣١٠١) من طريق سلم بن عطية الفقيمي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن صاحب له: أنه انطلق مع عمر فقال: يا رسول الله، قولك: «تبًّا للذهب والفضة» ماذا؟ فقال ﷺ: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تُعين على الآخرة» ورجاله ثقات غير سلم بن عطية فقد ليَّنه ابن حجر في «التقريب».

(٢) تقدم من قول ابن عباس قريباً. وروي عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً، فقد رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٣) من طريق محمد بن جبير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً وقال: ليس هذا بمحفوظ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفاً.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٧٩) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٢٦) من طريق سويد بن عبد العزيز عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، ولفظه: «كل مال وإن كان تحت سبع أرضين يؤدى زكاته فليس بكنز، وكل مال لا يؤدى زكاته وإن كان ظاهراً فهو كنز» قال ابن عدي: رفعه سويد إلى النبي ﷺ وغيره يرويه موقوفاً.

والموقوف رواه الشافعي في «مسنده» (٦١٢ ـ ترتيب السندي)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧١٤٠) و(٧١٤١). =

وأصلُ الكنزِ: جمعُ الشَّيءِ وتكثيفُه، تقول: هو مُكتنِزُ اللَّحمِ، والكنزُ: المالُ الكثيرُ مدفونًا وغيرَ مدفونٍ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كنايةٌ عن الأموالِ والكنوزِ، وقيل: عن الفِضَّةِ؛ أي: لا يُنفِقون الفِضَّةَ فضلًا عن الذَّهبِ، وقيل: عن المصدرِ؛ أي: لا يُنفِقُونَ نفقةً.

وقيل: تقديرُه: يكنِزُونَ الذَّهبَ ولا يُنفِقونَه، والفِضّةَ ولا يُنفِقُونَها، فاكتفى بذكرِ أحدِهما، وهذا كثيرٌ.

ويحتمِلُ أنَّ الذَّهبَ والفِضَّةَ لمَّا كانا جنسَينِ جمعَهما كقولِه: ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] ويُخرَّجُ على هذا: ﴿تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] وقولُه: ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

* * *

= وفي الباب عن أم سلمة قالت: «كنتُ ألبَسُ أوضاحاً مِنْ ذَهَبٍ، فقلت: يا رسولَ الله، أكنزٌ هو؟ قال: «ما بلغ أن تُؤَدَّى زكاتُه، فزُكِّيَ، فليس بكَنزٍ» أخرجه أبو داود (١٥٦٤) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (١٤٣٨)، من طريق عطاء عن أم سلمة. ورجاله ثقات إلا أن عطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ لم يسمع من أم سلمة فيما قاله علي بن المديني. ومع ذلك فقد صححه ابن القطان، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي، فيما نقله عنهما الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٧٢).

وروى البخاري في «صحيحه» (١٤٠٤): عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: مَنْ كَنَزها فلم يؤدِّ زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال. وقد ترجم له البخاري بقوله: (باب ما أدي زكاته فليس بكنز).

(٣٥) - ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾: على الذَّهبِ والفِضّةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: تُوقدُ النَّارُ عليها، والإحماءُ فوقَ الإسخانِ.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ الكيُّ: الوسمُ.

ابنُ عيسى: الكيُّ أيضًا: إلصاقُ الحارِّ بعضوٍ منَ البدنِ.

قال: والجبهةُ: صفيحةُ أعلى الوجهِ قبلَ الحاجبِ، والجنبُ: الجانبُ المُشبَّكُ بالعظامِ المُقوَّسةِ، والظَّهرُ: الصَّفيحةُ المُقابلةُ للبطنِ.

وخَصَّ هذه المواضعَ بالكيِّ لأنَّ البخيلَ إذا سألَه السّائلُ زَوَى جبهتَه، ثمَّ أعرَضَ عنه، ثمَّ ولَّاه ظهرَه(١).

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾؛ أي: يُقالُ لهم: هذا جزاءُ ما كنَزْتُم ﴿لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾؛ أي: جزاءَه.

* * *

(٣٦) - ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾؛ أي: مبلغَ عـدَدِها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ يُريدُ: المَـرْضيَّةَ عندَه ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾؛ أي: الأحكامُ منَ الصَّومِ والحجِّ ووجوبِ الزَّكاةِ وانقِضاءِ العِدَّةِ كلُّها مَنوطةٌ بالشُّهورِ القمريَّةِ والأهلَّةِ المرئيَّةِ التي تعرِفُها العربُ، دونَ الشَّمسيَّةِ التي تَعُدُّها الرُّومُ وفارسُ وأهلُ الكتابِ.

---

(١) ذكر البغوي أن هذا مروي عن أبي بكر الوراق. انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٤).

وسُمِّيَ الشَّهرُ شهرًا لشُهرةِ أمرِه، وإنَّما قُسِّمت السَّنةُ اثني عشرَ ليُوافقَ أمرُ الأهلَّةِ نزولَ الشَّمسِ في البروجِ الاثني عشرَ، كما قال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ الذي نُسِخَ فيه كتبُ الأنبياءِ المُنزَّلةُ عليهم، وقيل: في إيجابِه، وقيل: في حكمِه.

﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: كتبَه لأمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ يومَ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾: واحدٌ فردٌ ـ وهو رجبُ مُضرَ بين جُمادى وشعبانَ ـ وثلاثةٌ مُتتابعةٌ: ذو القَعدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾؛ أي: الدِّينُ المُستقيمُ، لا ما يفعلُه أهلُ الجاهليَّةِ من التَّقديمِ والتَّأخيرِ.

وقيل: ﴿ٱلدِّينُ﴾ هاهنا: الحسابُ.

﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: في الأربعةِ بارتكابِ المعاصي.

ابنُ بحرٍ: لا تظلِمُوا أنفُسَكم بتركِ قتالِ مَن يُقاتِلُكم فيهنَّ، يدلُّ عليه ما بعدَه.

وقيل: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعودُ إلى الجميعِ، والأوَّلُ[1] أظهَرُ؛ لأنَّ (هنَّ) ضميرُ جمعِ القليلِ، و(هي) و(ها) ضميرُ جمعِ الكثيرِ، ولهذا قالَ: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ﴾.

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾: جميعًا ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾: جميعًا.

و﴿كَآفَّةٗ﴾ مصدرٌ كالعافيةِ، وهي حالٌ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ[2]، ولا يدخلُها الألفُ واللَّامُ؛ لأنَّها من المصادرِ التي لا تتعرَّفُ، وهي في لُزومِ النَّكرةِ كـ(أجمعين) في لُزومِ المعرفةِ، واشتِقاقُها من (كُفَّةِ الشَّيءِ)؛ وهي حرفُه، كأنَّه كُفَّ عن الزِّيادةِ.

---

(١) أي: أن الضمير يعود إلى الأشهر الحرم دون غيرهن.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ك ق ف) (٩/ ٣٣٦).

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هذه بشارةٌ وضمانٌ لهم بالنُّصرةِ.

وهذه ناسخةٌ، أُبيحَ فيها القتالُ في الشَّهرِ الحرامِ[1]، وقيل: هي مُحكَمةٌ كما كانت، وتقديرُ هذه الآياتِ: إنْ بدَؤُوكم فقاتِلُوهم، والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قد حاصرَ الطَّائفَ فيه[2].

***

(٣٧) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو تأخيرُهم حُرمةَ شهرٍ حرَّمَه الله إلى شهرٍ لم يُحرِّمْه الله لحاجةٍ تَعرِضُ لهم[3].

وكانوا يُبدِّلون المُحرَّمَ من صَفَرَ، وصَفَرَ منَ المُحرَّمِ، وكانت بنو فُقَيمٍ من بني كنانةَ تتولَّى ذلك، فتبِعَهم النَّاسُ.

وكان أوَّلُ مَن فعلَ نعيمُ بنُ ثعلبةَ[4].

---

(١) وقيل بأن الآية الناسخ للقتال في الأشهر الحرم هي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٠٨)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ١٢٣).

(٢) خرج رسول الله ﷺ لثلاث بقين من شوال سنة ثمان ورجع لثلاث وعشرين خلت من ذي القعدة. انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٦٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٤) بلفظ: «﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ فهو المحرم كان يحرم عاماً وصفر عاماً، وزيد صفرٌ آخر في الأشهر الحرم، وكانوا يحرمون صفراً مرة ويحلونه مرة، فعاب الله ذلك، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦ ـ ٤٧)، عن الكلبي، وأورده الجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٧٦٤) من رواية محمَّد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا إسناد ساقط معروف. =

وقيل: القَلَمَّسُ أحدُ بني مالكِ بنِ كنانةَ(١).

وقيل: كانوا يُؤخِّرون الحجَّ في كلِّ سنةٍ شهرًا، فيجعلُونَه في المُحرَّمِ ثمَّ في صفر، ثمَّ في شهر ربيعٍ الأوَّلِ، على هذا السَّبيلِ شهرًا بعدَ شهرٍ، وسنةً بعد سنةٍ، يحُجُّونَ في كلِّ شهرٍ عامَين، حتى وافَقَ حجُّ أبي بكرٍ رضي الله عنه الآخِرَ منَ العامَين في ذي القعدةِ قبل حجَّةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، ثمَّ حجَّ النَّبيُّ عليه السَّلامُ من قابلٍ في ذي الحجَّةِ، فقالَ في خُطبتِه: «ألا إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كهيئةِ يومَ خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ»(٢).

والنَّسيءُ: مصدرُ نَسَأَه؛ أي: أخَّرَه، تقولُ: نسَأَ اللهُ في أجَلِه، وأنسأَ اللهُ أجلَه.

= وذكره أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦١) عن الزبير بن بكار. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٥) عن الفراء، وهو في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٦). وأورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٣) عن أبي علي البغدادي، لكنه تعقبه بقوله: واسم نعيم لم يعرف في هذا، وما أرى ذلك إلا كما حكى النقاش: من بني فقيم كانوا يسمون: القلامس، واحدهم: قَلَمَّس، وكانوا يُفتون العرب في الموسم، يقوم كبيرهم في الحجر ويقوم آخر عند الباب ويقوم آخر عند الركن فيفتون.

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فاعل ذلك هو جنادة بن عوف بن أمية الكناني.

وروى الطبري أيضاً (١١/ ٤٥٤) عن قتادة أنه أبو ثُمامة صفوان بن أمية أحد بني فُقيم بن الحارث ثم أحد بني كنانة.

قال ابن عطية: فهم على هذا عدة، منهم نعيم، وصفوان، ومنهم ذرية القلمَّسِ حذيفةَ بنِ عبد، وغيرُهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٦) عن ابن زيد. وانظر التعليق السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٦)، والمرفوع رواه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وقيل: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، والأوَّلُ[1] أولى.

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: هذا الفعلُ منهم زيادةٌ في الكفرِ.

﴿يَضِلُّ به الّذين كفروا﴾؛ أي: بالنَّسيءِ، فهم ضالُّونَ، وقُرِئَ: ﴿يُضَلُّ﴾[2] فهم مُضَلُّونَ؛ أي: يُضِلُّهم الشَّيطانُ أو النَّسأةُ.

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يعني: المُحرَّمَ، وقيل: هو رجبٌ.

﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ لأنَّه كان يُحرِّمُ سنةً ويُحلِّلُ سنةً، ويُجعَلُ مكانَ المُحلَّلِ مُحرَّمًا.

﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أربعةَ أشهرٍ وإنْ كانت مُغيَّرةً مُبدَّلةً.

والمُواطأة: المُوافقةُ.

وقيل: اللّامُ في ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(يحلّونه) و(يحرّمونه) جميعًا.

وقيل: مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿يحرّمونه﴾ فحسب، وعليه ظاهرُ الآية، فيكونُ الوقفُ على قولِه: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾؛ أي: الشَّيطانُ زيَّنَ لهم ذلك، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

---

(١) أي: أنه مصدر.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ بضم الياء وفتح الضاد، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الحثِّ على غزوةِ تبوكَ، وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ لمَّا رجعَ منَ الطَّائفِ وغزوةِ حُنَينٍ أمرَ بالجهادِ لغزوةِ[1] الرُّومِ، وذلك في زمانِ عُسرةٍ منَ النَّاسِ، وجَدْبٍ منَ البلادِ، وشدَّةٍ منَ الحرِّ، وكان[2] قد أخرفتِ[3] النَّخلُ وطابتِ الثِّمارُ، وعظُمَ على النَّاسِ الغَزوُ وأحبُّوا الظِّلالَ والمُقامَ في المساكنِ والمنال[4]، وشقَّ عليهم الخروجُ إلى القتالِ، فلمَّا علِمَ الله تثاقُلَ النَّاسِ أنزلَ هذه الآيةَ[5].

وقيل: لمَّا دعاهُم رسولُ الله عليه السَّلامُ وحثَّهم على الجهادِ صاروا ثلاثَ فِرَقٍ:

ـ فرقةٌ أسرعَتْ إلى المسيرِ، وهم المُهاجِرون والأنصارُ.

ـ وفرقةٌ ثقُلَتْ عليهم، فآثَروا طاعةَ الله ورسولِه على هواهُم فخرَجُوا.

ـ وفرقةٌ استأذَنُوا في التَّخلُّفِ، فأذِنَ لهم رسولُ الله عليه السَّلامُ، فنزلَتْ فيهم هذه الآياتُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «أسباب النزول»: «لغزو»، وما ذكره المصنف صحيح، وهو موافق لنسخ من «تفسير الثعلبي» الذي اعتمد عليه المصنف فيما يبدو. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٦٩) مع حاشية محققة.

(٢) في (و): «كان» بلا واو.

(٣) في النسخ الخطية: «أخرجت» وهو تحريف، والتصويب من «تفسير الثعلبي» و«أسباب النزول». وأخرفت النخلة حان وقت جني رطبها. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٥٧) و«الأفعال» لابن الحداد (١/ ٤٥٦).

(٤) في (و): «والمنازل»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي».

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٩) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٦) دون نسبة، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٦)، عن مجاهد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: خِطابٌ لمَن تثاقَلَ دونَ مَن أسرَعَ وبادَرَ، ﴿مَا لَكُمْ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أيُّ شيءٍ لكم؟ وما بعدَه حالٌ، و﴿إِذَا﴾ نابَ مَنابَ (قد) لدلالتِه على الاستقبالِ.

وقولُه: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: اخرُجُوا إلى الجهادِ، وأصلُ النَّفرِ: مُفارقةُ الوطنِ لأمرٍ هاجَ على ذلك، تقولُ: نفَرَ إليه، وعلى الضِّدِّ: نفَرَ عنه.

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: تثاقَلْتُم وتباطَأْتُم ومِلْتُم ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: إلى الإقامةِ بالمدينةِ، وقيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ حين أخرجَتِ الثَّمرَ والزَّرعَ، وقيل: اطمأنَنْتُم إلى الدُّنيا.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وغُرورِها ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: بدلَ الجنَّةِ ونعيمِها، ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُريدُ اللَّذَّاتِ فيها والتَّمتُّعَ بها ﴿فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: في جنبِ الدَّارِ الآخرةِ ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: تافهٌ سريعُ الانقِضاءِ.

***

(٣٩) - ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾؛ أي: إنْ لا تنفِرُوا إلى الحربِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بإمساكِ المطرِ والجدوبةِ والقَحطِ، وقيل: بظفرِ الأعداءِ.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: ويجعلْ مكانَكُم وبدلًا منكم آخرينَ مُطيعينَ.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: الرَّسولَ، وقيل: يعودُ إلى الله سُبحانَه، وقيل: إلى قولِه: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ منَ التَّبديلِ والتَّغييرِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه الآيةُ منسوخةٌ بقولِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢][1].

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٥).

وقيل: هما مُحكَمتانِ(١).

(٤٠) ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إنْ لا تنصُروا محمَّدًا ينصُرْه الله على عادتِه، فقد نصرَه الله بإرشادِه إلى الهجرةِ، وقيل: بإمدادِ الملائكةِ ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين أخرجَه قُريشٌ؛ أي: حمَلُوه على الخروجِ من مكَّةَ.

وذلك أنَّهم اجتمَعُوا في دارِ النَّدوةِ فتشاوَرُوا في أمرِه فعزَمُوا على قتلِه، فأخبرَه الله ذلك، فخرَجَ هو وأبو بكرٍ نحوَ المدينةِ، فدخلُوا غارَ ثَورٍ، وهو جبلٌ بأسفلِ مكَّةَ، فأمرَ الله شجرةً فخرجَتْ في وجهِ رسولِ الله عليه السَّلامُ فسترَتْ وجهَه، وأمرَ العنكبوتَ فنسجَتْ ما بينهما، فسترَتْ وجهَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وأرسلَ حمامتَين وحشيَّتين، فوقَفا على بابِ الغارِ(٢)، وهو قولُه: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾.

---

(١) وهو ما رجحه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٢) وانظر كلامه ثمة. وقال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٠٣): «قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ معناه: إذا احتيج إليكم وإذا استنفرتم، فهذا مما لا ينسخ؛ لأنه خبر ووعيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] محكم؛ لأنه لابد من أن يبقى بعض المؤمنين لئلا تخلو دار الإسلام من المؤمنين فتلحقهم مكيدة، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن التابعين».

(٢) رواه مطولًا ومختصراً ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٩)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤١٦)، والبزار في «مسنده» (٤٣٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٤٤٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) من طريق عون بن عمرٍو القيسيِّ، عن أبي مصعبٍ المكيِّ قال: أدركْتُ زيد بنَ أَرقَمَ وأنسَ بن مالكٍ والمغيرةَ بنَ شعبةَ فسمعْتُهم يتحدَّثون: أن النبيَّ ﷺ ليلةَ الغار... فذكره، وعون ـ ويقال: عوين ـ بن عمرو القيسي، قال العقيلي: لا يتابع عليه، وأبو مصعب المكي مجهول. وانظر: =

ومعنى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: واحدٌ في جملةِ اثنَين، كما تقولُ: خامسَ خمسةٍ؛ أي: واحدٌ فيهم، وهو نصبٌ على الحالِ، ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾؛ أي: حَصَلا فيه.

﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾؛ أي: يقولُ النَّبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ وذلك أنَّ الطَّلَبَ دَنَوا منهما بحيثُ إنَّ أميَّةَ بنَ خلَفٍ بالَ فانتهى إلى أبي بكرٍ بولُه، فبكى، فقالَ له عليه السَّلامُ: «ما يُبكيك؟» فقال: أخافُ أن تُقتلَ[1]، فقال: «لا تحزَنْ إنَّ الله معَنا» فأمِنَ حينئذٍ[2].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: أمْنَه، والسَّكينةُ: ما يُوجِبُ السُّكونَ والأمنَ.

﴿عَلَيۡهِ﴾: على النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وقيل: على أبي بكرٍ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لم يخَفْ، بل كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ساكنَ القلبِ رابطَ الجأشِ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني: الملائكةَ، وقيل: بالثِّقةِ بوعدِه واليقينِ

= «نصب الراية» (١/ ١٢٣). وقصة نسج العنكبوت رواها أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٥١) بإسناد ضعيف كما ذكر محققوه، لكن قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٥١) عنه: هذا إسنادٌ حَسَنٌ، وهو من أَجودِ ما رُوِي في قصةِ نَسْج العنكبوتِ على فمِ الغارِ عليه.

(١) في (ن): «نقتل»، وهو تحريف، والصواب: «أخاف أن تُقتل»، ويدل على ما ذكره الزجاج: «أخاف أن تُقتل فلا يعبد الله بعد اليوم». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٤٨).

(٢) ذكره بنحوه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ٢٦١) دون راو ولا سند، وقصة البول لم أجدها مسندة بهذا اللفظ، لكن جاء في خبر طويل رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «قال أبو بكر لرجل يراه مواجه الغار: يا رسول الله! إنه ليرانا، فقال: «كلا، إن ملائكة تسترنا بأجنحتها»، فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٥٤): رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره.

وكذلك قول أبي بكر: «أخاف أن نقتل» ـ كما في (ن) ـ لم أجده، وقد تم التنبيه عليه، والذي رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغار فرأيتُ آثار المشركين، قلتُ: يا رسول الله، لو أنَّ أحدَهم رَفَع قَدَمَه رآنا، قال: «ما ظَنُّكَ...».

بنصرِه، وقيل: أيَّدَه بالملائكةِ يومَ بدرٍ، فيكونُ الكلامُ كافيًا على قولِه: ﴿عَلَيۡهِ﴾.

فخَرَجا منَ الغارِ وسارا نحوَ المدينةِ، وانصرَفَ القومُ آيسين[1] من لحاقِه.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ يعني: الشِّركَ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾ يعني: لا إلهَ إلّا الله، وقيل: كلمةُ الله قولُه: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقيل: علوُّ الكلمةِ: الغلَبةُ، وسَفالُ الكلمةِ: القَهرُ.

ابنُ بحرٍ: (كلمةُ الذين كفروا): اعتِزاؤُهم[2] في الحربِ: يا لَفلانٍ، وكلمةُ الله: الدُّعاءُ إليه والاستعانةُ به؛ أي: خُذِلُوا ونُصِرَ المُؤمنونَ.

وقيل: الغارُ في الآيةِ بمعنى: الغَيرةِ؛ أي: غارا على دينِ الله، حكاه الماورديُّ[3]، وهو تعسُّفٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في سُلطانِه وتدبيرِه.

***

(٤١) - ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الذين اعتَذَروا واعتَلُّوا بالضَّيعةِ والشُّغلِ وانتشارِ الأمرِ.

السُّدِّيُّ: جاء المقدادُ بنُ الأسودِ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ وكان عظيمًا سمينًا،

---

(١) في (ن): «يائسين».

(٢) الاعتزاء: الاتصال في الدعوى إذا كانت حرب، فكل من ادعى في شعاره: أنا فلان بن فلان أو فلان الفلاني، فقد اعتزى إليه. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ع ز و) (٣/ ٦٣).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤)، وعدَّه من العجائب.

فشكا إليه وسألَه أن يأذَنَ له في التَّخلُّفِ فنزلَ فيه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(١)].

وعن أبي الضُّحى وأبي مالكٍ قالا: أوَّلُ ما نزَلَ من سورةِ (براءة) قولُه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(٢)].

وقيل: أرادَ: أوَّلُ ما نزَلَ في غزوةِ تبوكَ قولُه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

الحسنُ في جماعةٍ: ﴿خِفَافًا﴾: شُبَّانًا ﴿وَثِقَالًا﴾: شِيبًا[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٣)، ولفظه: «﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يقول: غنيًّا وفقيرًا وقويًّا وضعيفًا، فجاءه رجل يومئذ زعموا أنه المقداد وكان عظيماً مسنًّا فشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى، فنزلت يومئذ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾...».

وفي كون الرجل هو المقداد نظر، فإن الخبر ضعيف لإرساله، ثم إن الراوي لم يجزم بل قال: زعموا، وكأنه لم يثبت عنده أنه المقداد، ثم إن المقداد كان من شجعان الصحابة وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ كما في «الإصابة» (٦/ ١٦١): أنه شهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر، حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، وقال زرّ بن حبيش عن عبد اللّه بن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكره فيهم.

وروى البخاري (٣٩٥٢) عن ابن مسعود قال: شَهِدتُ من المقداد بن الأسود مَشهدًا، لَأَنْ أكونَ صاحبَه أحبُّ إليَّ ممَّا عُدِل به، أَتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قومُ موسى: اذهبْ أنت وربُّك فقاتِلا، ولكنَّا نقاتلُ عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك «فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرق وجهُه وسَرَّه» يَعْنِي: قَوْلَهُ.

وثمة نظر آخر، وهو أنه جاء في خبر السدي أنه كان مسنًّا، ولم يكن المقداد وقتها كذلك، فقد قال في «الإصابة»: «اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، قيل: وهو ابن سبعين سنة».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٤) عن أبي الضحى. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٩٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦٨) عن أبي مالك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٨) عن الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان ومجاهد وغيرهم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نِشاطًا وغيرَ نِشاطٍ[١].

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: رُكْباناً ومُشاةً[٢].

الفرَّاءُ: ذا عيالٍ وغيرَ ذي عيالٍ[٣].

جُوَيبر: أصِحَّاءَ ومرضَى[٤].

وقيل: أغنياءَ وفُقراءَ.

وقيل: مشاغيلَ وغيرَ مشاغيلَ.

وقيل: ذا ضَيعةٍ وغيرَ ذي ضيعةٍ[٥].

ابنُ عيسى: خفَّةَ اليقينِ وثقلَ اليقينِ[٦].

وقيل: ﴿خِفَافًا﴾ إلى الطّاعةِ ﴿وَثِقَالًا﴾ عن المُخالفةِ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٢).

(٢) ذكره عن ابن عمر رضي الله عنهما الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٠)، ولم أجده عنه مسندًا، ولعله محرف عن «أبي عمرو» فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٢) عن أبي عمرو، وهو أبو عمرو الأوزاعي كما جاء عند مكي في «الهداية» (٤/ ٣٠٠٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٥) عن عطية العوفي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٦٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٢) عن ابن زيد، ووقع في (ن): «ذا صنعة وغير ذي صنعة»، ولعله تحريف.

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٢٣)، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركِه، وقيل: ليس (الخيرُ) هاهنا للتَّفضيلِ[1].

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرطٌ جزاؤُه مُقدَّرٌ؛ أي: إن كنتُم تعلمون كونَ ذلك خيرًا فبادِرُوا إليه، ثمَّ نُسِخَ بقولِه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية [التوبة: ٩١].

* * *

(٤٢) - ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ هذه الآيةُ نزلَتْ في المُتخلِّفين عن غزوةِ تبوكَ منَ المُنافقين؛ أي: لو كان المدعوُّ إليه شيئًا من منافعِ الدُّنيا. والعرَضُ: ما يحدُثُ منَ المنافعِ.

﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: قريبَ المُتَناوَلِ سهلَ المأخذِ.

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: سهلًا قريبًا، وقيل: باقتِصادٍ من غيرِ طولٍ في أمرِه. وقيل: هيِّنًا غيرَ شاقٍّ.

والقاصِدُ والقَصْدُ: المُعتَدِلُ.

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: لوافقُوكَ في الخروجِ.

﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافةُ البعيدةُ. وقيل: ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: السَّفرُ البعيدُ. ابنُ عيسى: ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: القِطعةُ منَ الأرضِ يَشُقُّ ركوبُها على صاحبِها لبُعدِها[2].

قال: ويحتمِلُ أن يكونَ اشتقاقُها منَ (الشَّقِّ) أو منَ (المشقَّةِ).

---

(١) (خير) اسم تفضيل في الأصل، ولكن كثيراً من أسماء التفضيل تتجرّد معنى التفضيل؛ لتدلّ على معنى المشبهة، وفق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٥٢) بلا نسبة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ هذا إخبارٌ قبلَ الوقوعِ؛ أي: إذا رجعْتَ إلى المدينةِ جاءَتْكَ هذه الطَّائفةُ يحلِفُون باللهِ: لو سَهُلَ علينا الخروجُ وكان لنا سَعةٌ لخرَجْنا معكم.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بإيقاعِها في العذابِ؛ لأنَّ مَن حلَفَ باللهِ كاذبًا استحقَّ العذابَ.

وقيل: يُهلِكُونَ أنفُسَهم بالقعودِ عن الجهادِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنَّهم كانوا مُستَطيعين الخروجَ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: محا اللهُ ذنبَكَ، قدَّمَ العفوَ على العقابِ كي لا يسبقَ إلى قلبِه حُزنٌ.

وقيل: هذا توقيرٌ ودعاءٌ له، كما يقولُ الرَّجلُ: عفا اللهُ عنك ما صنعْتَ في حاجَتي؟ ورضيَ اللهُ عنك ألَا زُرتَني[١].

وقيل: معناه: أدامَ اللهُ لك العفوَ.

وحكى أبو اللَّيثِ رحمَه اللهُ عن أبي سعيدٍ الفاريابيِّ أنَّ معناه: عافاكَ اللهُ يا سليمَ القلبِ[٢].

وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ هذه اللَّفظةَ وإن كانت مدحًا كقولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٥)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٦٢).

﴿بِقَلْبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٩]، فقد صارَتْ تُستَعملُ لمَن له ركاكةٌ في الرَّأيِ وضعفٌ في العزمِ(١).

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ أذِنَ لقومٍ تخلَّفوا عن الغزوِ من غيرِ إذنِ الله، فعاتَبَه سبحانَه وتعالى.

و﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يتعلَّقُ بمُضمرٍ تقديرُه: كانَ يجبُ عليك أنْ لا تأذَنَ لهم حتَّى يتبيَّنَ لك الصّادقُ في إيمانِه منَ الكاذبِ المُنافقِ.

وقيل: الصَّادقُ في عذرِه منَ الكاذبِ المُتعلِّلِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾، ثمَّ نهاه فقال: لا تأذَنْ لهم حتَّى يتبيَّنَ.

***

(٤٤) ـ ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ في التَّخلُّفِ عن الجهادِ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾: في أنْ لا يُجاهِدوا وكراهةَ أن يُجاهِدوا ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

***

(١) وكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٥)، وعدَّه من العجائب.

يريد المصنف أن كلمة (سليم القلب) التي وردت مدحاً في القرآن الكريم، جاءت في سياق كلام الفاريابي دالّة على معنى الغفلة، وهو معنى استجدّ للكلمة، فلذلك لم يرض عبارة الفاريابي واستبعدها.

(٤٥) - ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: يومِ القيامةِ، وقيلَ: آخرِ أيَّامِ الدُّنيا.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: شكُّوا في دينِهم واضطربوا في اعتقادِهم، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ التَّردُّدُ: التَّصرُّفُ بالذَّهابِ والرُّجوعِ مرَّاتٍ مُتقاربةً.

ابنُ بحرٍ: عُوتِبَ لأنَّه أذِنَ لقومٍ في الخروجِ معَه ولم يكُنْ لهم أن يستأذِنُوا في الخروجِ ولا في التَّخلُّفِ، بل كان عليهم أن يقتَصِروا في الخروجِ على الدُّعاءِ العامِّ[1].

قال: ثمَّ ذمَّ مَن استأذَنَ في الخروجِ والذي استأذَنَ في التَّخلُّفِ.

***

(٤٦) - ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾؛ أي: لو عزمُوا على الخروجِ ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾: للخروجِ، ويحتمِلُ: للجهادِ ﴿عُدَّةً﴾: أُهْبةً؛ لأنَّهم كانوا مَياسِير. والأُهبةُ: الآلةُ والوُصْلةُ إلى الشَّيءِ.

﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: نُهوضَهم للخروجِ، والانبِعاثُ: الانطلاقُ في الحاجةِ.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: حبَسَهُم، والتَّثبيطُ: التَّوقيفُ عن الأمرِ بالتَّزهيدِ فيه.

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ قال بعضُهم لبعضٍ، وقيل: قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ غَضَبًا عليهم لعلمِه بذلك منهم. وقيل: ألهمَهُم الله أسبابَ الخذلانِ.

﴿مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ لعُذرٍ كالنِّساءِ والصِّبيانِ، وقيل: مع القاعدينَ بغيرِ عُذرٍ.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٦/ ٥٩).

(٤٧) ـ ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ لـمَّا خرَجَ ضرَبَ عسكرَه على ثنيَّةِ الوداعِ، وضرَبَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ عسكرَه على ذي جُدَّةَ[1] أسفلَ من ثنيَّةِ الوداعِ، ولم يكُنْ بأقلِّ العسكرَين، فلمَّا سارَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ تخلَّفَ عنه عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابنِ سلولَ فيمَن تخلَّفَ منَ المنافقين وأهلِ الرِّيَبِ، فأنزَلَ الله يُعزِّي نبيَّه: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم ﴾[2]؛ أي: في جُملتِكُم ﴿مَّا زَادُوكُمْ ﴾؛ أي: بخروجِهم معكم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ قيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، والخَبالُ: الفسادُ؛ أي: فسادًا في رأيِ ضَعَفةِ المؤمنين. وقيل: اضطِرابًا لانتظامِ أمرِكُم.

﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾: أسرَعُوا ركابَهم السَّيرَ بينكم يُوهِمُونَ الهزيمةَ في القلوبِ، والإيضاعُ: السَّيرُ الشَّديدُ. وقيل: يُسرِعُونَ بينكم بالنَّميمةِ ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾: الشِّركَ، وقيل: التَّثبيطَ. وقيل: الاختلافَ. والخِلالُ: الوسطُ.

---

(١) قوله: «على ذي جدة» كذا وقع عند الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٣) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٧)، والذي في «تفسير الطبري» و«تاريخه»: «وضرب عبد الله بن أبي عسكره على حِدَةٍ أسفلَ منه بحذاء ذباب جبلٍ بالجبانة أسفل من ثنية الوداع». وفي «السيرة»: «وضَرَب عبدُ الله بنُ أُبيٍّ معه على حِدَةٍ عسكرَه أسفلَ منه، نحوَ ذبابٍ». وذُباب: جبل صغير يقع في شمال المدينة بالقرب من ثنية الوداع من جهة الشمال. انظر: «المدينة بين الماضي والحاضر» للعياشي (ص: ٧٤)، وما ذكره محقق «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥١٩)، و«تفسير الطبري» تحقيق أحمد ومحمود شاكر (١٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٧).

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾: مَن يقبلُ قولَهم، وقيل: يُخبِرونَهم بأخبارِكُم وهم مُنافقون، وقيل: عيونٌ لهم وهم مُؤمنون، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

***

(٤٨) - ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾: إفسادَ أمرِكَ وغلبةَ الكافرين عليك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يومَ أُحدٍ ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: احتالُوا في إيصالِ المكارِهِ إليك بكلِّ حيلةٍ.

وقيل: أفسَدُوا أمورًا لك بالتَّضريبِ والوشايةِ.

والتَّقليبُ: أن يُجعَلَ أسفَلُه أعلاه وباطنُه ظاهرَه.

وقيل: ﴿قلّبوا لك﴾: غالُوا الغوائلَ.

وقيل: هو طلبُ المكيدةِ، من قولهم: هو حُوَّلٌ قُلَّبٌ.

وقيل: هو النِّفاقُ؛ فإنَّ المنافقَ ظاهرُه خلافُ باطنِه.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾؛ أي: غلَبَ الإسلامُ الشِّركَ، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: علا دينُ الله وهو الإسلامُ، وقيل: عَلَنَ[1].

﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾؛ أي: على رغمٍ منهم، وذلك أنَّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ تأخَّرَ يومَ أُحدٍ وقال: لو نعلَمُ قتالًا لاتَّبعناكُم؛ أي: إنْ تخلَّفوا عنك في هذه النَّوبةِ فلهم سابقةٌ في التَّخلُّفِ.

***

---

(١) يقال: عَلَنَ وعلُن وعلِن، يعلُن ويعلِن ويعلَن. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع ل ن) (٢٥/ ٤٠٨).

(٤٩) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ أجمع المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ في جَدِّ بنِ قيسٍ المنافقِ، وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ حين تأهَّبَ لغزوةَ تبوكَ قال له: «يا جَدُّ، هل لك في جِلادِ بني الأصفرِ تتَّخِذُ منها سراريَّ ووُصَفاءَ؟» فقال: يا رسولَ الله، لقد عرَفَ قومي أنِّي رجلٌ مُغرَمٌ بالنِّساءِ، وإنِّي أخشى إنْ رأيتُ بناتِ الأصفرِ أنْ لا أصبرَ عنهنَّ، فلا تفتِنِّي بهذا وأْذَنْ لي في القعودِ عنك وأُعينُك بمالي، فأعرَضَ عنه النَّبيُّ عليه السَّلامُ وقال: «قد أذِنْتُ لكَ» فأنزلَ الله هذه الآيةَ(١).

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٧). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٢) من قول ابن زيد.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٥٤)، من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «هل لك في بنات بني الأصفر». وهذا ضعيف لانقطاعه؛ فإن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٠٥٢) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر». قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠): وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف.

قلت: فهذه الروايات كلها ضعيفة سنداً، كما أن الترغيب في الغزو ببنات بني الأصفر يُنزَّه عنه النبي ﷺ، ولعل الصواب ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الأصفر؟».

وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٢) من طريق ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم، وفيه: «هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر». والله أعلم بالصواب.

وكان الأصفرُ رجلًا منَ الحبشةِ ملَكَ الرُّومَ، فاتَّخذَ من نسائِهم كلَّ وضيئةٍ حسناءَ، فولدَتْ له بنينَ وبناتٍ أخَذْنَ من بياضِ الرُّومِ وسوادِ الحبشةِ، فكُنَّ صُفرًا ولُعْسًا، يُضرَبُ بهنَّ المثلُ في الحسنِ[1].

﴿وَمِنْهُم﴾؛ أي: ومنَ المُنافقين ﴿مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في القعودِ ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ بنساءِ الرُّومِ والنَّظرِ إليهنَّ.

وقيل: ﴿لا تَفْتِنِّي﴾: لا تكسِبْني بالعصيانِ في المُخالفةِ.

وقيل: لا تصرِفْني عن شُغلي.

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ قيل: في النَّارِ والعذابِ، وقيل: في الكفرِ والنِّفاقِ.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: مُطبِقةٌ بهم جامعةٌ لهم.

* * *

(٥٠) ـ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿إِن تُصِبْكَ﴾: إنْ نالَكَ ﴿حَسَنَةٌ﴾: غنيمةٌ وظفرٌ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: غمَّهم ذلك، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: كسْرٌ وهزيمةٌ. والإصابةُ: وقوعُ الشَّيءِ فيما قُصِدَ به.

وقيل: الإصابةُ: الإحطاطُ[2] من أعلى إلى أسفلَ، مُشتقٌّ منَ (الصَّوبِ).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٨). قوله: «لعساً»، يقال: جارية لعساء: إذا كان في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة ليست بالناصعة. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ل ع س) (٢/ ٥٩).

(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «الانحطاط».

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾؛ أي: أخذْنا بالحزمِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ بالتَّخلُّفِ عن الجهادِ، ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمانِ ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: مُعجَبون شامِتُون.

* * *

(٥١) - ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا﴾ شدَّةٌ ورخاءٌ وخيرٌ وشرٌّ ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: ما كتبَ الله لنا في القرآنِ، من قولِه: ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢].

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصِرُنا والذي يلي أمرَنا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فليُفوِّضُوا أمرَهم إليه وليَرضَوا بتدبيرِه.

* * *

(٥٢) - ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظِرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الشَّهادةَ أو الغنيمةَ.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بعقُوبتِه، وقيل: ﴿مِّنْ عِندِهِ﴾: الموتِ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: القتلِ.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: انتظِروا مواعيدَ الشَّيطانِ ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: مواعيدَ الله في إعلاءِ كلمتِه وإعزازِ دينِه.

(٥٣) ـ ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ تقديرُه: إنْ تُنفِقُوا طائعينَ أو كارِهينَ لن يُتقبَّلَ منكم.

قيل: هو جوابُ جدِّ بنِ قيسٍ حينَ قال: ائذَنْ لي في القعودِ وأُعينُكَ بمالي.

وقولُه: ﴿طَوْعًا﴾: هو ما لا يلزمُه كالصَّدقةِ، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: هو ما يلزمُه كالزَّكاةِ.

وقيل: ﴿طَوْعًا﴾: هو ما يسهُلُ ويخفُّ، و﴿كَرْهًا﴾: ما يصعُبُ ويثقُلُ.

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ لأنَّها لم تصدُرْ عنِ اعتقادٍ.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: خارِجينَ عن طاعةِ الله.

***

(٥٤) ـ ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾.

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ تقديرُه عندَ المُفسِّرين: وما منعَهُم اللهُ قَبولَ نفقاتِهم إلّا لأنَّهم كفرُوا باللهِ.

ويحتملُ: وما منعَهم قَبولَ نفقاتِهم إلّا كفرُهم باللهِ ورسولِه.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقِلينَ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾؛ أي: الزَّكاةَ ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنَّهم لا يُريدونَ بهما وجهَ اللهِ.

***

(٥٥) ـ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به الأمَّةُ.

قال بعضُ المُفسِّرين: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: فلا تُعجِبْكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياةِ الدُّنيا، إنَّما يُريدُ الله ليُعذِّبَهم بها في الآخرةِ، وتكونُ ﴿فِى﴾ متَّصلةً بالإعجابِ.

وقال الآخَرون: الآيةُ على ترتيبِها، و﴿فِى﴾ مُتَّصلةٌ بقولِه: (يُعذِّبَهم).

واختلَفُوا في المعنى؛ فقال بعضُهم: يُعذِّبهم بالمصائبِ فيها، وقيل: بـأخذِ الزَّكاةِ والأمرِ بالإنفاقِ، وقيل: بنَهْبِ أموالِهم وسَبْيِ أولادِهم، وقيل: يُعذِّبُهم بجَمْعِها وحِفْظِها وحبِّها والبخلِ بها والخوفِ عليها، وكلُّ هذا عذابٌ.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ وأصلُ الزُّهوقِ: الخروجُ بصُعوبةٍ، والزُّهوقُ: الهلاكُ.

وقيل: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾: تخرجُ بادِرةً من أبدانِهم، تقولُ: زهَقَ الحجرُ من تحتِ حافرِ الدَّابَّةِ: إذا بدَرَ.

والزَّهوقُ: البُعدُ أيضًا، والزَّهوقُ: البِئرُ البعيدُ المَهواةِ.

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾: حالٌ لهم.

***

(٥٦) ـ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ كاذبًا ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ القتلَ والنَّهبَ والسَّبيَ.

(٥٧) ـ ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾: حِصْنًا وحِرْزًا يلجَؤُونَ إليه، وقيل: مَلجأً منَ الكُفَّارِ يلجَؤُونَ إليه، تقولُ: لجأتُ إليه ولجِئْتُ؛ أي: تحصَّنتُ به، وألجأتُه: أحرَزْتُه.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: جمعُ مَغارةٍ، وهي البقعةُ تُغيِّبُ مَن دخلَها. وقيل: هي السَّرَبُ تحتَ الأرضِ. وقيل: المغارةُ: الغارُ، وهي الثُّقُبُ الواسعُ في الجبلِ.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضِعًا يُدخَلُ فيه، وقيل: يُدخَلُ فيه بشدَّةٍ.

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾: أقبَلُوا إليه[1] ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسرِعون، من قولِهم: فرسٌ جَموحٌ: يركبُ رأسَه.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم ﴾؛ أي: من المُنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ ومعنى: ﴿يَلْمِزُكَ﴾: يعيبُك، وقيل: يُحرِّكُ شفتَيه بالطَّلبِ، وقيل: يطعنُ عليك، وقيل: يغتابُك، وكلٌّ قريبٌ.

وقولُه: ﴿فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾؛ أي: في تفريقِ الصَّدقاتِ بينَ أهلِها.

﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾؛ أي: إنْ أُعطِيَ رضيَ وإنْ مُنِعَ سخِطَ.

* * *

(١) في (ن): «نحوه».

(٥٩) ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كما قال المسلمونَ، ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: خزائنِه ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ منَ الصَّدقةِ والغنيمةِ.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَ الله في أوَّلِ الآيةِ وذكرَ الرَّسولِ في آخرِها للتَّعظيمِ والتَّيمُّنِ، وإنْ كانَ الكلُّ من إيتاءِ الله.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ أي: نسألُ الله أن يُغنِيَنا من فضلِه بفضلِه، وجوابُ (لو) محذوفٌ تقديرُه: لكانَ أولى بهم.

* * *

(٦٠) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ثمَّ بيَّنَ الله مواضِعَها التي تُوضَعُ فيها فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ وهي مالُ الزكاة[1] والجزيةِ وسائرِ ما سبيلُه إلى بيتِ المالِ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ للمُفسِّرين فيهما ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الفقيرَ هو الذي له أدنى شيءٍ، واستدلَّ صاحبُ هذا القولِ بقولِ الشّاعرِ:

أمَّا الفقيرُ الَّذي كانَتْ حَلُوبتُهُ　　　وَفقَ العِيالِ فلَم يُترَكْ لَهُ سَبَدُ[2]

---

(١) في (و): «الصدقات».

(٢) البيت للراعي النميري في «ديوانه» (ص: ٦٤)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٣٢)، و«أدب الكاتب» =

واشتِقاقُه منَ الفَقارِ، تقولُ: فَقَرْتُه: إذا أصبتَ فِقارَه، وهو أصلُ الظَّهرِ، كما تقولُ: رأَسْتُه ورجَلْتُه؛ أي: ضربتُ رأسَه ورِجلَه، فكأنَّه كُسِرَ ظهرُه.

وأنَّ المسكينَ هو: الذي لا شيءَ له، وانضَمَّ إلى فَقرِه ذلَّةٌ وعدمُ هدايةٍ إلى وجهِ المعاشِ، واستَدلَّ بقولِه: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]؛ أي: لصقَ بالتُّرابِ من فقرِه، وليس بينَه وبينَ التُّرابِ حائلٌ.

والثّاني: أنَّ المسكينَ: مَن له أدنى شيءٍ، وهو أحسنُ حالًا منَ الفقيرِ، واستدلَّ صاحبُ هذا القولِ بقولِه تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩].

وأنَّ الفقيرَ هو: الذي لا شيءَ له، وكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يتعوَّذُ منَ الفقرِ، ويسألُ المسكنةَ فيقولُ: «اللَّهمَّ أحيِني مسكينًا، وأمِتْني مسكينًا، واحشُرْني في زُمرةِ المساكينِ»[1]، واشتِقاقُها منَ السُّكونِ، قال: وسُمِّيَ مسكينًا؛ لأنَّه لا يتحرَّكُ إلى ما يتحرَّكُ إليه الغنيُّ، وقيل: لأنَّه أسكنَه الفقرُ، وأجابُوا عن البيتِ بأنَّه سمَّاه فقيرًا بعد سَلْبِ الحَلوبةِ بقولِه:

... فلَم يُترَكْ لَهُ سَبَدُ

وأجابَ صاحبُ القولِ الأوَّلِ عن الاستدلالِ بقولِه: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ بأنَّهم كانوا أُجراءَ، وقيلَ فيه غيرُ هذا، ويأتي موضِعَه.

= (ص: ٣٤) يشكو إلى عبد الملك بن مروان ظلم السعاة على الصدقات لقومه وجورهم عليهم وأنهم لم يتركوا للفقير شيئاً. وقوله: «وفق العيال»؛ أي: ما يكفي عياله، و«حلوبته» يراد به: ما فيه لبن يحلب، ويقال: ما لفلان حلوبة ولا ركوبة؛ أي: ناقة يحلبها وناقة يركبها. وقوله: «لم يترك له سبد»؛ أي: لم يترك له شيء. انظر: «شرح أدب الكاتب» للجواليقي (ص: ١٠٧).

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس رضي الله عنه وقال: «حديث غريب»، وابن ماجه (٤١٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وضعف ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٤٠) إسناد الحديثين.

والثّالثُ: أنَّهما اسمانِ مُترادِفان لقومٍ واحدٍ، فكلُّ فقيرٍ مسكينٌ، وكلُّ مسكينٍ فقيرٌ، واللهُ سُبحانَه سمَّاهم باسمَين ليكونَ لهم سهمانِ منَ الصَّدقةِ نظرًا لهم ورحمةً عليهم[1].

وقيل: الفقراءُ أهلُ الحاجةِ منَ المُهاجرين، والمساكينُ من غيرِ المُهاجرين.

وقيل: المسكينُ منَ المسكنةِ وهي الذِّلّةُ، وهو على وجهَينِ: مسكينٌ لذلَّةِ الفقرِ ومسكينٌ لذلَّةِ الحالِ، والمسكنةُ: التي ضُربَتِ اليهودُ بها منها، وكذلك قولُه: ﴿لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾، وكذلك قولُ عليٍّ رضي الله عنه: مسكينٌ ابنُ آدمَ ينظرُ بشحمٍ، ويتكلَّمُ بلحمٍ، ويسمعُ بعظمٍ، مستورُ الأجلِ، مكنونُ العِلَلِ، محفوظُ العملِ، تُؤلِمُه البقَّةُ، وتقتُلُه الشَّرقةُ، وتُميتُه الغَرقةُ[2].

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾: هم السُّعاةُ الذين يجمَعونَ المالَ ويَجْبُون الخراجَ إلى بيتِ المالِ، فلهم سهمٌ من ثمانيةٍ فقراءَ كانوا أم أغنياءَ، يُعطيهم الإمامُ على قَدْرِ عملِهم.

﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾: كانوا ساداتِ العربِ، لـمَّا أسلَمُوا استمالَ قلوبَهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأجزَلَ حِباءَهُم، وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّه سقطَ سهمُهم لقوَّةِ الإسلامِ، وأنَّ ذلك كان خاصًّا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ في زمانِه، فسقَطَ بوفاتِه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ للإمامِ أن يُعطيَ مَن يتألَّفُه على الإسلامِ ولا يدفعُ إلى الكفَّارِ.

واشتِقاقُها منَ (الأُلفةِ) وهي الجمعُ، تقولُ: أَلِفتُه: أحبَبْتُه؛ لِمَا في الحبِّ منَ الاجتماعِ.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يُريدُ: المُكاتَبين، والمُكاتَبُ: هو الذي يشتَري نفسَه من مولاه، فيُعانُ على فكاكِ رقبتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٩)، واستغربه.

(٢) نسب هذا القول إلى الحسن البصري في «أمالي المرتضى» (١/ ١٥٨)، و«أدب الدنيا والدين» (ص: ٩١).

﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾: هم المفاليسُ الذين ذهَبَتْ أموالُهم في غيرِ معصيةٍ ولا إسرافٍ، وقيل: هو الذي استدانَ لقوتِ عيالِه فلا يقدرُ على أدائِه.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نفقةُ الغُزاةِ، وثمنُ الخيلِ والسِّلاحِ، وبناءُ المصانعِ، واتِّخاذُ القناطرِ.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقطِعُ يمرُّ بك، والضَّيفُ ينزلُ عليك، ونُسِبَ إلى السَّبيلِ لمُلابستِه إيَّاها.

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فرَض دفعَها إلى المذكورين، ودلَّتِ الآيةُ على معنى (فرَض)، ونُصِبَتْ على المصدرِ، وقيل: على الحالِ، كما تقولُ: هو لك طِلْقًا[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ يضعُ الصَّدقاتِ في مواضِعِها.

***

(٦١) - ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جماعةٍ منَ المُنافقين فيهم الجُلَاسُ بنُ سُوَيدٍ[2] فقال: نقولُ ما شِئْنا ثمَّ نأتيه فيُصدِّقُنا بما نقولُ، وإنَّما محمَّدٌ أذُنٌ سامعةٌ[3].

---

(١) أي: حلالًا، انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣)، و«الصحاح» مادة: (ط ل ق).

(٢) الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري له صحبة رضي الله عنه، كان متهمًا بالنفاق، وقد تاب وحسنت توبته وراجع الحق. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٤)، و«أسد الغابة» (١/ ٥٤٨)، و«الإصابة» (١/ ٥٩٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٩). وروى هذا القول دون تسمية قائله الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٧) عن مجاهد، وبمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

محمَّدُ بنُ إسحاقَ: نزلَتْ في نَبْتَلِ بنِ الحارثِ[١]، وكان رجلًا أدلَـمَ[٢] أحمرَ العينَينِ أسفعَ الخدَّينِ مُشوَّهَ الخلقةِ، وهو الذي ذكرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ فيه: «مَن أرادَ أن ينظُرَ إلى الشَّيطانِ فلينظُرْ إلى نَبْتَلِ بنِ الحارثِ»، وكان يَنِمُّ الحديثَ منَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعَلْ، فقال: إنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثَه شيئًا صدَّقَه، نقولُ ما شِئْنا ثمَّ نأتيه فنحلِفُ له فيُصدِّقُنا، فأُنزِلَتْ هذه الآيةُ[٣].

ومعنى قوله: ﴿أُذُنٌ﴾؛ أي: يسمعُ كلامَ كلِّ أحدٍ ويعملُ به، قال الشَّاعرُ:

فـقـــد صِـرْتِ أُذْنًـا للـوُشـاةِ سَميعَةً ... يَنالونَ مِنْ عِرْضي ولو شِئْتِ ما نالُوا[٤]

وفي التَّسميةِ بـ ﴿أُذُنٌ﴾ قولان:

---

(١) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب النسب» مقروناً بأخيه أبي سفيان. وقد ذكره ابن الكلبي، ثم البلاذري في المنافقين، فيحتمل أن يكون أبو عبيد قد وقف على خبرٍ فيه توبته. انظر: «الإصابة» (٦/ ٣٢٩).

(٢) الأدلم: الطويل الأسود، انظر: «العين» مادة (و ل م) (٨/ ٤٦)، و«معجم متن اللغة» مادة: (د ل م) (٢/ ٤٤٥).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٢١)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٤٥٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٥) عن ابن إسحاق، ورواه مختصرًا ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) البيت لعمرو بن أبي بكر العدوي القرشي قاضي دمشق من جملة أبيات ولها قصة مع الخليفة المأمون في «معجم الشعراء» (ص: ٢٢٠)، و«الجليس الصالح» (ص: ٩٩).
ونسبت لعبد الله بن محمد القاضي المعروف بالخلنجي، مع ذكر القصة نفسها. انظر: «معجم الأدباء» (١/ ١٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ١٩٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٣٨).

أحدُهما: أنَّه سُمِّي بعُضوٍ منه لكثرةِ استعمالِه ذلك العضوَ، كتسميتِهم الجاسوسَ عينًا، والدَّابَّةَ ظَهرًا.

والثَّاني: أنَّه (فُعُل) من أَذِنَ يأذَنُ أَذَنًا: إذا استمَعَ، كما تقولُ: أُنُفٌ وشُلُلٌ[1].

﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾: يسمعُ ما فيه صلاحُ المُؤمنين، لا ما فيه فسادُهم.

﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ ولا يكفرُ بالله ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: يُصدِّقُهم فلا يُكذِّبُهم، واللّامُ زيادةٌ كقولِه: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقيل: يُصدِّقُ بما يأتي من عندِ الله، ويُؤمِنُ للمُؤمنينَ بما وعَدَهُم الله.

وقيل: يُصدِّقُ المُؤمنين بما يُخبِرونَ لا المُنافقين.

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾؛ أي: هو رحمةٌ، ومَن جرَّها[2] عطفَها على ﴿أُذُنُ خَيۡرٖ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بالقولِ والفعلِ ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

* * *

(٦٢) - ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ عمَّا قالوا من قولِهم: ﴿هُوَ أُذُنٞۚ﴾، وقيل: عن التَّخلُّفِ من الجهادِ، وقيل: عمَّا وقعَ منهم ممَّا يدلُّ على النِّفاقِ ﴿لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ وحَّدَ الكنايةَ، وقد سبقَ في (الأنفالِ) بيانُه.

﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: صادِقين في إيمانِهم.

---

(١) يقال: روضة أُنُفٌ؛ إذا لم تُسرعَ، والرجلُ الشُّلُلُ: الخفيف السريع. انظر: «لسان العرب» مادة: (ش ل ل) (١١/ ٣٦٢)، و«تاج العروس» مادة: (أ ن ف) (٢٣/ ٣....).

(٢) قرأ حمزة بالجر، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٥)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٦٣) - ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾: أنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: مَن يُحارِبْ أولياءَ الله ورسولِه ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قال بعضُ النَّحويِّين: (أنَّ) بدلٌ منَ الأوَّلِ، وهو سهوٌ.

وقال الزَّجَّاجُ: أُعيدَ (أنَّ) توكيدًا لمَّا طالَ الكلامُ[1]. وقيل: فبأنَّ، و: لأنَّ.

وهذا كلُّه باطلٌ، فإنَّ ﴿مَن﴾ للشَّرطِ و﴿يُحَادِدِ﴾ مجزومٌ به، والفاءُ جزاءُ الشَّرطِ، وكان القياسُ كسرَ (أنَّ)، وقد قُرِئَ به[2]، لكنَّه أضمَرَ مبتدأً، وجعلَ (أنَّ) خبرَه، وتقديرُه: فالأمرُ أنَّ له نارَ جهنَّمَ، هذا معنى كلامِ أبي عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»[3].

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾: في النَّارِ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾: الإهلاكُ الدَّائمُ.

***

(٦٤) - ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: قال بعضُ المُنافقين: واللهِ لوَدِدْتُ أنِّي قُدِّمْتُ فجُلِدْتُ مئةً، ولا ينزلُ فينا شيءٌ يفضَحُنا، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٢) قرئ بها في الشواذ، ونسبت للحسن بن عمران وابن أبي عبلة. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٢١).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٧٠)، والتعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦٤) دون نسبة، وذكره =

وقال مجاهدٌ: كانوا يقولون القَولَ بينَهم، ثمَّ يقولون: عسى اللهُ أنْ لا يُفشِيَ علينا سِرَّنا، فنزلَتْ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾[1].

﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ قال المُفسِّرون: السُّورةُ تنزلُ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ولكنْ لـمَّا كان في شأنِهم قال: ﴿تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾، ويحتملُ أنَّه من قولِكَ: هذا عليكَ لا لكَ.

﴿تُنَبِّئُهُم﴾: تُخبِرُهم السُّورةُ ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ منَ الكفرِ والنِّفاقِ؛ أي: تفضَحُهم، ويحتملُ أن تكونَ التَّاءُ لخطابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾: أمرٌ وتهديدٌ؛ أي: أظهِرُوا خلافَ ما تُضمِرون.

واختلَفَ المُفسِّرونَ في معنى ﴿يَحْذَرُ﴾ هاهنا بعدَ أنَّ[2] المُنافقَ لا يعتقدُ أنَّ اللهَ يُنزِّلُ شيئًا:

فقال الزَّجَّاجُ: هو أمرٌ في صيغةِ الخبرِ[3]، كما في (الصَّفِّ)[4].

= الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٠) عن السدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) عن السدي.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٧).

(٢) قوله: «بعد أن» كذا في النسخ، ولعل المراد: «بعد اتفاقهم أن».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٤) يعني: قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الصف: ١١]. قال الزمخشري: وهو خبرٌ في معنى الأمر، ولهذا أُجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وتَدلُّ عليه قراءةُ ابن مسعود: (آمِنُوا بالله ورَسُوله وجاهِدُوا)، فإن قلتَ: لـِمَ جيء به على لفظ الخبر؟ قلتُ: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتُثِل فهو يُخبر عن إيمانٍ وجهادٍ موجودَيْن، ونظيرُه قولُ الدَّاعي: «غَفرَ اللهُ لك» و«يَغْفرُ اللهُ لك»، جُعلت المَغفرةُ لقوة الرجاء كأنَّها كانت ووُجدت. انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٢٦).

وقيل: المُنافِقُ شاكٌّ، فلم يَأمَنُوا أن يكونَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ صادقًا.

وقيل: قال المُنافقون: نخافُ أن يأتيَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ بسورةٍ من عندِه ثمَّ يقولَ: أُنزِلَتْ فيهم كذا، فحكَى اللهُ عنهم قولَهم.

وقيل: كانوا يقولونَ استِهزاءً، ولهذا قالَ سُبحانَه: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾.

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾؛ أي: مُنزِّلٌ هذه السُّورةَ ومُظهِرٌ نفاقَكُم، وقيل: ناصِرٌ مَن تخذُلون.

***

(٦٥) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: رأيتُ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ يشتدُّ قُدَّامَ رسولِ الله عليه السَّلامُ والحصى والحجارةُ تنكُبُ رجلَيه يقولُ: يا رسولَ الله، إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ، والنَّبيُّ عليه السَّلامُ يقولُ: «﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»(١).

وقال زيدُ بنُ أسلَمَ ومحمَّدُ بنُ كعبٍ: قال رجلٌ منَ المُنافقين في غزوةِ تبوكَ: ما رأيتُ مثلَ قُرَّائنا هؤلاءِ أرغبَ بُطونًا ولا أكذَبَ لسانًا ولا أجبَنَ عندَ اللِّقاءِ؛ يعنون: محمَّدًا وأصحابَه، فقال له عَوفٌ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله، فذهبَ عَوفٌ ليُخبِرَه، فوجَدَ القرآنَ قد سبقَه، فجاءَ ذلك الرَّجلُ وقد ارتحلَ النَّبيُّ عليه

---

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٩٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥١)، من طريق نافع عن ابن عمر. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩)، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر دون ذكر اسم الرجل.

السَّلامُ وركبَ ناقتَه، فقال: يا رسولَ الله، إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ ونتحدَّثُ بحديثِ الرَّكبِ نقطعُ عنَّا الطَّريقَ، فأنزلَ الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾[1] وقلتَ لهم: لِمَ قُلتُم ذلك؟ لقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نتجارى[2] الأحاديثَ فعلَ المُسافرين، ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: ما تعلَّلتُم به ليس عُذرًا، بل كان ذلك منكم استهزاءً وكُفرًا.

***

(٦٦) ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: لا تطلُبوا إقامةَ العذرِ، فعُذرُكم غيرُ مقبولٍ ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: بعد إظهارِكُم الإيمانَ، وقيل: كفرتُم بتأخُّرِكم عن تبوكَ، وقيل: بإيذائِكم رسولَ الله عليه السَّلامُ.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتِهم ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ بإقامتِهم على النِّفاقِ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؛ أي: نُعذِّبْ بسببِ أنَّهم كانوا مُجرمين.

وقيل: كانوا ثلاثةَ نفرٍ، فهَزِئَ اثنانِ، وضحِكَ واحدٌ[3].

وقيل: بل أنكرَ عليهما بعضَ ما سمعَ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣ و٥٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٠) واللفظ له.

(٢) في (ن): «نتجاذى».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٧٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

وقيل: اسمه مَخْشِيُّ بنُ حُمَيِّرٍ، فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ برِئَ منَ النِّفاقِ[١]، فتكونُ الطَّائفةُ الأولى واحدةً[٢]، وكذلك في قولِه: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾ [النور: ٢].

وعن عطاءٍ في جماعةٍ: أقلُّ الطَّائفةِ اثنانِ[٣].

***

(٦٧)_﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الرِّجالَ المُنافقين كانوا ثلاثَ مئةٍ، والنِّساءَ المُنافقاتِ كُنَّ مئةً وسبعينَ[٤].

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: هم يدٌ واحدةٌ، وقيل: يأخذُ بعضُهم من بعضٍ.

وقيل: رجالُـهم ونساؤُهم صِنفٌ واحدٌ في إظهارِ الإيمانِ واستسرارِ[٥] الكفرِ، وغلَّبَ المُذكَّرَ على المُؤنَّثِ في الجميعِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣١) عن ابن إسحاق. ومخشي بن حمير الأشجعي حليف لبني سلمة، كان من المنافقين، وممن أرجفوا برسول الله ﷺ والمؤمنين في تبوك، ثم ثاب وتاب، وسماه رسول الله ﷺ عبدَ الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر رضي الله عنه. انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤/ ٢٠٨٩)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٣٨١)، و«أسد الغابة» (٥/ ١٢٠). وفي «التيسير في التفسير» للنسفي عند هذه الآية عن السدي في قصةٍ: أن النبي ﷺ سماه: عبد الله ابن عبد الرحمن.

(٢) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أن الصواب: واحداً؛ لأن المراد بالطائفة الأولى ـ وهي التي رُعدت بالعفو ـ شخص واحد، وهو مخشي، رضي الله عنه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٥٠٥)، وذكره ابن حزم في «المحلى» (١٢/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٣٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٧٩).

(٥) في (ن): «واستتار»، وفي الهامش كالمثبت نسخة.

وقيل: هذا جوابٌ لقولهم في قولِه: ﴿يحلفون بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٦].

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾: الكفرِ والعِصيانِ ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: الطَّاعةِ والإيمانِ ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عن إخراجِ الزَّكاةِ والنَّفقةِ في الجهادِ، وقَبضُ اليدِ كنايةٌ عن البُخلِ(١).

وقيل: يقبِضُونَ أيديَهم عن رفعِها بالدُّعاءِ إلى الله.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تركُوا العملَ بأوامرِه ﴿فَنَسِيَهُمۡ﴾: خذَلَهم، وقيل: جازاهُم على نسيانِهم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الخارِجُونَ عن دينِ الله.

***

(٦٨) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حالٌ مُقدَّرٌ(٢) ﴿هِيَ﴾؛ أي: النَّارُ ﴿حَسۡبُهُمۡ﴾: فيها كفايةٌ لجزاءِ كُفرِهم ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهُم من رحمتِه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

---

(١) انظر: «تفسير الماتريدي» (٥/ ٤٢٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٥٥).

(٢) الحال المقدرة: هي التي لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا﴾، وكقولك: «مَررتُ برَجُلٍ معه صَقْرٌ صائداً بهِ غداً»؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، وكذلك: «صائداً به غدًا»؛ أي: مقدِّراً به الصيد غدًا، وكذا هنا المعنى: مقدرين الخلود؛ لأن الخلود غير مقارن للوعد، وكذا كل حال مقدرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٤٩)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ١٦٤)، و«شرح كتاب الحدود» للفاكهي (ص: ٢٢٨).

(٦٩) - ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ في الكافِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: أنتم كالذين من قبلِكُم. وقيل: حالُكُم كحالِ الذين من قبلِكُم.

وقيل: محلُّه نصبٌ؛ أي: وعدَ اللهُ المُنافقين وعدًا كما وعدَ الذينَ من قبلِكُم.

ورُوِيَ أنَّه قيلَ لرسولِ الله عليه السَّلامُ: أهُمْ[1] أهلُ فارسَ والرُّومُ وأهلُ الكتابِ؟ فقال عليه السَّلامُ: «هل النَّاسُ إلَّا هم»[2].

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: ما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحةِ، هؤلاءِ بنو إسرائيلَ شُبِّهْنا بهم[3].

﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: تلذَّذُوا بملاذِّ الدُّنيا، والخَلاقُ: التَّامُّ الوافرُ منَ النَّصيبِ، مُشتقٌّ منَ الخَلْقِ، وهو التَّقديرُ.

---

(١) في (و): «هم».

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأصل الحديث رواه البخاري (٧٣١٩) بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر وذراعًا بذراع»، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «ومَن الناس إلا أولئك»، وروى نحوه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥٢).

الحسنُ: أي: دانُوا بما أرادوا منَ الأديانِ، ولـم يتديَّنُوا بدينِ الله[1].

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطلِ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾.

وقيل: انغَمَسْتُم في الدُّنيا وبِعتُم بها الأُخرَى كفعلِهم.

وقيل: لعِبْتُم كما لعِبُوا.

والتَّقديرُ: خُضْتُم كخَوضِهم[2]، وقيل: كالذين خاضُوا، فحُذِفَ النُّونُ، أو أُجرِيَ (الذي) مُجرَى (مَنْ)[3].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لأنَّهـم اخترِمُـوا عنهـا[4] ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لأنَّهـم يدخُلـونَ النّارَ.

وقيل: معناه: حبِطَتْ في الآخرةِ أعمالُهم التي عمِلُوها في الدُّنيا. واللَّفظُ لا يحتمِلُه.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خسِروا الدُّنيا والآخرةَ.

***

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ثمَّ ذكرَ نبأَ مَن قبلَهم فقالَ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣٤)، بلفظ: «﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ قال: بدِينهم».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ١٦٢) و(٢/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «المفصل» للزمخشري (ص: ١٨٤ ـ ١٨٥) و«شرحه» لابن يعيش (٢/ ٣٩٦).

(٤) في (و): «اخترموا في الدنيا».

أُغرِقُوا بالماءِ ﴿وَعَادٍ﴾ أُهلِكُوا بالرِّيحِ ﴿وَثَمُودَ﴾ أُهلِكُوا بالرَّجفةِ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أُهلِكَ نُمْرودُ ببعوضةٍ، وأُهلِكَ أصحابُه فجعَلَهم الأخسَرين[1].

﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ أُهلِكُوا بالحرِّ والنَّارِ يومَ الظُّلَّةِ.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: وهي قُرِيَّاتُ قومِ لُوطٍ أُهلِكَتْ فجُعلَ عالِيْها سافلَها، وأمطَرَها حجارةً من سجِّيلٍ، والمعنى: اِئْتَفَكَتْ بهم؛ أي: انقلَبَتْ.

وقيل: المُؤتفِكاتُ عامٌّ في كلِّ مَن هلَكَ مُقابلَ المُؤتَفِكاتِ المُكذِّباتِ.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: الكلَّ، وقيل: يعودُ إلى أهلِ المُؤتفكاتِ؛ أي: أتاهُم رسولٌ بعد رسولٍ. والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكِهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ.

***

(٧١) - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في التَّعاضُدِ والتَّناصُرِ ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: الشِّركِ والمعصيةِ ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ يُريدُ: إذا صاروا إليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يمتنِعُ عليه شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضَعُ الشَّيءَ موضِعَه.

***

(١) يريد ما في سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

(٧٢) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾: طاهرةً يطيبُ فيها العيشُ ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

الحسنُ قال: سألتُ أبا هريرةَ وعمرانَ بنَ حُصينٍ رضي الله عنهما عن قولِه: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ فقالا: على الخبيرِ سقطْتَ، سألْنا رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «قَصرٌ في الجنّةِ من لؤلؤةٍ بيضاءَ، فيها سبعون دارًا من ياقوتةٍ حمراءَ، في كلِّ دارٍ سبعون بيتًا من زبرجدٍ خضراءَ، في كلِّ بيتٍ سبعون سريرًا، على كلِّ سريرٍ سبعون فراشًا من كلِّ لونٍ، على كلِّ فراشٍ زوجةٌ من الحورِ العينِ، وفي كلِّ بيتٍ سبعون مائدةً، على كلِّ مائدةٍ سبعون لونًا من الطَّعام، في كلِّ بيتٍ سبعون وصيفةً، ويُعطَى المؤمنُ منَ القوَّةِ في كلِّ غداةٍ ما يأتي على ذلك كلِّه أجمَعَ»[١].

قولُه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: بُطْنانُ الجنَّةِ[٢]؛ يُريدُ: وسطَها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سألتُ كعبَ الأحبارِ عن ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فقال: هي الكُرومُ والأعنابُ بالسُّريانيَّةِ[٣].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٧٧)، والبزار في «مسنده» (٣٥٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٢) وقال: موضوع. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ٢٨٦): «وهذا الحديث غريب، بل الأشبه أنه موضوع».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٧٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١).

الحسنُ: جنَّاتُ عدنٍ وما أدراكَ ما جنَّاتُ عدنٍ؟! قصرٌ من ذهبٍ لا يدخلُه إلَّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ أو حكَمٌ عَدْلٌ. رفعَ الحسنُ به صوتَه(١).

وقيل: مدينةُ الجنَّةِ.

وقيل: أعلى درجةٍ في الجنَّةِ، وفيها عينُ التَّسنيمِ، والجنانُ حولَـها مُحدِقةٌ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «جنَّاتُ عدنٍ: دارُ الله التي لم ترَها عينٌ ولا تخطرُ على قلبِ بشرٍ، لا يسكُنُها غيرُ ثلاثةٍ: النَّبيُّون والصِّدِّيقُونَ والشُّهداءُ، يقولُ الله سبحانَه: طوبى لمَن دخَلَكِ»(٢).

وأصلُه منَ (العَدْنِ)، وهو الإقامةُ، ومنها: المَعْدِنُ، ومثلُه(٣) جنَّةُ الخلدِ.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: رضَا اللهِ عنهم أكبرُ مـمَّا ذُكِرَ؛ لا يُوصَلُ إلى شيءٍ من ذلك إلَّا بالرِّضوانِ.

ورَوَى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «إنَّ الله يقـولُ لأهـلِ الجنَّـةِ: يـا أهلَ الجنَّـةِ، فيقُولـون: لبَّيـكَ ربَّنا وسـعدَيكَ، فيقـولُ لهم: هـل رضِيتُـم؟ فيقولـونَ: ومـا لنـا لا نرضـى وقـد أعطيتَنـا مـا لـم تُعطِ أحدًا من

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٢).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٢٨)، والبزار في «مسنده» (٤٠٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٠)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١١٥١)، وابن الجوزي في «العلل» (٢١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه وزيادة بن محمد لا نعلم روى عنه غير الليث». وقال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، لم يتابعه عليه أحد.

(٣) في (و): «ومثله المعدن ومنه».

خلقِكَ؟! فيقـولُ: أنـا أُعطيكُـم أفضلَ من ذلـك، قالوا: يـا ربّ، وأيُّ شـيءٍ أفضلُ مـن ذلـك؟ قـال: أُحِـلُّ عليكـم رِضواني فـلا أسـخَطُ عليكم بعـدَه أبـدًا»[(١)].

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الرِّضوانُ، وقيل: جميعُ ما تقدَّمَ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

***

(٧٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الحسنُ: بإقامةِ الحدودِ عليهم[(٢)].

ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: يُجاهِدُهم بيدِه، فإنْ لم يستطِعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطِعْ فبقلبِه، فإنْ لـم يستطِعْ فليَكْفَهِرَّ في وجهِه[(٣)].

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: بالِـغْ فـي قتالِـهم وجهادِهـم[(٤)]. والغِلظـةُ: قـوَّةُ القلبِ على إحداثِ الألـمِ.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مرجِعُهم ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

***

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤١).

(٤) في (ن): «وجدالهم».

(٧٤) - ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ في سببِ النُّزولِ أقوالٌ:

قال الضَّحَّاكُ: سبَّ المنافقون في غزوةِ تبوكَ رسولَ الله عليه السَّلامُ وطعَنُوا في الدِّينِ في خلوةٍ، فنقلَ حُذَيفةُ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ ما قالوه، فقال عليه السَّلامُ: «يا أهلَ النِّفاقِ، ما هذا الذي بلغَني عنكم؟» فحلَفُوا ما قالوا شيئًا من ذلك، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١).

قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رجُلَين اقتَتَلا؛ رجلٌ من جُهَينةَ ورجلٌ من غِفارٍ، فظهرَ الغِفاريُّ على الجُهَنيِّ، فنادى عبدُ الله بنُ أبيٍّ: يا بني الأوسِ، انصُروا أخاكُم، فوالله ما مثَلُنا ومثَلُ محمَّدٍ إلّا كما قيلَ: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، والله لو رجَعْنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فسعَى بها رجلٌ من المسلمين إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فجعَلَ يحلِفُ بالله ما قالَ، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(٢).

وقيل: نزلَتْ في الجُلاسِ بنِ سُوَيدٍ، قال: لَئِنْ كانَ ما جاء به محمَّدٌ حقًّا لنحنُ شرٌّ منَ الحميرِ، ثمَّ حلَفَ بالله ما قالَه(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٩) مختصرًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٣٠٣)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٩) عن هشام بن عروة عن أبيه. وقد تقدم أن الجلاس تاب وحسنت توبته. =

﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني: سبَّ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ابنُ عيسى: كلُّ كلمةٍ فيها جَحْدٌ لنعمةِ الله فهي كُفرٌ.

﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾؛ أي: بعد إظهارِهم الإسلامَ، وقيل: هم قومٌ آمنُوا ثمَّ كفرُوا.

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من قَتلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والهمُّ: دونَ العزمِ، والعزمُ فوقَه.

وقيل: همُّوا بقتلِ الذي سعى به.

وقيل: بالإخراجِ، من قولِه: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: ما عابُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ ولم يرَوا منه ما أَوْرَثَ المُعاداةَ، بل أغناهُم الله بالغنائمِ حتَّى[1] كثُرَتْ أموالُهم.

وقيل: كان قُتِلَ لجُلاسٍ مولًى، فقضى له النَّبيُّ عليه السَّلامُ باثنَي عشرَ ألفَ درهمٍ، فاستَغْنَى بذلك[2].

﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾؛ أي: عن النِّفاقِ ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: التَّوبُ خيرًا لهم ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾: يُصِرُّوا على النِّفاقِ والكفرِ ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالفضيحةِ ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيُنجِّيَهم منَ الفضيحةِ والنَّارِ.

= ورواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (١/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه أن القائل رجل من المنافقين دون تعيين.

(١) في (و): «يعني».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٣٠٣) عن هشام بن عروة عن أبيه.

(٧٥) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه: أنَّ ثعلبةَ بنَ حاطبٍ الأنصاريَّ أتى رسولَ الله عليه السَّلامُ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يرزُقَني مالًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ويحكَ يا ثعلبةُ، قليلٌ تُؤدِّي شُكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقُه»، ثمَّ قال مرَّةً أخرى، فقال: «أمَا ترضَى أن تكونَ مثلَ نبيِّ الله؟ فوالذي نفسي بيدِه لو شِئتُ أن تسيلَ معي الجبالُ ذهبًا وفضَّةً لسالَتْ» فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ، لَئِنْ دَعَوتَ الله أن يرزُقَني مالًا لأوتِيَنَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «اللَّهمَّ ارزُقْ ثعلبةَ مالًا»، فاتَّخذَ غنمًا فنمَتْ كما يَنْمي الدُّودُ، فضاقَتْ عنه المدينةُ، فتنحَّى عنها فنزلَ واديًا من أوديتِها حتَّى يُصلِّي الظُّهرَ والعصرَ في جماعةٍ ويترُكَ ما سِواهُما، ثمَّ نمَتْ وكثُرَت حتَّى تركَ الصَّلواتِ إلَّا الجمعةَ، وهي تنمي كما ينمي الدُّودُ حتَّى تركَ الجمعةَ، فسألَ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما فعَلَ ثعلبةُ؟» فقالوا: اتَّخذَ غنمًا وضاقَتْ عليه المدينةُ، وأخبروه بخبرِه، فقال: «يا ويحَ ثعلبةَ» ثلاثًا، ثمَّ أتاه المُصدِّقُ من عندِ رسولِ الله، فأبَى وقال: ما هذه إلَّا جِزيةٌ، ما هذه إلَّا أختُ الجزيةِ، فنزلَ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ فبلَغَ ذلك ثعلبةَ، فخرجَ حتّى أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ[1]، فسألَه أن يقبَلَ منه صدقتَه، فقالَ: «إنَّ اللهَ قد منعَني أن أقبلَ منك صدَقتَكَ»، فجعَلَ يحثُو التُّرابَ على رأسِه، فقال عليه السَّلامُ: «هذا عمَلُكَ، قد أمرتُكَ فلم تُطِعْني»، فقُبِضَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ولم يقبَلْ منه شيئًا، ثمَّ أتى أبا بكرٍ فلم يقبَلْ منه صدقتَه، ثمَّ أتى عمَرَ فلم يقبَلْها منه، ثمَّ أتى عثمانَ فلم يقبَلْها منه[2].

---

(١) بعدها في (و): «فأخرجه».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٣)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٥٧٨)، =

قال الكلبيُّ: كان لثعلبةَ مالٌ بالشّامِ خافَ هلاكَه، فنذَرَ أن يتصدَّقَ منه، فلمَّا قدِمَ عليه بخِلَ به[1].

وقولُه: ﴿عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: عاهدَ وحلَفَ.

﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: المالِ ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: لنُخرِجَنَّ الصَّدقةَ ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بإخراجِ الصَّدقةِ وحقِّ الله وصرفِ الباقي في الصَّلاحِ وما فيه رِضا الله.

***

(٧٦) - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: أعطاهُم اللهُ المالَ ونالوا مُناهُم ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾: منَعُوا حقَّ الله ولم يَفُوا بالعهدِ ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعةِ الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: مُصِرُّونَ على الإعراضِ.

***

(٧٧) - ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: جعَلَ الله عاقبةَ فعلِهم ذلك نفاقًا في قلوبِهم، ويجوزُ أن يكونَ فاعلُ (أعقَبَ) ما سبقَ منَ البخلِ والتَّولِّي والإعراضِ.

= والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢). قال البيهقي: «هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولًا بأسانيد ضعاف». وقال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» (ص: ٦٦): «منكرٌ بمرَّة».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٨٤).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يلقون اللهَ، وقيل: فعلَهم، وقيل: جزاءَ فعلِهم.

وهو يومُ القيامةِ. وقيل: يومُ الموتِ، والمعنى: بخلُهم مع التَّولِّي والإعراضِ أورثَهم نفاقًا لزِمَهم إلى المماتِ.

﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾؛ أي: بسببِ إخلافِهم في وعدِهم وكذبِهم في قولِهم.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني: المُنافقين كلَّهم، وقيل: مَن عاهدَ الله ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أَسرُّوا في أنفُسِهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: ما أسرُّوا به إلى الغيرِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن قتادةَ في جماعةٍ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لـمَّا حثَّ على الصَّدقةِ جاء عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ بأربعةِ آلافِ درهمٍ وقال: يا رسولَ الله، مالي ثمانيةُ آلافٍ، جئتُكَ بنصفِها فاجعَلْها في سبيلِ الله، وأمسكْتُ نصفَها لعيالي، فقالَ له عليه السَّلامُ: «باركَ اللهُ لك فيما أعطَيْتَ وفيما أمسكْتَ»، فباركَ اللهُ له في مالِه، حتَّى إنَّه خلَّفَ امرأتَين يومَ ماتَ فبلغَ ثُمنُ مالِه لهما مئةَ ألفٍ وستِّين ألفَ درهمٍ، وتصدَّقَ يومَئذٍ عاصمُ بنُ عديِّ بنِ العجلانِ بمئةِ وَسْقٍ

من تمرٍ، وجاءَ أبو عقيلٍ الأنصاريُّ بصاعٍ من تمرٍ وقال: يا رسولَ الله، بتُّ ليلَتي أجرُّ بالجريرِ حتَّى نِلتُ صاعَين من تمرٍ، فأمسكتُ أحدَهما لأهلي وأتيتُكَ بالآخرِ، فأمرَه رسولُ الله عليه السَّلامُ أن ينثُرَه في الصَّدقاتِ، فلمَزَهُم المُنافقون فقالوا: ما أعطى عبدُ الرَّحمنِ وعاصمٌ إلّا رياءً، ولقد كانَ اللهُ ورسولُه غنيًّا عن صاعِ أبي عقيلٍ، ولكنَّه أحبَّ أن يذكُرَ نفسَه، فأنزَلَ الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾[1]؛ أي: يعيبُونَ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: الذين يتطوَّعونَ بالصَّدقاتِ، والتَّطوُّعُ منَ الصَّدقةِ: ما لا يلزمُه لزومَ الزَّكاةِ، ويقولون: فعَلُوا ذلك رياءً وسُمعةً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا غايةَ وُسعِهم وطاقتِهم. والجُهدُ بالضَّمِّ: غايةُ ما يقدرُ عليه الإنسانُ، وبالفتحِ: مصدرُ جَهَدَ في الأمرِ: إذا بالغَ، وقيل: هما لُغتانِ؛ يعنُونَ: أبا عقيلٍ.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزِئُونَ بهم ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم جزاءَ سُخريَتِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِـمٌ.

***

---

(١) رواه أبو الشيخ في «تفسيره» عن الحسن مرسلًا مطولًا كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٢)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٩١) عن قتادة مختصرًا.
وللقصة شواهد عن جمع من الصحابة والتابعين رواها الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٨٨ ـ ٥٩٦)، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار (٢٢١٦ ـ كشف الأستار).
وخبر أبي عقيل رواه البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٨٠) ـ ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، والمعنى معنى الشَّرطِ؛ أي: إنْ شِئْتَ فاستغفِرْ لهم، وإنْ شِئْتَ فلا تستغفِرْ لهم.

وقيل: أمرٌ معناه الاستواءُ؛ أي: استغفارُك لهم وتركُ الاستغفارِ سواءٌ.

وقيل: هذه مُبالغةٌ في الإياسِ، ومعناه: إنَّكَ لو طلبتَ الاستغفارَ لهم طلبَ المأمورِ به أو تركتَه تركَ المنهيِّ عنه لـم يُغفَرْ لهم.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال قتادةُ ومجاهدٌ: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال عليه السَّلامُ: «لأزيدَنَّ على السَّبعينَ لعلَّ الله يغفرُ لهم» فأنزَلَ اللهُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦][1].

وقيل: ليس هذا عددًا مُؤقَّتًا، وإنَّما الغرضُ منه الكثرةُ، كما تقولُ: قد قلتُ لك مئةَ مرَّةٍ، ونهيتُكَ عن ذلك ألفَ مرَّةٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠١) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٠) عن مجاهد.

وأصل الحديث رواه البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظ البخاري: لما توفي عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «إنما خيرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال: سأزيده على سبعين» قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وذهبَ الأزهريُّ في جماعةٍ من أهلِ اللُّغةِ[1]: إلى أنَّ السَّبعينَ هاهنا جمعُ السَّبعةِ التي تُستعمَلُ للكثرةِ، لا السَّبعةِ التي فوقَ السِّتَّة[2]. وقد سبقَ في (البقرةِ) عندَ قولِه: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [١٩٦].

وفي استغفارِ رسولِ الله عليه السَّلامُ لهم قولان:

أحدُهما: أنَّه لم يكُ يعرِفُ نِفاقَهم، فدَعا واستغفرَ لهم.

والثّاني: أنَّ المُؤمنين من قومِهم كانوا يسألونَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أن يستغفرَ لهم في حياتِهم رجاءَ أن يُخلِصُوا في إيمانِهم، وبعدَ مماتِهم رجاءَ الغُفرانِ، فنهاهُ الله عن جميعِ ذلك وآيَسَهُم منه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الإياسِ منَ المغفرةِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والكافرُ لا يُغفرُ له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: المُتمرِّدين في الكُفرِ.

***

(٨١) ـ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾؛ أي: المتروكونَ، وقيل: الذين خلَّفَهم رسولُ الله ﷺ بأن أذِنَ لهم في التَّخلُّفِ ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقُعودِهم ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعد خُروجِه. و(خلافَك) بمعنى: خلفَك، ونصبُه على الظَّرفِ.

---

(١) «من أهل اللغة»: ليست في (و).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (س ب ع) (٢/ ٧٠).

وقيل: (خلافَكَ) مصدرُ: خالَفَ، والمعنى: فرِحُوا بقُعودِهم في المدينةِ والتَّخلُّفِ عن الجهادِ، وأنْ لـم ينَلْهم حرُّ الصَّيفِ في السَّفرِ بخلافِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فيكونُ نصبًا على العِلّةِ أو على المصدرِ[1].

﴿وَكَرِهُوٓاْ﴾؛ أي: لـم يُريدوا ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ قال بعضُهم لبعضٍ: لا تخرُجوا إلى الجهادِ في صميمِ الصَّيفِ.

وقيلَ: قالوا للمُؤمنينَ.

﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد اختَرتُموها بهذه المُخالفةِ والتَّخلُّفِ ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: يعلمون مآلَهم إليها ما اختارُوها وما تخلَّفُوا.

* * *

(٨٢) - ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: نهاهُم عن الفرحِ بما تقدَّمَ منهم؛ لأنَّ الضَّحكَ منَ الفرحِ، وقولُه: ﴿قَلِيلٗا﴾؛ أي: في الدُّنيا، وهي قليلةٌ.

وقيل: ﴿قَلِيلٗا﴾ فإنَّ الهمومَ والأحزانَ يمنَعانِكُم عنه.

---

(١) في (و): «أو المصدر». وهذا الوجه أورده المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦١)، واستغربه، ولفظه فيه: «الغريب: ﴿خِلَٰفَ﴾ مصدر خالف، ونصبه على المصدر أو العلة».
قلت: والنصب على المصدر بفعلٍ مقدرٍ مدلولٍ عليه بقوله: (مَقْعدهم)؛ لأنه في معنى: تخلَّفوا؛ أي: تخلفوا خلاف رسول الله. والنصب على العلة يعني: أنَّ ﴿خِلَٰفَ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: إمَّا ﴿فَرِحَ﴾، وإما (مَقْعد)، أي: فَرِحوا لأجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتَخَلَّفوا هم عنه، أو بقعودِهم لمخالفتَهم له. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٤٧٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٩١). وأجاز الزمخشري وجهاً ثالثاً، وهو النصب على الحال؛ أي: قعدوا مخالفين له. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٩٦).

وقيل: عنَى بالقلَّةِ العدَمَ، كقولِ الشّاعرِ:

قليـلًا بهـا الأصـواتُ إلَّا بُغامُهـا(١)

أي: ليس بها صوتٌ.

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ لأنَّـه فـي القيامـةِ، وهـو يـومٌ مديـدٌ، وقيل: فـي النَّـارِ، وهي لا نهايـةَ لها.

وقيل: الضَّحكُ والبُكاءُ كنايتانِ عن السُّرورِ والغمِّ.

وقيل: الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، ومعناهما الخبرُ.

***

(٨٣) - ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾؛ أي: إنْ ردَّكَ اللهُ إلـى المدينـةِ من غزوةِ تبوك وفيهـا طائفـةٌ منهـم، وقيـل: كانوا اثنَي عشـرَ رجـلًا، وقيل: أكثـرَ من ذلـك تخلَّفوا بغيـرِ عذرٍ.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ إلى غزوةٍ أُخرَى بعد تبوكَ ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا ﴾؛ أي: فلا تأذَنْ لهم في الخروجِ وقُلْ لهم: لن تخرُجُوا معيَ أبدًا ﴿وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ لقُعودِكُم عن تبوكَ ونفاقِكُم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾؛ أي: عن الوقتِ الذي تستأذِنُونَ فيه، فإنَّ غزوةَ تبوكَ لم تكُنْ بأوَّلِ غزوةٍ غزاها رسولُ الله عليه السَّلامُ.

---

(١) عجز بيت لذي الرمة في «ديوانه» (٢/ ١٠٠٤)، و«الصحاح» مادة (ب ل د) (٢/ ٤٤٩)، و«البسيط» (٣/ ٣٠٩)، وفي هذه المصادر: «قليلٍ»، وصدره:

أُنيخَـتْ فألقَـتْ بلـدةً فـوقَ بلـدةٍ

وقيل: أوَّلَ مرَّةٍ دُعيتُم.

وقيل: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: قبلَ الاستِئذانِ.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾: مع مَن تخلَّفَ بعذرٍ. وقيل: النِّساءِ والصِّبيان. تقول: خَلَفَه: نابَ عنه، قالَ الله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾؛ أي: الذين لا خيرَ فيهم[١].

وقيل: مع أهلِ الفسادِ[٢].

***

(٨٤) ـ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾؛ أي: منَ المُنافقين.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ حينَ صلَّى النَّبيُّ عليه السَّلامُ على عبدِ الله بنِ أُبيٍّ أو كادَ يُصلِّي، وذلك أنَّه لـمَّا ماتَ جاءَ ابنُه ـ وكانَ مُؤمنًا مُخلِصًا ـ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ وسألَه أن يُكفِّنَه في قميصِه الذي يلي جسدَه، وأن يُصلِّيَ عليه ويقومَ على قبرِه[٣].

---

(١) لعله يريد ما رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله: «الخالفون: الرجال»، ورواه عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٨) بلفظ: «هم الرجال الذين تخلفوا عن النفور».

(٢) ووجه هذا القول كما قال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) من قولهم: خلَف الرجل عن أهله يَخلُف خُلوفاً، إذا فسد، ومن قولهم: هو خَلْفُ سوء، وأصله إذا أريد به هذا المعنى قولهم: خَلَف اللبن يَخْلُف خلوفاً، إذا خبُث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد، ومن قولهم: خلف فم الصائم: إذا تغيرت ريحه.

(٣) رواه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، ومسلم (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤)، من حديث عمر رضي الله عنه، =

وقيل: إنَّه في مرضِه أرسلَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ ليأتيَه فأتاه فقال: «أهلكَكَ حبُّ اليهودِ» فقال: لا تُؤنِّبْني واستغفِرْ لي وأعطِني الثَّوبَ الذي يلي جسدَكَ، ففعَلَ عليه السَّلامُ رجاءَ أن يُؤمِنَ بذلك قومٌ(١).

فكانَ كما رجا، فإنَّ ألفًا من الخزرجِ أسلَمُوا لـمَّا رأَوه عندَ وفاتِه يستشفي بثوبِ رسولِ الله عليه السَّلامُ(٢).

= وفيه الجزم بأنه صلى عليه، ولفظه: فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ ثُم انصرف، فلمْ يمكُث إلا يَسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٤)، عن قتادة. وفيهما: «ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفّن فيه، فأعطاه إياه، وصلى عليه، وقام على قبره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾»، قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كلِّم في ذلك، فقال: «وما يغني عنه قميصي من الله ـ أو ربي ـ وصلاتي عليه؟ وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه».

وفي رواية للطبري: «وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه، فاستغفر له رسولُ الله ﷺ، فمات فكفن في قميص رسول الله ﷺ، ونفث في جلده، ودلَّاه في قبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢١٧٥٨)، وأبو داود (٣٠٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٥)، والضياء في «المختارة» (١٣٢٨)، عن أسامةَ بن زيد، قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ يعودُ عبدَ الله بن أُبيّ في مرضه الذي مات فيه، فلما دخل عليه عَرَفَ فيه الموتَ، قال: «قد كُنتُ أنهاكَ عن حُبِّ يَهُود» قال: فقد أبغضهم أسعَد بن زُرارةَ فَمَهْ؟ فلما مات أتاه ابنُه فقال: يا رسول الله، إن عبد الله بن أُبيٍّ قد ماتَ، فأعطِني قميصَك أكفِّنْه فيه، فنزعَ رسولُ الله ﷺ قميصَه فأعطاه إياه.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٦٣)، ولم أجده مسنداً بهذا اللفظ، وتقدم رجاء ذلك من النبي ﷺ فيما رُوي عن قتادة.

فلمَّا قامَ يُصلِّي عليه جذَبَه عمرُ، ويقالُ: جذَبَه جبريلُ عليه السَّلامُ[١]، فصلَّى عليه، فنزلَتْ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ منَ المُنافقين؛ يُريدُ: صلاةَ الجنازةِ[٢]، وقيل: يُريدُ: الدُّعاءَ.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: ولا تقِفْ عندَ قبرِه حتَّى يُفرَغَ من دفنِه.

وقيل: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لا تتولَّ دفنَه وقبرَه[٣]، فيكونُ مصدرًا، تقولُ: قبرَه إذا دفنَه[٤].

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

***

(٨٥) - ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ سبقَ تفسيرُها، وليست بتكرارٍ؛ لأنَّها في جماعةٍ وهذه في أُخرَى[٥].

ابنُ جريرٍ: أراد: أولادَ عبدِ الله وأموالَه[٦].

---

(١) كون الذي جذبه عمر رضي الله عنه رواه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، ومسلم (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤)، من حديث عمر رضي الله عنه.

وكونه جبريل رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٢)، من رواية يزيد الرقاشي عن أنس: أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبد الله بن أبيٍّ، فأخذ جبريل بثوبه وقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾. ويزيدُ ضعيفٌ.

(٢) في (و): «الجنائز».

(٣) «ومَقْبراً»: ليست في (و).

(٤) ومصدره: قَبْراً. انظر: «القاموس المحيط» مادة (ق ب ر) (ص: ٤٥٩).

(٥) وقد أشار المصنف إلى لطيفة بلاغية في مجيء هذه الآية بالواو، والتي قبلها بالفاء، وهي أن هذه قبلها إخبار بالماضي فناسبها الواو، وتلك قبلها مضارع يحتمل الشرط فناسبها الفاء. انظر: «البرهان» (ص: ١٣٥).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٦١٥)، وليس فيه التصريح بما ذكر المؤلف، وفيه: «ولا تعجبك يا =

(٨٦) ـ ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾.

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ يُريدُ: منَ القرآنِ، وهذا دليلٌ على أنَّ السُّورةَ كانت مُسوَّرةً على عهدِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، لا كما زعمَ بعضُ المُبتدِعةِ أنَّها سُوِّرَتْ بعدَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، وكذلك قولُه: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[1] [البقرة: ٢٣].

﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾؛ أي: بأنْ آمِنُوا ﴿بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ﴾ يجوزُ أن يكونَ الخطابُ للمُنافقين؛ أي: آمِنوا سرًّا كما آمنتُم جهرًا، ويجوزُ أن يكونَ للمؤمنين؛ أي: دُوموا على الإيمانِ وجاهِدوا ﴿مَعَ رَسُولِهِ﴾.

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ في التَّأخُّرِ ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذوو القدرةِ والسَّعةِ في المالِ ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: الزَّمْنى والضَّعْفى.

* * *

(٨٧) ـ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾؛ أي: النِّساءِ، جمعُ: خالفةٍ، من قولهم: فلانٌ خالِفةُ قومِه: إذا كانَ لا خيرَ فيه، وقيل: طائفةٌ خالفةٌ، ثمَّ جُمِعَ على خَوالفَ.

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[2]: استوثَقَ منها فلا يدخلُها الإيمانُ.

* * *

= محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده».

(١) في (ن): «﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾» وهي الآية (١٣) من هود، وتصلح شاهداً كالمثبت.

(٢) زيد لفظ الجلالة «الله»: في (ن) وأحيط بدائرة. وقد ذكر المصنف وجه بنائه للمجهول في هذه الآية في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢).

(٨٨) ـ ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ في الإنفاقِ ﴿وَأَنفُسِهِمْ ﴾ في سبيلِ الله بالقتالِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: جمعُ خَيْرةٍ، تخفيفُ خَيِّرةٍ، والمرادُ بهنَّ الحورُ، كقولِه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في جميعِ الملاذِّ منَ الأطعمةِ والأشربةِ والمنازلِ والجواري والغِلمانِ.

وقيل: ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: الغنائمُ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الباقون في النَّعيمِ.

* * *

(٨٩) ـ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ لفظُ ﴿ أَعَدَّ ﴾ دلَّ على أنَّها مخلوقةٌ مُعَدَّةٌ.

ابنُ عيسى: الإعدادُ: تهيئةُ الشَّيءِ لغيرِه، وأصلُه العددُ، كأنَّه عدَّ ما احتيجَ إليه.

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ في وزنِ فعلِه خلافٌ[1]:

أحدُهما: أنَّه (مُفعِّل) منَ التَّعذيرِ.

والثاني: (مُفتعِلٌ) منَ الاعتذارِ، نُقِلَت حركةُ التَّاءِ إلى الفاءِ، وأُدغِمَت التَّاءُ في العينِ[2].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «في وزن خلاف»، ولعل صواب العبارة: «في وزنه وفعله خلاف»، والله أعلم.

(٢) أي: أصل مُعَذِّر: مُعْتَذِر، ثم صارت مُعَتْذِر، ثم مُعَذِّر. وهذا الوجه ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٧)، والزجاج فيه (٢/ ٤٦٤)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٢١).

والفرقُ بينَ التَّعذيرِ والاعتذارِ: أنَّ التَّعذيرَ: التَّقصيرُ مع طلبِ إقامةِ العذرِ، والاعتذارَ: طلبُ العذرِ من غيرِ تصحيحٍ، فمَن جعلَه منَ التَّعذيرِ قال: هو ذمٌّ، وهو قولُ قتادةَ[١]، ومَن جعلَه منَ الاعتذارِ قال: هو عُذرٌ، وهو قولُ مُجاهدٍ[٢].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: ﴿المُعذِرون﴾ خفيفًا[٣]، ومعنى أعذَرَ: أتى بعُذرٍ صحيحٍ، وكان ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما يقولُ: لعَنَ الله المُعذِّرين[٤]؛ يُريدُ: بالتَّشديدِ، كان يذهبُ إلى التَّعذيرِ[٥].

وفيهم قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا مُنافقين، والكلُّ ذمٌّ، بدليلِ ما تقدَّم.

وقال بعضُهم: هؤلاءِ قومٌ منَ الأعرابِ غيرُ قُطَّانِ المدينةِ، تأخَّروا عن تبوكَ، فلمَّا سمِعُوا الوعيدَ أتَوا مُعتَذرين وسألُوا أن يُؤذَنَ لهم في التَّخلُّفِ والقُعودِ. وقيل: يُؤذَنَ لهم في الخروجِ.

ابنُ بحرٍ: هؤلاءِ الأعرابُ صنفانِ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢١) بلفظ: «اعتذَروا بالكذب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٢) عن حميد: قرأ مجاهد: (وجاء المُعْذِرون) مخففةً، وقال: هم أهل العذر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٠)، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٠).

(٤) رواه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٨)، وانظر: «تفسير الماتريدي» (٥/ ٤٤٥)، و«حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٣٢١).

(٥) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢)، وفيه بدل: «كان يذهبُ إلى التَّعذيرِ»: «ذهب إلى أنه من التعذير»، ومراد المؤلف والله أعلم: أن ابن عباس كان يرى أن ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بالتشديد هو من التعذير المذموم، وأنه قرأ (المُعْذِرون) بالتخفيف ذهاباً منه إلى أن المعنى من أعذَرَ: إذا أتى بعُذرٍ صحيحٍ.

أحدُهما: مُعتذِرٌ التمَسَ الإذنَ في القُعودِ.

والآخرُ: مُصرِّحٌ بالنِّفاقِ غيرُ جانحٍ إلى عذرٍ، مُتجمِّلٌ بتعذيرٍ.

ابنُ عيسى: العُذرُ: سقوطُ اللَّومِ بانتفاءِ التَّمكُّنِ منَ الفعلِ(١).

قولُه: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: أضمَرُوا خلافَ ما أظهَرُوا، ثمَّ أوعَدَهُم عذابًا فقال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

***

(٩١) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾؛ أي: الضَّعيفِ في نفسِه كالشَّيخِ، أو في عينِه كالأعمَى، أو في عقلِه كالمجنونِ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾: جمعُ مريضٍ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾؛ أي: الفقراءِ والمساكينِ ﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ في التَّأخُّرِ وضِيقٌ، بل هم مُوسَّعٌ عليهم في التَّأخُّرِ ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في إخلاصِهم في أقوالِهم وأفعالِهم بما يعودُ إلى ما فيه صلاحُ الإسلامِ والمُسلمين.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين أطاعُوا اللهَ ورسولَه، وقيل: هم الذين نصَحُوا لله ورسولِه ﴿مِن سَبِيلٍ﴾؛ أي: ليس لأحدٍ إلى لائمَتِهم وعقابِهم سبيلٌ لأنَّهم مُحسِنون، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم، وقيل: غفورٌ رحيمٌ للمُسيءِ، فكيف للمُحسنِ؟!

***

(٩٢) ـ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في البكَّائين،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢) بلا نسبة.

وكانوا ستَّةً: مَعْقِلُ بنُ يسارٍ، وصخرُ بنُ خنساءَ، وعبدُ الله بنُ كعبٍ الأنصاريُّ، وسالمُ بنُ عُميرٍ، وثَعلبةُ بنُ غَنَمةَ، وعبدُ الله بنُ مُغفَّلٍ، أتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: يا نبيَّ الله، نذَرْنا الخروجَ فاحمِلْنا على الخِفَافِ المرقوعةِ والنِّعالِ المخصوفةِ نغزُو معَكَ، فقال: «لا أجِدُ ما أحمِلُكم عليه» فتولَّوا وهم يبكُونَ[١].

مُجاهدٌ: نزلَتْ في بني مُقرِّنٍ؛ معقلٍ وسُويدٍ والنُّعمانِ[٢].

الحسنُ: نزلَتْ في أبي موسى وأصحابِه[٣].

وقيل: نزلَتْ في عِرْباضِ بنِ ساريةَ[٤].

قولُه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾ لا على ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله: ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾؛ أي: على النِّعالِ كما سبقَ، ورَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ قال في غزوةِ تبوكَ: «أكثِروا منَ النِّعالِ؛ فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ راكبًا ما كانَ مُنتعِلًا»[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧)، وزادوا سابعًا وهو: «علبة بن زيد الأنصاري».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٣١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٢)، دون تسميتهم، ووردت تسميتهم في «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٥٢٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٨٩). وانظر حديث أبي موسى رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٣١٣٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٤٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٦٠٧) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر.

(٥) ذكره عن أبي هريرة رضي الله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٩٢)، ورواه مسلم (٢٠٩٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ورُوِيَ أنَّهم طلَبُوا ما يتزوَّدُونَه.

﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لا أملِكُ، تقولُ: حَمَلَه حُمْلانًا؛ إذا أعطاه ما يركبُه من دابَّةٍ أو نعلٍ، وحَمَلَه على ظهرِه حَمْلًا.

﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: تسيلُ، ولم يقُلْ: يفِضْنَ؛ أجراها مجرى جمعِ الكثيرِ، والفيضُ: سيلُ الماءِ عن[1] امتلاءِ الإناءِ.

﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ﴾؛ أي: بسببِ أنْ لا يجِدُوا ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ في مَغزاهُم.

***

(٩٣) - ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾؛ أي: اللَّائمةُ والعذابُ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

***

(٩٤) - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: يُقيمونَ لأنفُسِهم عُذرًا باطلًا ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه السَّفرةِ، ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾ بالأكاذيبِ والأباطيلِ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نُصدِّقَكُم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾؛ أي: أخبارًا من أخبارِكُم وأطلَعنا على

---

(١) في (و): «على».

أسـرارِكُم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ بعـد اليـومِ، فإيّاكُـم ومُعـاودةَ القبيـحِ وما يُعتَـذَرُ منـه، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: مصيرُكـم إلـى الله المُطَّلـعِ علـى أعمـالِ عبـادِه سـرِّها وجهرِهـا ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يُوبِّخُكم بـه ويُعاقبُكـم عليه.

***

(٩٥) - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: سيكونُ منهم حلفٌ بالكذبِ والباطلِ بعد انصرافِكُم إليهم من هذه السَّفرةِ إلى المدينةِ؛ ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ ولا تُعاتبوهُم، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ ولا تُؤنِّبوهُم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: عملُهم خبيثٌ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مصيرُهم ﴿جَهَنَّمُ﴾: النّارُ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: جزاءً على فعلِهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا ثمانينَ رجلًا، فأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حين قدِمَ المدينةَ أنْ لا يُجالِسوهُم ولا يُكلِّمُوهُم[١].

وقيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ حلفَ أنْ لا يتخلَّفَ عنه بعدَها، وأن يكونَ معَه على عدوِّه، وطلبَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يرضى عنه[٢].

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥)، وقول النبي ﷺ: «لا تجالسوهم ولا تكلموهم» رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٥) عن السدي مرسلاً.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩١).

(٩٦) - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾؛ أي: يطلُبون رِضاكُم بحلفِهم الباطلِ[1] ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ يُريدُ: فلا ترضَوا عنهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بل يسخطُ عليهم، والرِّضا ضدُّ السُّخْطِ، أَمرَ بالإعراضِ ونَهى عن الرِّضا.

***

(٩٧) - ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ في سببِ النُّزولِ: أَنَّها نزلَتْ في أعاريبَ من أسدٍ وغَطَفانَ، وأعاريبَ من أعرابِ حاضري المدينةِ[2]، وليس بعامٍّ.

والأعرابُ هم أولادُ عدنانَ وقَحْطانَ، وهم ساكِنُو البادِيةِ، ومَن وُلِدَ بغيرِها فهو عربيٌّ.

قولُه: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ لأَنَّهم لـم يسمَعُوا كلامَ الله ولا مواعظَ أنبيائِه ولا حِكَمَهم، فيكونُ الكفرُ فيهم أكثَر.

وقيلَ: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا﴾ لأنَّ طباعَهم جافيةٌ وقلوبَهم قاسيةٌ، وكلَا القولَين واحدٌ.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾؛ أي: بأنْ لا يعلَمُوا، ومعنى ﴿أجدر﴾: أقربُ وأولى، قال أهلُ اللُّغةِ: هو منَ الجدارِ؛ أي: أَلصَقُ وأعلى.

---

(١) في (و): «رضاكم بالباطل».

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧).

﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ مِنَ الفرائضِ والعباداتِ، وقيل: مِنَ الوعدِ والوعيدِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

(٩٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾؛ أي: منهم مُنافقون غيرُ مُخلصين يَعُدُّون ما أنفَقُوا وتصدَّقوا به غُرْمًا؛ ثِقلًا أُلزِمَ من غيرِ وُجوبٍ، ولا يرجُو[1] عليه ثوابًا، ولا يحتسِبُه عندَ الله، وأصلُ الغُرْمِ: اللُّزومُ.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: ينتظرُ انقلابَ الأمرِ عليكم ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: عليهم تدورُ المصائبُ والحروبُ التي يتوقَّعون وُقوعَها في المسلمين، وهذا وعدٌ للمسلمين وإخبارٌ، ويحتملُ أن يكونَ دُعاءً عليهم؛ أي: قولوا: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: المكروهِ.

وحقيقةُ الدَّائرةِ: ما تدورُ به الأيَّامُ، وقيل: يدورُ به الفَلَكُ في سيرِه، والدَّائرةُ: انقِلابُ النِّعمةِ إلى ضِدِّها، وقيل: هي الجائحةُ[2]، ووزنُها فاعلةٌ.

«الحجّةُ»: يجوزُ أن يكونَ مصدرًا كالعاقبةِ والعافيةِ، ويجوزُ أن يكونَ صفةً؛ أي: خلَّةً تدورُ وتُحيطُ بالإنسانِ حتَّى لا يكونَ له منها مَحيصٌ[3].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والضمير يعود إلى ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾، وكأن المصنف لما قطع العبارة بتفسير الغرم غفل عن متابعتها بصيغة الجمع، والله أعلم.

(٢) في (و): «الحاجة».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٠٧).

و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتحِ: المصدرُ، وبالضَّمِّ[1]: البلاءُ والمكروهُ، وإضافتُها للبيانِ كشمسِ النَّهارِ.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٩٩) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: البعثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في الجهادِ مع الرَّسولِ عليه السَّلامُ وما يتصدَّقُ به ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تُقرِّبُه من رحمتِه ورضوانِه، وقيل: القربةُ: طلَبُ الثَّوابِ والكرامةِ، وقيل: هي الطَّاعةُ.

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: دُعاؤُه واستِغفارُه. وفي محلِّها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه نصبٌ بالعطفِ على ﴿مَا يُنفِقُ﴾؛ أي: يتَّخِذُ ما يُنفِقُ وصلواتِ الرَّسولِ قُرباتٍ.

وقيل: نصبٌ بالعطفِ على ﴿قُرُبَٰتٍ﴾؛ أي: يتَّخِذُ ذلك قُرباتِ الله وصلواتِ الرَّسولِ؛ أي: يطلبُ الغفرانَ منَ الله والاستغفارَ منَ الرَّسولِ، وهذا قولُ المُبرِّدِ، وفيه تعسُّفٌ؛ لأنَّ المفعولَ الثَّانيَ في (اتَّخذَ) يجبُ أن يكونَ هو الأوَّلَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٦)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

وقيل: محلُّه جرٌّ بالعطفِ على الله سُبحانَه؛ أي: يتَّخِذُ ذلك قُرباتٍ عندَ الله وعندَ صلواتِ الرَّسولِ.

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾: إنَّ نفقتَهم، وقيل: إنَّ صلواتِ الرَّسولِ، والمعنى: هذا تصديقٌ لمُخيِّلَتِهم ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

(١٠٠) - ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّهم هم الذين صلَّوا إلى القِبلتَين وشهِدوا بدرًا، وقيل: هم الذين أسلَمُوا قبل الهجرةِ، وقيل: هم الذين تقدَّمَ موتُهم.

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ مجرورٌ؛ أي: السّابقون منهما، وقُرِئَ بالرَّفعِ[1]، فيكونُ (السَّابقون) منَ المُهاجرينَ فحَسبُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: منَ المُهاجرينَ والأنصارِ أيضًا، فيكونُ سائرَ الصَّحابةِ.

والثّاني: مَن اتَّبعوهم بالإيمانِ والطّاعةِ إلى يومِ القيامةِ، وذكرَ المُفسِّرون والقرَّاءُ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان يقرأُ: (والأنصارُ الذين اتَّبعُوهُم)، بحذفِ الواوِ ورفعِ (الأنصار)، فقالَ له زيدُ بنُ ثابتٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ فقالَ عمر: (الذينَ اتَّبعُوهُم)،

---

(١) قرأ بها يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠).

فقال زيدٌ: أميرُ المؤمنين أعلَمُ، فقالَ عمرُ رضي الله عنه: ائتُوني بأُبَيِّ بنِ كعبٍ، فأتاهُ فسألَه، فقالَ أُبيٌّ: ﴿وَالَّذِينَ﴾ فقال عمرُ: فنعَمْ إذَنْ[١].

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبولِ الطَّاعةِ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما نالُوا منَ الثَّوابِ فوقَ ما تمنَّوا.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿من تحتِها﴾[٢]، وليس لها في القرآنِ نظيرٌ.

***

(١٠١) - ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جُهَينةَ ومُزَينةَ وأشجَعَ وأسلَمَ وغِفارٍ، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: ابنُ أُبيٍّ، وجدُّ بنُ قيسٍ، ومُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ، والجُلاسُ بنُ سُوَيدٍ، وأبو عامرٍ الرَّاهبُ[٣].

قال قتادةُ: أسرَّ النَّبيُّ عليه السَّلامُ إلى حُذيفةَ اثني عشرَ رجلًا منَ المُنافقين لا يدخُلونَ الجنَّةَ حتَّى يلجَ الجملُ في سمِّ الخياطِ، وقال: «ستَّةٌ منهم تقتُلُهم الدُّبَيْلَةُ؛ سراجٌ من نارٍ يأخذُ في كتفِ أحدِهم حتَّى يخرجَ من صدرِه»، وكان عمرُ رضي الله عنه إذا ماتَ رجلٌ يظنُّه منهم نظرَ إلى حُذيفةَ؛ فإنْ صلَّى عليه اتَّبعَه، قال

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٨) لأبي عبيد وسنيد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٧)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧) عن الكلبي.

حذيفةُ: قال لي عمرُ: أنشُدكَ الله أمِنهُم أنا؟ قلتُ: لا والله، ما جعلَكَ الله منهم[١].

وقولُه: ﴿ممّن حولكم﴾؛ أي: من أهلِ البوادي ممَّن حوالَي المدينةِ.

﴿مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ منافقون ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ يجوزُ أن يكونَ وَصْفًا للمُنافقين، وحقُّه التَّقديمُ، وهذا قولُ الزَّجّاجِ[٢]، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا لمُنافقي المدينةِ فحسبُ، وهذا قولُ جماعةٍ، فيكونُ الوقفُ على قولِه: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾، ثمَّ يستأنفُ ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ﴾؛ أي: قومٌ مرَدُوا، ويحتملُ أن يكونَ ﴿مَرَدُواْ﴾ للكلِّ، ويحتملُ الاستئنافَ.

ومعنى ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: أقامُوا عليه فلم يتوبُوا منه.

وقيل: لجُّوا فيه وأبَوا غيرَه.

وقيل: استمروا على ذلك وعتوا فيه[٣].

وقيل: اشتَدُّوا فيه، وقيل: دَرِبُوا به، وأصلُه منَ الشَّيطانِ المارِدِ، واشتقاقُه منَ الملاسةِ، وقد سبقَ.

﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾: لا تعرِفُهم بأعيانِهم ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾، ويحتمِلُ: لا تعلَمُهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٦). وله شاهد رواه مسلم (٢٧٧٩) عن عمار رضي الله عنه أن حذيفة أخبره عن النبي ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٦٧)، وعبارته: «مقدم ومؤخر، ﴿مَرَدُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾».

(٣) «وقيل استمروا على ذلك وعتوا فيه» من (ن).

مُنافقيـن، وتقـدُّمُ لفـظِ النِّفاقِ قـامَ مَقـامَ الملفـوظِ، فيكونُ علـى أصلِـه مُتعدِّيًا إلى مفعولَين.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ محمَّدُ بنُ جريرٍ: لـم يُبيِّن اللهُ العذابَ لنا ما هما[1].

غيرُه: المرَّةُ الأولى في الدُّنيا بالقتلِ والفضيحةِ والهوانِ وأخذِ الزَّكاةِ والحملِ على الجهادِ، والمرَّةُ الثَّانيةُ عذابُ القبرِ، والثَّالثةُ دخولُ النّارِ على الدَّوامِ.

***

(١٠٢) - ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في قومٍ كانوا[2] تخلَّفُوا عن غزوةِ تبوكَ، ثمَّ نَدِمُوا وقالوا: نكونُ في الظِّلالِ مع النِّساءِ ورسولُ الله وأصحابُه في الجهادِ، والله لنوثِقَنَّ أنفُسَنا في السَّواري ولا نُطلِقُها حتَّى يكونَ الرَّسولُ هو الذي يُطلِقُنا ويعذُرُنا، فأوثَقُوا أنفُسَهم بسواري المسجدِ، فلمَّا رجَعَ رسولُ الله عليه السَّلامُ مرَّ بهم فرآهُم فقال: «مَن هؤلاءِ؟» قالوا: هؤلاءِ تخلَّفُوا عنك، فعاهَدوا الله لا يُطلِقونَ أنفُسَهم حتَّى تكونَ أنتَ الذي تُطلِقُهم وترضَى عنهم، فقالَ عليه السَّلامُ: «وأنا أُقسِمُ لا أُطلِقُهم ولا أعذُرُهم حتَّى أُؤمَرَ بإطلاقِهم، رَغِبوا عنِّي وتخلَّفُوا عنِ الغزوِ مع المسلمين» فنزلَتْ هذه الآيةُ، فلمَّا نزلَتْ أرسلَ إليهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأطلَقَهم وعذَرَهُم، فلمَّا أُطلِقُوا قالوا: يا رسولَ الله، هذه

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٦٤٩).

(٢) «كانوا»: ليست في (ن).

أموالُنا التي خلَّفَتْنا عنك فتصدَّقْ بها عنّا وطهِّرْنا واستغفِرْ لنا، فقال: «ما أُمِرْتُ أن آخُذَ من أموالِكُم شيئًا» فأنزَلَ الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية(١).

قولُه: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾؛ أي: وقومٌ آخَرون سِوى المذكورين.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا عشرةً(٢).

مجاهدٌ: هو أبو لُبابةَ وحدَه لِـمَا أصابَه حينَ بُعِثَ إلى بني قُريظةَ(٣).

﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ في النِّفاقِ(٤) والتَّأخُّرِ عن الجهادِ.

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: التَّوبةَ ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: النِّفاقَ(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١)، وابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ٨٠)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو منقطع؛ علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ولم يره، لكن ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) عن أحمد بن حنبل قوله: بمصر صحيفة في التَّفسير رواها عليٌّ بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً.

وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف جدًّا.

(٢) قطعة من حديث ابن عباس السابق، وفيه: أن الذين أوثقوا أنفسهم هم سبعة من هؤلاء العشرة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٣)، وكان أشار لهم إلى حلقه، يُعلِّمهم أن حكم الله فيهم هو القتل.

(٤) قوله: «في النفاق» كذا قال، وفيه نظر، فهم لم يكونوا منافقين بل من خيار الصحابة، ولم يعترفوا بنفاق، وإنما هو التقصير الذي وقعوا فيه بتخلفهم عن الجهاد مع النبي ﷺ في تلك الغزوة. وقد ذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذا في أقوام كانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد الخلاف، لكنْ لتأخُّرهم في الاستعداد إلى أن فاتهم اللُّحوق بالنبيِّ عليه السلام، وكان ذلك منهم ذنباً لا نفاقاً منهم، فندموا على ذلك واعترفوا، فتاب الله عليهم.

(٥) انظر التعليق السابق. وقد ذكر الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١-٣٢) عن الحسن: «العمل الصالح: =

وقيل: تقديرُه: وآخرون خلَطُوا عملًا صالحًا وآخرَ سيِّئًا واعترَفُوا بذنوبِهم.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ و(عسى) منَ الله واجبٌ.

والخلطُ: مَزجُ الشَّيءِ بالشَّيءِ حتَّى تدخُلَ أجزاؤُهما بعضُها في بعضٍ، وهاهنا مُستَعارٌ، والمُرادُ به: الجمعُ، ولهذا ذُكِرَ بالواوِ ولم يُذكَرْ بالباءِ[1]، تقولُ: خلَطْتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ، وقيل: الواوُ بمعنى: مع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

***

(١٠٣) - ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾: هي كفَّارةٌ لذنوبِهم، وقيل: هي الزَّكاةُ المفروضةُ ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ يُريدُ: عن الذُّنوبِ، والتَّطهيرُ: إزالةُ النَّجاسةِ.

والتَّاءُ خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فيكونُ حالًا، وقيل: التّاءُ للتَّأنيثِ، فيكونُ صفةً للصَّدقةِ.

وكذلك قولُه[2]: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾؛ أي: تُنَمِّي حسناتِهم، وقيل: ﴿تزكّيهم بها﴾: تُكثِّرُ أموالَهم، والزَّكاءُ: نَماء المالِ، وقيل: تحكُمُ يا محمَّدُ بأنَّهم أزكياءُ.

وقيلَ: التّاءُ في ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ للصَّدقةِ، والتّاءُ في ﴿تزكّيهم﴾ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾: ادعُ لهم واستغفِرْ لهم، والصَّلاةُ: الدُّعاءُ.

= خروجهم إلى الجهاد مع النبي ﷺ قبل هذا، والسيئ: تخلفهم عن تبوك». وعن الكلبي: «﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: التوبة ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تقاعُدَهم عن الغزو».

(١) أي: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ﴾، وليس: خلطوا عملاً صالحاً بآخر.

(٢) أي: في كون التاء خطاباً للنبي ﷺ.

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: طُمأنينةٌ لهم بأنَّ الله قبِلَ توبتَهُم، وقيلَ: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: رحمةٌ عليهم، وقيل: يسكُنونَ إليها ويُسارِعُونَ إلى أداءِ الصَّدقاتِ.

ورُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنَ أبي أوفَى قالَ: أَتيتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ بصدقاتِ قومي فقُلتُ: يا رسولَ الله، صلِّ عليَّ، فقال: «اللَّهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى»[(١)].

ويحتملُ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ بعدَ موتِهم، خلافًا لمَن نُهي عنِ الصَّلاةِ عليه في قولِه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يثِقونَ بأنَّ مَن صلَّيتَ عليه مغفورٌ له[(٢)] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: عدَّاه هاهنا بـ ﴿عَنْ﴾ لتضمُّنِ القبولِ معنى التَّجاوزِ. ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يقبلُها.

وقيل: جعَلَ أَخْذَ الرَّسولِ أخذَ الله؛ لأنَّه أخذٌ بأمرِه[(٣)].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كثيرُ قَبولِ التَّوبةِ، وقيل: سريعُ القَبولِ.

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨)، بلفظ: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: «اللهم صل على آل فلان»، فأتاه أُبيٌّ بصدقته، فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، وقد تابع المصنف الماوردي في لفظه. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٩٩).

(٢) وقد ذكر النحاس أن الصلاة في الآية على هذا المعنى مما نسخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾، وفي هذا إشكال، وهو أنه جعل التائبين كالمنافقين، وما ذكره المصنف في هذا المعنى أقرب. انظر: «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥)، واستغربه.

(١٠٥) ـ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾؛ أي: الطَّاعةَ واحذَروا المعصيةَ ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ ﴾ بالموتِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يُنبِّئُ تنبئةَ تذكيرٍ ومُجازاةٍ عليه.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿وآخرون مرجؤون﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في كعبِ بنِ مالكٍ، ومرارةَ بنِ الرَّبيعِ، وهلالِ بنِ أميَّةَ، تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ(١)، وهم الذين ذُكِروا في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]؛ أي: هم ثلاثةُ زُمَرٍ؛ فزُمرةٌ: مرَدُوا على النِّفاقِ، وزُمرةٌ: اعترَفُوا، وزُمرةٌ: تُوُقِّفَ في أمرِهم.

قولُه: ﴿مرجؤون﴾؛ أي: ومنهم آخرون مُرجَؤُونَ، الهمزُ وتركُ الهمزِ لُغتانِ(٢).

وقيلَ: مَن همزَ فمعناه: مُؤخَّرون، ومَن تركَ الهمزَ فمعناه: جعلُوا يَرْجونَ.

أرجَى اللهُ أمرهم، وقيل: أرجى النبيُّ أمرهم.

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: ليأمرَ اللهُ فيهم ويُنزِلَ في شأنِهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إنْ أصرُّوا على النِّفاقِ ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ تابُوا، وقيل: إمَّا يخذُلُهم وإمَّا يُوفِّقُهم، والتَّشكيكُ في حقِّ العبادِ، واللهُ عالـمٌ بما تصيرُ إليه أمورُهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) عن مجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وابن إسحاق.

(٢) قرأ بالهمز ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(١٠٧) - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: إنَّ المُنافقين عرَّضوا لمسجدٍ يبنُونَه ليُضاهوا به مسجدَ قباءٍ - وهو قريبٌ منه - لأبي عامرٍ الرَّاهبِ، يرصدونَه إذا قدِمَ ليكونَ إمامَهم فيه، فلمَّا فرَغُوا من بنائِه أتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: إنَّا قد بنَينا مسجدًا فصلِّ فيه حتَّى نتَّخِذَه مُصلًّى، فأخذَ ثوبَه ليقومَ معَهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾ [التوبة: ١٠٨](١).

وفي غيرِ هذه الرِّوايةِ: فدَعا رسولُ الله عليه السَّلامُ مالكَ بنَ الدُّخْشُمِ، ومعنَ بنَ عَديٍّ، وعامرَ بنَ السَّكنِ، والوحشيَّ قاتلَ حمزةَ، وقالَ لهم: «انطلِقُوا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهلُه فاهدِمُوه واحرِقُوه» فخرَجُوا، وانطلَقَ مالكٌ فأخذَ سعفةً منَ النَّخلِ فأشعَلَ فيها نارًا، ثمَّ دخلُوا المسجدَ وفيه أهلُه، فحرَّقُوه وهدَّمُوه، فتفرَّقَ عنه أهلُه، وأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ أن يُتَّخذَ ذلك كُناسةً يُلقَى فيها الجيَفُ والنَّتنُ(٢) والقُمامةُ، وماتَ أبو عامرٍ بالشَّامِ وحيدًا غريبًا(٣).

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٠).

(٢) في (و): «والتبن».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٩) عن المفسرين، وهو مجموع من عدة روايات، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٣) من طريق ابن إسحاق عن الزهريّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ قُرِئَ بالواوِ وبحذفِه[1]؛ فمَن قرأ بالواوِ جعلَه عطفَ جملةٍ على جملةٍ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ تقديرُه: ومنهم الذين اتَّخذُوا.

والثّاني: أن يكونَ تقديرُه: جازَيناهُم على فعلِهم.

ومَن قرأ بغيرِ واوٍ جازَ أن يكونَ مبتدأً وخبرُه: جازَيناهُم، وجاز أن يكونَ خبرُه: ومنهم[2]، فأُضمِرَ الخبرُ وأُضمِرَ الواوُ، وجازَ أن يكونَ بدلًا منَ الأول[3] بدلَ البعضِ من الكلِّ.

﴿مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾؛ أي: للشَّرِّ والبلاءِ والإضرارِ بالمسلمين، وقيل: ضِرارًا لمسجدِ رسولِ الله، والضِّرارُ: مصدرُ ضرَّه ضِرارًا؛ وهو محاولةُ الضَّرِّ.

﴿وَكُفۡرٗا﴾: للكفرِ الذي يُضمِرونَه ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: ليُفرِّقوا جمعَهم ﴿وَإِرۡصَادٗا﴾: ترقُّبًا وانتظارًا، وأصلُه منَ الرَّصدِ، وهو الطَّريقُ، تقولُ: رصَدَه؛ إذا وقفَ في طريقِه يترقَّبُه، وأرصدَه كذا؛ أعدَّ له مُنتظِرًا له به.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وباقي السبعة بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٨)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٢) وهما الوجهان السابقان مع الواو، والخبر محذوف على هذه الوجوه جميعاً.

(٣) في (و): «الواو»، والمثبت من (ن)، ويعني بالأول قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾ وقد أجاز البدلية الرازي في «تفسيره» (١٦/ ١٤٦) دون قيد، بينما قيَّد ذلك ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٨٠) بكون قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾ لم ينزل في أولئك الثلاثة، بل في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار. ولعل في تقييد المؤلف البدل ببدل البعض إشارة إلى أن قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾ شامل لكل مَن هو معرض للتوبة من الثلاثة وغيرهم، والله أعلم.

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: أبي عامرٍ الرّاهب، كانَ يومَ الأحزابِ يجمعُ الجيوشَ، فلمَّا هُزِمَ الكفّارُ خرجَ إلى الشَّامِ.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ بالله كاذِبين؛ يعني: بناة المسجدِ: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ ببناءِ هذا المسجدِ ﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الخلَّةَ الحُسنَى، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حَلِفِهم.

***

(١٠٨) ـ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾ للصَّلاةِ ﴿أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾: بناه المتَّقونَ على تقوى الله وطاعتِه.

الجمهورُ: على أنَّه مسجدُ قباءٍ، وقيل: هو مسجدُ رسولِ الله عليه السَّلامُ.

ورُوِيَ: أنَّ رجُلين تمارَيا فيه، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «هو مسجدي هذا»[١].

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من حينِ بُنِيَ، والقياسُ مُذْ، وفيه[٢] جوابانِ:

أحدُهما: أنَّ (مِنْ) عامٌّ في الزَّمانِ والمكانِ وغيرِهما[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣)، والنسائي (٦٩٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه مسلم (١٣٩٨) بمعناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة».

(٢) في (ن): «وعنه».

(٣) وهذا مذهب الكوفيين. انظر: «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (١/ ٩٢). وقد مال إلى هذا الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٧٨).

والثّاني: أنَّ التَّقديرَ: من تأسيسِ أوَّلِ يومٍ[١]. وأُنشدَ قولُ الشَّاعرِ لعموم (مِن)[٢]:

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ أقْوَيْنَ مِن حِججٍ ومِنْ شَهْرِ[٣]

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تُصلِّيَ فيه. ﴿فِيهِ﴾: في المسجدِ ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ وهم الأنصارُ.

رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ عند نُزولِ هذه الآيةِ للأنصارِ: «ما سببُ هذا الثَّناءِ عليكم منَ الله؟» فقالوا: إنَّا نُتْبِعُ الأحجارَ بالماءِ، ونغسِلُ عنَّا أثرَ الغائطِ والبولِ[٤].

وقيل: يُطهِّرون أحوالَـهم منَ المعاصي بالطَّاعةِ.

---

(١) وهذا مذهب البصريين، وقد ضعّفه العكبري. انظر: «التبيان» (٢/ ٦٦٠).

(٢) «لعموم من» ليست في (و).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في «ديوانه» (ص: ٣١)، و«البيان والتبيين» (٢/ ١٧٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٤٠)، و«الصحاح» مادة: (م ن ن). قال الزجاج: وقيل: إن معنى هذا: مُذْ حِجج ومُذْ شَهْر. قلت: وقد جاء البيت بهذه الرواية أيضاً. انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٢)، و«الجمل في النحو» المنسوب للخليل (ص: ١٦١)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ٢٨١).
قوله: «لمن الديار» استفهامٌ تعجُّب من شدة خرابها، حتى كأنها لا تعرف ولا يعرف أصحابها وسكانها، والقُنة بضم القاف: أعلى الجبل، والحجر بكسر الحاء المهملة: منازل ثمود بناحية الشام عند وادي القرى، وأجاز بعضهم كونه بفتح الحاء وهي مدينة اليمامة، و«أقوين»: أقفرن. والحِجج بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم: جمع حِجة بكسرها أيضاً وهي السنة، والدهر: الأبد الممدود، قيل: ومن رواه: «مذ حجج» كانت «مذ» حرف جر، والعامل فيها «أقوين». انظر: «شرح أبيات مغني اللبيب» للبغدادي (٦/ ٢٣).

(٤) رواه بنحوه ابن ماجه (٣٥٥)، والدارقطني في «سننه» (١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٥٥٤) عن أبي أيوب وجابر وأنس رضي الله عنهم. قال الدارقطني: «عتبة بن أبي حكيم ليس بقوي».
وروى نحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (١٥٤٨٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٣)، =

(١٠٩) ـ ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ هذا سؤالُ تقريرٍ، وجوابُه مسكوتٌ عنه لظُهورِه ووُضوحِه.

ومعنى ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: وضعَ أساسَ ما يبنيه على تقوى منَ الله ورِضوانٍ؛ أي: مُتَّقيًا عنِ المعاصي، طالبًا رِضا الله.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضلُ ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ شفا كلِّ شيءٍ: شَفيرُه، وأشفَى عليه: بلَغَ شَفاه، والجُرُفُ: ما تهدَّمَ من جوانبِ الوادي من جرفِ السَّيلِ؛ أي: جُرِفَ جرفًا عميقًا له ظاهرٌ رقيقٌ وأصلُه واهٍ ضعيفٌ.

ومعنى ﴿هَارٍ﴾: هائرٌ يسقطُ بعضُه على بعضٍ، وهو اسمُ الفاعلِ من (هارَ يهورُ) ـ وقيل: (هارَ يهارُ) ـ فقُلِبَ. وقيلَ: هو كـ(باب)[1].

= والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٨)، من حديث عويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١٢): «رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، وفيه شرحبيل بن سعد، ضعفه مالك وابن معين وأبو زرعة، ووثقه ابن حبان». وقال الحافظ في «التقريب»: «وفي سماعه من عويم نظر».

وأصل استنجاء أهل قباء بالماء عند أبي داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥): «في وزنه قولان: «فالٍ» والأصل: هائر، فقلب وحذف العين. والثاني: فَعَلٍ كـ(باب)، فعلى هذا يجري بالإعراب، وعلى الأول يبقى على الكسرة».

وقد قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٦/ ١٢٦) عن هذا الوجه الأخير: «وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل لولا أنه غير مشهور عند أهل التعريف».

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: فانهارَ الشَّفا بالبناءِ، وقيل: فانهارَ البناءُ بالباني وأهلِه.

قال جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما: رأيتُ الدُّخانَ يخرجُ من مسجدِ الضِّرارِ حينَ انهارَ(١).

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١١٠) ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أبو عليٍّ في «الحجَّة»: البُنيانُ مصدرٌ؛ بدليلِ دُخولِ التاءِ عليه، فتقولُ: بُنيانة، فلو كان جمعًا لـم يدخُلْه، ثمَّ يُستعملُ للاسمِ، كضَرْبِ الأميرِ ونَسْجِ اليمنِ(٢)، وفي الآيةِ مصدرٌ ليصِحَّ الخبرُ عنه بالرِّيبةِ، ويجوزُ أن يكونَ الاسمَ والمضافُ محذوفٌ؛ أي: بناءُ البُنيانِ(٣).

والمعنى: لا يزالُ ما اعتقدوه وبنَوا له مسجدَ الضِّرارِ منَ الكفرِ والنِّفاقِ لازمًا لقلوبِهم لا يُفارِقُها حتَّى يموتُوا.

«الحجّة»: لا يزالُ بناءُ المبنيِّ شكًّا في قلوبِهم من إظهارِ الإسلامِ والثَّباتِ على النِّفاقِ إلّا(٤) أن تقطَّعَ قلوبُهم بالموتِ والبِلى(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٣) وصححه.

(٢) في (ن): «اليمين». وقوله: «ضرب الأمير»، يراد به: مضروبه. وهذا الثوب «نسج اليمن»، يراد به: منسوج اليمن. انظر: «الحجة» للفارسي (٢/ ١٤٠و٤٤٢) و(٤/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، و٢٣٠).

(٤) في (ن): «إلى».

(٥) انظر: «الحجة» (٤/ ٢٣٠).

وقيل: لا يزالُ تخريبُك لمسجدِهم يُورِثُهم[١] عداوةً في قلوبِهم إلى يومِ موتِهم.

وقيلَ: لا تزالُ نفقةُ بُنيانِهم حسرةً في قلوبِهم حتَّى الموتِ.

وقيل: ﴿رِيبَةً﴾: حَزازةً في قلوبِهم.

وقيل: ﴿رِيبَةً﴾: خَوفًا منَ المؤمنين لمَّا ظهرَ نفاقُهم.

وقولُه: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ابنُ عيسى: ﴿إِلَّآ﴾ هاهنا بمعنى: حتَّى[٢]؛ لأنَّه استثناءٌ منَ الزَّمانِ المُستقبَلِ، وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، وقيل: معنى ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: بالتَّوبةِ فتُفارِقَها الرِّيبةُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمرَ بالهدمِ.

* * *

(١١١) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرظيُّ: لمَّا بايعتِ الأنصارُ رسولَ الله عليه السَّلامُ ليلةَ العقبةِ بمكَّةَ ـ وهم سبعونَ نَفْسًا[٣] ـ قال عبدُ الله بنُ رواحةَ: يا رسولَ الله، اشترِطْ لنفسِك ولربِّكَ ما شئتَ، فقال: «أشترِطُ لربِّي أن تعبدُوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا، وأشترِطُ لنفسي أن تمنعُوني ممَّا تمنعُونَ منه أنفسَكُم» قالوا: فإذا فعلْنا ذلك فماذا لنا؟

(١) في (و): «تخريبك يؤثر».

(٢) ذكر الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٢) هذا الوجه، لكن على قراءة الحسن: (إلى أن تقطع).

(٣) في (ن): «نقيبًا».

قـال: «الجنّـةُ» قالـوا: ربحَ البيـعُ، لا نُقيـلُ ولا نسـتقيلُ، فنزلَتْ هـذه الآيةُ(١).

ومعنى: اشتَرى أنفُسَهم وأموالَهم؛ أي: ملَّكَهم أنفُسَهم وأموالَهم فصارَتْ لهم، ثمَّ اشتَرى منهم أنفُسَهم بأنْ يُجاهِدُوا بها، ﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن يُنفِقُوا في سبيلِ الله، وبأن يتصدَّقُوا بها.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: بالجنَّةِ.

﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؛ أي: لهـم الجنَّـةُ قاتليـن أو مقتوليـن(٢) إذا باشَـروا الحـربَ.

وقيلَ: ضرَبَ المثَلَ بالشِّرَى لأنَّه أخذٌ وإعطاءٌ، وقد سبقَ، والشِّرى مُشتقٌّ من (الشَّروَى)، وهي المِثلُ.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾؛ أي: وَعدَ وَعْدًا حقًّا ثابتًا لا خُلفَ فيه.

﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: مُبايَعتُكم هذه مذكورةٌ في الكتبِ الثَّلاثةِ.

وقيل: اشتَرَى من أمَّةِ موسى ومن أمَّةِ عيسى كما اشترَى من أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

و(في) مُتعلِّقةٌ بالاشتراءِ، وقيل: بالوعدِ.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا أحدَ أولى بإنجازِ الوعدِ منَ الله.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾: فافرَحُوا به غايةَ الفرحِ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: نهايةُ كلِّ طالبٍ، ومرغوبُ كلِّ راغبٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦).

(٢) في (و): «ومقتولين».

(١١٢) - ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمَّا نزَلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾ جاء رجلٌ من المُهاجرينَ فقال: يا رسولَ الله، وإنْ زنى وإنْ سرقَ، فنزلَتْ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾[١]؛ أي: هم التَّائبون، وقيل: بدلٌ منَ المُضمَرِين في ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾.

و﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: الرَّاجِعونَ عن فعلِهم، وقيل: الرَّاجِعونَ إلى الله وإلى طاعتِه.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: المُوحِّدون، وقيل: المُطيعونَ.

الحسنُ: العابدون بطولِ الصَّلاةِ[٢].

﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ على الإسلامِ والإيمانِ وعلى ما نالَهم منَ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ قيل: هم الصَّائمونَ[٣]؛ لِمَا رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «سياحةُ أمَّتي الصَّومُ»[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٠٨).

(٣) ذكر ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٢٨٠) علة تسمية الصائم بالسائح فقال: «إنما قيل للصائم: سائح؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبداً يذهب ولا زاد له، فحين يجد الزاد يطعم، والصائم يمضي نهاره ولا يطعم شيئاً، فشبه به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٥) عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً بلفظ: (سياحة هذه الأمة الصيام).
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال العقيلي: فيه حكيم بن خذام كان يرى القدر، منكر الحديث. =

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: صومُ شهرِ رمضانَ[١].

وقيل: صومُ الأيَّامِ البيضِ، وقيل: صومُ الدَّهرِ.

وأصلُ السِّياحةِ: الاستمرارُ بالذَّهابِ في الأرضِ، وقيل: الاستمرارُ في[٢] الطَّاعةِ.

وقيلَ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: المُجاهدون، ورُوِيَ أنَّ رجلًا استأذَنَ رسولَ الله ﷺ في السِّياحةِ فقال: «سياحةُ أمَّتي الجهادُ في سبيلِ الله»[٣].

وقيل: هم المُهاجِرون.

عكرمةُ: هم طلَّابُ العلمِ[٤].

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: هم المُصلُّونَ.

﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾:

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١) عن أبي هريرة موقوفاً، وصوَّب وقفه ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠ ـ ١١) مرسلًا عن عبيد بن عمير، قال: سئل النبي ﷺ عن السائحين، فقال: «هم الصائمون». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٩٢): «مرسل جيد، وهذا أصح الأقوال وأشهرها».

وقد روي هذا القول عن جمع من الصحابة والتابعين، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١ ـ ١٥) عن أبي هريرة وعائشة كما تقدم، وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعن سعيد بن جبير ومجاهد والحسن والضحاك وعطاء.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٤) عن الحسن.

(٢) في (ن): «على».

(٣) رواه أبو داود (٢٤٨٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ١٥٦٦): «إسناده جيد».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٨٠).

الشِّركِ والمعاصي ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ فيما أمرَ ونَهى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصدِّقين العاملين بها.

وفي الواوِ في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

قال ابنُ عيسى: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكرِ يُذكَرانِ معًا وهما كالشَّيءِ الواحِدِ، قالَ: قال[1]: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّه أقربُ إلى المعطوفِ.

وقالَ صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: مبتدأٌ، وما بعدَه نعتٌ لهم، ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ﴾ خبرُ المبتدأ، وما بعدَه عطفٌ عليه[2].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا واوُ الثَّمانيةِ[3]، واستدلُّوا بقولِه: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وبقولِه تعالى: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وبقولِه تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وستأتي في مواضعِها إنْ شاءَ الله تعالى.

وهذا لقبٌ[4] لا يعرِفُه النُّحاةُ، اللَّهمَّ إلّا أن تقولَ: السَّبعةُ عددٌ مُستقلٌّ، وما بعدَه يجري مَجرى الاستئنافِ؛ لأنَّ العددَ إمَّا زوجٌ كالاثنينِ، وهو أوَّلُ الأعدادِ، وإمَّا فردٌ كالثَّلاثةِ، وهو أوَّلُ الأفرادِ، وإمَّا زوجُ زوجٍ كالأربعةِ وهو أوَّلُ تضعيفِ الزَّوجِ، وإمَّا زوجُ الفردِ كالسِّتِّ وهو أوَّلُ تضعيفِ الأفرادِ، فالسِّتُّ النِّهايةُ، ومنه نسبةُ السِّتِّين، ثمَّ ضُمَّ إليه واحدٌ وهو مَبدأُ العددِ ومَنشؤُه وليس بعددٍ، فتمَّ مبادئُ الحسابِ، وما بعدَه تكريرٌ وتضعيفٌ، والله تعالى أعلمُ[5].

---

(١) «قال»: لست في (ن)، وفي «غرائب التفسير»: «ثم استمرَّ فقال».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٧٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «فقه اللغة وسر العربية» للثعالبي (ص: ٢٤٨)، وقد استدل المصنف على ضعف القول بواو الثمانية بقوله تعالى ﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾، فقال: «أوصاف تسعة، ولم يدخل بينها واو العطف، ولا بعد السابع، فدلّ على ضعف القول بواو الثمانية». انظر: «البرهان» (ص: ٢٣٩).

(٤) في (و): «لعب».

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٧)، وعدَّه من العجائب، وشرحه بنحو ما =

(١١٣) ـ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ رَوى البخاريُّ في «صحيحِه» ومسلمٌ جميعًا قالا: لـمَّا حضرَ أبا طالبٍ الوفاةُ دخلَ عليه رسولُ الله عليه السَّلامُ وعندَه أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميّةَ فقال: «أي عمِّ، قل: لا إلهَ إلّا الله، كلمةٌ أحاجُّ لك بها عندَ الله» فقال أبو جهلٍ وابنُ أبي أميّةَ: يا أبا طالبٍ، أترغَبُ عن ملّةِ عبدِ المُطَّلبِ؟! فلم يزالا يُكلِّمانِه حتَّى قالَ آخرَ شيءٍ كلَّمَهم به: أنا على ملَّةِ عبدِ المُطَّلبِ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «لأستَغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنه»، فنزلَتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية(١).

وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: خرَجَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ينظرُ في المقابرِ وخرَجْنا معه، فأمَرَنا فجلَسْنا، ثمَّ تخطَّى القُبورَ حتَّى انتهى إلى قبرٍ منها فناجاه طويلًا، ثمَّ ارتفَعَ نحيبُ رسولِ الله باكيًا، فبكَينا لبكاءِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، ثمَّ إنَّه أقبَلَ إلينا فتلقَّاه عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ الله عنه فقال: يا رسولَ الله، ما الذي أبكاكَ فقد أبكانا وأفزَعَنا، فجلَسَ إلينا وقالَ: «أفزَعَكُم بُكائي؟» فقلنا: نعم، فقال: «إنَّ القبرَ الذي رأيتُموني أُناجي فيه قبرُ آمنةَ بنتِ وهبٍ، وإنِّي استأذنتُ ربِّي في

= هنا، فقال بعد ما أورد الآيات السابقة المزعوم أن الواو فيها هي واو الثمانية: «ولهذا الكلام وجه وإن كان ضعيفاً، وهو أن يقال: لما كان السبع من العدد مشتملاً على جميع أوصاف العدد من الزوج والمفرد وزوج الزوج وزوج المفرد، وانضم إليها الواحد الذي هو مبدأ الأعداد وإن لم يكن هو من العدد في شيء، صار ما بعده كالمستأنف، فحسن دخول الواو عليه، وللآيات التي استدلوا بها وجوه تأتي في مواضعها إن شاء الله». وقال المرادي في «الجنى الداني» (ص: ١٩٧): «ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو، منهم: ابن خالويه والحريري وجماعة من ضعفه النحويين».

(١) رواه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

زيارتِها فأذِنَ لي فيها، واستأذنتُ ربِّي في الاستغفارِ لها فلم يأذَنْ لي فيه، ونزَلَ عليَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآيتين، فأخذَني ما يأخذُ الولدَ للوالدةِ منَ الرِّقَّةِ، فذلك الذي أبكاني»[1].

قولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ نفيٌ معناه نهيٌ.

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾؛ أي: ولو كانَ المُستغفَرُ لهم آباءَهم أو أبناءَهم أو أقرِباءَهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: بعدَ ما ظهرَ لهم أنَّهم ماتُوا على الكفرِ.

* * *

(١١٤) - ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

ثمَّ ذكرَ عُذرَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ فقالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: وعَدَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ أباه أن يستغفرَ له رجاءَ أن يرزُقَه الله الإيمانَ، وهو قولُه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧].

وقيل: وعَدَه أبوه أن يُؤمِنَ بالله، وأُوِّلَ قولُه: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] على أنَّه استمْهَلَه ليتدبَّرَ ويتفكَّرَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٧١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٢) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «أيوب بن هانيء ضعفه ابن معين». وله شاهد مختصر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم (٩٧٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾: لإبراهيمَ ﴿أَنَّهُۥ﴾: أنَّ أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بأنْ ماتَ على كُفرِه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقطعَ الاستغفارَ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ يُكثِرُ قولَ: أَوْهِ.

قال كعبٌ: كان إبراهيمُ عليه السَّلامُ إذا سمعَ ذكرَ النَّارِ قال: أَوْهِ منَ النَّارِ أَوْهِ[1].

والعربُ تقولُ: أَوْهِ بكذا، وأَوْهِ من كذا، قال:

فَأَوْهِ بذِكْراها إذا ما ذكرْتُها ... ومِنْ بُعْدِ أرضٍ دُونَها وسماءِ[2]

وأَوْهِ: مبنيٌّ على الكسرِ، ويقالُ: أَوْهُ بالضَّمِّ، ويُقالُ: أَيْهِ، والعامَّةُ تقولُ: آوَّهْ بالمدِّ[3].

وحكى قطربٌ الفعلَ منه: آهَ يَؤُوهُ أَوْهًا؛ كقالَ يقولُ قَوْلًا، وأنكرَه سائرُ النُّحاةِ، وقالوا: ليس من لفظِه (فَعَلَ)، إنَّما يُقالُ: أَوَّهَ تأويهًا وتأوَّه تأوُّهًا[4]، وأنشدُوا قولَ الرَّاجزِ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٠٤٥).

(٢) نسب لعتي بن مالك العقيلي في «الدر الفريد» للمستعصمي (٧/ ٣١٩).
والبيت بلا نسبة في «العين» (٨/ ٤٣٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤)، و«سر صناعة الإعراب» (٢/ ٢٩٩)، و«الصحاح» مادة (أوه). وقد جاء في بعض المصادر: «فأوِّ» وفي بعضها: «فآه». وصدره في «العين» والفراء والطبري وأكثر المصادر:
فَأَوْهِ مِنَ الذِّكْرَى إذا ما ذكَرْتُها
وفي «الصحاح» وبعض المصادر: «لذكراها» باللام، أما رواية المصنف: «فأوه بذكراها» فلم أجدها سوى في «تفسير ابن أبي زمنين» (٢/ ٢٣٥).

(٣) بالمدّ والتشديد وفتح الواو ساكنةَ الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية، وربَّما أدخلوا فيه التاء فقالوا: أَوَّتاهُ، يُمَدُّ ولا يُمَدُّ. انظر: «الصحاح» مادة (أ و ه).

(٤) أي: لا تكاد العرب تنطق منه: بـ«فَعَلَ يَفعلُ»، وإنما تقول فيه: «فَعَّلَ يُفَعِّلُ» و«تَفَعَّلَ يَتَفَعَّل» مثل: «أوَّهَ يُؤوِّه» و«تأوَّه يتأوَّه». انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٥).

فَــأَوَّهَ الرَّاعِــي وَضَــوْضَى أَكْلُبُــهْ[١]

وقولَ الشّاعرِ:

إِذا مـا قُمْـتُ أَرْحَلُهـا بِلَيْــلٍ تَــأَوَّهُ آهـةَ الرَّجُـلِ الحزيـنِ[٢]

وأَوْهَ[٣] بالفتحِ.

واختلَفُوا في معناه: فرُوِيَ مرفوعًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه الدَّعَّاءُ للخيرِ[٤].

---

(١) الرجز بلا نسبة في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ١٠٢). وجاء في هامش (ن): «إذا خاف الكلب يقال: ضوضى وقوف».

(٢) البيت للمثقب العبدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٤)، و«المفضليات» (ص: ٢٩١)، و«العين» (٤/ ١٠٤)، و«طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٧٣).

(٣) في (و): «وآه».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، لكنه جاء في «العين» (٤/ ١٠٤) في شرح معنى الأواه، وفيه: «والأواه: الدعاء للخير، قال جل وعز: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾».
لكن روي معناه عن النبي ﷺ في أحاديث:
منها: ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٤٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٩٥) عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له: ذو البجادين: «إنه أواه». وذلك أنه كان رجلاً كثير الذكر لله عز وجل في القرآن، ويرفع صوته في الدعاء
ومنها: ما رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٥)، ولفظ ابن المبارك: عن شهر بن حوشب قال: حدثني عبد الله بن شداد، قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الأواه؟ قال: «الأواه: الخاشع الدعاء المتضرع»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. وهذا مرسل.
ورواه بهذا اللفظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٥٣) من طريق شهر بن حوشب، عن عبد الله بن شداد، عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وفيه قصة ورد اللفظ المذكور في آخرها. وشهر بن حوشب ضعيف.

النَّخعيُّ: الأوَّاه: الفقيهُ(١).

وقيل: المُؤمنُ بلغةِ حبشٍ(٢). وقيل: التَّلَّاءُ للكتابِ. وقيل: الرَّحيمُ. وقيل: الشَّفيقُ.

أبو عبيدةَ: هو المُتأوِّهُ شَفَقًا، المُتضرِّعُ يقينًا ولزومًا للطَّاعةِ(٣).

واختارَ الزّجّاجُ قولَ أبي عبيدةَ(٤).

﴿حَلِيمٌ﴾: هو الصَّبورُ على الأذى، الصَّفوحُ عنِ الذُّنوبِ.

***

(١١٥) - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ مُقاتلٌ والكلبيُّ: لـمَّا أنزلَ الله الفرائضَ فعمِلَ بها النَّاسُ ثمَّ جاءَ ما نسخَها منَ القرآنِ، وقد غابَ ناسٌ وهم يعملون بالأمرِ الأوَّلِ من القِبلةِ والخمرِ وأشباهِ ذلك، فسألُوا عنه رسولَ الله عليه السَّلامُ فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(٥).

وقيل: سببُ نزولِها: أنَّ قومًا منَ الأعرابِ أسلَمُوا وعادوا إلى بلادِهم، فعمِلُوا بما شاهَدُوا رسولَ الله عليه السَّلامُ يفعلُه منَ الصَّلاةِ إلى بيتِ المقدسِ وصيامِ أيَّامِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٠٠).

(٢) هذا مروي عن ابن عباس في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٠)، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب» للسيوطي (ص: ٧٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٧٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٧٤).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٠٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ١٠٣). وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٠٦) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

البيضِ، ثمَّ قدِمُوا بعد ذلك على رسولِ الله عليه السَّلامُ، فوجدوه يُصلِّي إلى الكعبةِ ويصومُ شهرَ رمضانَ، فقالوا: يا رسولَ الله، دِنَّا اللهَ بعدَكَ بالضَّلالِ، إنَّكَ على أمرٍ وإنَّا على غيرِه! فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ، حكاه أقضى القُضاةِ[1].

وقيل: الآيةُ مُتَّصلةٌ بما قبلَها.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يأتون ويذَرُونَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

***

(١١٦) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

***

(١١٧) - ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ من إذنِه للمُنافقينَ في التَّخلُّفِ عنه في قولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقيل: هو من تمامِ قولِه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾.

وقيل: تابَ عليهم فاستنقَذَهُم من شدَّةِ العُسرةِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤١١).

وقيل: تابَ عليهم فغفَرَ لهم ذُنوبَهم، وهو قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ يُريدُ: غزوةَ تبوكَ، وقيلَ: هي وغيرُها منَ الحروبِ.

و(ساعةُ العسرة): زمانُ عُسرةِ الظَّهْرِ؛ وكان الجملُ بينَ جماعةٍ يتعاقبونَ عليه، وعُسرةِ الماءِ وشِدَّةِ الحرِّ؛ حتَّى شرِبُوا الفَظَّ، وهو ماءُ الكرشِ، وعُسرةِ الزَّادِ حتَّى جاءَ في الآثارِ أنَّ الرَّجُلَين منهم كانا يقسمانِ تمرةً، وربَّما مصَّ التَّمرةَ جماعةٌ ليشربوا عليها الماءَ[1].

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: تميلُ عن الجهادِ وتهمُّ بالانصرافِ.

وقيل: شكَّ جماعةٌ في الإسلامِ. والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الفريقِ الذين زاغَتْ قلوبُهم.

وقيل: تابَ عليهم جميعًا حينَ أحسَنُوا النِّيَّةَ.

وذُكِرَ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما سألا رسولَ الله عليه السَّلامُ أن يستسقيَ الله، ففعَلَ فمُطِروا حتَّى ملَؤُوا ما معَهم[2]. ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٨) عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، قال: «خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطشٌ شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها، فكان ذلك عسرة من الماء، وعسرة من الظهر، وعسرة من النفقة».

(٢) روى نحوه البزار في «مسنده» (٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٥٦٦)، من حديث ابن عباس قال: قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن العسرة، فقال عمر: خرجنا مع =

وقولُه: ﴿كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: في فاعلِ ﴿كَادَ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ﴾، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: كادَ قلوبُ فريقٍ منهم تزيغُ، فذكَّرَ الفعلَ الأوَّلَ لتقدُّمِه، وأنَّثَ الثّانيَ لتأخُّرِه(١).

والثّاني: أنَّ فاعلَه الأمرُ والشَّأنُ قياسًا على (كان)(٢)؛ لأنَّ (كادَ) تستَدعي خبرًا كبابِ (كان).

الثّالث: ضميرُ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم منَ النَّبيِّ والأنصارِ والمُهاجِرين(٣)؛ لأنَّهم قومٌ واحدٌ.

والرّابعُ: المصدرُ على تقديرِ: أن يَزيغَ(٤)، وهذا بعيدٌ؛ لا(٥) يُزادُ (أنْ) مع (كادَ) إلَّا في الشِّعرِ، قال:

قـد كادَ مِـنْ طُـولِ البِلـى أن يَمْصَحـا(٦)

= رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى أن كان أحدنا يذهب يلتمس الخلا فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويضعه على بطنه، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، فقال النبي ﷺ: «أتحب ذاك يا أبا بكر؟» قال: نعم، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فلم يرجعها حتى مالت السماء فأطلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

(١) وهذا على قراءة ﴿تزيغ﴾، وقد قرأ حمزة وحفص عن عاصم ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾ بالياء وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٢) في (ن): «كاد»، ولعله تحريف.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٨)، وعدَّه من العجائب، واستبعده.

(٥) في (و): «لا يكاد».

(٦) الرجز لرؤبة بن العجاج، في ملحق «ديوان رؤبة» (ص: ١٧٢)، و«الكتاب» (٣/ ١٦٠)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٥٧)، و«الصحاح» مادة (ك و د) (٢/ ٥٣٢)، وقبله: =

(١١٨) ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾؛ أي: وتابَ على الثَّلاثةِ، وهم: كعبُ بنُ مالكٍ وهلالُ بنُ أميَّةَ ومرارةُ بنُ الرَّبيعِ، وهم المُرجَؤونَ، والإرجاءُ والتَّخليفُ واحدٌ.

وقيل: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: تخلَّفوا عن الخروجِ من غيرِ عُذرٍ، وقيل: خُلِّفوا عن قَبولِ التَّوبةِ عند مَقدَمِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾؛ أي: برُحبِها؛ لأنَّهم كانوا مهجورينَ لا يُكلِّمُهم أحدٌ ولا يُعامَلون، وأمرَهم أن يعتزِلُوا نساءَهُم، وبقُوا كذلك خمسينَ يومًا بعدَ مَقدَمِه[1] عليه السَّلامُ من تبوكَ، وهي آخرُ مَغازيه ﷺ، وكانوا ربَطُوا أنفُسَهم بالسَّواري[2].

= رَبْـعٌ عَفَـاهُ الدَّهْـرُ طَـوْرًا فامَّحَـى

وعزي لأبي النجم في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/ ٨١). وقال البطليوسي في «الاقتضاب» (٣/ ٢٦١): هذا البيت يروى لرؤبة بن العجاج، ولم أجده في ديوان شعره، يصف منزلاً بَلِيَ حتى كاد لا يتبين له أثر، ويقال: مَصح الشيءُ يَمْصحُ: إذا ذهب.

(١) في (ن): «مقدمة النبي».

(٢) الذين ربطوا أنفسهم بالسواري هم أبو لبابة ومن معه، وهم غير هؤلاء الثلاثة، وقد جاء التصريح بذلك في خبر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٦٩)، ولفظه: «وكان ثلاثة منهم ـ يعني: من المتخلفين عن غزوة تبوك ـ لم يوثقوا أنفسهم بالسواري أرجئوا سبتة ـ أي: برهة من الدهر ـ لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم. فأنزل الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾».

وقد تقدمت قصة الذين أوثقوا أنفسم، وأما قصة الثلاثة فهي مشهورة مروية في الصحيحين ـ رواها =

وقيلَ: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾: مثلٌ يُضرَبُ لمَن تحيَّرَ في أمرٍ لا يَعرِفُ عنه مَخْلَصًا.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: تبرَّمُوا بالهمِّ الذي حصَلَ فيها.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: أيقنُوا أنَّه[1] لا يُنجِّيهم من عذابِ الله إلّا رحمتُه وفضلُه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: أنزلَ قَبولَ توبتِهم. وقيل: رزقَهُم التَّوبةَ. وقيل: (ثمَّ) هاهنا زيادةٌ. وقيلَ: تقديرُه: ثمَّ تابَ عليهم أيضًا معَ مَن تابَ عليهم ممَّن تقدَّمَ.

﴿لِيَتُوبُوٓا۟﴾: ليكونُوا في جملةِ التَّوَّابين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

***

(١١٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: مِنْ مثلِ هذا الفعلِ فقد رأيتُم مغبَّتَه.

﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في إيمانِهم دونَ المُنافقين.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ في جماعةٍ: كونوا كأبي بكرٍ وعمرَ وأصحابِهما[2].

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (منَ الصَّادِقينَ)[3].

مطولة مفصلة البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ـ وليس في شيء من الروايات أنهم أوثقوا أنفسهم أو ربطوها بالسواري، فلعله وهم أو سبق قلم من المصنف.

(١) في (و): «أنهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٦) عن الضحاك وسعيد بن جبير.

(٣) نسبت هذه القراءة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى ذلك الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦). وقال الطبري: «رسوم المصاحف كلها مجمعة على: =

وقال كعبُ بنُ مالكٍ: فينا نزلَتْ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١].

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ[٢].

***

(١٢٠) - ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ هذا نفيٌ والمُرادُ به النَّهيُ.

وخُصَّ هؤلاءِ بالذِّكرِ ـ وكلُّ النّاسِ في ذلك سواءٌ ـ لقُربِهم منه، وأنَّه لا يخفَى عليهم خُروجُه.

﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾: ولا أن يرغبُوا ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: لا يصونُوا أنفُسَهم بما لم يُصَنْ هو منه.

وقيل: لن يرضَوا لأنفُسِهم بالخفضِ والدَّعةِ ورسولُ الله في الحرِّ والشِّدّةِ.

ويحتملُ: ولا يرغَبُوا بأنفُسِهم عن فداءِ نفسِه.

وقيلَ: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ نهيٌ.

= ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها».

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣١٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦) عن مقاتل بن حيان، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١٣).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾؛ أي: ذلك النَّهيُ عن التَّخلُّفِ بأنَّهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعَبٌ يثقُلُ على البدنِ تحمُّلُه، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جوعٌ شديدٌ، مشتقٌّ من خَمِصَ بطنُه يخمَصُ: إذا دَقَّ.

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾: لا يدخُلونَ ديارَهم وأماكنَهم، والمَوطِئُ: المكانُ ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾: يُغضِبُ الكفَّارَ دُخولُه ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾: قتلًا وأسرًا ومالًا وكسرًا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾: ثوابٌ جزيلٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في فعلِهم.

***

(١٢١) - ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾؛ أي: في سبيلِ الله ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؛ أي: قليلًا ولا كثيرًا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرِتهم[1]. وقيلَ: ولا يقطَعُونَ واديًا من جانبٍ إلى جانبٍ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: أُثبِتَ لهم ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بذلك أجرًا ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وذهَبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ اللَّامَ في ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ لامُ القسمِ، وأنشدَ:

إذا قالَ قَطْني قلتُ آليْتُ حلفةً لَتُغنِيَ عني ذا إنائكَ أجمَعا[2]

(١) في (ن): «مسيرهم».

(٢) نسب البيت لأبي عناب الطائي في: «مجالس ثعلب» (ص: ١٠٣)، و«المسائل البصريات» (١/ ٤٠٥)، و«التذييل والتكميل» (١١/ ٣٦٦). وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٦١)، و«كتاب الشعر» للفارسي (ص: ٢٠٦)، و«المغرب» للمطرزي (ص: ٣٤٧)، =

(١٢٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ في سببِ النُّزولِ في روايةِ الكلبيِّ: لـمَّا نزلَ عيوبُ المنافقين لتخلُّفِهم عن الجهادِ قال المؤمنون: والله لا نتخلَّفُ عن غزوةٍ يغزُوها رسولُ الله عليه السَّلامُ ولا سريّةٍ أبدًا، فلمَّا أمرَ رسولُ الله ﷺ بالسَّرايا إلى الغزوِ، نفرَ المسلمون جميعاً وتركُوا رسولَ الله ﷺ وحدَه بالمدينةِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[1].

أي: ما كانَ ينبَغي لهم أن ينفِروا كافَّةً جميعاً ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾؛ أي: هلَّا خرجَ من كلِّ قبيلةٍ منهم جماعةٌ وأقامَ سائرُهم ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: ما يتجدَّدُ من أحكامِ الدِّينِ بنُزولِ القرآنِ ﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾ بذلك ﴿قَوْمَهُمْ﴾ الغائبينَ ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوِهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما يجبُ اجتنابُه.

الحسنُ وابنُ جريرٍ: التفقُّهُ والإنذارُ راجعانِ إلى الطَّائفةِ النَّافرةِ[2]؛ أي:

= و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٨)، و«أساس البلاغة» مادة: (ض ل ع).

وفي بعض المصادر: (قدني) بدل (قطني). ومعناهما: حَسْبي. واللامُ في «لتُغْنيَ» للقسَم، وأصله: «لتُغْنينْ» بالنون الخفيفة المؤكِّدة، فلما حُذفَت بَقِيت الياءُ مفتوحةً على ما كانت عليه قبل الحذفِ لثبوتِ النونِ الخفيفة في النية؛ أي: بَعِّدْ عني ونَحِّ ما في إنائك. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٢/ ٦٦٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٣).

(٢) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٢)، وعده أولى الأقوال بالصواب، وانظر كلامه ثمة في تعليل اختياره.

ليتبصَّرُوا وليتيقَّنوا بما يُريهم اللهُ منَ الظُّهورِ على الكفَّارِ ونُصرةِ المؤمنينَ، وليُنذِروا قومَهم الكفَّارَ إذا رجَعُوا إليهم من الجهادِ، ويُخبِروهم بنصرِ الله المؤمنين لعلَّهم يحذَرون.

وقال الكلبيُّ: ذُكِرَ أنَّ أحياءً من بني أسدٍ ورَدَتِ المدينةَ، فملأَتِ[1] الطُّرُقَ بالعَذِراتِ وغلَتِ الأسعارُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2]؛ أي: لا ينبَغي أن يحضُروا بأجمعِهم، بل تحضرُ طائفةٌ فيتفقَّهونَ ويُنذِرُونَ قومَهم، ويُعلِّمونَهم[3] إذا رجَعُوا إليهم.

عكرمةُ: لـمَّا نزَلَ قولُه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقولُه: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩] قال ناسٌ منَ المُنافقينَ: إذًا هلَكَ كلُّ مَن تخلَّفَ من أهلِ البدوِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[4].

ابنُ زيدٍ: هذه الآيةُ ناسخةٌ لِـما قبلَها[5].

غيرُه: هما مُحكمَتانِ.

***

---

(١) في (ن): «فملؤوا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٢)، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٥) بلا نسبة.

(٣) «ويعلمونهم»: ليست في (و).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٠ ـ ٨١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٧).

وروي القول بالنسخ أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٠٥).

(١٢٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: أُمِـرُوا بقتـالِ الأقـربِ فالأقـربِ إليهـم دارًا ونسـبًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مثلُ قُرَيظةَ والنَّضيرِ[١].

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدَّةً وعُنفًا.

الحسنُ: صبرًا على جهادِهم[٢].

والمعنى: اشتَدُّوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالغلبةِ والنُّصرةِ.

***

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾؛ أي: منَ المُنافقين ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾: هذه السُّورةُ ﴿إِيمَٰنًا﴾؛ أي: يُخاطِبُ بعضُهم بعضًا بهذا القولِ.

وقيل: كان المُنافقون يخاطِبون[٣] ضعـفةَ المُؤمنينِ بـه[٤] استِهزاءً منهم؛ أي: أزادتْكَ هذه إيمانًا؟ فأخبرَ الله جوابًا للسَّائلِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالله[٥]، وبصيرةً في دينِهم.

وقيلَ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بالسُّورةِ؛ لأنَّه لـم يكُنْ يلزمُه العملُ بها قبل النُّزولِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٧).

(٣) في (و): «كان المخاطبون».

(٤) أي: بهذا الكلام.

(٥) أي: إيماناً بالله.

(١٢٥) - ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ ونِفاقٌ ببُغْضِ الإسلامِ والمسلمينَ، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: شكًّا إلى شكِّهم. وقيل: إثمًا إلى إثمِهم، ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

***

(١٢٦) - ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني: المُنافقين ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: يُبتَلون ويُختبَرون بالجوعِ والقحطِ.

قتادةُ: بالغزوِ في سبيلِ الله والجهادِ(١).

الحسنُ: يُمتَحنون بالقتلِ والسَّبْيِ(٢).

حُذيفةُ: تُصحَّحُ عليهم كذبةٌ أو كذبتانِ(٣).

ابنُ عيسى: ما يظهرُ للمسلمين من نفاقِهم وسوءِ نيَّاتِهم. وهذا حسَنٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٦).

(٢) روي عن الحسن نحو قول قتادة، رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٦)، ولفظ الطبري: «كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين، فيضل بها فئامٌ من الناس كثير».

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عن نفاقِهم، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لا ينتبِهون على ما فيه خلاصُهم.

ومَن قرأ بالتّاءِ[1] جعلَه تعجيبًا للمُؤمنين.

***

(١٢٧) - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾؛ أي: طعَنُوا فيها وعابُوها، ثمَّ خافُوا على إبلاغِ ما يقولون، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: هل يراكُم من أحدٍ؟

الفرَّاءُ: إذا أُنزِلَتْ سورةٌ فيها ذِكرُهم وعَيبُهم أشارَ بعضُهم إلى بعضٍ: هل يراكُم من أحدٍ إنْ قُمتُم من حضرةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؟ فإنْ خفِيَ قامُوا وانصرَفُوا[2].

وقيل: ثقُلَ سماعُ القرآنِ عليهم، فطلَبُوا الفِرارَ لئلَّا يسمَعُوها.

والنَّظرُ هاهنا دلالةٌ تدلُّ على القولِ من غمزٍ وإيماءٍ.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾؛ أي: عن حضرةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ مخافةَ الفضيحةِ وأن ينزلَ فيهم شيءٌ.

وقيل: انصرفُوا عن الإيمانِ.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: أضلَّهم مُجازاةً على فعلِهم، وقيل: صُرِفَ عن الإيمانِ بالسُّورةِ.

---

(١) قرأ حمزة: ﴿أولا ترون﴾ بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٥).

وقيل: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دُعاءٌ عليهم.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ دينَ الله ولا العملَ به.

***

(١٢٨) - ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منَ العربِ، تعرِفُونَ كلامَه وصِدقَه وأمانتَه، وذلك شرَفٌ لكم ومَنقَبةٌ.

وقيل: آدميٌّ مثلُكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عنَتُكم، وهو المكروهُ والشِّدّةُ، والمعنى: إثمُكم، وقيلَ: ضلالُكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾؛ أي: على إيمانِكم. والحِرصُ: أشدُّ الطَّلبِ.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: هو أشدُّ الرَّحمةِ ﴿رَّحِيمٌ﴾، هو كقولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

***

(١٢٩) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمانِ بكَ وكادُوا عليكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ الذي يكفيني كيدَ مَن كادَني ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فوَّضتُ أمري إليه، واتَّكلتُ على كفايتِه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: السَّريرِ الكبيرِ، والمُلكِ العظيمِ[1].

---

(١) قوله: «السَّريرِ الكبيرِ، والمُلكِ العظيمِ» هذا على مذهب.

الحسنُ: آخرُ ما نزلَتْ هاتانِ الآيتانِ[1].

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[2]

* * *

(١) رواه ابن الضريس وابن الأنباري وابن مردويه عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٣١). وهو في «فضائل القرآن» لابن الضريس (١٢٤) عن الحسن أن أبي بن كعب، كان يقول: إن آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٦) وصححه عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.
ورواه الضياء في «المختارة» (١١٥٦) عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) «والحمد لله حق حمده»: ليست في (و).

سُورَةُ يُونُسَ

سُورَةُ يُونُسَ

عليه السَّلامُ

مئةٌ وتسعُ آياتٍ[1]. مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: إلَّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [٩٤][2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: سبقَ أوَّلَ (البقرةِ) الكلامُ فيه، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ

---

(١) «مئة وتسع آية»: من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٣)، وفيه: «وهي مئة وعشر آيات في الشَّامي وتسع في عدد الباقين».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٣٧)، وقد وقع فيها اختلاف كثير عن ابن عباس وغيره فصَّله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣١٤)، وفيه:

روى عطيَّة وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكيّة، وبه قال الحسن وعكرمة.

وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدنيّ، أوّلها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة.

وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية.

وقال مقاتل: هي مكيّة، غير آيتين، قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ والتي تليها.

وقال بعضهم: هي مكيّة إلا آيتين، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ والتي تليها.

ٱلْكِتَٰبِ﴾ جاريةٌ مَجرى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] في الإشارةِ إلى البعيدِ واستدعاءِ شيءٍ سابقٍ، غيرَ أنَّ ﴿تِلْكَ﴾ للتَّأنيثِ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ للتَّذكيرِ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآنُ، وقيل: التَّوراةُ والإنجيلُ، وقيل: الزَّبورُ.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَمُ المُتقَنُ الممنوعُ منَ الخلَلِ. وقيل: الحكيمُ النَّاطقُ بالحِكَمِ.

* * *

(٢) - ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا بعثَ الله مُحمَّدًا رسولًا أنكرَتِ الكفَّارُ وقالوا: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا مثلَ محمَّدٍ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[١].

أي: أكانَ إيحاؤُنا إلى رجلٍ بـ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾؛ عجباً؛ أي: ليس بعجبٍ؛ لأنَّه أُرسِلَ إلى مَن قبلَهم مَن هو مثلُه، والتَّعجُّبُ إنَّما يكونُ ممَّا لا يُعهَدُ مثلُه ولا يُعرَفُ سببُه.

أنكَروا إرسالَ الله بشرًا إلى الخلقِ أصلًا.

الزَّجَّاجُ: قالوا: لم يجدِ الله رسولًا حتَّى أوحَى إلى يتيمِ أبي طالبٍ[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: السَّعادةُ(١).

قتادةُ وابنُ زيدٍ: شفاعةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ(٢).

ابنُ جريرٍ: أعمالًا يستحقُّونَ بها الثَّوابَ(٣).

الزَّجَّاجُ: منزلةً رفيعةً(٤).

والقدمُ: ما قدَّمَه الإنسانُ من عملِ خيرٍ أو شرٍّ، وقولُه تعالى: ﴿صِدْقٍ﴾ دليلٌ على أنَّه الخيرُ هاهنا، والمُرادُ: بـ﴿صِدْقٍ﴾: صلاحٍ ونفعٍ، وليس الصِّدقُ هاهنا ضدَّ الكذبِ.

وقيل: هي استعارةٌ، كما تقولُ: له عندي يدٌ، وله عندي قدَمٌ(٥).

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ الوحيَ ﴿لسِحْرٌ مبينٌ﴾ ومَن قرأ بالألفِ(٦)؛ أي: هذا الرَّجلَ لساحرٌ مبينٌ.

ابنُ جريرٍ: تقديرُه: فلمَّا أنذرَهُم قال الكافرون: إنَّ هذا لساحرٌ مبينٌ(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٤٩٣)، بلفظ: «سبقت لهم السعادة في الذكر الأول».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٠، ١١١) عن قتادة وزيد بن أسلم. وذكره البخاري قبل حديث (٤٦٨٠) عن زيد بن أسلم.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١١)، وقد روى نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومجاهد وغيرهم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، وعدَّه من العجائب.

(٦) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير، والباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٣).

(٣) ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾؛ أي: في مُدَّةِ مقدارِ ستَّةِ أيَّامٍ؛ لأنَّ الأيَّامَ تكوَّنَتْ بعد خلقِ السَّماواتِ والأرضِ من دَورانِ الفلَكِ، وتخصيصُها بالسِّتَّةِ لأنَّ السِّتَّةَ نهايةٌ في العددِ.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ سبقَ بيانُ هذا كلِّه.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقضيه وحدَه.

ابنُ عيسى: يُرتِّبُ الأمورَ مراتبَها على أحكامِ عواقبِها.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في اتِّصالِه بما قبلَه، فقال بعضُهم: هذا ردٌّ على مَن زعمَ أنَّ آلهتَهم ـ وهي من جملةِ المخلوقاتِ ـ تشفعُ لهم، وأنَّى لها الشَّفاعةُ والشَّفاعةُ لا تكونُ إلَّا بإذنِه، وليس لها محلُّ الإذنِ؟

وقيل: خلَقَها لا بشفاعةِ شفيعٍ ولا تدبيرِ مُدبِّرٍ.

ابنُ بحرٍ: خلَقَها ولم يكُنْ معه شفيعٌ؛ أي: لا حيَّ معه[١]، ثمَّ خلقَ الملائكةَ والجنَّ والإنسَ.

بإذنه[٢]: بأمرِه.

ويحتملُ أنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: أنَّ لهم قدَمَ صدقٍ عند ربِّهم، وهي شفاعةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ما من شفيعٍ إلَّا من بعدِ إذنِه[٣]، والله أعلمُ.

---

(١) أي: جعله مشتقًّا من الشفع، كما قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢)، واستغربه.

(٢) في (و): «وبإذنه»، والذي في الآية: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ وفي «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢): ﴿مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي: خلقه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢)، واستغربه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: الذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ ربُّكُم، لا الأصنامُ.

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه وأطيعُوه، ولا تعبُدوا معَه غيرَه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتدبَّرون، فتعلَمُوا أنْ لا يستحِقُّ غيرُه العبادةَ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالموتِ والبعثِ والنُّشورِ، والمَرجِعُ: الرُّجوعُ، شذَّ عن البابِ[1].

ابنُ عيسى: المرجعُ: مكانُ الرُّجوعِ[2].

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: وعَدَ وعْدًا حقًّا لا خُلْفَ فيه.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾؛ أي: يخلقُه ثمَّ يُميتُه ثمَّ يُعيدُه.

وقُرِئَ بالفتحِ[3]؛ أي: لأنَّه، وقيل: فاعلُ ﴿حَقًّا﴾ كما قالَ:

أَحَقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقِيًا بُثَيْنَةَ أو يَلْقَى الثُّرَيا رَقِيبُها[4]

---

(١) فهو مصدر جاء على (مَفْعِل) في الصحيح، وقياسه (مَفْعَل)، وقد نصَّ على مصدريته سيبويه (٤/ ٨٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) أي: بفتح همزة (أنه)، وهي قراءة أبي جعفر، وباقي العشرة بكسرها. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٤) البيت لجميل بثينة. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤)، و«الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (١/ ١٧٦)، و«أساس البلاغة» مادة (ر ق ب). ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٧)، و«الصحاح» مادة: (ر ق ب)، وفيه: ورقيبُ النَّجمِ: الذي يغيب بطلوعه، مثل الثُّرَيَّا رَقيبُها الإكليلُ، إذا طَلَعَتِ الثُّرَيَّا عِشاءً غاب الإكليلُ، وإذا طلع الإكليلُ عِشاءً غابت الثُّرَيَّا.

﴿لِيَجۡزِيَ﴾؛ أي: يُعيدُه ليجزِيَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ، يُريدُ: الإحسانَ؛ كقولِه: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؛ أي: الجنَّةَ ونعيمَها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾: ماءٌ حارٌّ، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: حُمَّ الماءُ؛ إذا سَخُنَ، والحميمُ: العَرَقُ منه لسُخونتِه، والحمَّامُ لحرارةِ مائِه أو لأنَّه[1] يُتعرَّقُ فيه.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾: بسببِ كُفرِهم.

***

(٥) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي﴾؛ أي: اللهُ الذي ﴿جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾؛ أي: خلقَها ضياءً، فيكونُ حالًا، أو: صيَّرها ضياءً، فيكونُ المفعولَ الثّانيَ.

و﴿ضِيَآءٗ﴾: مصدرُ (ضاءَ)، و(ضاءَ) و(أضاءَ) لُغتانِ، فيكونُ التَّقديرُ: ذاتَ ضياءٍ، أو تُجعَلُ ذاتُ الشَّمسَ ضياءً لكثرةِ ضَوئِها[2].

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ضِيَآءٗ﴾ جمعَ (ضوءٍ)[3].

﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ يُستضاءُ به في اللَّيالي ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾؛ أي: قدَّرهما، والتَّقديرُ:

---

(١) في (و): «ولأنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، وعدَّه من العجيب.

جعَلَ الشَّمسَ ضياءً وقدَّرَها منازِلَ، وجعلَ القمرَ نورًا وقدَّرَه منازلَ[١]، على ما سبقَ.

ويجوزُ أن تعودَ إلى القمرِ فحسب، وخَصَّه بالذِّكرِ لمعانٍ:

أحدُها: أنَّ أحكامَ الشَّرعِ مَنوطةٌ به.

والثَّاني: لسُرعةِ سيرِه، فإنَّه يقطعُ الفلَكَ في ثمانيةٍ وعشرينَ ليلةً.

والثَّالثُ: أنَّ منازِلَه تُدرَكُ بالعِيانِ، وكذلك الزِّيادةُ فيه والنُّقصانُ.

ومعنى ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾: قدَّرَه يسيرُ منازلَ، فهي ظرفٌ للسَّيرِ[٢]. وقيل: قدَّرَ له منازلَ[٣].

﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾؛ أي: عدَدَ الشُّهورِ والسِّنين، فاكتَفَى بذكرِ السِّنين لأنَّ السَّنةَ تشتملُ على الشُّهورِ.

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾؛ أي: المُعاملاتِ.

قال الأصمعيُّ: سُئِلَ أبو عمرٍو عن ﴿الحساب﴾ أتَنْصِبُه أم تجرُّه؟ فقال: ومَن يدري ما عددُ الحسابِ[٤]؟

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: على أتمِّ ما يكونُ، وقيل: مُحِقًّا لا مُبطِلًا.

ابنُ جريرٍ: الحقُّ هاهنا هو اللهُ؛ أي: ما خلَقَ الله ذلك إلّا بالله؛ أي: وحدَه لا شريكَ معَه[٥].

---

(١) فاكتفى بذكر أحدهما. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه، وقد تقدم كلام المصنف على مثله في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ١٢].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) فحذف حرف الجر، وأوصل الضمير بالفعل، فصار: (قدره). انظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، (١/ ٤٧٤) واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٥) وقال: «يريد أنه بالنصب؛ لأنّ الجر إنما يكون مقتضياً أنّ الحساب يكون يعلم عدده، والحساب لا يمكن أن يُعلم منتهى عدده».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٩).

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾: يُبيِّنُ آياتِ القرآنِ، وقيلَ: يُبيِّنُ[1] الحجَجَ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فهم ينتَفِعون بالتَّأمُّلِ فيها والتَّدبُّرِ.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في مجيءِ كلِّ واحدٍ منهما خلفَ الآخرِ، وقيل: في اختلافِ ألوانِهما.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الخلائقِ والعجائبِ والدّلالاتِ ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ تُوجِبُ العلمَ اليقينَ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: لِمَن تأمَّلَ، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم بها.

* * *

(٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: أنكروا البعثَ والعقابَ والثَّوابَ، وقيل: معناه: لا يخافونَ لقاءَنا يومَ القيامةِ.

﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدلَ الآخرةِ ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾: سكَنُوا إليها ومالُوا نحوَها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾: لا يتفكَّرونَ[2] فيها، والغفلةُ: ذهابُ المعنى عن القلبِ بحضورِ ما يُضادُّه.

---

(١) في (ن): «﴿نفصل﴾.. نبين.. نبين» الثلاثة بالنون. وهي قراءة سبعية، فقد قرأ أبو عمرو وابن كثير وحفص بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) في (و): «لا يفكرون».

(٨) - ﴿ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾: مَرجِعُهم النَّارُ بفعلِهم.

***

(٩) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم ﴾ قيل: إلى الجنَّةِ. وقيل: يُثبِّتُهم على الهدايةِ. وقيل: يُرشِدُهم ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾: بسببِ إيمانِهم، وقيل: لهم نورٌ يمشونَ به.

وقيل: يُقدِّمُهم إلى الثَّوابِ، من قولِ العربِ: القَدَمُ تهدي السَّاقَ[1].

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ أي: من تحتِ منازلِهم. وقيل: منابعُها من تحتِها. وقيل: بأمرِهم. وقيل: بينَ أيديهم وهم يرونَها.

***

(١٠) - ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾؛ أي: دُعاؤُهم، والدَّعوى مصدرٌ كالدُّعاءِ، والمُرادُ به: النِّداءُ؛ أي: يدعونَ الله بقولِهم: سُبحانَكَ اللَّهمَّ؛ تلذُّذًا بذكرِه لا عبادةً[2]، والمعنى: هم في أكثرَ ممَّا يشتهون فلا يستَزيدونَ.

وقيل: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: كلامُهم وقولُهم.

وقال الكلبيُّ: إذا اشتهَوا شيئًا قالوا: سُبحانَكَ اللَّهمَّ، فيُؤتَونَ به[3].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٧) بلا نسبة، وقول العرب الذي حكاه المصنف ذكره الأنباري في «شرح القصائد السبع الطوال» (ص: ٩٢).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٦) عن ابن =

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾: ما يُحيِّي بعضُهم بعضًا ﴿سَلَٰمٌ﴾.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ. وقيل: يُحيِّيهم اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقيل: ﴿تحيَّتهم﴾: ملكُهم ﴿سَلَٰمٌ﴾: سالـمٌ، والتَّحيَّةُ: الملكُ.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: إذا نالوا منه شهواتِهم قالوا: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: أوَّلُ كلامِهم التَّسبيحُ وآخرُه التَّحميدُ، وهم يتكلَّمون بينهما بما أرادوا أن يتكلَّمُوا به، وليس يعني أنَّه ينقطعُ.

ابنُ بحرٍ: هو قولُهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

و(أنْ) في قولِه: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ زيادةٌ عندَ بعضِهم[١]، ومُخفَّفٌ منَ المُشدَّدِ عندَ بعضِهم، وقد قُرِئَ به[٢]، وتقديرُه: إنَّه الحمدُ. وقيل: آخرُ دعواهم أن يقولوا: الحمدُ.

***

(١١) ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: هو كقولِه: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وكقولِه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١]، والمُرادُ بقولِه: (النّاس): الكفَّارُ، وكانوا يستعجِلونَ بالعذابِ كُفرًا منهم واستهزاءً.

﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: أهلكَهُم وأفناهُم، وقيل: لانقطَعَ الدُّنيا، ولكنْ لـم يفعَلْ بهم ما سألوا وأخَّرَهُم لتتمَّ إقامةُ الحجّةِ عليهم.

= جريج وسفيان، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٩) عن الربيع بن أنس.

(١) هو صاحب «النظم» كما في «التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٢١٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٨).

(٢) نسبت لابن محيصن وبلال بن أبي بردة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، وزاد نسبتها في «المحتسب» (١/ ٣٠٨) ليعقوب.

نزلَتْ في النَّضرِ[١].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا عامٌّ، وذلك أنَّ الرَّجلَ يدعو على نفسِه وأقاربِه وأموالِه في حالِ ضجرِه وملالِه فيقولُ: أهلكَه اللهُ ولعنَه وأماتَه، ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: كما يدعو لهم بالخيرِ ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لهلكُوا.

وتقديرُ الآيةِ: ولو يُعجِّلُ اللهُ للنَّاسِ الشَّرَّ حينَ استعجَلوه استِعجالًا كاستِعجالِهم الخيرَ؛ أي: كما يجبُ أن يُستعجلَ الخيرُ.

والشَّرُّ: ظُهورُ ما فيه ضررٌ، مشتقٌّ من شررتُ[٢] الشَّيءَ في الشَّيءِ؛ أي: أظهرتُه.

وعُدِّي (قُضِيَ) بـ(إلى)؛ لِمَا فيه من معنى السُّرعةِ.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: شِركِهم وضلالِهم، وقيل: ظُلمِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدونَ، وقيل: يلعَبونَ، وقيل: يتَمادَونَ.

* * *

(١٢) - ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الكافرَ ﴿ٱلضُّرُّ﴾: إذا نالَه ضررٌ ومكروهٌ ﴿دَعَانَا﴾: دعا اللهَ لإزالتِه ولم يَدْعُ غيرَه. ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: مُضطجِعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ يُريدُ: في جميعِ الأحوالِ، وحروفُ الجرِّ كلُّها تقعُ أحوالًا.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ١٠٦).

(٢) كذا ذكر، والذي في المعاجم: «أشررت». انظر: «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«التاج» (مادة: ش ر ر)، وقد ذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٨٦) في باب ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت، وأفاد ابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٣٥٧)، وابن القوطية في «كتاب الأفعال» (ص: ٧٦) أن (شررت) و(أشررت) لغتان، وانظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد» للجواليقي (ص: ٤٨).

وقيل: مسَّه الضُّرُّ لجنبِه أو قائمًا أو قاعدًا دَعانا، فيكونُ العاملُ في الحالِ (مسَّ)، وعلى الأوَّلِ العاملُ: ﴿دَعَانَا﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾: أزَلْنا ما به ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾؛ أي: استمرَّ على كُفرِه مُعرِضًا عن الشُّكرِ، وقيل: مرَّ على ما كانَ عليه.

ويحتمِلُ: مرَّ كأنْ لم يكُنْ به ضررٌ؛ أي: مُعافًى، ثمَّ لم يشكُرْنا عليه[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زُيِّنَ لهذا الكافرِ الدُّعاءُ عندَ البلاءِ والإعراضُ عندَ الرَّخاءِ ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: للكافرين ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ عملُهم.

وأصلُ ﴿كَأَن﴾: كأنَّه، خُفِّفَ وحُذِفَ الاسمُ.

قيل: نزلَتْ في هشامِ بنِ المُغيرةِ المخزوميِّ[2].

***

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: لم يكونُوا يُؤمِنُونَ ولو بَقَّاهم أبدًا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: نفعلُ بمَن كذَّبَ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ كما فعَلْنا بمَن قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٥) واستغربه.

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٤١)، وذكره النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما وكناه: أبا حذيفة، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ١٧٠). وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٠)، وفيه: «هاشم» بدل «هشام»، وكذا في «زاد اليسير» (٢/ ٣١٩) و«البحر المحيط» (٦/ ٢٠).

(١٤) - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾: جمع (خليفةٍ)؛ أي: يخلُفونَهم قرنًا بعدَ قرنٍ ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: في أماكنِهم ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: لتعمَلُوا أعمالَكم فنراها مُشاهَدةً موجودةً، فارغَبُوا في الطَّاعةِ واحذَرُوا عنِ المعصيةِ.

***

(١٥) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضِحاتِ الدَّلائلِ؛ أي: القرآنُ، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾؛ أي: الكفَّارُ: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ لا يكونُ فيه ذكرُ البعثِ والنُّشورِ. وقيل: لا يكونُ فيه عَيبُ آلِـهتِنا؛ أي: ضُمَّ إليه قُرآنًا آخرَ، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ كتابًا آخرَ لا يكونُ فيه وعيدٌ. وقيل: بدِّلْ منه ذكرَ البعثِ.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾؛ أي: ليس هذا من كلامي فأُغيِّرَه.

﴿تِلْقَاءِ﴾ مصدرٌ كالتِّبيانِ[١]، يُستعملُ ظرفًا[٢] بمعنى: المُقابلةِ، مُشتقٌّ منَ التَّلقِّي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾: لا أَتَّبِعُ إلَّا وحيَ الله من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ ولا تبديلٍ.

---

(١) ظاهر كلام سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٨٤) أنهما اسما مصدر، وليسا مصدرين؛ لأن المصادر في هذا الباب جاءت بفتح التاء، وقد ذكر ابن خالويه في «ليس في كلام العرب» (ص: ٢٧٨) أنهما مصدران، وذكر الأشموني في «شرح الألفية» (٢/ ٢٣٧) أن تفعال كله بالفتح إلا هذين

(٢) وهو من الظروف الموغلة في الإبهام. انظر: «اللمع» لابن جني (ص: ٥٦)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ١٦٠).

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾؛ أي: إنْ فعلتُ عصيتُ ربِّي ثمَّ لا آمَنُ ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

الكلبيُّ: نزلَتْ في المُستَهزِئين، قالوا: يا محمَّدُ، ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا فيه ما نسألُكه[1].

مجاهدٌ: نزلَتْ في مُشركي مكَّةَ[2].

***

(١٦) ـ ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: لا أعلَمَكُم الله، تقولُ: دَريتُ الشَّيءَ: علمتُه، وأَدريتُه غيري: أعلَمْتُه إيّاه.

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ﴾: مكَثْتُ وبقِيتُ بينكم لا أتلو القرآنَ ولا أتعلَّمُه ﴿عُمُرٗا﴾؛ أي: بعضًا من عمري، وهو أربعونَ سنةً؛ لأنَّه أُوحِيَ إليه بعد أربعينَ سنةً.

﴿مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾: من قَبْلِ القرآنِ، وقيل: من قبلِ التِّلاوةِ، وقيل: من قبلِ هذا الوقتِ، وقيل: من قبلِ نُزولِه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنِّي صادقٌ، وهذا كلامُ الله، أمرَني أن أتلُوَه عليكم.

***

(١٧) ـ ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ ممَّن كذَبَ على الله

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٢٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٣٨) عن قتادة.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: الكاذبُ على الله والمُكذِّبُ بآياتِ الله في الكفرِ سواءٌ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: لا ينالون رُشدًا.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يُشرِكُونَ مع الله في العبادةِ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ لأنَّها أمواتٌ.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الحسنُ: يُريدونَ: في أمرِ الدُّنيا ومعاشِها؛ لأنَّهم لا يُقِرُّونَ بالبعثِ(١).

وقيل: معناه: هؤلاءِ شُفعاؤُنا عندَ الله إنْ يكُنْ بعثٌ ونشورٌ.

وقيل: في الكفَّارِ مَن يعتقدُ البعثَ.

﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أتُخبِرونه بما لم يكُنْ ولا يكونُ؛ لأنَّه ليس فيهما مَن يستحِقُّ العبادةَ، فنفَى العلمَ لنفيِ المعلومِ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزَّهَ نفسَه عن أن يكونَ معَه معبودٌ أو شريكٌ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٤٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٢٢).

(١٩) - ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: بني آدمَ بعدَ آدمَ عليه السَّلامُ، وقيلَ: بعدَ إلياسَ.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هاهنا: العربُ.

﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على دينٍ واحدٍ، وهو دينُ الإسلامِ.

وقيل: الشِّركُ[1]، وقد سبقَ.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: فصارُوا مِللًا كُفَّارًا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ العذابِ إلى يومِ القيامةِ، يُريدُ: عذابَ هذه الأمَّةِ، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤].

وقيل: سبقَتْ أنَّه لا يُعاجِلُ العُصاةَ بالعقوبةِ.

وقيل: هو قولُه لآدمَ عليه السَّلامُ حينَ عطَسَ: «يرحمُكَ الله»، فسبقَتْ رحمتُه غضبَه[2].

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: لأُهْلِكَ المُبطِلُ في اختلافِهم، والاختلافُ: الذَّهابُ في جهتَينِ فصاعدًا.

* * *

---

(١) وهو على القول بأن ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هم العرب.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لما خلق الله آدم عطس فألهمه ربه أن قال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك الله، فلذلك سبقت رحمته غضبه».

(٢٠) - ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؛ أي: ممَّا اقترحُوا عليه في قولِه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

وقيل: تعنَّتُوا في طلبِ الآياتِ.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو أعلمُ بمصالحِ العبادِ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ وقوعَ الآية ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾، فوقعَتْ يومَ بدرٍ، فظهرَ المُحِقُّ منَ المُبطِلِ.

* * *

(٢١) - ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾: أهلَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً ﴾: خِصْبًا وسَعةً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ﴾: الجوعُ والقحطُ، وقيل: شفاءٌ بعدَ سَقَمٍ.

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾؛ أي: مكَروا في آياتِنا بدفعِها وإنكارِها.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾: استدراجًا لكم جزاءً على مكرِكُم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا ﴾؛ أي: الحفظةَ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ فيُجازيكُم اللهُ عليه.

* * *

(٢٢) - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾: يحملُكُم على السَّيرِ ويجعلُكم قادِرينَ على قطعِ المسافاتِ

بالأرجُلِ والدَّوابِّ والفُلكِ الجاريةِ في البحارِ، وهو قولُه: ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾: الأرضِ الواسعةِ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: مُستقرِّ الماءِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفنِ، و(الفُلكُ) واحدٌ وجمعٌ، وقد سبقَ.

﴿وَجَرَيْنَ﴾؛ أي: السُّفنُ ﴿بِهِم﴾: بمَن فيها، رجعَ إلى الغيبةِ بعد الخطابِ، وهذا تلوينٌ، وهو كثيرٌ حسنٌ، وفي القرآنِ أحسَنُ؛ لأنَّ القرآنَ للنَّاسِ كلِّهم.

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليِّنةِ الهُبوبِ، لا ضعيفةٍ ولا عاصفةٍ، ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾: بتلكَ الرِّيحِ للينِها واستقامتِها، ﴿جَآءَتْهَا﴾؛ أي: السَّفينةَ، وقيل: الرِّيحَ الطَّيِّبةَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: ذاتُ عَصْفٍ؛ أي: شديدةُ الهبوبِ.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾ وهو ما علا منَ الماءِ ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: منَ البحرِ، وقيل: من كلِّ وُجهةٍ.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أُهلِكُوا وسُدَّتْ عليهم مسالكُ النَّجاةِ من جميعِ الجهاتِ ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أخلَصُوا له الدُّعاءَ مُنقادين مُذعِنينَ دونَ الأوثانِ: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: لَئِنْ خلَّصتَنا من هذه الواقعةِ، وقيل: من هذه الرِّيحِ وأنعَمْتَ علينا يا ربَّنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لنِعمتِكَ، مُؤمنينَ بك، مُستمسِكينَ بطاعتِكَ.

***

(٢٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾: أجابَ اللهُ دُعاءَهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: عادوا إلى الكفرِ والفسادِ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ جهلًا وباطلًا؛ أي: مُبطِلين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾؛ أي: وَبالُ بغيِكُم عليكم. وقيل: بَغيُ بعضِكُم على بعضٍ.

﴿متاعُ الحياةِ الدُّنيا﴾ أي: ذلك متاعُ الحياةِ الدُّنيا، يتمتَّعونَه في الدُّنيا، فيكونُ

﴿بَغْيُكُمْ﴾ مبتدأ، ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ خبرُه، و﴿متاعُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿عَلَىٰٓ﴾ من صلةِ المصدرِ، و﴿متاعُ﴾ خبرُه.

ومَن نصَبَ[١] فعلى العلَّةِ أو المصدرِ، ويحتمِلُ أن يكونَ نصبًا على الظَّرفِ[٢]؛ أي: مُدَّةَ متاعِ الحياةِ[٣].

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في القيامةِ ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نُخبِرُكم به ونُجازِيكُم عليه.

* * *

(٢٤) - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المثلُ: قولٌ سائرٌ يُشبَّهُ فيه حالُ الثَّاني بالأوَّلِ.

وقيل: ﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: صِفةُ الحياةِ.

ابنُ عيسى: في المُشبَّه والمشبَّهِ به ثلاثةُ أقوالٍ[٤]:

أحدُها: الحياةُ الدُّنيا بالنَّباتِ على تلك الأوصافِ.

والثَّاني: الحياةُ الدُّنيا بالماءِ فيما تكونُ به منَ الامتناعِ ثمَّ الانقطاعِ.

---

(١) هو حفص، قرأ ﴿متاع﴾ بالنصب، قرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) ذكر المعربون وجوهاً لنصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ منها أنه مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، أو حال، أو مفعول به، أما المفعول فيه فلم أقف على من ذكره قبل المصنف، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٥)، وانظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٨١)، ولأبي علي (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، و«التبيان» (٢/ ٦٧٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠) ونقله أبو حيان بلا نسبة وبتصرف. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٧).

الثّالثُ: الحياةُ الدُّنيا بحياةٍ مُقدَّرةٍ على هذه الأوصافِ.

وقولُه: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾ على التَّقديرِ الأوَّلِ كنباتِ ماءٍ، بحذفِ المُضافِ، وعلى القولِ الثَّاني ظاهرٌ، وعلى القولِ الثَّالثِ: كحياةِ قومٍ بماءٍ أنزلْناه، ويُقوِّيه قولُه: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ [يونس: ٢٤].

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: بالماءِ اختلاطَ جِوارٍ؛ لأنَّ الاختلاطَ تداخلُ الأشياءِ بعضِها في بعضٍ[١].

وقيل: اختلَطَ به؛ أي: بسببِه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فطالَتْ وامتدَّتْ ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾: الحبوبِ والثِّمارِ والبُقولِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ الحشيشِ والمَراعي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتَها بالنَّباتِ واختلافِ ألوانِه ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وتزيَّنَتْ به ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أهلُ الأرضِ ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ على حصادِ نباتِها واجتِناءِ ثمارِها؛ إذ لا مانعَ دونَها، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ ما يُهلِكُ الزَّرعَ ويُفنيهِ ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾؛ أي: الأرضَ، وقيل: الغلَّةَ، وقيل: الزِّينةَ ﴿حَصِيدًا﴾: محصودةً مقلوعةً منزوعةَ الأصولِ ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾: كأنْ لم تقُمْ بهذه الصِّفةِ، من قولِهم: غَنِيْنا بمكانِ كذا؛ إذا أقَمْنا، والمغنى[٢]: المكانُ.

وقيل: من غَنِيَ؛ بمعنى: اكتفَى[٣].

مُقاتلٌ: ﴿تَغْنَ﴾: تنعَمْ[٤]؛ أي: كأنْ لم تُوجَدْ ولم تكُنْ تلك الأرضُ بهذه الصِّفةِ[٥].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فينتفِعون بضَرْبِ الأمثالِ.

---

(١) نقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٧) عن المصنف، ثم قال: «ولا يمتنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل».

(٢) في النسخ الخطية: «المعنى»، وهو تصحيف، والتصويب من «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، وانظر: «معجم ديوان الأدب» (٤/ ٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٥).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٢٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ ببَعْثِ الرُّسلِ، وقيل: بنصبِ الأدلّةِ.

ودارُ السّلامِ: الجنّةُ، السَّلامُ: هو الله، والجنّةُ دارُه، وهذه الإضافةُ كبيتِ الله وناقةِ الله[1].

وقيل: دارُ السَّلامةِ منَ الآفاتِ والأحزانِ، فحُذِفَ الهاءُ.

وقيل: (دار السّلام): هو منَ التَّحيَّةِ التي يُحيِّيهم الله والملائكةُ، من قولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: يُرشِدُ ويُوفِّقُ مَن يشاءُ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإسلامِ وكتابِ الله ومحمَّدٍ عليه السَّلامُ وأصحابِه. وقيل: الحقِّ. وقيل: إلى طريقِ الجنَّة.

* * *

(٢٦) ـ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾: آمَنُوا بالله ورُسلِه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّةُ.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ كالبُشرَى[2]، وقيل: تأنيثُ الأحسنِ[3].

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي النَّظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ[4].

---

(١) فالغاية من هذه الإضافة تعظيم المضاف وتشريفه. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٨٤)، و«مشكل الحديث» لابن فورك (ص: ٥٨).

(٢) أي: مصدر جاء على (فعلى)، على أن هذا البناء يأتي اسماً كرُؤيا، وصفة كحُبلى، ومصدراً كبُشرى. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه، فقد صحَّ هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى، فلا يُقبل قولٌ سواه.

وقيل: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: جزاءُ حسناتِهم، والزِّيادةُ؛ بالواحدِ عشرًا؛ لتكونَ الزِّيادةُ منَ الجنسِ الأوَّلِ(١).

وقيل: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: عشرةٌ، والزِّيادةُ: تضعيفُ العشراتِ(٢).

وقيل: الزِّيادةُ: المغفرةُ والرِّضوانُ.

وقيل: الزِّيادةُ: ما نالُوا في الدُّنيا فلا يُحاسَبونَ عليه.

وإجماعُ المُفسِّرين على أنَّ الزِّيادةَ: النَّظرُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾: لا يعلُوها ولا يغشاها، وأصلُ الكلمةِ: اللُّحوقُ.

﴿قَتَرٞ﴾: عناءٌ(٣)، واحدُها: قَترةٌ، وأصلُ الكلمةِ: الغُبارُ. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هَوانٌ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(٢٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفرَ والشِّركَ ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾؛ أي: يُجازَون بمثلِها، والضَّميرُ مُقدَّرٌ(٤)، والباءُ مُتعلِّقٌ بالمُضمرِ، وقيلَ: تقديرُه: لهم جزاءُ سيِّئةٍ مثلُها، والباءُ زيادةٌ(٥).

ويحتمِلُ أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، وعدَّه من العجيب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٣) في (و): «غبار».

(٤) ليكون رابطاً بين المبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والخبر ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾، والتقدير: جزاء سيئة منهم مقدَّرٌ بمثلها. والباء متعلقة بالخبر المحذوف على هذا القول. انظر: «الغرائب» (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٥) هذا قول الأخفش وابن كيسان، انظر «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٢)، و«البحر المحيط» (٦/ ٤٤).

ويحتمِلُ أنَّ محلَّ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟﴾ جرٌّ[(١)].

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: ويلحقُهم ذُلٌّ وهَوانٌ ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عقابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: من مانعٍ ودافعٍ ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾؛ أي: جُعِلَ عليها غِطاءٌ من سوادِ اللَّيلِ؛ أي: هم سودُ الوجوهِ.

ومَن قرأ: ﴿قِطَعًا﴾ بالفتح جعلَها جمعَ (قِطْعةٍ)، وجعلَ ﴿مُظْلِمًا﴾ حالًا عن ﴿ٱلَّيْلِ﴾، ومَن سكَّنَ الطَّاءَ[(٢)] أخذَه من قولِه: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]، وهو جزءٌ منَ اللَّيلِ بعد طائفةٍ منه. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: الكفَّارَ وغيرَهم ﴿جَمِيعًا﴾ حالٌ ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾، ﴿مَكَانَكُمْ﴾[(٣)] كلمةُ وعيدٍ عندَ العربِ[(٤)]، معناه: انتظِروا وامكُثوا، وهي من الأسماءِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها[(٥)]، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ، ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيدٌ له، ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليه.

---

(١) أي: في محل جر عطفاً على ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ثم قال: (ولِلَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)، فيكون كل واحد من الأخير في مقابلةِ كل واحد من الأول، ويكون الباقي ﴿بِمِثْلِهَا﴾ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾. هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٢) قرأ ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) (﴿مَكَانَكُمْ﴾): ليست في (ن)، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٤٨١): «مكانك».

(٤) ذكر ذلك الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٣٦)، والهروي في «الغريبين» (٦/ ١٧٦٨).

(٥) وهي ما تعرف اليوم بأسماء الأفعال. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، و«الحلبيات» لأبي علي (ص: ١٠٧).

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ تقولُ: زالَ[1] فلانٌ الشَّيءَ يَزيلُه: نحَّاهُ، و(زيَّلَه) مُبالغةٌ وتكثيرٌ للفعلِ.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾، أي: الأصنامُ، وقيل: الملائكةُ والشَّياطينُ: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: لم يكُنْ بِرِضانا ولا أمرِنا ولا شعَرْنا ذلك.

***

(٢٩) - ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: اللهُ شاهدٌ على صِدْقِنا بأنَّا لم نشعُرْ بعبادَتِكُم.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ ابنُ عيسى: هذا الجحودُ على جهةِ الإهانةِ والرَّدِّ عليهم؛ أي: لا نعقدُ بذلك، وقال أيضًا: دُهِشُوا كدهشةِ الصَّبيِّ.

***

(٣٠) - ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ عندَ تلك المُخاصَمةِ. المُفضَّلُ: ﴿تَبْلُواْ﴾: تخبُرُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، تقولُ: بلَوتُه وابتَلَيتُه وخَبَرتُه واختبَرتُه بمعنًى واحدٍ.

وقُرِئَ ﴿تتلوا﴾[2]؛ أي: تقرأُ كتابَ الحفظةِ، وقيل: تتبعُ عملَه.

ورُوِيَ: أنَّ عمَلَ الإنسانِ يأتي يومَ القيامةِ على صورةِ حيوانٍ يقودُ عاملَه إلى الجنَّةِ أو إلى النَّارِ[3].

﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قدَّمَتْ، والإسلافُ: تقديمٌ لِـمَا بعدَه.

---

(١) في النسخ الخطية: «أزال»، وهو تحريف، والتصويب من «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٨٢).

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) روى معناه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظهما: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...».

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما وعدَهُم الله. وقيل: إلى الموضعِ الذي يُجازي فيه.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: مُدبِّرهـم ومُتولِّي أمرِهـم ﴿ٱلْحَقِّ﴾: على الحقيقةِ لا ما اتَّخذوه مولًى. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: بطَلَ وذهَبَ ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: افتِراؤُهم[1] في الدُّنيا.

* * *

(٣١) - ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: النَّباتَ، وقيل: مَن يرزُقكم من أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ؟.

(أم)[2] جوابٌ لِمَا يتضمَّنُه (مَنْ) مِنَ الاستفهامِ.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: يملِكُ القدرةَ عليها بالسَّلبِ والإعطاءِ ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾؛ أي: مَن المُحيي والمُميتُ؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمرَ العالمين[3].

وهذا السُّؤالُ تبكيتٌ للكفَّارِ وتقريعٌ لهم على اتِّخاذِهم الأصنامَ مع إقرارِهم بأنَّ خالقَ هذه الأشياءِ هو اللهُ سُبحانَه.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فسيُجيبونَك عند سُؤالك أنَّ القادرَ على هذه الله، ولا يَكْذِبونَ فيه، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ أن يُعاقبَكُم على اتِّخاذِكُم الأصنامَ.

* * *

---

(١) في (و): «أمراؤهم».

(٢) في (ن): «وأمر»، وهو تصحيف، والمراد: (أم) المدغمة في (مَن) الثانية جواب لأن (مَن) الأولى معناها: أمَنْ، والله أعلم.

(٣) في (و): «العاملين»، وهو تصحيف.

(٣٢) - ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ على الحقيقةِ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾؛ أي: إذا كان الحقُّ عبادةَ الله فعبادةُ غيرِه ضلالٌ باطلٌ.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾؛ أي: كيف[1] تُصرَفون منَ الحقِّ إلى الباطلِ؟!

* * *

(٣٣) - ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾؛ أي: كما صحَّ أنَّ اللهَ الخالقُ حقَّتْ كلمتُه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾، وهي مُفسَّرةٌ بقولِه: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وهم قومٌ أخبرَ الله أنَّهم لا يُؤمنون.

* * *

(٣٤) - ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كانوا مُقرِّين بأنَّ الله يبدأُ الخلقَ، وأنَّ الأصنامَ لا تخلُقُ شيئًا، وفيهم مَن يُقِرُّ بالإعادةِ.

﴿قُلِ ﴾؛ أي: فإنْ أجابوكَ وإلَّا فقُلْ أنتَ؛ إذ لا جوابَ إلَّا هذا: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾: كيف تُصرَفونَ عن قصدِ السَّبيلِ؟!

* * *

---

(١) سقطت «أي» من (ن)، و«كيف» من (و).

(٣٥) ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: يُرشِدُ إليه، فإذا قالوا: لا، ولا بدَّ لهم منه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: يُرشِدُ إليه ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾؛ أي: لا[1] يهتَدي بنفسِه إلّا أن يهديَه هادٍ، ولا يَقبلُ الهدايةَ.

وقيل: لا يقدرُ على التَّنقُّلِ من موضعٍ إلى موضعٍ حتَّى يُنقَلَ.

وقيل: أرادَ به الرُّؤساءَ المُضِلِّين.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ في عبادةِ الأوثانِ، وقيل: تعجُّبٌ[2] ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: ليسا في القضيَّةِ سواءً، فلِمَ سوَّيتُم بينهما؟

***

(٣٦) ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: كلُّهم، وقال بعضُهم: أرادَ بالأكثرِ: أتباعَ الرُّؤساءِ، وقيل: الرُّؤساءَ.

وقيل: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثرُ النّاسِ؛ لأنَّ المؤمنينَ هم الأقلُّون.

وقولُه: ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: يظنُّونَ الباطلَ[3] حقًّا، وأنَّ الأصنامَ آلهةٌ، فيَدِينون به ويدعُونَ النّاسَ إليه.

---

(١) في (ن): «أن لا»، وفي (و): «أي» وحدها.

(٢) فهو كلام تام؛ (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، والجار والمجرور (لكم) متعلقان بخبره. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٣).

(٣) في (ن): «أي يظنون ظنًا طل» هكذا وقع، ولعلها: «الباطل» فسقط بعضها، فصارت «طل».

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يقومُ الظَّنَّ مقامَ العلمِ، يُريدُ: الظَّنُّ فيما تُعبِّدَ الإنسانُ بعلمِه كالتَّوحيدِ وأصولِ الدِّينِ، وأمَّا الفروعُ فالعملُ فيها بالظَّنِّ جائزٌ[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتِّباعِ الظَّنِّ واعتقادِ الباطلِ.

***

(٣٧) - ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥]؛ أي: ما كان هذا القرآنُ افتراءً منَ البشرِ ﴿وَلَٰكِن﴾ كانَ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: بينَ يدَي القرآنِ منَ البَعثِ والحسابِ، والقرآنُ يَقْدمُه.

وقيل: ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: كتُبِ الله المُنزَّلةِ قبلَه.

وقيل: تصديقَ الشَّيءِ الذي القرآنُ بينَ يدَيه منَ الأخبارِ والأقاصيصِ.

﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تبيينَ ما كُتِبَ عليكُم وفُرِضَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا تهمةَ أنَّه من عندِ الله؛ لأنَّه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ بحُسنِ النِّظامِ والجزالةِ.

***

---

(١) انظر: «العدّة» للقاضي أبي يعلى (٤/ ١٢٢٨)، و«التحصيل» للأرموي (١/ ٤٢٨)، و«فصول البدائع» للفناري (٢/ ١٩).

(٣٨) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ قيل: تقديرُه: بل يقولون، وقيل: تقديرُه: أيُقِرُّونَ به أم يقولون: افتراه محمَّدٌ من قِبَلِ نفسِه؟!

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ مُحتجًّا عليهم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: مثلِ القرآنِ في النَّظمِ والبيانِ[1]، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: مَن هو في التَّكذيبِ مثلُكم؛ يُريدُ: استَعينوا بمَن شئتُم وأطَعتُم سوى الله؛ ليُعاونوكُم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ محمَّدًا تقوَّلَه من تلقاءِ نفسِه.

* * *

(٣٩) - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾؛ أي: عرَفُوا عجزَهُم عن الإتيانِ بمثلِه، ولكنْ كذَّبوا محمَّدًا بردِّهم ما جهلوا ولم يُحيطوا به علمًا من ذكرِ البَعثِ والحسابِ والجنَّةِ والنّارِ.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؛ أي: لم يأتِهم وسيأتيهم ما يَؤُولُ إليه حقيقةُ ما وُعِدوا.

وقيل: ﴿تَأْوِيلُهُ﴾: مصداقُ مواعيدِ القرآنِ.

وقيل: ﴿ما لم يُحيطوا بعلمِه﴾: هو القرآنُ ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: معاني القرآنِ؛ لأنَّهم سمِعُوا ما لم يعرِفُوا تأويلَه.

---

(١) في (ن): «والتبيان».

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأممِ الخاليةِ كذَّبوا رسلَهم، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم﴾: من أهلِ مكَّةَ ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: بالله[1] سوى مَن آمنَ به ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ وهم الذين ماتُوا على الكفرِ[2]، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: الكافرين المُكذِّبين.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ[3]؛ أي: لي جزاءُ عملي ولكم جزاءُ أعمالِكُم ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا تُؤاخذُونَ بعملي ولا أُؤاخَذُ بعملِكُم.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ استماعَ تعنُّتٍ فلا ينتَفِعونَ بما يسمعونَ، فصاروا كالأصمِّ الذي لا يسمعُ أصلًا، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ وليس في طَوقِكَ سلبُ الصَّممِ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ كيف تهديهم؟

---

(١) «بالله»: ليست في (ن).

(٢) فـ(يؤمن) على هذا بمعنى: سيؤمن، و(لا يؤمن) بمعنى: لن يؤمن حتى يموت كافراً، والله أعلم.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤١).

(٤٣) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويرى صحَّةَ نبوَّتِكَ بالمُعجزاتِ والدَّلائلِ الواضِحاتِ، ولا ينتفعُ بنظرِه، فصارَ كالأعمى الذي لا يُبصِرُ أصلًا، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ وليس في وُسعِكَ إزالةُ عماه ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ كيف تهديهم؟ أي: هم مُعانِدون فلا ينفعُ إنذارُهم ودُعاؤُهم.

وفضَّلَ السَّمعَ على البصرِ لأنَّه يزولُ بزوالِه العقلُ، ولا يزولُ بزوالِ العينِ إلّا البصرُ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: لم يظلِمْهم بسَلْبِ حواسِّهم، بل هم ظلَمُوا أنفسَهم بتفويتِ منافِعِها عليهم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: في الدُّنيا، استَقْصَروا مدَّةَ لُبثِهم فيها.

ابنُ عبَّاسٍ: لم يلبَثُوا في قبورِهم[١].

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يتعارَفُ بعضُهم بعضًا، فهو متعدٍّ.

وقيل: بعضُهم بعضًا معرفتَهم في الدُّنيا، ثمَّ تنقطعُ المعرفةُ[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢١٩)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٢١٠).

(٢) أي: يعرف بعضهم بعضاً كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة، فلا يعرف =

«الحجَّة»: يتعرَّفُ بعضُهم من بعضٍ مدَّةَ لُبثِهم في القبورِ(١).

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: البعثِ والنُّشورِ وحظوظِ الخيراتِ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الإيمانِ.

***

(٤٦) ـ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ رُؤيةَ البصرِ ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ منَ العذابِ في حياتِك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ ولم نُرِكَ ذلك، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في القيامةِ، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: عالمٌ بفعلِهم وتكذيبِهم فيُجازيهم عليه، والذي أُرِيَهُم(٢) في حياتِه يومُ بدرٍ، والعذابُ الأليمُ مُدَّخَرٌ لهم(٣) للمعادِ.

***

(٤٧) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ منَ الأممِ الماضيةِ ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ وبلغَتْهم دعوتُه فلم يُؤمِنُوا ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: أُهلِكوا ونجا المؤمنون، وكان ذلك من الله عدلًا.

وقيل: هو من قولِه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

***

= أحد أحدًا. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٢٠)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي (٤/ ٣٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٤)، واستغربه.

(٢) في (و): «أراهم».

(٣) في (و): «مدخر ليوم لهم».

(٤٨) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾؛ أي: وعدُ العذابِ استهزاءً، وقيل: يومُ القيامةِ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ خطابٌ منهم للنَّبيِّ وللمُؤمنين.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾؛ أي: لا أقدرُ لها على ضرٍّ ولا نفعٍ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن أملكَه، فكيف آتيكُم بالعذابِ؟!

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾: مدَّةٌ ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾: وقتُ فناءِ أعمارِهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: لا يتأخَّرون ولا يتقدَّمون.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾: أخبِروني: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الذي تستعجِلُون به ﴿بَيَٰتًا ﴾: وقتَ بياتٍ، وهو اللَّيلُ، ﴿أَوْ نَهَارًا ﴾، ضرَّكُم ذلك[1]، وهو جوابُ الشَّرطِ.

---

(١) كذا قدر جواب الشرط هنا، و قدره في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٤): «هلكتم وندمتم»، وذهب الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٥١) ومتابعوه كالبيضاوي والنسفي إلى أن الجواب: «تَنْدَموا على الاستعجال»، أو: «تَعْرِفوا الخطأ فيه»، بينما قدره أبو حيان: «فأخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون»، ولم يرتض أبو حيان في «البحر» (٦/ ٦٨) تقدير الزمخشري؛ لأن الجواب ـ كما قال ـ لا يقدَّر إلا مما تقدمه لفظاً أو تقديراً، تقولُ: أنت ظالمٌ إنْ فَعلتَ، فالتقدير: إنْ فَعلتَ فأنت ظالم. وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (١١/ ١٣٣) بقوله: «ولم يدر (أي: أبو حيان) أن تقديره من غير جنس المذكور إذا قامت قرينة عليه ليس بعزيز، ولئن سلم صحة الحصر الذي ادعاه فما ذكر غير خارج عنه بناء على أن المقصود =

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: منَ العذابِ، وقيل: منَ الله ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: ما أعظَمَ ما يستعجِلُونَه!

* * *

(٥١) - ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ ابنُ عيسى: استفهامُ إنكارٍ[١].

قد أكثَروا القولَ في هذا الاستفهامِ، والوجهُ أن يُقدَّرَ هاهنا فعلٌ تقديرُه: فيقعُ العذابُ ويُؤمِنون به فيُقالُ لهم: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[٢] بالعذابِ، وقيلَ: بالله.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تُؤمِنون به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: بالعذابِ تكذيبًا واستِهزاءً.

وقيل: (ثمَّ) هاهنا معنى: هُنالِكَ، وهذا شيءٌ لا تحتمِلُه العربيَّةُ.

* * *

(٥٢) - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: على الدَّوامِ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بكُفرِكُم واستِهزائِكُم؟

* * *

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ قال مُقاتلٌ: لمَّا قدِمَ حُيَيُّ بنُ أخطَبَ مكَّةَ قالَ

= من ﴿أَرَأَيْتُمْ ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾... إلخ تنديمهم أو تجهيلهم كما نص عليه بعض المحققين».

وأخيراً فقد ذهب الفخر الرازي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٣) إلى أن الجواب هو قولُه: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال: «وهو كقولك: إنْ أَتيتُك ماذا تطعمُني؟».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٥)، واستغربه.

لرسولِ الله عليه السَّلامُ: أحقٌّ ما تقولُ أم باطلٌ[1]؟ أي: أبِجِدٍّ منك هذا أم أنتَ هازِلٌ؟

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِي وَرَبِّي﴾: نعَمْ واللهِ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ العذابَ، وقيل: إنَّ القرآنَ، وقيل: البعثَ والحسابَ ﴿لَحَقٌّ﴾: كائنٌ لا محالةَ، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين.

***

(٥٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: أشرَكَتْ وكفرَتْ ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منَ المُلكِ والمالِ ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لإزالةِ العذابِ عن نفسِه، ولكنْ لا يُؤخَذُ الفِداءُ.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: كتَمُوها. وقيل: أظهَرُوها[2]، وهذا أولى؛ لأنَّه ليس ثَمَّ وقتُ تَصنُّعٍ، وقيل: انطَوَوا لا عن قصدٍ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ليس هذا تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ في قومٍ وهذا في آخَرين.

***

(٥٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا مانعَ من عذابِه، وقيلَ: فلا يقبلُ فداءً، ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: وعدُه وعقابُه[3] كائنانِ لا خُلفَ فيهما، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٠) عن قتادة ومقاتل بلفظ: «أحقٌّ هذا العذاب».

(٢) نص علماء اللغة على أن الفعل(أسرَّ) من الأضداد. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٧)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٤٥).

(٣) في (ن): «ووعيده».

(٥٦) - ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في العُقبى.

***

(٥٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: ما فيه وَعْظٌ وزَجْرٌ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: ودَواءٌ لداءِ الجهلِ والشَّكِّ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: نجاةٌ لهم، وهذا كلُّه من صفةِ القرآنِ، وهو المُرادُ به(١).

***

(٥٨) - ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلامِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: القرآنِ.

وقيل: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: الإسلامِ.

﴿فَبِذَٰلِكَ﴾؛ أي: بهما ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ لا بما أُوتوا منَ المالِ ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حُطامِ الدُّنيا؛ فإنَّها فانيةٌ زائلةٌ عن قريبٍ، وإنَّ ثوابَ هذا لصاحبِه باقٍ ثابتٌ.

***

(٥٩) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) «به»: من (ن).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: مطرٍ، وهو سببُ النَّباتِ، وفيه معاشٌ للحيوانِ. ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ﴾ من الرِّزقِ، وقيل: ممَّا أنزلَ ﴿حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ يعني: قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ الآية [المائدة: ١٠٣]. ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ فيه وأمرَكُم به ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبون؟!

* * *

(٦٠) - ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: ينسُبون ذلك إليه، هذا تهديدٌ؛ أي: لا يظنُّوا لأنفسِهم خيرًا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وقيل: أيحسَبونَ أن يصفَحَ عنهم؟! كلا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتأخيرِ العذابِ وبما أنزَلَ من الرِّزقِ ووسَّعَ على العبادِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: النَّاسِ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على نِعَمِه.

* * *

(٦١) - ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ في حالٍ وأمرٍ من أمورِكَ.

الزَّجَّاجُ: العبادةُ(١).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦).

وقيل: الشَّأنُ: كلُّ أمرٍ قُدِّرَ، تقولُ: شَأَنْتُ زيدًا أشأَنُه: قصَدْتُه، واشأَنْ شأنَكَ: اعمَلْ عملَكَ.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾؛ أي: منَ الشَّأنِ، وقيل: منَ الله، وقيل: منَ القرآنِ؛ أي: بعضًا منه.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ عمَّمَ الخطابَ ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ﴾ أي: شُهداءَ.

وقيل: حاضِرينَ؛ فيكونُ (على) بمعنى: (مع).

ومعنى ﴿تُفِيضُونَ﴾: تخوضُونَ وتنتشِرونَ[١] في الحديث، وقيل: تندفِعُونَ في تكذيبِ العذابِ.

قولُه: ﴿فِيهِ﴾: في العملِ، وقيل: في القرآنِ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: لا يَغيبُ عن علمِه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: وزنِ نملةٍ صغيرةٍ، وقيل: الذَّرَّةُ: الهباءُ. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ[٢]، الرَّفعُ من وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على محلِّ ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾[٣].

والثَّاني: أن يكونَ بالابتداءِ، وخبرُه ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾، حكاهُما الزَّجَّاجُ وغيرُه[٤].

---

(١) في (و): «وتنشرون»، وقد ذكر ابن سيده في «المخصص» (٤/ ٣٨١) أن معنى أفاضوا في الحديث: انتشروا.

(٢) قرأ حمزة بضم الراء في: (ولا أصغرُ) (ولا أكبرُ)، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٣) لأنه اسم مجرور لفظاً مرفوع محلًا على أنه فاعل (يعزب). انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦).

والنَّصبُ من وجهَينِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على لفظِ ﴿مِّثْقَالِ﴾، أو عطفًا على ﴿ذَرَّةٍ﴾؛ فيكونُ مجرورًا في الحكمِ فُتِحَ لأنَّه لا ينصرفُ[1].

والثّاني: نصبٌ على التَّبرئةِ[2]، و﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ خبرُه، وهذا الوجهُ غيرُ ممتنعٍ وإنْ لـم أُسبَقْ إليه فيما علِمْتُ[3].

فمَن رفعَ أو فتحَ على المحلِّ، فقولُه: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ مُشكِلٌ، وذهبَ النُّحاةُ إلى أنَّ التَّقديرَ: ما ذلك كلُّه إلّا في كتابٍ، فيحسنُ الوقفُ على ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾.

***

(٦٢) ـ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: هم المُؤمنونَ المُخلِصون ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ على الدَّوامِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزِنَ النّاسُ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦)، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ٢٨٥).

(٢) قوله: «التبرئة»؛ يعني به: «لا» النافية للجنس.

(٣) لم أقف على أحد سبق المصنف إلى هذا القول، وقد مال إليه الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٥٥)، واستشكل العطف، وذكر أبو حيان في «البحر» (٦/ ٧٩) أن الزمخشري تبع الزجاج، وقد وهم في هذا؛ فالزجاج قوله الذي تقدم، والزمخشري إنما تبع المصنف، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٨) هذا الوجه فقال: «الثاني، وهو الغريب: أنه بني مع (لا) على الفتح، وما بعده الخبر؛ لأنه لما جاز رفعه على الاستئناف جاز فتحه على التبرئة»، وقد قوّى ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٣١٧) رأي المصنف؛ ورأى أنه يُخرج من إشكال ثبوت الغروب عند ثبوت الكتاب الذي يرد على القول بالعطف.

(٦٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ والمعاصيَ، يجوزُ أن يكونَ وصفًا لهم[١]، ويجوزُ أن يكونَ مُبتدأً، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ خبرُه.

***

(٦٤) ـ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

قولُه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قيل: هو قولُه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

وقيل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ عندَ النَّزعِ.

وقيل: هي الرُّؤيا الصّالحةُ يراها المُؤمنُ لنفسِه أو يراها له مُؤمنٌ، جاء ذلك عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ مرفوعًا[٢].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا مانعَ لإمضائِها، ولا خُلفَ لوعدِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى مدلولِ البُشرى أو إلى التَّبشيرِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الظَّفرُ بالبُغيةِ.

***

---

(١) أي: الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوز أن يكون في محل نصب صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وقد ذكر النحاس أنه بدل، وأجاز مكي البدل والنعت. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٢)، ولمكي (١/ ٣٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٧٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن».
ورواه الإمام أحمد (٢٢٧٦٧)، والترمذي أيضاً (٢٢٧٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٦٥) - ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: تكذيبُهم إيَّاكَ وإشراكُهم بالله، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾: القدرةَ والغلبةَ له ﴿جَمِيعًا﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (أنَّ العِزَّةَ) بالفتح[١]؛ أي: لأنَّ العِزَّةَ لله[٢].

وذكرَ القُتَبِيُّ في هذا فصلًا لا طائلَ تحتَه[٣].

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لقولِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بفعلِهم.

* * *

(٦٦) - ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ مِنَ الملائكةِ والإنسِ والجنِّ؛ أي: كلُّهم مملوكُونَ له ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قولُه: ﴿شُرَكَآءَ ﴾ مفعولُ ﴿يَدْعُونَ ﴾، ومفعولُ ﴿يَتَّبِعُ ﴾ محذوفٌ تقديرُه: علمًا ويقينًا[٤].

وقيل: ﴿ما﴾ للاستفهامِ، والتَّقديرُ: يتَّبعُه[٥].

---

(١) نسبت لأبي حيوة. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٥٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٢٧٩).

(٢) «لله»: من (ن).

(٣) لعل المراد ما نقله ابن عطية في «المحرَّر الوجيز» (٣/ ١٢٩) عن ابن قتيبة أنه قال: «لا يجوز فتح همزة (إن) في هذا الموضع، وهو كفر»، ولم أقف على كلام ابن قتيبة فيما بين يدي من كتبه.

(٤) استظهر أبو حيان «البحر» (٦/ ٨٤) أن ﴿شُرَكَآءَ ﴾ مفعول ﴿يَتَّبِعُ ﴾، ولم يجز ذلك العكبري في «التبيان» (٢/ ٦٨٠)، وذكر الوجهين. الذين ذكرهما المصنف.

(٥) أي: (مَا) للاستفهام على وجه الإنكار، وهو نصب بـ(يَتَّبِعُ)، و﴿شُرَكَآءَ ﴾ منصوب بـ﴿يَدْعُونَ ﴾. =

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في عبادةِ الأصنامِ؛ لأنَّهم زعمُوا أنَّ الله أعظَمُ من أن يُعبَدَ من دونِ واسطةٍ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ وما هم إلّا كاذِبون.

***

(٦٧) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: خلَقَ ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ وتستريحوا من تعبِ النَّهارِ ونَصَبِه ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لتُبصِروا فيه، كقولك: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ[1].

وقيل: ﴿النّهار مبصرًا﴾: مُضيئًا، من قولِهم: أبصَرَ النَّهارُ: إذا أضاءَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: يعقِلونَ أنْ لولا تعاقبُهما لَمَا كان نباتٌ ولا حيوانٌ.

***

(٦٨) ـ ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾؛ أي: تبنّاه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الولدِ والشَّريكِ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مُلكًا.

﴿إِنْ عِندَكُم﴾: ما عندَكم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ ﴿بِهَٰذَآ﴾: على هذا القولِ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ جهْلًا منكم؟!

= انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٩).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠)، واستغربه.

(٦٩) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ في اتِّخاذِ الولدِ ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾: لا ينجون منَ النَّارِ، ولا يفوزُونَ بالجنَّةِ.

***

(٧٠) ـ ﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾: لهم مُهلةُ مُـدَّةَ بقائِهم، ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموتِ والبعثِ، ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ ﴾: النّارَ على الدَّوامِ، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾: بكُفرِهم.

***

(٧١) ـ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: واقرأ عليهم ﴿ نَبَأَ نُوحٍ ﴾: خبرَه مع قومِه ﴿ إِذْ قَالَ ﴾: حينَ قال ﴿ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم ﴾: عظُمَ عندكُم ﴿ مَّقَامِي ﴾: كَوني بينَ أظهُرِكُم، وقيل: ثباتي على ما أنا عليه، ﴿ وَتَذْكِيرِي ﴾ إيّاكُم ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾: وتلاوتي عليكم كتابَ الله، ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾: وثِقتُ به وفوَّضتُ أمري إليه ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾: اعزِمُوا عليه، وقيل: أعِدُّوا له.

﴿ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾: واجمَعُوا شُركاءَكم، تقولُ: أجمعتُ الأمرَ وجمعتُ القومَ[1]، فيكونُ منصوبًا بمُضمَرٍ.

---

(١) في (و): «الشركاء».

وقيل: مع شُركائِكُم، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ بالرَّفعِ[١].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مُلْتبِسًا، لا تدرونَ وجهَه، واجعلوه ظاهرًا مُنكشِفًا، وقيل: غمًّا عليكم، وقيل: معناه: افعَلُوا ما تُريدونَ على مشورةٍ؛ لتكونوا على بيِّنةٍ.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾؛ أي: اقضُوا ما أنتم قاضُونَ، وافعَلُوا ما تُريدونَ، وقيل: افْرُغُوا عنِّي[٢]، من قضَيتُ دَيني، وقيل: اقتُلوني إنْ قدَرْتُم.

ابنُ بحرٍ: أعلِمُوني بآخرِ ما عندَكُم، من قولِه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي: أعلَمْناهُم[٣].

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُؤخِّرون.

ابنُ بحرٍ: لا تُؤخِّروا إعلامي.

والمعنى: ما أخافُ غائلةَ عداوتِكُم.

* * *

---

(١) هي قراءة يعقوب، وقرأ باقي العشرة بالنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٦). وفيه اعتراض وجواب ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠) فقال: «فإن قيل: إنما يصح المفعول معه حيث يصح العطف، والعطف هاهنا ممتنع؟ الجواب: ليس هو في تقدير العطف على ﴿أَمْرَكُمْ﴾، بل في تقدير العطف على الضمير في ﴿فَأَجْمِعُوا﴾؛ أي: أجمعوا أنتم مع شركائكم أمركم».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولو كانت العبارة: «افرُغوا إليّ»، أو «افرَغوا فنّي» لكان أوضح. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣٤)، و«الغريبين» للهروي (٥/ ١٥٥٦).

(٣) نقل نحوه الرازي في «التفسير الكبير» عن القفال فقال: «ومجاز دخول كلمة (إلى) في هذا الموضع من قولهم: برئت إليك، وخرجت إليك من العهد، وفيه معنى الإخبار».

(٧٢) - ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمانِ وقَبولِ كلامي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: ما سألتُكُم من أجرٍ فأوجَبَ التَّولِّي.

والثّاني: ما سألتُكُم من أجرٍ ففاتَني بتولِّيكُم[1].

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المُستسلِمين لأوامرِه ونَواهيه.

* * *

(٧٣) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: داموا على تكذيبِه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ منَ الغرقِ ومُقاساةِ الكفّارِ ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾: ونجَّينا مَن معَه ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾؛ أي: في السَّفينةِ، وكانوا ثمانينَ نفرًا ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ عمَّن كانوا في الأرضِ ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أهلَكْناهم بالماءِ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الكافرين، وخوِّفْ أمَّتَك مثلَ ما نزَلَ بهم.

* * *

(٧٤) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أرسَلْنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَ نوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كلَّ رسولٍ إلى

(١) في (و): «بتوليتكم».

قومٍ، والقومُ تقعُ على الكثيرِ الجمَّاء[١] الغَفيرِ وعلى القليلِ بعد أن يكونوا[٢] جمعًا[٣].

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: قبلَ مجيئِهم، والمعنى: أصَرُّوا على الكفرِ بعد المجيءِ كما كانوا عليه قبل المجيءِ.

وقيل: يُريدُ بقولِه: ﴿مِن قَبۡلُ﴾: ما حكمَ اللهُ عليهم بالشَّقاوةِ[٤] والتَّكذيبِ.

وقيل: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾: كنايةٌ عن قومِ نوحٍ؛ أي: قبل هؤلاءِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: هكذا نطبعُ على قلوبِ الكافرينَ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾: بعد هؤلاءِ الرُّسلِ ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾: الوليدِ بنِ مصعبٍ[٥] ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: جمعِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: اليدِ والعصا وغيرِهما ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تمرَّدُوا وطلَبُوا الكبرَ ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾: مُذنبين، أجرَمَ: أتى بالجُرمِ واكتسبَ الجُرمَ، وهو الذَّنبُ العظيمُ الذي يقطعُ الوُصْلةَ، من جَرَمه: إذا قطعَه.

* * *

---

(١) في (و): «الجمع».

(٢) في (و): «يكون».

(٣) لم أقف على مثل هذا القيد، وإنما يُنبّه عادة على أن القوم هو الرجال الذين يقوم بعضهم ببعض، فلا يدخل فيه النساء إلا تبعاً، وأنه يدل على أكثر من ثلاثة. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ١٦١)، و«الصحاح» مادة: (ق و م) (٧/ ٢٠١٦)، و«فقه اللغة» (ص: ٢٣٤)، و«المخصص» (١/ ٣١٤).

(٤) في (ن): «الشقاوة».

(٥) انظر في اسمه فرعون: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٨٨)، و«الطبري» (١/ ٦٤٢).

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾؛ أي: مُعجزاتُه ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ﴾: حيلةٌ وتمويهٌ ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ محكيُّ القولِ مُضمَرٌ تقديرُه: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: سِحرٌ، ثمَّ قال موسى مُنكِرًا عليهم: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟

وقيل: الألفُ زيادةٌ وما بعدَه محكيُّ القولِ.

وقيل: هو استفهامُ تعجُّبٍ، وهو محكيُّ القولِ.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ من تمامِ كلامِ موسى.

الزَّجَّاجُ: أي: مع علمي بأنَّ السَّاحرَ لا يُفلِحُ كيف آتي بالسِّحرِ[١]؟!

وقيل: معنى ﴿لا يفلح السّاحرون﴾: يضمَحِلُّ أصلُ[٢] سحرِهم ولا يبقَى.

* * *

(٧٨) ـ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: لتصُدَّنا وتصرِفَنا، واللَّفتُ: الصَّرفُ[٣]، تقولُ: لَفَتَ عُنقَه؛ أي: صرَفَه، من بناءِ (لَفَت)[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩)، وفيه: «والمفلح الذي يفوز بإرادته؛ أي: فكيف يكون هذا سحراً وقد أفلح الذي أتى به؟ أي: فاز، وفلح في حجته».

(٢) «أصل»: ليست في (ن).

(٣) في هامش (ن): في نسخة: «الالتفات الانصراف».

(٤) في (و): «فتل»، وهما أخوان، قال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٦٢): «واللفت والفتل أخوان، =

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: الملكُ والعظمةُ والعلوُّ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين.

***

(٧٩) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذِقٍ في سحرِه.

***

(٨٠) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾؛ أي[١]: إنْ كنتُم لا بدَّ مُلْقِين.

***

(٨١) - ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾؛ أي: حبالَهم وعِصيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾؛ أي: الذي جئتُم به السِّحرُ، لا ما قُلتُم فيه: إنَّه سحرٌ.

ومَن قرأ: ﴿آلسِّحرُ﴾[٢] بالاستفهامِ[٣]، يكونُ ﴿مَا﴾ للاستفهامِ، و﴿آلسِّحرُ﴾ بدلٌ منه، و﴿جِئْتُم﴾ الخبرُ، وإنْ شئتَ جعلتَ ﴿آلسِّحرُ﴾ مبتدأً، وأضمَرْتَ له خبرًا تقديرُه: آلسِّحرُ جِئتُم به؟

= ومطاوعهما الالتفات والانفتال»، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٠٣): «اللَّفت اللَّيُّ، يُقال: لَفَتَ الشيءَ وفتَله: إذا لَوَاه، وهذا مقلوب».

(١) «أي»: ليست في (ن).

(٢) هي قراءة أبي عمرو، والباقون بغير مد. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٣) في (و): «بالألف».

قولُـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: يُظهِـرُ للنَّاسِ بُطلانَه ويجعلُه هبـاءً منثورًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: الكافرين.

***

(٨٢) ـ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: ما أتى به موسى؛ أي: يُثبِتُ ما جئتُ به ويُبيِّنُ للنَّاسِ صحَّتَه، وينصُرُه عليكم فتصيرون مغلوبين.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأمرِه، وقيل: بوعدِه موسى، وقيل: بحكمِه في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

***

(٨٣) ـ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: بموسى، وقيل: لأجلِ موسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: قومِ موسى، وقيل: قومِ فرعونَ؛ يُريدُ: القِبْطَ.

والذُّرِّيَّةُ: الأولادُ والشُّبَّانُ منَ القومِ.

مُجاهدٌ: طالَ الزَّمانُ، ففني الآباءُ وآمنَ به الأولادُ[1].

ابنُ جريرٍ: كانت الذُّرِّيَّةُ آباءُهم منَ القِبْطِ وأمَّهاتُهم من بني إسرائيلَ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: ما آمنَ به إلَّا قليلٌ من قومِه[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٥). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٥).

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: أشرافِهم، وفي هذا الجمعِ أقوالٌ:

قال بعضُهم: هو كما يقولُ مَن له أتباعٌ مُطيعون: نحنُ نفعلُ، وإنَّا لنأمرُ.

وقيل: يُريدُ: فِرعونَ وجُنودَه وملأَهُم، فيعودُ إلى الجنودِ.

وقيل: على خوفٍ من آلِ فرعونَ وملَئِهم، فحُذِفَ المُضافُ[١].

وقيلَ: ومَلَأِ الذُّرِّيَّةِ؛ أي: آبائهم[٢]، وكانوا منَ القِبْطِ، فخافُوهم وخافُوا فرعونَ؛ أي: أسرُّوا إيمانَهم خوفًا منهم.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يُهلِكَهم. وقيل: يُعذِّبَهم فيحملَهم على الرُّجوعِ إلى الكفرِ.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: مُرتفعِ الأمرِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ، وقيل: ﴿لَعَالٍ﴾: جبَّارٌ مُستكبرٌ طاغٍ باغٍ ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: المُعتَدِين، وقيل: يُكثرُ القتلَ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾: فوِّضُوا أمرَكُم إليه والزَمُوا الإيمانَ ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ جعلَ الإيمانَ والإسلامَ شرطًا في التَّوكُّلِ، وهو على التَّرتيبِ، كما تقولُ: إنْ دخَلْتِ الدَّارَ فأنتِ طالقٌ إنْ كلَّمتِ زيدًا، فهما شرطانِ والجزاءُ واحدٌ، وليس هذا شرطًا دخلَ على شرطٍ[٣].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩١)، وعدَّه من العجيب، ثم ضعَّفه؛ لأنه لا يجوز أن تقول: زيد جاءت، وأنت تريد: جاريةُ زيد، ولا: هندٌ جاء، وأنت تريد: غلامُ هند.

(٢) في (ن): «آباءهم»، وفي (و): «أباهم»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٦١٤)، و«المغني» لابن هشام (ص: ١٠١)، وقد أفرد ابن هشام هذا البحث برسالة طبعت بعنوان: «اعتراض الشرط على الشرط» فانظرها.

(٨٥) - ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾؛ أي: لا تُسلِّطْهم علينا فيفتِنُونا.

وقيل: لا تنصُرْهم علينا فيظنُّوا أنَّهم على الحقِّ.

وقيل: لا تُسلِّطهم علينا فنرتابَ.

***

(٨٦) - ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ وحُلْ بينَنا وبينَهم، وخلِّصْنا من مُشاهدتِنا إيَّاهُم.

***

(٨٧) - ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا ﴾ أبو عليٍّ: بوَّأَ وتبوَّأَ كلاهما مُتعدٍّ[1]، كقطَّعتُه وتقطَّعتُه، وخلَّصتُه وتخلَّصتُه[2].

وقيل: بوَّأتُ لنفسي منزلًا، وتبوَّأتُ لغيري منزلًا.

﴿بِمِصْرَ﴾ قيل: هو الإسكندريَّةُ، وقيل: مصرُ فرعونَ.

﴿بُيُوتًا﴾ يسكنون فيها، وقيل: بيوتًا يُصلُّون فيها، وكان فرعونُ أمرَ بهدمِ المواضعِ التي كانوا يُصلُّون فيها، فأُمِروا أن يُصلُّوا في بيوتِهم.

﴿وَاجْعَلُوا﴾ أنتما وقومُكما ﴿ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾؛ أي: صلُّوا فيها.

---

(١) في (ن): «متعديان».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٠٩).

الحسنُ: توجَّهوا إلى الكعبةِ(١).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: اجعَلُوا بيوتَكم يُقابِلُ بعضُها بعضًا(٢).

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يا موسى.

ابنُ جريرٍ(٣): بشِّرْ يا محمَّدُ المؤمنين بالنُّصرةِ في الدُّنيا والجنّةِ في العُقبى(٤).

***

(٨٨) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾: حُليًّا مِنَ اللِّباسِ والمراكبِ ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾: ذهبًا وفضَّةً ونعمًا وضِياعًا ﴿في الحياةِ الدُّنيا ربَّنا ليضِلُّوا عن سبيلِكَ﴾(٥) اللّامُ لامُ العاقبةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨]؛ أي: ليكونَ عاقبةُ ذلك الضَّلالَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٨) عن مجاهد.
وذكر الرازي في «التفسير الكبير» (١٧/ ٢٩١) أنه نقل عن ابن عباس أنه قال: «كانت الكعبة قبلة موسى عليه السَّلامُ». قال: «وكان الحسن يقول: الكعبة قبلة كل الأنبياء».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٠)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٧) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «ابن بحر».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٦٠).

(٥) قوله: ﴿ليضِلُّوا﴾ ضبط في النسختين بضم الياء، لكن الظاهر مما سيأتي أنها بفتحها، وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع، وقرأ باقي السبعة: ﴿ليُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الرباعي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

وقيل: هي لامُ (كي)، والاستفهامُ مُقدَّرٌ[١].

وقيل: لامُ الأمرِ على وجهِ الدُّعاءِ عليهم[٢].

وقيل: لئلَّا يَضِلُّوا، و(لا) مُقدَّرٌ[٣].

﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: اجعَلْها حجارةً. مُجاهدٌ وقتادةُ ومُقاتلٌ: صارَتْ دنانيرُهم ودراهمُهم وزُروعُهم وسَكَرُهم[٤] حجارةً، وبقي شكلُها ونقشُها[٥].

والطَّمسُ: إذهابُ الشَّيءِ.

﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: اطبَعْ عليها. الضَّحَّاكُ: أهلِكْهُم[٦].

وقيل: اشدُدْ على قلوبِهم؛ ليصبِروا على الأموالِ المطموسةِ، ولا ينفِرُوا إلى الخِصْبِ والسَّعةِ.

﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ قيل: منصوبٌ بالجوابِ[٧]. وقيل: دُعاءٌ عليهم؛ أي: لا آمَنُوا.

---

(١) أي: الاستفهام مقدر في أول الكلام تقديره: أئنك آتيت، ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وكذلك قرأ بالاستفهام الفضل الرقاشي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكشاف» (٢/ ٣٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وعدَّه من العجيب.

(٤) لعل المراد بالسُّكر هنا: الطعام، ويدلُّ على ذلك ما رُوي عنه السدي: «مسخ الله أموالهم حجارة؛ النخل والثمار والدقيق والأطعمة. انظر: «البسيط» للواحدي (١١/ ٢٩٤)، و«القاموس المحيط» مادة (س ك ر).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٥)، عن قتادة بلفظ: «بلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة»، وذكره عن مقاتل: مكي في «الهداية» (٥/ ٣٣١٥)، وروي عن القرظي والضحاك وأبي العالية، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٩) بلفظ: «أهلكهم كفارًا».

(٧) النصب بالجواب هو النصب بأن المضمرة بعد فاء السببية أو واو المعية. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٧٩)، و«علل النحو» لابن الوراق (ص: ٤٣٠).

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: فلن يُؤمِنُوا، فصارَ النُّونُ ألفًا، وهذا ضعيفٌ[1].

وقيل: فلا يُؤمنون، وحُذِفَ النُّونُ تخفيفًا، وهذا أيضًا ضعيفٌ[2].

وقيل: تقديرُه: ليَضِلُّوا فلا يُؤمِنُوا، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، وهذا هو الوجهُ.

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ هو الغرقُ.

***

(٨٩) - ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: ثنَّى لأنَّ التَّقديرَ: قال موسى وهارونُ: ربَّنا.

وقيل: كان موسى يدعو وهارونُ يُؤمِّنُ، والمُؤمِّنُ داعٍ[3].

ومعنى ﴿أُجِيبَت﴾: استجابَ الله دُعاءَكما.

وقيل: هو من قولِهم: أجِبِ الدَّاعيَ؛ أي: مُرْ إليه[4].

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على ما أنتما عليه، ولا تترُكا دعاءَ فرعونَ وموعظتَه إلى أن يأتيَ العذابُ، وكانَ بينَ هذا الدُّعاءِ والغرقِ أربعون سنةً.

وقيل: استقيما على طاعتي واتِّباعِ أمري.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الصَّوابَ، وقيل: سبيلَ الكفَّارِ والجُهَّالِ.

وقيل: لا تستعجِلا قضائي، فلا خُلفَ لوعدي ووعيدي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٨).

(٤) قوله: «مُرْ إليه» كذا وقع في النسختين، والضبط من (و)، ولم تضبط الراء في (ن)، ولم يظهر لي معناها، ولعلها: «مُرَّ إليه».

ومَن قرأ بالتَّخفيفِ[١] فهو نفيٌ؛ أي: أنتما لا تتَّبعانِ سبيلَ الذين لا يعلمون، وقيل: حالٌ؛ أي: غيرَ مُتَّبعَين[٢]، وقيل: هي المُخفَّفةُ دخلَتْ للتَّوكيدِ.

***

(٩٠) ـ ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾؛ أي: صيَّرناهم إلى الشَّطِّ الآخرِ، تقولُ: جازَ الشَّيءَ وجاوَزَه واجتازَه: فارقَه فصارَ قُدَّامَه، وجاوزَ بغيرِه الشَّيءَ: جعلَه قُدَّامَه.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ أي: تبِعَهم، ومعنى (أتبعَهُم): أدركَهم، و(اتَّبَعَهم) موصولٌ[٣]: أخذَ في أثرِهم.

﴿بَغۡيٗا وَعَدۡوًا﴾: باغيًا عاديًا؛ أي: مُستكبِرًا ظالـمًا.

وذلك أنَّ الله أمرَ موسى أن يخرُجَ ببني[٤] إسرائيلَ من مصرَ ليلًا، فاستعارَ بنو إسرائيلَ منَ القِبْطِ حُليَّهم بعلَّةِ عُرسٍ لهم، وسرى بهم موسى وهم ستُّ مئةِ ألفٍ وعشرون ألفًا، لا يُعدُّ فيهم ابنُ ستِّين ولا ابنُ عشرين سنةً، مُتوجِّهين إلى البحرِ، وماتَ أبكارُ القِبْطِ تلك اللَّيلةِ وشُغِلوا عن بني إسرائيلَ حتَّى أصبحوا ـ وهو قولُه: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] ـ بعدَما دفَنُوا أولادَهم، فلمَّا بلغَ فرعونَ خروجُهم ركبَ في طلبِهم ومعه ألفُ ألفٍ وستُّ مئةِ ألفٍ[٥].

---

(١) قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان: (ولا تتبعانِ) بتخفيف النون، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٢) والنون على هذين القولين الأخيرين هي نون رفع المضارع.

(٣) أي: همزته همزة وصل، بخلاف (أتبع) فهمزته همزة قطع.

(٤) في (و): «بني».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٥) دون نسبة.

قال محمَّدُ بنُ كعبٍ: كان في عسكرِ فرعونَ مئةُ ألفِ حصانٍ أدهمَ سوى سائرِ الشِّياتِ(١)، وكان فرعونُ يكونُ في الدُّهْمِ، وكان هارونُ على مُقدِّمةِ بني إسرائيلَ، وموسى في السَّاقةِ، فلمَّا انتهَوا وقرُبَتْ منه مُقدِّمةُ فرعونَ وكانوا سبعَ مئةِ ألفِ رجلٍ، كلُّ رجلٍ على حصانٍ على رأسِه بيضةٌ وبيدِه حربةٌ، وفرعونُ خلفَهم في الدُّهْمِ، فقالَتْ بنو إسرائيلَ لموسى: أينَ ما وعَدْتَنا؟ هذا البحرُ أمامَنا إنْ دخلناه غرِقْنا، وفرعونُ خلفَنا إنْ أدرَكَنا قتَلَنا، قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله تعالى إليه أنِ اضرِبْ بعصاكَ البحرَ، فضَرَبَ فلم ينفلِقْ، وقالَ: أنا أقدَمُ منكَ وأشدُّ خَلقًا. فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى أن كنِّهِ وقُل: انفَلِقْ أبا خالدٍ بإذنِ الله. ففعَلَ، فانفلَقَ البحرُ، وصارَ فيه اثنا عشرَ طريقًا، لكلِّ سبطٍ طريقٌ، وكشفَ الله عزَّ وجلَّ عن وجهِ الأرضِ فصارَتْ طرقًا يابسةً، وارتفَعَ من كلِّ طريقٍ الماءُ كالجبلِ، وكانوا لا يرى بعضُهم بعضًا، ولا يسمعُ بعضُهم كلامَ بعضٍ، فقال كلُّ فريقٍ: قد غرِقَ أصحابُنا، فأوحى الله إلى الجبالِ من الماءِ تشبَّكي فتشبَّكَتْ، وصارَ فيه كهيئةِ الطِّيقانِ(٢)، فجعَلَ بعضُهم ينظرُ إلى بعضٍ، فلمَّا وصَلَ فرعونُ بجنودِه إلى البحرِ ورأوا البحرَ بتلكَ الهيئةِ قال فرعونُ: هابَني البحرُ. وخافُوا دخولَ البحرِ، وكان فرعونُ على حصانٍ، ولم يكُ في خيلِ فرعونَ فرسٌ أنثى، فجاءَ جبريلُ على فرسٍ وَدِيقٍ(٣)، وخاضَ البحرَ، وميكائيلُ يسوقُهم لا يشذُّ منهم رجلٌ، فلمَّا شَمَّ أدهمُ فرعونَ ريحَ فرسِ جبريلَ - وفرعونُ لا يراه - انسلَّ خلفَ فرسِ جبريلَ في الماءِ، ولم يملِكْ فرعونُ من أمرِه شيئًا، واقتحَمَتِ الخيولُ خلفَه في الماءِ، فلمَّا دخَلَ آخرُهم

---

(١) جمعُ شِيَة، وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٣٣)، و«الصحاح» مادة (و ش ي) (٦/ ٢٥٢٤).

(٢) في (و): «الطبقات»، وفي (ن): «الطباق»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٣) أتان ودوق ووديق: إذا أرادت الفحل. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (د ق و) (٢/ ٦٧٧).

البحرَ وهمَّ أوَّلُهم أن يخرُجَ انطبقَ الماءُ عليهم، فلمَّا ألجمَ فرعونَ الغرقُ قالَ: آمنتُ بالذي آمنَتْ به بنو إسرائيلَ، فدسَّ جبريلُ في فيه من حمأةِ البحرِ وقالَ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

فلمَّا أخبرَ موسى قومَه بهلاكِ فرعونَ وقومِه، قالت بنو إسرائيلَ: ما ماتَ فرعونُ ولا يموتُ، فأمرَ الله البحرَ فألقى فرعونَ على السَّاحلِ، فرأته[2] بنو إسرائيلَ، وهو قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾: لحقَه الموتُ بالماءِ ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾: صدَّقْتُ موسى ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: بأنَّه، ومَن كسرَ[3] فبإضمارِ القولِ؛ أي: آمنتُ وقلتُ: إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ءَامَنتُ﴾ تامًّا، ثمَّ استأنفَ فقالَ فرعونُ: إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي[4].

قُطربٌ: ﴿إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي﴾ من قولِ الله، وهذا ضعيفٌ.

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المُنقادين المُطيعينَ له.

***

(٩١) ـ ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾؛ أي: قالَ جبريلُ: آلآنَ تُؤمِنُ؟ وقيلَ: قالَ الله.

أي: أفي هذا الزَّمانِ تُؤمِنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾؛ أي: كفَرْتَ ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المانِعين النّاسَ منَ الإيمانِ.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٥) من طريق محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد، وسياق الثعلبي أتم.

(٢) في (و): «فرآه».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٤) «ويجوز أن يكون ﴿ءَامَنتُ﴾ تامًّا ثم استأنف فقال فرعون: إنه لا إله إلا الذي»: ليست في (ن).

(٩٢) - ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾.

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: نُلقيك على نَجوةٍ منَ الأرضِ ليراكَ بنو إسرائيلَ ميتًا[١].

﴿بِبَدَنِكَ ﴾؛ أي: بدرعِكَ[٢]، والمعنى: عليك سلاحُك، وذلك آيةٌ؛ لأنَّ الحديدَ يرسُبُ ولا يطفُو.

وقيل: ﴿بِبَدَنِكَ ﴾؛ أي: عُريانًا.

وقيل: نُخرِجُكَ صحيحًا لـم يأكُلْه شيءٌ من دَوابِّ الماءِ.

وقيل: نُخرِجُكَ على سوءِ عملِكَ.

وقيل: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾: نُخرِجُكَ من ملكِكَ فريدًا وَحيدًا، من قولِه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾: نُلقيكَ في البحرِ، منَ (النَّجا)، وهو ما سلَخْتَه عنِ الشّاةِ، أو ألقَيْتَه عن نفسِكَ من ثيابٍ وسلاحٍ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣) عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٠٦) عن أبي عبيدة، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس، وذكر أنه اختيار الزجاج وابن قتيبة.
وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٨)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٩٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢)، ولم يصرح ابن قتيبة والزجاج باختياره، ورواه ابن الأنبارِي وأبو الشَّيخ عن يونس بن حبيب النَّحويّ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٨)، وجعله المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣) قول الجمهور.

(٢) ولم يرتض هذا القول الأخفش والنحاس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٧).

وقيل: عطفٌ على الاستفهامِ قبلَه[١]؛ أي: أترجُو النَّجاةَ؟ هيهاتَ لا تنجُو، وهذا ضعيفٌ؛ لقولِه سبحانه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، ويُقالُ: اللامُ لامُ القسمِ على ما سبق.

وقيل: نترُكُكَ حتَّى تغرقَ، والنَّجاءُ: التَّركُ.

وقيل: نجعَلُكَ علامةً، والنَّجاءُ: العلامةُ.

وقيل: نُغرِقُكَ، من قولِهم: نَجا البحرُ أقوامًا: إذا أغرَقَهم[٢].

ويحتملُ أنَّه منَ (النَّجاءِ)[٣] الذي معناه: الإسراعُ؛ أي: نُنْجي إهلاكَك، وقولُه تعالى: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ تأكيدٌ؛ كما تقولُ: قال بلسانِه، وجاء بنفسِه[٤]. والله أعلم.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ في طولِ الزَّمانِ ﴿ءَايَةً﴾: عبرةً ونكالًا.

وقيل: لمَن تأخَّرَ عن قومِكَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: في موسى وفرعونَ وسائرِ الآياتِ ﴿لَغَٰفِلُونَ﴾: لاهون.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولم أقف على أحد سبق المصنف إلى هذا المعنى أو تابعه إلا أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣)، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣) أنه استند إلى ما حكاه الأزهري من قولهم: أنجى؛ إذا غرق، والذي حكاه الأزهري إنما هو: عرق؛ بالعين المهملة. انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ١٣٦)، و«لسان العرب» (١٥/ ٣٠٥).

(٣) تقول العرب: النَّجا النَّجا والنَّجاء النَّجاء بالمدِّ والقصر إذا جمعوا بينهما، وإذا أفردوا قالوا: النَّجاء؛ مدُّوه ولم يقصروه. نقله أبو علي القالي عن أحمد بن عبيد في «المقصور والممدود» (ص: ٢٨٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٤)، واستغربه، والظاهر أنَّ هذا الكلام هو احتمال أورده المصنف، ولم ينقله عن غيره، ولذلك نسبه إليه أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣).

(٩٣) - ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلْنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ﴾: مرضيٍّ في نفسِه صالحٍ، وكذلك في كلِّ شيءٍ تقولُ: رجلُ صدقٍ، وثوبُ صدقٍ.

وحكى أقضى القُضاةِ: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٖ﴾: تصدَّقَ به عليهم[1]. وهو ركيكٌ.

الحسنُ: يُريدُ به: مصرَ[2].

قتادةُ: الشّامُ وبيتُ المقدسِ[3].

الضَّحّاكُ: الشّامُ ومصرُ[4].

و﴿مُبَوَّأَ﴾: نصبٌ على أنَّه مفعولٌ، ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا والمفعولُ محذوفٌ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: اللَّذيذَ، وقيل: الحلالَ.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: المعلومُ عندَهم، وهو محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ أي: ما اختلَفُوا في كونِه نبيًّا حتَّى جاءَهُم.

وقيل: ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: القرآنُ.

وقيل: التَّوراةُ؛ اختلفوا في أحكامِها.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٩).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

وقيلَ: الدَّليلُ المُؤدِّي إلى العلمِ من جهةِ الرَّسولِ والكتابِ، فآمَنَ به بعضٌ وكفَرَ به بعضٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: يُظهِرُ لهم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ رُوِيَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال: «لا أَشُكُّ ولا أَسأَلُ» فلم يسأَلْ(١).

وقيلَ: خِطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه؛ كقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

وقيلَ: (إنْ) هاهنا للنَّفيِ؛ أي: ما كنتَ في شكٍّ، كقولِه: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

وقيل: هذا تبكيتٌ للشَّاكِّين، كقولِه لعيسى عليه السَّلامُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] تبكيتًا لقائليه.

وقيل: ﴿فِى شَكٍّ﴾: في ضيقِ صدرٍ؛ أي: إنْ ضِقْتَ به ذَرْعًا فاصبِرْ واسألِ الذين يقرؤُونَ الكتابَ من قبلِكَ: كيفَ صبرَ الأنبياءُ؟

قالَ الفرَّاءُ في جماعةٍ: هذا كقولِ الرَّجلِ لعبدِه وابنِه: إنْ كنتَ عبدي

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٨) عن قتادة مرسلاً.

فأطِعْني، وإنْ كنتَ ابني فلا تُخالفني، وليس هو بشاكٍّ فيهما[1].

واختارَ هذا القولَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين، وفيه ضَعْفٌ؛ لأنَّ قولَ القائلِ لعبدِه وابنِه: «إنْ كنتَ» تقديرُه: أنتَ عبدي وأنتَ ابني، فيصيرُ تقديرُ الآيةِ: أنتَ في شكٍّ؛ إذ ليس في الآيةِ على تأويلِهم ما يدلُّ على النَّفي.

ويحتملُ أن يُقالَ[2]: ليس هذا خطابًا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، بل خطابُه مُضمَرٌ، وتقديرُه: قل يا محمَّدُ للشَّاكِّ في نُبوَّتِكَ: فإنْ كنتَ في شكٍّ ممَّا أنزَلْنا إليك؛ والقرآنُ منزَّلٌ على الأنبياءِ، ومُنزَّلٌ إلى كلِّ واحدٍ من الخلقِ؛ كقولِه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقد سبقَ.

ويُقوِّي هذا ما بعدَه من قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤]، وقولِه: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ أي: مُؤمِني أهلِ الكتابِ ومُتديِّنيهم، وقيلَ: عبدَ الله بنَ سلامٍ رضي الله عنه وأضرابَه؛ ليُخبِروك بصحَّةِ نُبوَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وعلى هذا باقي الآياتِ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين، وقُلْ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أعزُّ وأجلُّ قدرًا عندَ الله سبحانَه وتعالى من أن يُخاطبَه بمثلِ هذا الخطابِ أصلًا ورأسًا.

وقولُهم: هو بمنزلةِ قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فليس

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣)، ورأى أنَّه الوجه الذي ينبغي اعتماده، وهذا الوجه مروي عن ثعلب والمبرد. انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٨٢).

كذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ مأمورٌ بالتَّقوى كسائرِ المؤمنين، وهو في حكمِ الطَّلاقِ كغيرِه منَ المؤمنين، وسيأتي في موضعِه، والحمدُ لله حقَّ حمدِه(١).

***

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وجَبَ عليهم الوعيدُ، قيل: هو قولُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقيل: كلمتُه: لعنتُه في قولِه: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقيل: سَخَطُه بما عَصَوه.

وقيل: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: إخبارُه أنَّهم لا يُؤمِنُون، يُريدُ به: مُشركي العربِ.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ فحينَئذٍ لا ينفعُهم إيمانُهم كما لـم ينفعْ فرعونَ إيمانُه.

***

(٩٨) ـ ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾.

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ﴾ أي: فهلَّا أهلُ قريةٍ آمَنُوا بأجمعِهم قبلَ مجيءِ العذابِ فنفعَها إيمانُها كما فعَلَ قومُ يونسَ؛ يُحرِّضُهم على الإيمانِ(٢).

---

(١) في (ن): «في موضعه إن شاء الله تعالى».

(٢) ذكر هذا الوجه يحيى بن سلام في «التصاريف» (ص: ١٤١)، وقد قرأ أبيٌّ وعبد الله: (فهلّا) بدل ﴿فَلَوۡلَا﴾، كما في «بصائر ذوي التمييز» (٤/ ٤٥٩).

وقيل: فما كانت قريةٌ آمنَتْ بعدَ مجيءِ العذابِ فنفعَها إيمانُها ـ كما لم ينفَعْ فرعونُ ـ إلّا قومَ يونسَ، فإنَّهم لـمَّا رأَوا أماراتِ العذابِ آمَنُوا فنفعَهم إيمانُهم، وهو قوله:

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الهلاكَ والهوانَ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى آجالِهم.

وقيل: كشَفْنا عنهم العذابَ إلى يومِ القيامةِ، فيُجازَونَ بالثَّوابِ والعقابِ.

وذلك أنَّ يونسَ عليه السَّلامُ ـ فيما ذكرَه المُفسِّرون ـ بعثَه الله إلى أهلِ نينَوى من أرضِ الموصلِ، فدعاهُم إلى الإسلامِ، فأبَوا ثمَّ دعاهُم فأبَوا، فأوحى اللهُ إليه: أن أخبِرْهُم أنَّ العذابَ مُصبِّحُهم إلى ثلاثٍ، فأخبرَهم وخرجَ من بينِ أظهُرِهم، فقالوا: إنَّا[1] لم نُجرِّبْ عليه كذبًا، فانظُروا فإنْ خرَجَ من بينِنا فاعلموا أنَّ[2] العذابَ مُصبِّحُكم، فلمَّا أصبَحُوا غامَتِ السَّماءُ غيمًا أسودَ هائلًا له دخانٌ شديدٌ، فهبطَ حتّى غشيَ مدينتَهم، فلمَّا رأوا ذلك أيقَنُوا بالهلاكِ، فطلَبُوا يونسَ فلم يجِدوه، وقذَفَ الله في قلوبِهم التَّوبةَ، فخرَجُوا إلى الصَّعيدِ بأنفُسِهم ونسائِهم وصبيانِهم ودوابِّهم، ولبِسُوا المسوحَ وأخلَصُوا النِّيَّةَ، وأظهَرُوا الإيمانَ والتَّوبةَ، وفرَّقُوا بين كلِّ والدةٍ وولدِها منَ النَّاسِ والأنعامِ يحِنُّ بعضُها إلى بعضٍ، وعلَتْ أصواتُها، واختلَطَتْ أصواتُها بأصواتِهم وحنينُها بحنينِهم، وعجُّوا وتضرَّعُوا إلى الله وقالوا: يا حيُّ حينَ لا حيَّ، يا حيُّ مُحيي الموتَى، يا حيُّ لا إلهَ إلّا أنتَ. فكشَفَ الله عنهم العذابَ، وكان يونسُ قد جنحَ وأقام ينتظرُ العذاب، فلمَّا كَشفَ اللهُ

---

(١) في (و): «كنا».

(٢) في (و): «فإن» بدل: «فاعلموا أن».

عنهم العذاب قال: كيفَ أرجعُ إلى قومي وقد كذَّبْتُهم؟ فذهَبَ مُغاضِبًا لقومِه، وركبَ السَّفينةَ(١)، ويأتي في موضعِه إن شاءَ الله.

قولُه: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، ويجوزُ أن يكونَ صحيحًا(٢).

***

(٩٩) - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ يُريدُ: إيمانَ اضطرارٍ وإكراهٍ، وكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حريصًا على إيمانِ قومِه، وقيل: نزلَتْ في أبي طالبٍ.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

***

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٩٣ - ٢٩٥). وهو مجموع من أخبار رواها الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٢ - ٢٩٦) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وابن جريج.

وما جاء من دعائهم في آخره رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٦) عن أبي الجلد، هو جيلان بن أبي فروة الأسدي.

(٢) قال النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٣١٩): «هذا عند الخليل وسيبويه استثناء ليس من الأول، وقال غيرهما: هو استثناء منقطع»، وأجاز الفراء أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً بما قبله، وهو ما عبَّر عنه المصنف بكلمة (صحيح)، وقد ذكر أبو عبيد أن (إلا) هنا بمعنى الواو، ولم يُتابع على ذلك. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٥)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨٢).

(١٠٠) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه وإرادتِه، وقيل: بإطلاقِه لها ذلك، وقيل: بإذنٍ أذِنَ لها فيه، فلا تُجهِدْ نفسَكَ في هُداها؛ فإنَّ ذلك إلى الله.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذابَ. وقيل: الإثـمَ. وقـيل: النَّتْنَ والعذابَ. وقيل: الشَّيطانَ. وقيل: الغضَبَ والسَّخَطَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ دلائلَه وأوامرَه ونواهيَه.

* * *

(١٠١) ـ ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تفكَّروا في عجائبِ صُنعِ الله فيهما؛ فإنَّها كلَّها تدلُّ على وحدانيَّتِه وقُدرتِه.

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾ يجوزُ أن يكونَ (ما) نفيًا، ويجوزُ أن يكونَ استفهامًا.

ومعنى ﴿تُغْنِى﴾: تنفعُ، وقيل: تدفعُ؛ أي: الآياتُ مع كثرتِها لا تنفعُ ولا تدفعُ المُعانِدَ الجاحِدَ.

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾: جمعُ نذيرٍ، وقولُه: ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: حكَمَ الله بكُفرِهم.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: ما ينتظِرونَ إلَّا أيَّامًا يقعُ عليهم فيها العذابُ ﴿مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾.

وأيّامُ الله: عُقوباتُه، وأيّامُ العربِ: وقائِعُها.

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مثلَها إنْ لم تؤمنوا ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لذلك.

وقيل: انتظِروا هلاكي إنِّي معكُم منَ المُنتَظرين هلاكَكُم، جوابٌ لهم حينَ قالوا: نتربَّصُ بكمُ الدَّوائرَ.

***

(١٠٣) - ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: كنَّا أهلَكْنا الذينَ خلَوا، ثمَّ نجَّينا الرُّسلَ والمُؤمنينَ.

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: نُنجي محمَّدًا عليه السَّلامُ ومَن آمنَ معه.

وقولُه تعالى: ﴿حَقًّا﴾ يجوزُ أن يكونَ صفةَ مصدرٍ؛ أي: إنجاءً حقًّا، ويجوزُ أن يكونَ تأكيدًا للكلامِ؛ أي: حقًّا غيرَ شكٍّ.

وقولُه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بالأوَّلِ، ويجوزُ أن يكونَ بالثَّاني[1].

***

(١٠٤) - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾: خطابٌ لأهلِ مكَّةَ؛ أي: إنْ كنتم لا تعرِفونَ ما أنا عليه فأنا أُبيِّنُه لكم.

---

(١) فيكون في محل نصب نائب مصدر للفعل ﴿نُنَجِّى﴾، ويكون الوقف عنده، أو في محل نصب نائب مصدر للفعل ﴿نُنجِ﴾، ويكون الوقف عند ﴿ءَامَنُواْ﴾، ذكر الوجهين النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ٣١٢)، وذكر أن الوجه الأول هو اختيار ابن قتيبة.

وقيل: إنْ كنتُم في شكٍّ من ديني فأنا عليه[1] على يقينٍ. ثمَّ وصفَ دينَه فقال: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ﴾.

وقيل: إنْ شكَكْتُم في أنَّ ديني أفضلُ أم دينُكم[2] فاسمَعُوا.

وجعلَهُم شاكِّين لاضطرابِهم عند نزولِ الآياتِ.

وقيل: كان فيهم شاكُّون؛ كقولِه حكايةً عن الكفَّارِ: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبُدونَه منَ الأصنامِ لأجلِ شكِّكُم، ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾: يُميتُكم ويقبِضُ أرواحَكُم، وصَفَه بوصفٍ لا يُمكِنُهم دفعُه، وفيه إنذارٌ لهم؛ لأنَّ وفاةَ الكافرين ميعادُ عذابِهم.

﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بما أتى به الأنبياءُ قبلي.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿وَأَنۡ أَقِمۡ﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ تقديرَ قولِه: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: كُنْ مُؤمنًا ثمَّ أَقِمْ ﴿وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾؛ أي: استقبلِ الكعبةَ في الصَّلاةِ وتوجَّهْ نحوَها.

وقيل: استقِمْ مُقبِلًا بوجهِكَ على ما أمرَكَ الله ﴿حَنِيفًا﴾: على ملَّةِ إبراهيمَ.

وقيل: تقديرُه: وأوحَيْنا إليك أنْ أَقِمْ وجهَكَ.

---

(١) «عليه» من (ن).

(٢) كذا ضبطت في (و)، وهي بلا ضبط في (ن)، ووجهها أن تكون (أم) قد عطفت جملة على جملة، و(دينكم) مبتدأ خبره محذوف، والله أعلم.

ويحتملُ: أُوحِيَ إليَّ أنْ أقِمْ؛ ليكونَ في مُقابلةِ ﴿أُمِرْتُ﴾.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ أي: لا ينفعُكَ إنْ دعوتَه ولا يضرُّكَ إنْ خذلتَه؛ أي: لا تدْعُ آلهةً كما يدعو المشركونَ الأوثانَ آلهةً.

وقيل: هذا تحقيرٌ للأوثانِ وهَوانٌ.

﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين وضَعُوا الدُّعاءَ غيرَ موضعِه.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: يُصِبْكَ به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: لذلك الضُّرِّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلّا الله، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾؛ أي: إن يُرِدْ بكَ خيرًا يوصِلْه إليك ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: لا رادَّ لمُرادِه ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالخيرِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فلا تيأَسُوا من غُفرانِه ورحمتِه.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهلَ مكّةَ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ والقرآنَ؛ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: آمَنَ بمحمَّدٍ وعمِلَ بما في الكتابِ ﴿فَإِنَّمَا

﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فلنفسِه ثوابُ اهتدائِه، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: كفرَ بهما ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على نفسِه وَبالُ ضلالِه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحافظٍ رعايةَ ما وُكِّلَ به، فانظُروا لأنفُسِكم، وقيل: ﴿بِوَكِيلٍ﴾ مُسيطرٍ.

***

(١٠٩) - ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ منَ التَّبليغِ والتَّبشيرِ والإعذارِ والإنذارِ.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ وتحمُّلِ المكارِهِ ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بالعذابِ أو يأمرَ بالقتلِ والجهادِ، ثمَّ نَسَخَ فأمرَ بقتلِ المُشركينَ وأخذِ الجزيةِ من أهلِ الكتابِ[1]، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنَّه المُطَّلعُ على السَّرائرِ، فلا يحتاجُ إلى بيِّنةٍ وشُهودٍ.

***

(١) قال النحاس في الآية: «مذهب ابن زيد أنها منسوخة، وإنما نُسخ منها الصبر». انظر: «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣١).

سُورَةُ هُودٍ

سُورَةُ هُودٍ

مئةٌ وثلاثٌ وعشرونَ آيةً(١). مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا آيةً من قولِه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤](٢).

ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قيلَ له: عجَّلَ إليك الشَّيبُ، فقال: «شيَّبَتْني سورةُ هودٍ وأخواتُها؛ الحاقَّةُ والواقعةُ وعمَّ يتساءلونَ والغاشيةُ»(٣).

---

(١) «مئة وثلاث وعشرون آية»: من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٥)، وفيه: «وهي مئة وإحدى وعشرون آية في المدني الأَخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي، اختلافها سبع آيات...».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٦١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٥).

(٣) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٨) بإسنادين عن أبي جحيفة، وعن أنس رضي الله عنه.

وروى نحوه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابنُ عبّاسٍ إلا من هذا الوجه».

وذكر الدارقطني هذا الحديث، وأطال الكلام عليه في «علله» (١/ ١٩٤ ـ ٢١٠) وذكر الاختلاف فيه، فلينظر ثمَّة.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هذا كتابٌ.

وقيل: ﴿الٓر﴾ اسمُ كتابٍ، وقيل: ﴿الٓر﴾ بعضُ حروفِ كتابٍ، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ عن التَّناقُضِ والكذبِ والباطلِ.

وقيل: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالنَّظمِ العجيبِ، واللَّفظِ الرَّصينِ، والمعنى البديعِ.

وقيل: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالحُجَجِ والدَّلائلِ.

وقيل: أُحكِمَ القرآنُ من أن يُنسَخَ بكتابٍ سواه، كما نُسِخَ سائرُ الكتبِ به.

وقيل: أُحكِمَتْ آياتُ هذه السُّورةِ، فليس فيها منسوخٌ(١).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾: أُنزِلَتْ فَصلًا فَصلًا، ونَجمًا نَجمًا.

مجاهدٌ: معنى ﴿فُصِّلَتۡ﴾: فُسِّرَتْ(٢).

---

(١) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣١): «لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب إلا آية واحدة» ثم روى عن ابن أبي عباس أنّ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ثم قال: «محال أن يكون ها هنا نسخ؛ لأنه خبر».

أما ابن حزم فذكر أن المنسوخ منها ثلاث آيات؛ هذه، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، وهاتان منسوختان بآية السيف. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥).

ابنُ عبَّاسٍ: بُيِّنتْ بالأحكامِ والحلالِ والحرامِ[١].

الحسنُ: أُحكِمَتْ آياتُه بالأمرِ والنَّهيِ، ثمَّ فُصِّلَتْ بالوعدِ والوعيدِ، والثَّوابِ والعقابِ[٢].

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾؛ أي: هذا الكتابُ من عندِ الله.

الحكيمُ: يضَعُ الشَّيءَ موضِعَه.

الخبيرُ: يعلَمُ ما كانَ وما يكونُ.

***

(٢) ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: ضُمِّنَ[٣] أنْ لا تعبُدوا إلّا الله، وقد فُصِّلَ بأنْ لا تعبُدوا... وقيل: كتَبَ أنْ لا تعبُدوا إلّا الله[٤]، فتكونُ (أنْ) للمصدرِ[٥]، ويجوزُ أنْ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٣). وصرح الواحدي بأنه عن ابن عباس من رواية الكلبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٧)، واستغربه.

(٣) الظاهر أن (ضمِّن) هنا مبني للمجهول، وأن الفاعل هو الله سبحانه، ونائب الفاعل خبر مستتر يعود على (الكتاب)؛ لأن العبارة مبنية على القول بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ بدلٌ من ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾، وقد وصف أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٢٠) هذا التقدير بأنه بمعزل عن علم الإعراب. انظر: «الدر المصون» (٦/ ٢٨٠).

(٤) من قوله: «وقد فصل» إلى قوله: «إلا الله» ليست في (و).

(٥) هي في محل نصب بنزع الخافض، والجملة بعدها نفي. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨).

تكـونَ المُفسِّـرةَ[1]، ويجوزُ أن تكـونَ رَفْعًا؛ أي: في الكتـابِ أنْ لا تعبُدوا إلّا اللهَ[2].

﴿إِنَّنِي لَكُم﴾؛ أي: قل يا محمَّدُ: (الر كتاب)... (إنني لكم).

وقيل: قل: لا تعبُدوا إلّا اللهَ إنَّني لكم.

﴿مِّنْهُ﴾: منَ الله، ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: مُنذِرٌ ومُبشِّرٌ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ حكـمُ (أنْ) حكـمُ الأوَّلِ، والمعنـى: سَـلُوه مغفـرةً مـن ذنوبِكـم، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: ارجِعُـوا إليـه بالطَّاعـةِ والعبـادةِ.

وأخَّرَ التَّوبةَ لأنَّ التَّقديرَ: سَلُوا اللهَ المغفرةَ، وتوسَّلوا إليها[3] بالتَّوبةِ؛ فالمغفرةُ أوَّلٌ في الطَّلبِ وآخِرٌ في السَّببِ.

وقيلَ: استغفِروا لِمَا مضى منَ الذُّنوبِ، ثمَّ توبوا إليه لِمَا عسى يقعُ منَ الذُّنوبِ في المُستأنَفِ، حكاهما ابنُ عيسى[4].

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ يدلُّ على التَّقديمِ.

---

(١) ولا محل لها من الإعراب، والجملة بعدها نهي. انظر: «التبيان» للعكبري (٢/ ٦٨٩)، و«الكشاف» (٢/ ٣٧٨).

(٢) وهـي علـى هـذا الوجـه مخففـة مـن الثقيلة فـي محـل رفع مبتـدأ، وقـد ذكـر المصنف نحـوه في «غرائـب التفسـير» (١/ ٤٩٨)، واسـتغربه، لكنه جعـل الرفع بتقديـر: هو أن لا تعبـدوا، فتكون في محـل الرفـع خبر.

(٣) أي: إلى المغفرة.

(٤) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨) بلا نسبة، واستغرب هذا الثاني.

الفرَّاءُ: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا بمنزلةِ الواوِ[١].

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعِشْكُم في خَفْضٍ[٢] ودَعَة، وأمْنٍ وسَعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الموتُ، سعيدُ بنُ جُبيرٍ: يومُ القيامةِ[٣].

ابنُ عبَّاسٍ: إلى وقتٍ لا يعلمُه إلّا اللهُ[٤].

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾؛ أي: كلَّ ذي حسنةٍ وخيرٍ جزاءَ فضلِه في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿فَضْلَهُۥ﴾ لله.

الضَّحَّاكُ: كلَّ ذي عملٍ جزاءَ عملِه[٥].

وقيل: يُريدُ تضعيفَ الحسناتِ.

الزَّجَّاجُ: مَن كانَ ذا فضلٍ في دينِه، فضَّلَه اللهُ في الدُّنيا بالمنزلةِ كما فضَّلَ أصحابَ نبيِّه عليه السَّلامُ، وفي الآخرةِ بالثَّوابِ الجزيلِ[٦].

---

(١) لم أجده في «معاني القرآن» للفراء، وما فيه يدلّ على خلاف هذا؛ فإنه ذكر (١/ ٣٩٦) أن (ثم) يمكن أن تكون للاستئناف، أو أنها لترتيب الخبر لا لترتيب الوجود، ثم قال: «وخِلْقَةُ (ثم) أن يكون آخِر، وكذلك الفاء، فأما الواو فإن شئت جعلت لآخر هو الأول الأول هو الآخر»، وهذا يدلّ على أنه يرى الترتيب بـ(ثم)، وهذا ما نقله عنه السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٤/ ٣٣٤)، أما ما ذكره المصنف فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٥)، وأبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٩٨٨)، والمرادي في «الجنى الداني» (ص: ٤٢٨)، وكثيرة هي الأقوال التي تنسب إلى الفراء من غير تحقيق، والله أعلم.

(٢) في (و): «حفظ».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٧).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨).

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ قيل: أصلُه: تَتولَّوا، فحُذِفَ التّاءُ، والدَّليلُ عليه قراءةُ ابنِ كثيرٍ: ﴿وإنْ تّولَّوا﴾ بالتَّشديدِ(١).

وقيلَ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ ماضٍ، وقولُه: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بلفظِ الخِطابِ على التَّلوينِ.

واليومُ الكبيرُ: يومُ القيامةِ.

وقيل: في الدُّنيا فابتُلُوا بالقَحْطِ حتَّى أكلوا الجيفةَ.

وقيل: ﴿أَخَافُ﴾: أعلمُ.

***

(٤) ـ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رُجوعُكُم، شذَّ عن القياسِ(٢). وقيل: مَوضِعُ رُجوعِكُم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾.

***

(٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّها نزلَتْ في الأخنَسِ بنِ شَرِيقٍ، وكانَ مُنافقًا حُلوَ الكلامِ(٣).

وقال المُفسِّرون: نزلَتْ في طائفةٍ مِنَ المُشركينَ قالوا: إذا أغلَقْنا أبوابَنا،

---

(١) هي رواية البزي عن ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ٨٣)، و«النشر» (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٤/ ٨٨).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٨) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

وأرخَيْنـا سُـتورَنا، واستغشَـيْنا ثيابَنـا، وطوَيْنـا صدورَنـا علـى عداوةِ محمَّـدٍ، كيف يعلَـمُ بنـا؟ فأنـزلَ الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾[(١)].

فيه وجهانِ:

أحدُهما: وهو قولُ الجمهورِ؛ أي: يطوونَها ويعطِفُونَها على عداوةِ محمَّدٍ، وقيلَ: على الكفرِ، وقيل: على حديثِ النَّفسِ، من قولِـهم: ثنيتُ الشَّيءُ: عطَفْتُه، ومنه: الاثنان والاستِثناءُ والثَّناءُ[(٢)].

والثّاني: ولَّوا ظُهورَهم[(٣)]، وهو قولُ عبدِ الله بنِ شدَّادٍ[(٤)].

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ معناه: ليستَتِرُوا منَ الله بزَعمِهم.

وهذا يحتاجُ إلى بيانٍ؛ فإنَّ ثنيَ الصُّدورِ على الكفرِ[(٥)] والعداوةِ لا تكونُ علَّةً لاستِتارةِ النُّفوسِ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: تقديرُه: ليستَخفِيَ سرُّهُم، فحُذِفَ المُضافُ وأُسنِدَ الفعلُ إلى الضَّميرِ فارتفَعَ به.

أو يُقالُ: تقديرُه: ليستَخْفُوا هم[(٦)] بما أسرُّوا، فحُذِفَ؛ لأنَّ معنى (استَخْفَى به) و(أخفاه) واحدٌ.

ومَن جعَلَ معناه: ولَّوا ظُهورَهم، لم يحتَجْ إلى هذا التَّأويلِ، ويكونُ ﴿مِنۡهُۚ﴾ عائدًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وهو قولُ ابنِ شدَّادٍ.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٨).

(٢) انظر: «لسان العرب» مادة (ث ن ي) (١٤/ ١١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨)، واستغربه.

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٦) بلفظ: «كان أحدهم إذا مر برسول الله ﷺ قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره».

(٥) من قوله: «وقيل: على حديث النفس» إلى هنا ليس في (و).

(٦) «هم»: ليست في (و).

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: جوابٌ على وَفْقِ كلامِهِم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبِهِم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواهِهِم.

ابنُ عبَّاسٍ: عملَ اللَّيلِ وعملَ النَّهارِ(١).

وقيل: يُريدُ: اللَّيلَ والوقتَ الذي يأوي إلى فراشِه في الظُّلمةِ ويتغطَّى بثيابِه ويستَخفي بسرِّه، وذلك النِّهايةُ في الخفاءِ، وهو لله ظاهرٌ جليٌّ.

وقيل: نزلَتْ في قومٍ كانوا لا يتعرَّونَ ولا يُبدونَ أجسادَهُم للسَّماءِ، وكانوا يتمسَّكُونَ بسَترِ أجسادِهم بالثِّيابِ، ويزعُمونَ أنَّ ذلك يُقرِّبُهم منَ الله(٢)، فأعلَمَهُم سُبحانَه أنَّ هذا اعتقادٌ باطلٌ، وأنَّه يجزي بالنِّيَّاتِ ويعلمُ الطَّوِيّاتِ، وهذا قولٌ زيَّفَه المُفسِّرون.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بأسرارِ ذاتِ الصُّدورِ.

وقيل: ذاتُ الصُّدورِ: القلوبُ.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ما من حيوانٍ يأكُلُ ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: غذاؤُها وما تحتاجُ إليه، تكفَّلَ الله بأرزاقِهم فضلًا منه ورحمةً.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٨). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٠) بلفظ: «﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: فاعملوا بالليل والنهار».

(٢) روى معناه البخاري (٤٦٨١) عن محمد بن عباد: أنه سمع ابنُ عبّاسٍ يقرأ: (ألا إنهم تَثْنَوْني صدورُهم)، قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

وقيل: إلّا منَ الله رزقُها.

وقيلَ: إلى الله رزقُها؛ إنْ شاءَ وسَّعه، وإن شاءَ ضيَّقَه.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾؛ أي: مأواها في حياتِها ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: قبرَها بعدَ موتِها، وقد سبقَ في قولِه: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨].

﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللَّوحَ المحفوظَ.

* * *

(٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يُريدُ: وما بينَهما ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ: من أيّامِ الآخرةِ(١).

الحسنُ: من أيَّامِ الدُّنيا(٢)، وقد سبقَ.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؛ أي: فوقَ الماءِ قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، وكانَ الماءُ على متنِ الرِّيحِ.

وقيل: هو كقولِكَ: السَّماءُ فوقَ الأرضِ، لا أنَّه مُتَّصلٌ به.

وقيل: ثمَّ خلقَ العرشَ، وصارَ عرشُه على الماءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٦).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٩). وبعض المفسرين رجح قول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما من أنها من أيام الآخرة وعده قول الجمهور كالمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وبعضهم رجح قول الحسن أنها من أيام الدنيا، وعده قول الجمهور، كابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٠٤).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: وخلقكم ليبلُوَكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

صاحبُ «النَّظمِ»: كلٌّ في كتابٍ مُبينٍ ليبلُوَكم.

ابنُ عبّاسٍ: ليبلُوَكم أيُّكم أعمَلُ بطاعتِه[1].

مقاتلٌ: أتقَى لله[2].

الحسنُ: أزهَدُ في الدُّنيا[3].

ابنُ عمرَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «أيُّكم أحسَنُ عقلًا، وأورَعُ عن محارمِ الله، وأسرَعُ في طاعةِ الله»[4].

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما هذا الذي تقولُ إلّا سحرٌ مبينٌ؛ أي: إحياءُ الموتَى سحرٌ.

وقيل: إلّا باطلٌ. وقيل: السِّحرُ هاهنا: الخِداعُ[5].

ومَن قرأ: ﴿ساحرٌ﴾ بالألفِ[6]، فإنَّهم عَنَوا به النَّبيَّ عليه السَّلامُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٢٣)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٢)، وفيه: «خلقهما وما فيهما من الآيات ليختبركم أيكم أحسن عملًا لربه».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٢٥)، وفيه داود بن المحبر، وقد ذكر هذا الحديث في «كتاب العقل». قال الدارقطني: «كتاب العقل وضعه أربعة وضعه ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه داود ابن المحبر منه فركبه بأسانيد غير ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي وركبه بأسانيد أخرى». انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥).

(٥) قاله صاحب «النظم» كما في «البسيط» للواحدي (١١/ ٣٥٦).

(٦) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ إلى حينٍ؛ كقولِه: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: جماعةٍ منَ الزَّمانِ.

وقيلَ: إلى مجيءِ أمَّةٍ وانقراضِ أمَّةٍ.

وقولُه: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾؛ أي: معلومةٍ، وقيل: قلائلَ.

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعُ العذابَ منَ الوقوعِ، قالوه استهزاءً.

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: العذابُ يومَ بدرٍ ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾؛ أي: ليس العذابُ مصروفًا ﴿عَنْهُمْ﴾ وقيل: ليس اليومَ مصروفًا عنهم، ثمَّ قالَ: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: العذابُ. وقيل: أحاطَ بهم ونزَلَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ﴾: وسَّعْنا عليه النِّعمةَ، والنَّعماءُ: النِّعمةُ مع النِّعمةِ[1]، يُريدُ: المالَ والصِّحَّةَ ﴿بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾: بعد الفقرِ الذي نالَه.

والضَّرّاءُ: الفقرُ المُضِرُّ بالبدنِ لعدَمِ المالِ.

﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾؛ أي: لو كشَفْنا عنه الضُّرَّ الذي نزَلَ به ظنَّ أنَّه فازَ بخيرٍ لا يُفارِقُه؛ لأنَّه لا يعرِفُ نقمَ الله وتغييراتِه.

---

(١) ذكر العسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ١٩٧): أن النعماء هي النعمة الظاهرة، والنعمة قد تكون خافية، فلا تسمى نعماء.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: مَرِحٌ أَشِرٌ.

والفَرَحُ مذمومٌ حيثُ جاء في القرآنِ؛ كقولِه: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وكقولِه: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، والسُّرورُ محمودٌ حيثُ قال: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسان: ١١][١].

﴿فَخُورٌ﴾: مُتكبِّرٌ مُتطاوِلٌ.

***

(١١) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضَّرّاءِ، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وشكَرُوا على النَّعماءِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ يعني: الجنَّة.

والاستثناءُ صحيحٌ؛ لأنَّ الإنسانَ اسمٌ للجنسِ؛ أي: الإنسانُ بهذه الصِّفةِ إلّا المؤمنين، وقيل: مُنقطعٌ؛ أي: لكن الذين صبَروا[٢].

***

(١٢) ـ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ﴾ قال بعضُ المُشركين: ائتِنا بكتابٍ ليس فيه عيبُ آلهتِنا نُجالِسْك ونتَّبِعْك. وقالَ بعضُهم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ

---

(١) انظر: «تفسير ابن عرفة» (٢/ ٣٢٠).

(٢) الاستثناء الصحيح هو المتصل، وقد استخدم هذا التعبير ابن السراج في «الأصول» (١/ ٣٩٠)، واستخدمه الطبري، وتبعه على ذلك المفسرون، وليس هذا بشائع عن النحاة، وقد ذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٤) نحواً من كلام المصنف، واستخدم تعبير الاستثناء المتصل.

مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ الآية [الفرقان: ٧ ـ ٨]، فهمَّ بما قالَ الأوَّلون حِرْصًا على إيمانِهم، وهو أنْ لا يقرأ عليهم ما يكرَهُونَ، واهتمَّ بما قال الآخِرونُ، فأنزلَ اللهُ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ﴾[1].

﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾: غيرُ مُبلِّغِه إيّاهُم.

اللَّفظُ خبرٌ، والمعنى نهيٌ؛ أي: لا تركَنْ إلى كلامِهم ولا يضِقْ صدرُكَ باقتراحِهم، ولا تهتمَّ إنْ لم تُؤتَ ما سألُوكَه.

﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ يُنفِقُه ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يُصدِّقُه، هذا تفسيرُ الهاءِ في قولِه: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾، وتقديرُه: وضائقٌ بـ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ ـ الآيةَ ـ صدرُك.

وقيل: لأَنْ يقولوا، وقيل: هو أن يقولوا.

قال ابنُ الأنباريِّ: يجوزُ في الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾ ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يعودَ إلى ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

والثّاني: إلى التَّبليغِ.

والثّالثُ: إلى التَّكذيبِ[2].

والوجهُ ما ذكرتُ: أنَّها كنايةٌ فسَّرَها ما بعدَها.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلّا البلاغُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: عالمٌ حافظٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٦١)، وذكر مقاتل بعضه في «تفسيره» (٢/ ٢٧٣).

(٢) ذكر نحوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٤) بلا نسبة، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٨٢): «فإن قلت: لم عدل عن ضيِّقٍ إلى ضائق؟ قلت: «ليدلَّ على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً».

ابنُ عيسى: ﴿ضائقٌ﴾ في مُقابلةِ ﴿تَارِكُۢ﴾، ولأنَّ الضَّائقَ وصفٌ عارضٌ، والضِّيقُ وصفٌ لازمٌ[١].

***

(١٣) ـ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾: اختلقَه محمَّدٌ، ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في البلاغةِ، والإخبارِ عمَّا كانَ ويكونُ، ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾: مختلَقاتٍ بزعمِكُم.

الكلبيُّ: ﴿بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾: مثلِ سورةِ البقرةِ إلى سورةِ هودٍ، وهي العاشرةُ. وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنِّساءَ والمائدةَ والأنفالَ والتَّوبةَ مدنيَّاتٌ نزلَتْ بعد سورةِ هودٍ بزمانٍ، وسورةُ هودٍ مكِّيَّةٌ[٢].

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المُعاونةِ على المُعارضةِ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّه مُفترًى مُتقوَّلٌ؛ أي: ادعُوا كلَّ مخلوقٍ يقدرُ على مُعاونتِكُم، وهذا لأنَّه لمَّا قال: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أدخلَ فيه كلَّ مَن سواه، وأخرجَ بلفظِ الاستطاعةِ مَن لا يتكلَّمُ بالعربيَّةِ منهم.

***

(١٤) ـ ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾؛ أي: فإنْ لم يفعلِ المُدَّعون ما دعَوتُموهم إليه

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٢٩) بلا نسبة.

(٢) ذكر قول الكلبي والرد عليه: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤١).

لعجزِهم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ أنزلَه جبريلُ عليه السَّلامُ بإذنِ الله وعلمِه.

وقيل: من علمِ الله، والباءُ بمعنى (مِن).

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: واعلموا أنَّه لا إلهَ إلّا هو مُنزِّلُ القرآنِ على محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ أي: إذا رأيتُم العربَ قاطبةً عجزَتْ عن الإتيانِ بمثلِ شيءٍ منَ القرآنِ فأسلِموا.

وفي الآيةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه خطابٌ للكفَّارِ.

وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين؛ أي: فإنْ لـم يستَجيبوا لكم فقولوا لهم: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ وحدَه بلفظِ التَّعظيمِ، وفي هذا القولِ ضَعفٌ.

***

(١٥) ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانِه إلى النَّاسِ كإطعامِه إلى الفقراءِ[(١)] وكسوتِهم والعدلِ بينَ النَّاسِ، ولم يُؤمِنْ بالآخرةِ ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾؛ أي: وفَّاه الله جزاءَ عملِه الصَّالحِ في الدُّنيا بالحظِّ منها وبالجاهِ والرِّئاسةِ من غيرِ بخسٍ ولا نقصٍ.

وقيل: نزلَتْ في المنافقين الذين كانوا يغزُونَ مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيقولُ: يُعطَون منَ الغنيمةِ[(٢)].

---

(١) في (و): «كإطعام الفقير».

(٢) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ١٤١) عن الحسن أنها نزلت في المنافقين والكافرين وحمل =

(١٦) - ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ لأنَّهم استوفَوا جزاءَهم في الدُّنيا ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ في الدُّنيا؛ لأنَّهم لم يُريدوا به وجهَ الله ولم يُؤمِنوا به ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: حبطَ لأنَّ أعمالَهم كانت باطلةً.

وجُزِمَ ﴿نُوَفِّ﴾ لأنَّه جوابٌ للشَّرطِ، وهو قولُه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾.

***

(١٧) - ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، والبيِّنةُ: القرآنُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويقرؤُه عليه ﴿شَاهِدٌ﴾: جبريلُ ﴿مِّنْهُ﴾: منَ الله، هذا قولُ ابنِ عبّاسٍ في جماعةٍ[١].

وقيل: ﴿يتلوه﴾: يتبعُه ملَكٌ يحفظُه.

الحسنُ: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: لسانُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ[٢]. فيكونُ معنى ﴿يتلوه﴾: يقرؤُه.

= النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٣) الآية على طلب الغنيمة، وذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٨٤) نحو كلام المصنف.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٤)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٠)، واستغربه.

وعن ابنِ الحنفيَّة(١) أنَّه قال: قلتُ لأَبي رضي الله عنه: أنت التَّالي؟ قال: وما تعني بالتَّالي؟ قلتُ: قولَه سبحانه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: ودِدْتُ أنِّي هو، ولكنَّه لسانُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ(٢).

وعن الحسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلامُ(٣).

فيكونُ ﴿مَنْ كانَ﴾ هو المؤمنُ ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: على بيانٍ وبصيرةٍ من دينِه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: ويشهدُ له محمَّدٌ عليه السَّلامُ يومَ القيامةِ، من قولِه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقيل: ﴿يتلوه﴾: يتبعُ محمَّدًا ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ في تفسيرِه وأطنبَ(٤).

وقيل: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: أبو بكرٍ رضي الله عنه، حكاه محمَّدُ بنُ الهَيْصَمِ في تنزيلِه(٥).

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، سُمِّي ابن الحنفية تمييزاً له عن أولاد عليٍّ من فاطمة رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٢٨)، و«مسند الشاميين» (٢٦٣٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٣٤_٣٣٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٠)، وعدَّه من العجائب، وفيه: «في تفسيره»، وذكره أبو حيان في «البحر» (٦/ ١٣٥)، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» بقوله: «وفيه ما فيه». ومحمد بن الهيصم هو أبو عبد الله، شيخ الكرامية وعالمهم في وقته بخُراسان، وهو الذي ناظر الإمام أبا بكر بن فُورك بحضرة السلطان محمود بن سُبُكتكين، وليس للكرامية مثله في معرفة =

وقيل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بيانٍ وبصيرةٍ، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عقلُه.

وتقديرُ الآيةِ: أفمَن كانَ بهذه الصِّفةِ كمَن كان بضِدِّها، فحُذِفَ الجوابُ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ قيل: قبلِ نزولِ القرآنِ، وقيل: قبلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: التَّوراةُ عطفًا على الشَّاهِدِ، وقيل: مبتدأٌ، وقيل: كان الأصلُ النَّصبَ، عطفٌ على الهاءِ من ﴿يتلوه﴾، فرُفِعَ على الاستئنافِ؛ أي: ومن قبلِه كتابُ موسى كذلك؛ لأنَّ فيه ذكرَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ونعتَه.

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للنَّاسِ جميعًا، وقيل: لليهودِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بالتَّوراةِ.

وقيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ سلامٍ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ[1].

وقيل: فيمَنْ آمنَ منَ اليهودِ بمكَّةَ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ[2].

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: منَ الكفَّارِ الذين تحزَّبوا واجتمَعُوا على رسولِ الله عليه السَّلامُ وعداوتِه منَ اليهودِ والنَّصارَى وسائرِ المِلَلِ.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾: مصيرُه ومَورِدُه.

وهذا دليلٌ على بُطلانِ مذهبِ أحمدَ بنِ حمدانَ الهرويِّ؛ فإنَّه زعمَ: أنَّ الكفَّارَ في الحقيقةِ هم الدَّهريَّةُ، وأمَّا اليهودُ والنَّصارى وسائرُ أصنافِ الكفرةِ فليسوا بكفَّارٍ

= الكلام والنظر. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢٨/ ٢٣١).

(١) ذكر هذا القول والرد عليه: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٣).

(٢) في (و): «﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقيل: بالقرآن».

حقيقةً، ومنزلتُهم منزلةُ المُبتدِعةِ، يُنجِّيهم اللهُ يومًا منَ النَّارِ، حكى مذهبَه محمدُ بنُ الهَيْصَمِ وغيرُه من المُتكلِّمين[1].

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: من أنَّ موعدَه النَّارُ. وقيل: منَ القرآنِ.

قالوا: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه، ويَحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: قل للشَّاكِّ في ذلك: فلا تكُ في مريةٍ منه ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

***

(١٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: أعتى وأشدُّ كفرًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أنَّ له ولدًا وشريكًا، ووصفَه بغيرِ صفتِه، وافترى عليه ما لم يُنزِّلْه.

﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في المحشرِ للحسابِ ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: الحفظةُ، وقيل: الأنبياءُ، وقيل: الخلائقُ يعرفونَهم بسيماهم، وقيل: ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم.

﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: عذابُه وسَخطُه ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الكاذبين على ربِّهم، فهم الكفَّارُ.

***

(١٩) - ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينِ الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: عُدولًا عن طريقِ الصَّوابِ ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

---

(١) وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٢٠) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فائِتين هَرَبًا ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يمنعونَهم من عذابِه.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قيل: للَّذين أضلُّوا[1]. وقيل: يُضاعَفُ بتضاعُفِ الإجرامِ. وقيل: كلَّما مضى ضِعفٌ جاءَ ضِعفٌ.

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ثَقُلَ عليهم سماعُ الحقِّ وإبصارُه، و﴿ما﴾ نفيٌ.

وقيل: يُضاعَفُ لهم العذابُ بـ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ فلم يسمَعُوا، وبـ﴿مَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ الحقَّ فلم يُبصِروا[2].

وقيل: يُريدُ به: الآلهةَ.

***

(٢١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وهو أعظمُ الخسرانِ، ومعنى ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: خسِروا راحةَ أنفُسِهم وسعادتَها.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ عنى بذلك الأوثانَ، وقيل: بطلَ سعيُهم وخابَ رجاؤُهم، وقيل: لم ينتفِعُوا بكذبِهم.

***

---

(١) في (ن): «أضلوهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لأنَّهم ضلُّوا وأضلُّوا.

وقولُه: ﴿لَا جَرَمَ﴾ معناه: حقًّا.

وقيل: معناه: حقٌّ[(١)].

وقيل: معناه: لا بدَّ ولا محالةَ.

وذهبَ بعضُ النَّحويِّين إلى أنَّ (لا) ردٌّ لكلامٍ سابقٍ، ومعنى: ﴿جَرَمَ﴾: كسَبَ، وفاعلُه مُضمَرٌ تقديرُه: كسَبَ فعلُهم أنَّهم في الآخرةِ هم الأخسَرون، وكذلك قولُه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل: ٦٢]، ومنه قولُ الشّاعرِ:

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيَيْنةَ طَعْنَةً جرَمَتْ فَزارةَ بعدَها أن يغضَبُوا[(٢)]

وقيلَ: معنى (جَرَمَ): قطَعَ؛ أي: لا قطَعَ قاطعٌ عن ذلك[(٣)].

---

(١) في (و): «حق له». وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١): «قال بعضهم: (لا) نفي و(جَرَمَ) اسم ركِّبا، كما تقول: لا بد ولا محالة، ومعناه: حقٌّ، ومحلُّه رفع بالابتداء، وأن مع ما بعده في محل رفع بالخبر».

(٢) البيت لأبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف. كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٥٨)، وهو في «الكتاب» (٣/ ١٣٨) منسوب للفزاري، قال أبو محمد السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٣٤): «الشعر لرجل من بني فزارة، والمطعون رجل من فزارة، وذكر قصة فيها أن المطعون هو حصن بن حذيفة الفزاري، والمعنى: كَسَبَت الطعنةُ فَزارَةَ الغضبَ عليك». وورد البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٢)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٣)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٥٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤)، و«الصحاح» مادة: (ج ر م).

(٣) ذكر المصنف أن (لا) ردٌّ لكلام سابق، وذكر في معنى الفعل (جَرَمَ) ثلاثة أقوال: بمعنى كسب، وقطع، ووجب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، وانظر أقوال النحاة في (لا جرم) في: «الكتاب» (٣/ ١٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٣٥٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٧٩)، و«حروف =

وقال بعضُهم: (جَرَمَ) اسمٌ يُبنَى مع (لا) على الفتحِ؛ كقولهم: لا بدَّ، ولا محالةَ.

ورُوِيَ عن العربِ: «لا جرمَ إنَّه» بالكسرِ[1]، ورُوِيَ أيضًا: «لا جَرَ أنَّه» بحذفِ الميمِ[2].

وقيل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾ في محلِّ رفعٍ كما تقولُ: حقًّا أنَّه كذا.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟﴾: تواضَعُوا وخشَعُوا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنابُوا[3]. وقيل: اطمَأنُّوا. وقيل: سكَنَتْ جوارِحُهم.

واشتقاقُه منَ الخَبْتِ، وهو الأرضُ المُنخفِضةُ، وقيل: المُستويةُ، كما تقولُ: أنْجَدَ وأتْهَمَ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ و(إلى) واقعٌ موقعَ اللّامِ لِـمَا بينَهما منَ القُربِ.

= المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٧٢)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤١٣ ـ ٤١٥).

(١) كذا ذكر المصنف، وقد ضبطت بكسر الجيم في (ن)، وبفتحها في (و)، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٣٨) عبارة المصنف فاختصرها، وقد نصَّ السمين الحلبي في «الدر المصون» على أن كسر الجيم لغة، ولكني أميل إلى أن المراد كسر الهمزة؛ فقد قُرئ بذلك في الشواذ. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٧٣).

(٢) من اللغات التي حكاها الكوفيون فيها: لا جُرم، ولا جرَ، ولا ذا جرم، ولا ذا جرَ، ولا إنَّ ذا جرم، ولا عزَّ ذا جرم، ومعنى هذه اللغات كلها عندهم واحد. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٦٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٣٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٧٤).

وقيل: قصَدُوا بإخباتِهم إلى ربِّهم.

وقيل: بمعنى (مِنْ)؛ أي: أخبَتُوا من خوفِ ربِّهم، قاله الكلبيُّ(١).

***

(٢٤) ـ ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافرِ والمُؤمنِ ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ يجوزُ أن يكونَ التَّقديرُ: كالذي يجمعُ عماه إلى صمَمِه، والذي يجمعُ إبصارَه إلى سمعِه؛ فيكونَ الواوُ لعطفِ الصِّفةِ على الصِّفةِ، كقولِ الشّاعرِ:

إلـى المَلِـكِ القَـرْمِ وابـنِ الهُمامِ ... وَلَيـثِ الكَتِيبَـةِ فـي المُزدَحَـمْ(٢)

ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ به واحدًا؛ أي: كالأعمى والبصيرِ، والأصمِّ والسَّميعِ.

والعمى والصَّممُ: آفتانِ يمنَعانِ عن الإبصارِ والسَّمعِ، وليسا ضِدَّين؛ لأنَّه لا تعاقُبَ بينَهما(٣).

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؛ أي: في المثَلِ، وهو نصبٌ على التَّميزِ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتنتَفِعوا(٤) بضَربِ المثَلِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥).

(٣) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٣٨) عبارة المصنف بلا نسبة.

(٤) في (و): «فتنتفعون».

(٢٥) ـ ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ المبعوثِ إليهم ﴿أنّي لكم﴾: بأنّي لكم ﴿نَذِيرٞ﴾: أُنذِرُكم عذابَ الله ﴿مُّبِينٌ ﴾: أُبيِّنُ لكم مصالِحَكُم.

ومَن كسَرَ[1] فبإضمارِ القولِ؛ أي: فأتاهُم فقالَ: إنِّي لكم نذيرٌ مبينٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أوحى اللهُ تعالى إلى نوحٍ وهو ابنُ أربعِ مِئة سنةٍ وثمانينَ سنةً، ودعا قومَه مئةً وعشرين سنةً، وركبَ السَّفينةَ وهو ابنُ ستِّ مئةِ سنةٍ، وبقيَ بعد هلاكِ قومِه ثلاثَ مئةٍ وخمسين سنةً، فذلك ألفُ سنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا[2].

وهبٌ: أُوحِيَ إليه وهو ابنُ خمسينَ سنةً، ولبثَ في قومِه تسعَ مئةٍ وخمسينَ سنةً، وعاشَ بعد هلاك القومِ خمسين سنةً، وكان عمرُه ألفًا وخمسينَ سنةً[3].

عكرمةُ: سُمِّيَ نوحًا لأنَّه كان ينوحُ على نفسِه[4]، قال: وكانَ اسمُه ساكنًا[5].

والجمهورُ على أنَّه اسمٌ أعجميٌّ[6].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (أني لكم) بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، كما تقدم.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، وأبو طالب المكي في «الهداية» (٤/ ٢٤١٤).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، وأخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٩).

(٥) قال مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩): «ونوح بالسريانية: الساكن الذي سكنت إليه الأرض»، ونقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٠٧)، وفي «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٤٦) أن اسمه كان شاكراً، وفي «زاد المسير» (١/ ٢٧٤) عن أبي سليمان الدمشقي أن اسمه السكن.

(٦) ذهب النحاة إلى أن نوحاً ولوطاً اسمان أعجميان، لكنهما صُرفا لقلة الحروف. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٢).

(٢٦) ـ ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٖ﴾.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوزُ أن يكونَ نصبًا على تقديرِ: أرسلناه بأنْ لا تعبُدوا، وقيل: أُبيِّنُ لكم أنْ لا تعبُدوا.

ويجوزُ أن يكونَ جَزْمًا على النَّهيِ، و﴿أَن﴾ هي المُفسِّرةُ.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٖ﴾ يُريدُ: الغرقَ، و﴿يَوْمٍ أَلِيمٖ﴾ كقولِهم: نهارُه صائمٌ؛ لأنَّ الألـمَ والإيلامَ يقعُ فيه[1].

***

(٢٧) ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أشرافُ قومِه ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا﴾: آدميًّا ﴿مِّثْلَنَا﴾، وسُمِّيَ الإنسانُ بشرًا لظُهورِ بَشَرتِه، خلافًا للطُّيورِ والبهائمِ والصَّدفِ.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ ابنُ عيسى: جُمِعَ (رَذْلٌ) على (أَرْذُلٍ)[2] ثمَّ (أَراذِلَ)؛ كـ: كَلْبٍ، وأَكْلُبٍ، وأَكالِبَ.

وقيل: جمعُ الأَرْذَلِ، وهو النَّاقصُ القَدْرِ.

والأوَّلُ أظهرُ[3]؛ لأنَّ الأفضلَ يقتضي الشَّركةَ أوَّلًا ثمَّ الزِّيادةَ.

ومعنى ﴿أَرَاذِلُنَا﴾: أخِسَّاؤُنا الذين لا شرَفَ لهم ولا مالَ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٦٠)، و«تمهيد القواعد» لناظر الجيش (٤/ ٢٠١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، واستغربه، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٩٢) بلا نسبة.

(٣) وهو أنه صفة مشبهة، لا اسم تفضيل.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ قُرِئَ بالهمزةِ؛ أي: أَوَّلَ الرَّأيِ، وقُرِئَ بالياءِ[(١)]؛ أي: ظاهِرَ الرَّأيِ، وكلاهما قريبٌ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا بدأ ظهرَ.

وفي ﴿ٱلرَّأْيِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: منَ الرُّؤيةِ؛ كقولِه: ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

والثَّاني: منَ التَّفكُّرِ، وهو أظهَرُ.

وفي انتصابِه[(٢)] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه نصبٌ على المصدرِ، وهو قولُ ابنِ عيسى[(٣)].

والثَّاني: على الظَّرفِ، وهو قولُ أبي عليٍّ في «الحجَّةِ»[(٤)]، وإنَّما حملَه على الظَّرفِ وليس بزمانٍ ولا مكانٍ؛ لأنَّ (في) مُقدَّرٌ عندَه؛ أي: في ظاهرِ الرَّأيِ[(٥)] وفي أوَّلِ الأمرِ.

والثَّالثُ: الحالُ، وهو حالٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، ومَن جعلَه لنوحٍ فنصبُه على النِّداءِ أَوْلى.

وفي تقديرِه ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدُها: ما نراكَ اتَّبعَكَ إلَّا الذين هم أراذِلُنا أوَّلَ رأيِنا وظاهرَ رأيِنا؛ فالرَّأيُ من رُؤيةِ العينِ، وهو نصبٌ على المصدرِ، كما تقولُ: ضربتُه أوَّلَ الضَّربِ. ابنُ عيسى: أوَّلَ ما نَراهم نزدَريهم[(٦)].

---

(١) قرأ أبو عمرو بهمزة مفتوحة بعد الدال، والباقون بياء مفتوحة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) أي: انتصاب كلمة ﴿بَادِىَ﴾.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، واستبعده، قال: «لأن ما بعد (إلا) لا يعمل فيه ما قبله، ولا هو يعمل فيما قبل (إلا)».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣١٨).

(٥) في (ن): «الأمر».

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٩٦) بلا نسبة.

والثّاني: اتَّبعَكَ الأراذِلُ أَوَّلَ رأيِهم وظاهرَ رأيِهم؛ أي: من غيرِ تفكُّرٍ ولا رأيٍ سديدٍ، وهم يرجِعونَ عنكَ عندَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ.

والثّالث: اتَّبعوك ظاهرَ رأيٍ، فيكونُ حالًا عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وهو ما قلنا[١]: إنَّ النِّداءَ أولى به؛ عَنَوا: يا بادِيَ الرَّأيِ؛ أي: ما في نفسِكَ منَ الرَّأيِ ظاهرٌ لكلِّ أحدٍ، قالوه تعجيزًا له.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عَنَوا: نوحًا وأتباعَه؛ أي: ليس لكم علينا زيادةٌ في مالٍ ولا نسبٍ ولا دينٍ، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي: نوحًا في دَعواه، وأنتم في تصديقِكُم إيَّاه.

* * *

(٢٨) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: ثقةٍ. ابنُ عيسى: حُجّةٍ[٢].

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾: النُّبوّةَ والرِّسالةَ.

﴿فعَمِيَتْ عليكم﴾: خفِيَت، وكذلك ﴿عُمِّيَتْ﴾ بالتَّشديدِ[٣]؛ أي: أعماها اللهُ وأخفاها عليكم.

ابنُ عيسى: هو من المقلوبِ؛ أي: فعُمِّيتُم عنها، كما تقولُ: أدخلتُ الخاتمَ في الإصبعِ[٤].

---

(١) في (ن): «قلت».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٥).

(٣) هي قراءة حفص وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤) واستغربه.

﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾؛ أي: البيِّنةَ والرَّحمةَ؛ أي: لا نُلزِمُكم ذلك ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾: لا تُريدونَها، وقَبولُكم لها لا يصحُّ مع الكراهةِ.

مُقاتلٌ: لو استطاعَ نبيُّ الله لألزَمَها قومَه، ولكنْ لم يملِكْ ذلك[1].

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ، كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ.

﴿مَالًا﴾: جُعْلًا ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾: ثَوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ جوابٌ لهم حينَ سألُوا طردَهُم ليُؤمِنُوا به أنفةً منَ المُجالسةِ معَهم، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾: يُقرُّونَ بالبعثِ والنُّشورِ، وقيل: مُلاقُو ربِّهم فيُخاصمُوني عندَ الله، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾؛ أي: في سُؤالِكم طردَهم وكُفرِكم بآياتِ الله، و﴿تَجۡهَلُونَ﴾ أنَّ هؤلاءِ خيرٌ منكم لإيمانِهم.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابِ الله ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡ﴾: أبعدتُهم، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تُراجِعون عقولَكم فتعرفوا الصَّوابَ؟!

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٣) عن قتادة.

(٣١) ـ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: خزائنُ أموالِه فأُعطيَكم على الإيمانِ، وقيل: خزائنُ المطرِ فأسوقَها إليكم، وقيل: مفاتحُ الغيبِ.

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ـ هو ما غابَ عن الإدراكِ ـ فأُخبِرَكم به، وهو عطفٌ على القولِ لا المَقولِ[1].

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ جوابُ لقولِهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ [هود: ٢٧]، والمعنى: لستُ أدَّعي ما ليس فيَّ.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ يعني: مَن آمنَ معه، ومعنى ﴿تَزْدَرِىٓ﴾: تحتقِرُ، والازدِراءُ: افتِعالٌ من قولِهم: زَريتُ على الشَّيء؛ إذا عِبتَه، وأَزْرَيتُ به: إذا قصَّرْتَ به.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾: توفيقًا وإيمانًا، جوابُ لقولِهم: اتَّبعوكَ في ظاهرِ الرَّأيِ وباطنُهم على خلافِ ذلك.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ منَ الخيرِ والشَّرِّ، لستُ مأخوذًا به.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ قلْتُ من هذه شيئًا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصَمْتَنا، والجِدالُ: فتلُ الخصمِ عن رأيِه بالحِجاجِ[2].

---

(١) أي: جملة الفعل (أعلم) معطوفة على جملة الفعل (أقول)، لا على جملة (عندي خزائن الله).

(٢) في (و): «بالجدال».

الكلبيُّ: دَعوْتنا[1]. وقيل: وَعَظْتَنا.

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾: أتيتَ بأنواعِ الجدالِ وفُنونِه. وقيل: أطَلْتَ الجِدالَ. الكلبيُّ: فأكثَرْتَ الدَّعوةَ[2]. وقيل: فأكثَرْتَ الوعظَ.

فما صحَّتْ لنا دَعواكَ، ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ منَ العذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعيدِكَ.

***

(٣٣) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: العذابِ ﴿إِن شَآءَ﴾ عاجِلًا أو آجِلًا، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: لم تقدِروا على الهرَبِ منه، وقيل: لا تفوتون.

***

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾: دُعائي ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾: يُضلَّكُم؛ أي: إرادةُ الله فوقَ كلِّ إرادةٍ، وهذا شرطٌ دخلَ على شرطٍ، فيكونُ الثَّاني مُقدَّمًا في الحكمِ، تقديرُه: إنْ كانَ الله يُريدُ أن يُغوِيَكم لا ينفعُكُم نُصحي إنْ أردْتُ أن أنصحَ لكم.

﴿هُوَ رَبُّكُمۡ﴾: خالقُكم مُتصرِّفٌ فيكم على قضيَّةِ إرادتِه، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالموتِ والبعثِ، فيُجازيكُم على أعمالِكُم.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣٥) ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ يعني: ما أخبـرَ به محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿قُلْ ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾: وَبالُ جُرمي وجزاؤُه دونكم، تقولُ: أجرَمَ الرَّجلُ: إذا أذنَبَ، والاسمُ: الجُرْمُ والذَّنْبُ.

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾: وليس عليَّ من إجرامِكم شيءٌ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ يعني: نوحًا عليه السَّلامُ[1]. فيحتاجُ إلى إضمارٍ؛ أي: فقلنا لنوحٍ: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾.

والأوَّلُ أظهرُ، وأنَّه اعتراضٌ في خلالِ قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ آيَسه اللهُ من إيمانِ قومِه، فدَعا عليهم وقالَ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ قيل: هذا خطابٌ له بعدَ الدُّعاءِ؛ لأنَّه لـمَّا دَعا عليهم حزِنَ واغتَمَّ، وقيل: مُتَّصلٌ بالأولى.

والابتِئاسُ: افتِعالٌ منَ البُؤْسِ، والبُؤْسُ: الحزنُ، والبُؤْسُ: الفقرُ أيضًا، والبأسُ: الشِّدَّةُ.

ابنُ عيسى: والابتِئاسُ: الحزنُ في استِكانةٍ[2].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٩) بلا نسبة.

(٣٧) - ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: واعملِ السَّفينةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بحيثُ نراها، والعينُ عبارةٌ عن الرُّؤيةِ.

وقيل: بعلمِنا وحفظِنا.

وقيل: بأعيُنِ أوليائِنا[١]؛ يعني: الملائكةَ.

وقيل: جمعُ عينِ الماءِ، وفيه بُعدٌ[٢].

﴿وَوَحْيِنَا﴾: على ما أوحَينا إليك من صفتِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لم يعلَمْ كيفَ صنعةُ الفُلكِ، فأوحى اللهُ إليه أن اصنَعْه مثلَ جُؤْجُؤِ الطّائرِ[٣].

وقيل: أوحَيْنا إليكَ أنِ اصنَعْها.

﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: لا تُراجِعْني فيهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

وقيل: المُرادُ بقولِه: ﴿فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ واعلةُ زوجتُه، وكنعانُ ابنُه[٤].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، وعدَّه من العجائب. وفي هامش (ن): «وبعدُه من حيث إنه لا يمكن صنعة السفينة في الماء، إلا أن تجعل الباء بمعنى اللام، أو يقدر فيه غير ذلك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٥). الجؤجؤ: الصدر. وقيل عظامه، والجمع الجآجئ. انظر: «النهاية» مادة (ج ؤ ج ؤ).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٥١).

(٣٨) - ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكايةُ حالٍ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ الله أمرَه بغرسِ الأشجارِ، فغرَسَها حتَّى أدركَتْ، وكانت أشجارَ ساجٍ، فقطعَها حتّى يبِسَتْ، ثمَّ اتّخذَ منها السَّفينةَ، واستأجرَ أُجراءَ ينحتُونَ معَه.

الحسنُ: كان طولُها ألفَ ذراعٍ ومئتَي ذراعٍ، وعرضُها ستُّ مئةِ ذراعٍ[1].

وقيل: كان طولُها ثلاثَ مئةِ ذراعٍ، وعرضُها خمسون ذراعًا، وارتفاعُها ثلاثون ذراعًا، وبابُها في عرضِها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت ثلاثَ طبقاتٍ؛ طبقةٌ للنّاسِ وهي العُليا منها، وطبقةٌ للطّيرِ، وطبقةٌ للدَّوابِّ والوحشِ[2].

وهبٌ: تمَّت في مئةِ سنةٍ[3]. وقيل: في أربعِ مئةِ سنةٍ.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استهزَؤُوا منه[4]، وقالوا: يا نوحُ، صرتَ نجّارًا بعد النُّبوّةِ.

وإنَّما سخِرُوا لأنَّه كان يعملُها في البرِّ ولا ماءَ هناك يَحملُ مثلَها.

وقيل: لم يكونوا رأوا سفينةً قبلَها، وكانوا يتضاحكُونَ ويتعجَّبون من عملِه لها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٤).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٩).

(٤) في (ن): «به».

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ قيل: نُجازيكُم على سُخريتِكم.

الزَّجَّاجُ: إن تستَجهِلُونا فإنّا نستَجْهِلُكُم كما تستَجْهِلون[1].

وقيل: إنَّا نسخرُ منكم عندَ الغرقِ.

***

(٣٩) ـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يُهلِكُه ويفضَحُه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾: وينزلُ عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ عليهم.

و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، ومحلُّه نصبٌ. وقيل: استفهامٌ، ومحلُّه رفعٌ.

***

(٤٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذابِ ﴿وَفَارَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: نبعَ الماءُ[2].

غيرُه: ارتفعَ، من فارتِ القِدْرُ تفورُ فَوْرًا وفَورانًا.

﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: التَّنُّورُ: وجهُ الأرضِ[3].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: التَّنُّورُ: طلوعُ الفجرِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨).

قتادةُ: التَّنُّورُ: أشرفُ موضعٍ في الأرضِ وأعلى مكانٍ فيها[١].

والأكثرُ: على أنَّه تنُّورُ الخبزِ، وكان ذلك علامةً لمجيءِ العذابِ، واختُلِفَ في موضعِه؛ فقيل: كان في الكوفةِ في موضعِ مسجدِها، وقيل: كان في الهندِ، وقيل: بعينِ وردةَ من أرضِ الجزيرةِ.

وقيل: ﴿فَارَ التَّنُّورُ﴾: كنايةٌ عن اشتدادِ الأمرِ وصُعوبتِه، كما يُقالُ: حَمِيَ الوطيسُ: إذا اشتدَّتِ الحربُ. والتَّنُّورُ مُعرَّبٌ[٢].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾: في السَّفينةِ ﴿من كلِّ زوجين اثنين﴾.

الزَّوجُ: الفردُ، من قولِه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

والزَّوجُ أيضًا: اثنانِ ممَّا لا يتبايانانِ في الأكثرِ، كزوجِ نعلٍ وزوجِ حمامٍ.

والزَّوجُ: الصِّنفُ أيضًا من قولِه: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

أي: من كلِّ صنفَين ذكرٍ وأُنثَى اثنَين، فيكونُ ﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعولَ ﴿احْمِلْ﴾.

ومَن نوَّنَ[٣] فالمعنى: من كلِّ حيوانٍ فردَين ذكرٍ وأُنثى، فـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ المفعولُ، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ تقدَّمَ قَولي لك: لا تُخاطبني فيه، وهو امرأتُه وابنُه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٢) انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٧٨)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٨٠). وقد قال ابن جني إلى أنه لفظ عربي مشتق من (ت ن ر)، وهو أصل لم يستخدم إلا في هذه الكلمة، ثم قال: «ويقال: إن التنور لفظ اشترك فيه جميع اللغات من العرب وغيرهم، فإن كان كذلك فهو طريف». انظر: «الخصائص» (٣/ ٢٨٨).

(٣) قراءة حفص، والباقون بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

وقيل: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ فيهم؛ فإنَّهم مُهلَكُون، وهم الكفَّارُ.

وقيل: القولُ هاهنا: الوعيدُ.

وقيل: ﴿أهلَكَ﴾ هاهنا فعلٌ ماضٍ؛ أي: أهلَكَ اللهُ إلّا مَن سبقَ عليه القولُ بالنَّجاةِ، وهم المُؤمنونَ منهم.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ مَن سبقَ عليه القولُ يُستعملُ في الوعيدِ دونَ الوعدِ.

﴿وَمَنۡ ءَامَنَ﴾؛ أي: واحمِلْ مَن آمنَ.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: ثمانون من رجلٍ وامرأةٍ.

وقيل: لم يكُنْ في السَّفينةِ إلّا نوحٌ وامرأتُه وثلاثةٌ من بنيه ونساؤُهم، فجميعُهم ثمانيةٌ، وقيل: سبعةٌ.

وأسماءُ بنيه: يافِثُ وسامٌ وحامٌ، وأصابَ حامٌ امرأتَه في السَّفينةِ، فدعا نوحٌ أن يُغيِّرَ نُطفتَه فجاء بالسُّودانِ(١).

ورَوَى المُفسِّرون عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال الحواريُّونَ لعيسى عليه السَّلامُ: لو بعَثْتَ لنا رجلًا شهِدَ السَّفينةَ فحدَّثَنا عنها، فانطلَقَ بهم حتَّى انتهى إلى كثيبٍ من ترابٍ، فأخذَ كفًّا من ذلك التُّرابِ بكفِّه قال: أتدرونَ ما هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: هذا كعبُ حامِ(٢) بنِ نوحٍ عليه السَّلامُ، قال: فضربَ الكثيبَ بعصاه وقال: قُمْ بإذنِ الله، فإذا هو قائمٌ ينفضُ التُّرابَ عن رأسِه قد شابَ، قال له عيسى: هكذا هلَكْتَ؟ قال: لا، متُّ وأنا شابٌّ، ولكنِّي ظننتُ أنَّها السَّاعةُ فمِن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١١) عن ابن جريج، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٢) عن أبي صالح، وهو مأخوذ من الإسرائيليات.

(٢) في (ن): «سام».

ثَمَّ شِبْتُ، قال: حدِّثْنا عن سفينةِ نوحٍ، قال: كان طولُـها ألفَ ذراعٍ ومئتَي ذراعٍ، وعرضُها ستُّ مئةِ ذراعٍ، وكانت ثلاثَ طبقاتٍ؛ فطبقةٌ فيها الدَّوابُّ والوحشُ، وطبقةٌ فيها الإنسُ، وطبقةٌ فيها الطَّيرُ، فلمَّا كثُرَتْ أرواثُ الدَّوابِّ أوحى الله إلى نوحٍ أن اغمِزْ ذنبَ الفيلِ، فغمزَ فوقعَ منه خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فأقبلا على الرَّوثِ، فلمَّا وقعَ الفأرُ في السَّفينةِ جعلَ يقرضُها وحبالَـها، وذلك أنَّ الفأرَ توالَدَتْ في السَّفينةِ، أوحى الله إلى نوحٍ أن اضرِبْ بينَ عينَي الأسدِ، فضرَبَ فخرجَ من منخرِه سنَّورٌ وسنَّورةٌ، فأقبلا على الفأرِ، فقال له عيسى: كيفَ علِمَ نوحٌ أنَّ البلادَ قد غرِقَتْ؟ قال: بعثَ الغرابَ ليأتيَه بالخبرِ، فوجدَ جيفةً فوقعَ عليها، فدعا عليه بالخوفِ، فلذلك لا يألَفُ البيوتَ، ثمَّ بعثَ حمامةً فجاءَتْ بورقِ زيتونٍ بمِنقارِها وطينٍ برجلَيها، فعلمَ أنَّ البلادَ قد غرِقَتْ، قال: فطوَّقَها الحلقةَ التي في عنُقِها، ودعا لها أن تكونَ في أُنسٍ وأمانٍ، فمِن ثَمَّ تألَفُ البيوتَ، قال: فقالوا: يا رسولَ الله، ألا نَنطلقُ به إلى أهلِنا فيجلسَ معنا ويُحدِّثَنا؟ قال: كيف يتَّبعُكم مَن لا رزقَ له؟ قال: فقالَ له: عُدْ بإذنِ الله، فعادَ تُرابًا[1].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٤). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧): «أثر غريب». قلت: ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما هو إلا من التخريفات والأباطيل كما قال محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢١٧)، قال: «وهذا لا يمكن أن يمت إلى الإسلام بصلة، وإنما هي أحاديث خرافة اختلقها اليهود وأضرابهم على توالي العصور، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، وهؤلاء رووها بحسن نية، ولم يزيفوها اعتمادًا على أنها ظاهرة البطلان، وأوغل زنادقة اليهود وأمثالهم في الكيد للإسلام ونبيه، فزوروا بعضها على النبي ﷺ».

(٤١) ـ ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾؛ أي: صِيْروا فيها، وجعلَ ذلك رُكوبًا لأنَّها تجري جريَ المركوبِ منَ الدَّوابِّ، وقال: ﴿فِيهَا﴾ لأنَّ استقرارَهُم فيها.

فلمَّا ركبَها نوحٌ وأصحابُه أرسلَ الله السَّماءَ عليهم مدرارًا، وفجَّرَ الأرضَ عيونًا، والتَقى الماءانِ حتَّى غرِقَ الجبالُ ومَن عليها.

﴿بسم اللّه مُجْراها ومُرْساها﴾: اركبُوا باسمِ الله، وقيل: ابدؤُوا بسمِ الله.

وقيل: ﴿مُجْراها ومرساها﴾؛ أي: إجراؤُها وإرساؤُها بالله، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

الضَّحّاكُ: إذا أرادَ أن تجريَ قال: بسمِ الله، فجَرَتْ، وإذا أرادَ أن ترسُوَ قال: بسمِ الله، فرَسَتْ[١].

والمُجرَى والمُرسَى صالحانِ للمصدرِ والزَّمانِ والمكانِ، وكذلك مَن قرأ: ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ بالفتحِ[٢].

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ﴾ لمَن آمَنَ منهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ حين خلَّصَهم.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَهِيَ﴾؛ أي: السَّفينةُ ﴿تَجۡرِي بِهِمۡ﴾؛ أي: وهم فيها ﴿فِي مَوۡجٖ﴾: جمعُ (مَوْجةٍ)؛ كتمرٍ وتمرةٍ. والمَوجُ: حركةُ الماءِ الكثيرِ بدخولِ الرِّياحِ الشَّديدةِ في خلالِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿مجريها﴾ بفتح الميم والباقون بضمها، واتفق السبعة على ضم الميم في ﴿مُرساها﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

﴿كَالْجِبَالِ﴾ في العِظَمِ. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعانَ، وقيل: اسمُه يام.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّه ابنُه لصُلبِه، وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: لم يكُنْ ابنَه، وإنَّما كانَ ابنَ امرأتِه، وكان يقرأُ: (ابنَها)[١]، وعن بعضِ القُرَّاءِ: (ابنهَ) بفتح الهاءِ؛ يريدُ: ابنَها[٢]. وهو شاذٌّ.

وعن الحسنِ أيضًا: أنَّه ليس بابنِه[٣]. ورُوِيَ عنه أيضًا أنَّه قال: كان لغيرِ رِشْدةٍ[٤]. وهذا قولٌ مرغوبٌ عنه؛ لأنَّ الله عصَمَ أنبياءَه من مثلِ هذا، وحمَلَ المُفسِّرون قولَه: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] على الدِّينِ، لا على الفَرْجِ[٥].

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن أبيه وعن السَّفينةِ. وقيل: بمعزلٍ عن دينِ أبيه. والعزلةُ: البعدُ.

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ في السَّفينةِ ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أسلِمْ واركَبْ، وقيل: كان يُنافقُ.

---

(١) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣٣)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٥) أن هذا قول محمد الباقر.

(٢) ذكرها النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٣٥٢) عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال: «يريد: ابنها، ثم حذف الألف، ومثل هذا لا يجوز عند أهل العربية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٧)، ولفظه: «عن سعيد، عن قتادة، قال: سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: ﴿«إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ»﴾ [هود: ٤٦]، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٥)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٩٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٣٥١).

(٤٣) ـ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ﴾: سأصيرُ ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: يمنعُني منَ الغرقِ. والعِصمةُ: المنعُ منَ الآفةِ.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه استثناءٌ مُنقطعٌ؛ لأنَّ مَن رُحِمَ معصومٌ، والمفعولُ ليس من جنسِ الفاعلِ، وتقديرُه: لكنْ مَن رحمَه الله معصومٌ، ومحلُّ ﴿مَن﴾ نصبٌ.

والثّاني: أنَّ الاستثناءَ صحيحٌ، ومحلُّ ﴿مَن﴾ رفعٌ، وفي تقديرِه أربعةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّ ﴿مَن رَّحِمَ﴾ هو الله عزَّ وجلَّ؛ أي: لا عاصمَ إلَّا اللهُ.

والثاني: أنَّ العاصمَ نوحٌ، وقد دعاه إلى النَّجاةِ.

والثَّالث: أنَّ المُرادَ به: لا ذا عصمةٍ إلَّا مَن رحمَه الله؛ فإنَّه ذو عصمةٍ.

والرّابعُ: ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى: معصومٍ كـ ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، وناقةٍ راحلةٍ، وسرٍّ كاتمٍ، وأمرٍ عارفٍ، وتطليقةٍ بائنةٍ، ويمينُكَ آشِرَةٌ[(١)]، وما زيدٌ بحازمِ الأمرِ، وهذا قولُ الكوفيِّين[(٢)].

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾: بينَ ابنِه والجبلِ، وقيل: بين نوحٍ وابنِه، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ أي: صارَ منَ المُهلكينَ بالماءِ.

---

(١) آشرة هنا بمعنى مأشورة؛ أي مقطوعة، من قولهم: أشرت الخشبة؛ إذا قطعتها. ويقال أيضًا: وشرتها ونشرتها، ويقال: هو المئشار والميشار والمنشار. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١٢٨).

(٢) نقل ابن ولّاد اتفاق أهل اللغة على أن الاستثناء هنا منقطع، ولكن أجاز الفراء من الكوفيين أن يكون متصلًا على أن (عاصم) بمعنى: معصوم، وقد ردَّ هذا الوجه ابن ولّاد. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٥)، و«معاني القرآن» للفراء، (٢/ ١٥)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٧١)، و«الانتصار» لابن ولّاد (ص: ١٦٥).

(٤٤) ـ ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: أدخِلي الماءَ في أجزائِكِ بسرعةٍ شيئًا فشيئًا.

﴿مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾: ويا سحابُ أمسِكي عن إنزالِ الماءِ.

وقيل: كانتِ المياهُ يومَئذٍ تنزلُ منَ السَّماءِ، وتنبعُ العيونُ منَ الأرضِ السّابعةِ.

تقولُ: أقلعَتِ السَّماءُ: إذا ذهبَ مطرُها، وأقلعَ عنِ الأمرِ: إذا تركَه.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: نقَصه الله، و(غاضَ) لازمٌ ومتعدٍّ.

والغيضُ: غَيبةُ الماءِ في الأرضِ على جهةِ[١] النَّشَفِ.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: فُرِغَ من إهلاكِ مَن هلَكَ وإنجاءِ مَن نجا.

﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾: استقرَّتِ السَّفينةُ عليه، و(الجوديُّ): جبلٌ معروفٌ بناحيةِ الموصلِ، وقيل: في جزيرةِ الشَّامِ، وقيل: بناحيةِ آمِدَ[٢]، وقيلَ: من وراءِ آمِدَ.

وقيل: اسمٌ لكلِّ جبلٍ، حكاه الماوَرْديُّ[٣]، وهو سهوٌ.

﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: أبعدَهم الله من الخيرِ والرَّحمةِ، وهو نصبٌ على المصدرِ، وهو من كلامِ الله لهم. وقيل: قال المؤمنونَ على وجهِ الدُّعاءِ عليهم.

وجاء في الخبرِ: أنَّ نوحًا عليه السَّلامُ ركبَ في السَّفينةِ في العاشرِ من رجَبٍ، ونزلَ عنها في العاشرِ منَ المُحرَّمِ[٤].

---

(١) في (ن): «وجه».

(٢) هي من مدن ديار بكر، فُتحت عام عشرين للهجرة، ووُصفت بأنها أحصن مدينة في بلاد العرب. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ١١١)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٥٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٧٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٣)، عن قتادة.

أجمعَ المُعاندون على أنَّ طوقَ البشرِ قاصرٌ عن الإتيانِ بمثلِ هذه الآيةِ بعد أن فتَّشُوا جميعَ كلامِ العربِ والعجَمِ، فلم يجدوا مثلَها في فخامةِ ألفاظِها، وحُسنِ نظمِها، وجودةِ معانيها في تصوير الحالِ مع الإيجازِ من غيرِ إخلالٍ(١).

***

(٤٥) ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: دعا ربَّه، فقال: أي(٢) ربِّ، إنَّ ابني من أهلي الذين أمرتَني بحملِهم ووعدتَني نجاتَهم، وإنَّ وعدَكَ حقٌّ لا خُلفَ فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: لا شطَطَ في حُكمِكَ ولا ميلَ.

قيل: سألَ هذا حينَ صار عنه بمعزلٍ. وقيل: سألَ قبل أن عرَفَ هلاكَه. وقيل: سألَ مغفرتَه بعد أن عرَفَ هلاكَه، وهذا أليَقُ بالآيةِ.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾: من زوجَتي، حكاه الثَّعلبيُّ(٣).

***

(٤٦) ـ ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لأنَّه كافرٌ، والكفرُ يقطعُ الولايةَ بين المؤمنِ والكافرِ، وقيل: ليس من أهلِ دينِكَ، وقيل: ليس من أهلِكَ الذينَ وعدتُكَ إنجاءَهُم.

---

(١) توالى علماء البلاغة والبيان على الإشادة ببلاغة هذه الآية، والتنويه على عظمة الإعجاز القرآني فيها، وقد أفرد لها بعض فرسان البلاغة تصنيفاً. انظر: «العمدة» لابن رشيق (١/ ٢١١)، و«سر الفصاحة» للخفاجي (ص: ٢٢٤)، و«مفتاح العلوم» للساكي (ص: ٤١٧).

(٢) في (ن): «يا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٥) عن أبي جعفر الباقر، وقد تقدم الكلام على قراءة عليٍّ رضي الله عنه: (ونادى نوح ابنها).

الحسنُ: لغيرِ رِشْدةٍ، وقد سبق.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى ابنِ نوحٍ؛ أي: إنَّه ذو عملٍ غيرِ صالحٍ لكثرةِ وقوعِه منه.

والثّاني: أنَّ سُؤالَك إيّايَ تخليصَه بعد كُفرِه عملٌ غيرُ صالحٍ؛ أي: غيرُ مرضيٍّ.

وقيل: سؤالُك تخليصَه بعدَ قولِك: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] عملٌ غيرُ صالحٍ.

ومَن قرأ: ﴿عَمِلَ غيرَ صالحٍ﴾ على الفعلِ[١]، فهو لابنِ نوحٍ لا غير.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بجوازِ مسألتِه[٢]. وقيل: لا تعلَمُ كونَه صوابًا. وقيل: لا تعلَمُ أنَّه جائزٌ في حُكمي.

﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بوعدي لك. وقيل: أعِظُكَ بمواعظي لئلّا تكونَ منَ الجاهلين بما أمرتُكَ به. وقيل: منَ الجاهلين فتظنَّ أنْ لا أفي بوَعدي.

وقيل: منَ الجاهلين بنَسَبِكَ، وهذا قولُ الحسَنِ[٣].

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾: أعتصِمُ وأمتنعُ ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ذنْبي بسُؤالي ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بفضلِكَ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) هي قراءة الكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) في (ن): «لجواز مسألته»، والمثبت من (و) وهو الصواب، والمعنى: ما ليس لك بجواز مسألته علم.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٧٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

وقولهُ: ﴿بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ الجارُّ متعلّقٌ بمُضمَرٍ دلَّ عليه العلمُ(١)، كقولِه: ﴿كانوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] وأخواتِه.

وأجازَ أبو عليٍّ في «الحجّةِ» أن يتعلَّقَ بالمُضمرِ في الظَّرفِ وهو الاستقرارُ، كما تقولُ: ليس لك فيه رِضا(٢).

***

(٤٨) - ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾: انزِلْ منَ السَّفينةِ بسلامةٍ وخَلاصٍ من المكارهِ؛ أي: سالمًا، وقيل: بتحيَّةٍ منَّا.

﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾: وزياداتٍ في نسلِكَ حتَّى صارَ أبا البشرِ بعد آدمَ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «سامُ بنُ نوحٍ أبو العربِ، ويافثُ أبو الرُّومِ، وحامٌ أبو الحبشِ»(٣).

ولم يتَّصِلْ من غيرِه ممَّن كانَ معه نسلٌ(٤)، يُقوِّيه قولُه: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

---

(١) يمنع البصريون تعليق الجار والمجرور بالمصدر إذا تقدم عليه؛ فلذلك علقوه بمضمر يفسّره ما بعده، أما الكوفيون فيمنعون إعمال المصدر أصلاً ما لم يكن مضافاً. انظر: «شرح الأشموني على لألفية ابن مالك» (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٩٩)، والترمذي (٣٩٣١) وحسنه من طريق الحسن عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وفيه عنعنة الحسن، لكن رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٦) وصححه عن الحسن عن عمران بن حصين عن سمرة رضي الله عنه، وقد ضعّف الحديث محققو «المسند» فلينظر الكلام عليه في حواشيه.

(٤) انظر تفصيل هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣].

وقيل: البركاتُ هاهنا: السَّعادةُ. وقيل: النِّعمةُ الباقيةُ.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾؛ أي: وعلى أُممٍ يلِدون ممَّن معَك، يُريدُ: أولادَ أولادِكَ ما تناسَلُوا.

جعلَهم قسمَين: قسمٌ دخلَ تحتَ السَّلامِ والبركاتِ، وهم المُؤمنون من ذُرِّيَّتِه إلى يومِ القيامةِ، وقسمٌ هو المذكورُ بقوله: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا بالسَّعةِ في الرِّزقِ والخفضِ في العيشِ ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: في القيامةِ، وهم الكفَّارُ[1] من ذُرِّيَّتِه.

وقيل: سائرُ الحيوانِ داخلٌ تحتَ البركاتِ.

***

(٤٩) ـ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: إشارةٌ إلى قصَّةِ نوحٍ وقومِه. وقيل: إشارةٌ إلى السَّفينةِ؛ أي: خبرِها، ومعنى ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: غِبْتَ عنها.

﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾: ينزِلُ بها جبريلُ عليك مُعجِزةً لك وصِحَّةً لنُبوَّتِك.

﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾؛ أي: لم يكُنْ هذا من علمِكَ ولا من علمِ قومِكَ ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾: قبلَ القرآنِ، وقيلَ: قبلَ هذا الوقتِ.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومِكَ كما صبرَ نوحٌ؛ ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾: النَّصرَ والظَّفرَ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: للموحِّدين.

---

(١) في (ن): «الكافرون»، وفي الهامش في نسخة: «الكفار».

(٥٠) ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾؛ أي: وأرسَلْنا هودًا إلى عادٍ. وقيل: هو عطفٌ على ما قبلَه[١].

وسمَّاه أخاهم لأنَّه كانَ من نسبِهم.

الزَّجَّاجُ: هو أخوهم من حيثُ إنَّه من ولدِ آدمَ، وهم أولادُه[٢].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: معبودٍ ﴿غَيْرُهُ﴾: غيرُ الله، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: كاذِبون في إشراكِكُم معَ الله الأوثانَ.

***

(٥١) ـ ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿أَجْرًا﴾: جُعْلًا، وقيل: رزقًا ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ثوابي ورِزْقي ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقَني ولم أكُ شيئًا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولَكم فتعرِفُوا الخطأ منَ الصَّوابِ؟!

***

(٥٢) ـ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾؛ أي: اطلُبوا المغفرةَ وتوسَّلُوا إليها بالتَّوبةِ.

الفرَّاءُ: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواوِ، وقد سبقَ[٣].

---

(١) وهو كلمة (نوحاً) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [هود: ٢٥].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٧).

(٣) عند تفسير الآية (٣) من هذه السورة، وقد تقدم أن ما في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٦) مخالف لهذا، وأنا لم نجد فيه ما يدلُّ على هذا القول، ونضيف هنا: أن سيبويه نص في =

وقيل: استغفِرُوا وآمِنُوا، ثمَّ توبوا إليه من سالفِ ذُنوبِكم.

﴿يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: المطرَ ﴿مِّدْرَارًا﴾: دائمًا ساكنًا، وذلك أنفعُ ما يكونُ، وأصلُه من درَّ اللَّبنُ: إذا نزلَ مُتتابعًا. وقيل: هو المطرُ في وقتِه.

وقيل: كثيرُ البركةِ. ومِفعالٌ من بناءِ المُبالغةِ، يستوي فيه المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: شدَّةً إلى شدَّتِكُم، وقيل: عزًّا إلى عزِّكُم بكثرةِ عددِكُم وأموالِكُم.

عكرمةُ: ولدُ الولدِ[1]، وذلك أنَّ الله حبَسَ عنهم القطرَ وأعقَمَ أرحامَ نسائِهم ثلاثَ سنين، فوعدَهُم هودٌ عليه السَّلامُ المطرَ والأولادَ على الإيمانِ والاستغفارِ والتَّوبةِ.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مُشركين.

***

(٥٣) - ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: برهانٍ وحجَّةٍ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾؛ أي: لا نترُكُ عبادةَ آلهتِنا عن جهةِ قولك، كما تقولُ: جئتُه عن يمينِه ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين.

= «الكتاب» (٣/ ٥٠١) على أن (ثم) تأتي بمنزلة الواو في مثل قولنا: «واللهِ ثم إليه لأفعلنَّ» وليس هذا في ما نحن فيه، والله أعلم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٧).

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾؛ أي: ما نقولُ فيك إلّا قولَنا: اعتراكَ: أصابَكَ ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجُنونٍ وخَبلٍ بسببِ سبِّكَ إيّاها، فصرتَ تتكلَّمُ بما نسمعُ.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾: إنِّي بريءٌ من آلهتِكُم التي تُخوِّفونَني بها. وقيل: معناه: إنِّي بريءٌ منَ الأصنامِ فسَمُّوني ما شئتُم.

﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ يُريدُ: أنتم وآلهتُكم؛ أي: احتالوا في هلاكي.

﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تُؤخِّروني؛ فإنِّي على ثقةٍ من ربِّي، ولا تقدرون على إساءتي.

***

(٥٦) ـ ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوَّضتُ أمري إلى الله ﴿رَبِّى وَرَبِّكُم﴾: خالقي وخالِقكُم.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾: حيوانٍ يَدِبُّ ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾؛ أي: هو مُقتدرٌ عليه متمكِّنٌ من تصريفِه فيما يريدُ. والنّاصيةُ: شعرُ مُقدَّمِ الرَّأسِ، وقيل: قِصاصُ[1] الشَّعرِ.

وقيل: ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ يُحييها ويُميتُها.

وقيل: يقهرُها؛ لأنَّ مَن أُخِذَتْ ناصيتُه فقد قُهِرَ، ومنه: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، و﴿يُؤْخَذُ بالنَّواصِيْ والأَقْدامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُثيبُ المُحسِنَ ويُعاقِبُ المُسيءَ.

---

(١) بضم القاف وكسرها، وهو: منتهى منبت الشعر من مقدم الرأس. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٤)، و«الكنز اللغوي» له أيضاً (ص: ١٧٨).

وقيل: هو كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤][1].

وقيل: يحملُكم على صراطٍ مُستقيمٍ، وهو الإسلامُ[2].

***

(٥٧) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: تُعرِضوا ولم تؤمِنُوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ من الإعذارِ والإنذارِ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: إن لم تُؤمِنُوا أقامَ خلقًا يكونون سكَّانَ الأرضِ بعدَكُم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾: لا يضرُّه إهلاكُكم وكفرُكُم.

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾؛ أي: مُستَولٍ عليه. وقيل: لكلِّ شيءٍ حافظٌ. وقيل: يحفظُ أعمالَ العبادِ ليُجازيَ عليها. وقيل: معناه: يحفظُني منكم.

وهذه الآيةُ من كلامِ هودٍ لعادٍ، وقيل: استِئنافٌ؛ أي: قل يا محمَّدُ لأمَّتِكَ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ الآية.

***

(٥٨) - ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ أي: عذابُنا، وقيل: أمرُنا بعذابِ عادٍ ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ جاء في التَّفسيرِ أنَّهم كانوا أربعةَ آلافٍ[3] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو الرِّيحُ التي أُهلِكَتْ عادٌ بها، وقيل: هو عذابُ يومِ القيامةِ.

---

(١) أي: أنه لا يخفى عليه مستتر، ولا يعدل عنه هارب، فهو تهديد ووعيد، وهذا القول منقول عن الكسائي. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/٤٦٨) (١٥/ ٤٦٨)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٤٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/٣٨٦).

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: قبيلةُ عادٍ ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أنكرُوها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾: هودًا؛ أي: كفروا به، وجُمِعَ لأنَّ الكفرَ بواحدٍ منهم كفرٌ بالجميعِ[1].

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾: كافرٍ قهَّارٍ يُجبِرُ غيرَه على ما يُريدُ، وبابُ فعَّالٍ (فعَلَ)، وقد جاءَ من (أفعلَ): أجبرَ فهو جبَّارٌ، وأدركَ فهو درَّاكٌ.

والجبَّارُ في حقِّ الله من الجَبْرِ، وهو الإصلاحُ، ويجوزُ أن يكونَ من أجبرَ أيضًا[2].

﴿عَنِيدٍ﴾: طاغٍ باغٍ، تقولُ: عَنَدَ عَنْدًا وعَنَدًا وعُنُودًا: إذا تجبَّرَ وطَغَى، وعَنِدَ[3] عن الحقِّ: مالَ.

وقيل: هو فعيلٌ من لفظِ (عندَ)[4]؛ مَن كان فيه معنى الإعجابِ وحُسنِ الظَّنِّ بنفسِه وما عندَه.

والمعنى: عَصَوا مَن في طاعتِه سعادتُهم، وأطاعُوا مَن في طاعتِه شَقاوَتُهم.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: بعدَ هلاكِهم تلعَنُهم الملائكةُ والمؤمنون.

---

(١) ذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ١٥٧)، وتداوله المفسرون، وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٧٤) أنه جُمع على سبيل التشريف، أو أن هوداً كان معه رسل؛ كما كان هارون مع موسى، وهذا لا يثبت بغير الأخبار الصادقة عن الله ورسوله.

(٢) انظر: «تفسير أسماء الله» للزجاج (ص: ٣٤)، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٤٠).

(٣) في «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» لابن مالك (٢/ ٤٥٣): وعند عن الحق ـ بالكسر والفتح والضم ـ: خالفه عارفاً له.

(٤) أي: الظرفية وهي مثلثة العين. انظر: «القاموس المحيط» مادة (ع ن د) (ص: ٣٠٢).

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يجوزُ أن يكونَ عطفًا على محلِّ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾، كقولِ الشّاعرِ:

إذا مـا تلاقَيْنـا مـنَ اليـومِ أو غـدًا[1]

ويجـوزُ أيضًـا أن يكـونَ تقديـرُه: ولعنةَ يـومِ القيامةِ، فحُـذِفَ المُضـافُ؛ أي: ويُلعَنـونَ أيضًـا يـومَ القيامةِ.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾: (ألا) تُذكَرُ قبل كلامٍ يعظُمُ موقِعُه.

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: كفَروا بربِّهم، فحُذِفَ الجارُّ، وقيل: كفروا نعمةَ ربِّهم.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾؛ أي: أبعدَهُم بُعدًا[2] كقولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ويحتملُ: أبعَدَهم فبَعُدوا بُعدًا.

***

(٦١) ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: وأرسَلْنا صالحًا إلى ثمودَ، وكانت منازلُ ثمودَ بوادي القُرى بينَ المدينةِ والشّامِ، ومنازلُ عادٍ كانت باليمنِ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدُوه وأطيعُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾: خلقَكُم من غيرِ استعانةٍ بشيءٍ منَ الأسبابِ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يُريدُ: آدمَ أبا البشرِ، وولدُه تبعٌ له.

وقيل: أنشأكُم في الأرضِ[3].

---

(١) عجز بيت لكعب بن جُعَيل، كما في «الكتاب» (١/ ٦٨). وصدره:

أَلا حَـيَّ نَدْمَانِـي عُمَيْـر بـن عَامـر

(٢) فهو اسم مصدر، ويسميه سيبويه مصدر على غير الفعل. انظر: «الكتاب» (٤/ ٨١)، و«إرشاد السالك» (١/ ٣٥٦).

(٣) فـ(من) بمعنى: في، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٩)، واستغربه.

وقيل: أنشأكُم بنباتِ الأرضِ، حكاهُ الماوَرْدِيُّ(١).

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: أعاشَكُم منَ العمرِ، فيكونُ استَعْمَرَ وأعمَرَ بمعنًى، نحو: استَحياه وأحياه: إذا ترَكَه حيًّا، ومثلُ ذلك: استَغْواهُ وأَغْواهُ، واستَهْلَكَه وأهْلَكَه.

وقيلَ: منَ العِمارةِ؛ أي: أقدَرَكُم على العِمارةِ وجعلَكُم عمَّارَها.

مُجاهدٌ: منَ العُمْرَى، تقولُ: أعمَرْتُ فُلانًا دارًا(٢): جعلْتَها له عُمْرَه.

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ سبق.

﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ لراجيهِ ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه.

ابنُ عيسى: ﴿قَرِيبٌ﴾ هاهنا منَ الإسراعِ لا من قُربِ المكانِ؛ أي: سريعُ الإجابةِ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ لِمَا كنْتَ عليه منَ العقلِ والرَّأيِ والعِفَّةِ والسَّدادِ، وكنَّا نرجو أن تكونَ لنا سيِّدًا. وقيل: كنَّا نرجُو أن تعودَ إلى ما نحنُ(٣) عليه؛ لأنَّه كان يُخالِفُهم في عبادةِ الأصنامِ ولا ينهاهُم عنها قبلَ هذا اليومِ.

الماورديُّ: منَ الإرجاءِ(٤). وهو سهوٌ(٥).

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٨).

(٢) في (ن): «داري إذا».

(٣) في (و): «كنا».

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٧٩)، وقد ذكر وجهين هذا أحدهما، ولفظه: «أي: حقيرًا، من (الإرجاء)، وهو التأخير»، وقد جعل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٩) قول الماوردي هذا قولين؛ أحدهما غريب والآخر عجيب.

(٥) في هامش (ن): «لو كان من الإرجاء كقول الماوردي لكان: (مرجيّ)، فسهوه ظاهر إذن». =

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ يُريدُ: الأصنامَ ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾: تهمةٍ وحيرةٍ ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ يعنون: عبادةَ الله وتوحيدَه ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوْقِعٍ في التُّهمةِ مُوجبٍ لها.

* * *

(٦٣) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أعلِمْتُم، وهو هاهنا مُعلَّقٌ[1]؛ لأنَّ باب الظَّنِّ يُعلَّقُ على الشَّرطِ كما يُعلَّقُ على الاستفهامِ واللَّامِ والنَّفي.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: بيانٍ وبصيرةٍ، ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوَّةً، ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَن يُعينُني على الله ويمنعُني من عذابِه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغِ رسالتِه ومنعِكُم عن عبادةِ الأوثانِ.

والفاءُ في قولِه: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾ جزاءُ الشَّرطِ الأوَّلِ، وجزاءُ الشَّرطِ الثَّاني محذوفٌ دلَّ عليه الأوَّلُ[2]، كما تقولُ: إنْ دخلْتِ الدَّارَ، فأنتِ طالقٌ إنْ كلَّمْتِ فُلانًا.

= قلت: كذا وقع في النسخة: (مرجيّ)، ولعل صوابه: (مُرْجَأً) اسم مفعول من أرجأ.

(١) التعليق هو ترك العمل في اللفظ لا في التقدير، ويكون ذلك في أفعال العلم والظن عند أكثر النحاة، وذهب بعضهم إلى التعليق للعلم لا للظن، وقد اتفق أكثر النحاة على التعليق بالاستفهام ولام الابتداء والمزحلقة و(ما) و(إن) النافيتان، وفي غيرها خلاف. انظر: «شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٢/ ٥٥٩)، و«الارتشاف» لأبي حيان (٤/ ٢١١٤)، و«التذييل والتكميل» له أيضاً (٦/ ٩٤).

(٢) فجواب الشرط الأول هو الجملة الشرطية الثانية في المعنى، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي فإن عصيته فمن ينصرني، لكن تقدمت جملة جواب الشرط الثاني عليه، واستغنى الشرط عن الجواب لتقدم ما يدلّ عليه، والله أعلم.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ باحتجاجِكُم بقولِكُم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: نسبتي إيَّاكُم إلى الخسرانِ، تقولُ: خسَّرتُه، كما تقولُ: فسَّقتُه وزنَّيتُه[١]، إذا نسبْتَه إلى شيءٍ من ذلك.

ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: بصارةٍ في خسارَتِكُم[٢].

الفرَّاءُ: غيرَ تضليلٍ[٣].

وقيل: معناه: ما يزدادونَ إلّا خسارًا، فنسبَه إلى نفسِه لأنَّهم أعطَوه ذلك، وكان يسألُهم الإيمانَ.

وقيل: إنْ أجبتُكُم إلى ما تدعونَني إليه كنتُ بمنزلةِ مَن يزدادُ الخسرانَ.

وقيل: ما تزيدونَني على ما أنا عندَكُم إلّا تخسيرًا[٤].

ابنُ بحرٍ: إن انتصرتُ بكم لَمَا[٥] تزيدونَني إلّا خسارًا[٦].

***

(٦٤) - ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ سألوا صالحًا آيةً ليُؤمِنُوا بها، فأظهرَ الله

---

(١) أي: سبب إلى الزنى، وفي النسخ الخطية: «زينته»، وهو تعريف. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٣٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٥٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠)، واستغربه.

(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠): «لم تزيدونني»، وهو خطأ، والظاهر أن في العبارة تجوُّزاً، وأن المراد: «فما تزيدونني»، والله أعلم.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠)، وعدَّه من العجائب.

النّاقةَ فلم يُؤمِنُوا، وهو قولُه: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: تدلُّ على صِدْقي وصِحّةِ نُبوَّتي، وهي نصبٌ على الحالِ، والعاملُ فيها معنى الإشارةِ[1].

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: ترْعَ، والأكلُ عامٌّ في كلِّ ما يُغتَذَى؛ أي: ترْعى نباتَ الأرضِ وتشربُ ماءَها ولكم درُّها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: عقْرًا ونحْرًا، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ يريدُ: في الدُّنيا.

* * *

(٦٥) - ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾؛ أي: عيشُوا في منازِلكُم.

وقيل: المُرادُ بـ﴿دَارِكُمْ﴾: دارُ الدُّنيا.

وقيل: إنَّما وحَّدَ لأنَّ المُرادَ بها البلدُ.

ويحتملُ: كلُّ واحدٍ في دارِه.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثمَّ تُهلكُون، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾؛ أي: غيرُ مكذوبٍ فيه، وقيل: ﴿مَكْذُوبٍ﴾ مصدرٌ كالمعقولِ والمحصولِ.

* * *

(٦٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ أي: العذابُ، وقيل: أمرُنا بالعذابِ ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٩)، و«التعليقة» لأبي علي (١/ ٢٦٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٩٢).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾؛ أي: نجَّيناه منَ العذابِ بالصَّيحةِ ومـنَ الخِزْيِ.

ابنُ عيسى: الخِزْيُ: العيبُ الذي تظهرُ فضيحتُه ويُستَحيَى من مثلِه(١).

وبُنِيَ ﴿يومَئذٍ﴾ على الفتحِ ـ فيمَن فتحَ ـ لأنَّه أُضيفَ إلى مبنيٍّ، ونُوِّنَ (إذٍ) لأنَّه عِوَضٌ ممّا حُذِفَ، وهي الجملةُ المُقدَّرةُ، ومَن جرَّه(٢) فللإضافةِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يُغلَبُ، ولا يمتنعُ عليه شيءٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ، والصَّيحةُ: خرورُ صوتٍ في فمٍ وحلقِ حيوانٍ(٣).

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾: العذابُ، كما تقول: صاحَ فلانٌ بفلانٍ: إذا زجَرَه وردَعَه.

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ﴾: منازِلِهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميِّتين صَرْعَى.

والجثومُ: السُّقوطُ على الوجهِ، وقيل: القعودُ على الرُّكبِ.

فأماتَهم الله إلّا رجُلًا كان في حرمِ الله، فمنعَه حرَمُ الله من عذابِ الله، وجاء في الخبرِ: أنَّه أبو ثقيفٍ(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٦٠)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٣٧٠) بلا نسبة.

(٢) قرأ نافع والكسائي بفتح الميم، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥) بلا نسبة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه، و(٦١٩٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦٨) ـ ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾: كأنْ لـم يُقيموا فيها؛ لانقطاعِ آثارِهم بهلاكِهم بأجمعِهم إلَّا ما بقيَ من أجسادِهم الدّالَّةِ على الخِزْيِ النَّازلِ بهم.

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ سبق.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ يعني: جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ عليهم السَّلامُ، وقيل: كانَ جبريلُ في اثني عشرَ ملَكًا.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالبشارةِ بالولدِ، وقيل: بشَّرُوا بهلاكِ قومِ لوطٍ.

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾؛ أي: سلَّمُوا سلامًا، فهو نصبٌ على المصدرِ، كما تقولُ: كلَّمُوا كلامًا، وأعطَوا عطاءً، وأنبتَ نباتًا، وقيل: نصبٌ لأنَّه مفعولُ القولِ، وإذا وقعَتْ بعد القولِ جملةٌ حكيتَها، وإنْ وقعَ بعدَه مُفردٌ بمعنى الجملةِ نصبتَه، نحو: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ٥٩] حُكِيَت الجملةُ، وفي المفردِ نحو: قلْتَ حقًّا، إذا قالَ المُؤذِّنُ: الله أكبرُ؛ لأنَّ (حقًّا) بمعنى: الله أكبرُ، وهو لم يلفِظْ به(١).

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: وعليكم سلامٌ.

وللرَّفعِ مزيَّةٌ على النَّصبِ؛ لأنَّه إخبارٌ عن شيءٍ ثابتٍ، والنَّصبُ طلَبُ إيقاعِ ما لم يقَعْ، فصارَ مُندرِجًا في قولِه تعالى: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٢٢)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٩٨).

وقُرِئَ: ﴿سِلْمٌ﴾(١)، وله وجهانِ:

أحدُهما: سِلْمٌ وسلامٌ لغتانِ؛ كحِرْمٍ وحرامٍ، وحِلٍّ وحلالٍ.

والثّاني: سِلْمٌ: صُلْحٌ(٢)؛ أي: نحنُ سِلْمٌ، والأمرُ سِلْمٌ.

الزَّجَّاجُ: أمري معكُم سلامٌ(٣).

الفرَّاءُ: هو سلامٌ إنْ شاءَ الله، فمَن أنتم(٤)؟

﴿فَمَا لَبِثَ﴾: ما أبطأ، ومعنى (لبث) و(مكث): أقامَ أكثرَ من ساعةٍ.

﴿أَن جَآءَ﴾؛ أي: عن أن جاءَ، فهو خفضٌ عند الخليلِ، ونصبٌ عند غيرِه(٥).

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: محنوذٍ، وهو المشويُّ بالحجارةِ المُحمَّاةِ.

مجاهدٌ: مطبوخٍ(٦).

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) بعدها في النسختين: «وعن النبي عليه السَّلامُ»، ولا وجه لها.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٦٠).

(٤) فالقومُ سلَّموا، فقال إبراهيمُ: هو سلام إن شاء الله، لكنه كان ينكرهم فقال: فمن أنتم؟ .انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١).

(٥) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١١، ٥١٢): ﴿ما﴾ نفي، وفي ﴿لَبِثَ﴾ ضمير إبراهيم، و﴿أَن جَآءَ﴾ في محل نصب بنزع الخافض وتعدي الفعل إليه، وتقديره: فما لبث إبراهيم عن أن جاء.
الغريب: ﴿أَن جَآءَ﴾ فاعل ﴿لَبِثَ﴾، وليس فيه ضمير إبراهيم، أي: ما لبث مجيئُه بعجل.
العجيب: ﴿ما﴾ بمعنى الذي، و﴿أَن جَآءَ﴾ خبره، والتقدير: فالذي لبث قدرُ أن جاء بعجل.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٨٠)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٨) عنه قوله: «نضيجٍ سخنٍ أُنضج بالحجارة».
وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢١): «والحنيذ: ما حفرت له في الأرض ثم غممته، =

الحسنُ: نضيجٍ مشويٍّ(١).

شِمْرٌ: مشويٌّ يقطرُ ودَكُه(٢). من قولهم: حنَذْتُ الفرسَ: إذا عرَّقْتَهُ بالجِلالِ.

وقيل: ﴿حَنِيذٍ﴾: سميطٍ(٣).

السُّدِّيُّ: ﴿حَنِيذٍ﴾: سمينٍ(٤).

ظنَّهم أضيافًا، والملائكةُ لا يأكُلون ولا يشرَبون.

الحسنُ: أتَوه على صورةِ الأضيافِ؛ لأنَّه كانَ يُحِبُّ قِرَى الضُّيوفِ(٥).

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: فلمَّا رآهُم لا يأكُلون الطَّعامَ ولا يمدُّونَ أيديَهم إليه ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكَرَ ذلك منهم، ونكِرَ وأنكَرَ لغتانِ، قال الأعشى:

= وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل، فقيل: حنيذ، كما قيل: طبيخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول».

(١) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٨) عن مجاهد، ورواه أيضاً عن ابن عباس قتادة والضحاك، لكن دون كلمة: مشوي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٣) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٣).

(٥) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٧٢).

وأنْكَرَتْني ومـا كـانَ الذي نَكِـرَتْ مِنَ الحـوادثِ إلَّا الشيبَ والصَّلَعا[١]

فجمَعَ اللُّغتَينِ في البيتِ.

ابنُ عيسى: نكَرْتُه أشدُّ مبالغةً.

وإنَّما نكِرَهُم؛ لأنَّهم لم يتحرَّموا بطعامِه[٢]، فلم يأمَنْ أن يكونَ ذلك لبلاءٍ.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: وقعَ في نفسِه خَوفٌ منهم.

والإيجاسُ: الإدراكُ؛ أي: أدرَكَ وأحسَّ بخوفٍ حدثَ في نفسِه، وجاء في الخبرِ: أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ سألَ الملائكةَ عن تركِهم الأكلَ فقالوا: لا نأكُلُ إلّا بثمنٍ، قال إبراهيمُ عليه السَّلامُ: فإنَّ ثمنَه أن تُسَمُّوا الله، فقالوا: الله أعلَمُ بهذا حين اتَّخذَه خليلًا[٣].

وذكرَ المُفسِّرون أنَّه أُرعدَ من خوفِهم ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: نحنُ ملائكةُ الله بعثَنا لعذابِ قومِ لوطٍ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ بخدمـةِ الأضيافِ، وكان لا تحتجبُ نسـاؤُهم كعادةِ الأعرابِ ونازلـةِ البـوادي والصَّحـراءِ، ولـم يكُـنِ التَّبـرُّزُ مكروهًـا، وكانـت عجـوزًا، وخدمةُ الضِّيفـانِ مـمَّا يُعَدُّ من مـكارمِ الأخلاقِ.

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٠١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٤)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٤٧٢).

(٢) في (و): «بزاده». وفي هامش (ن): «معنى «لم يتحرموا»؛ أي: ما طلبوا حرمته بأكل طعامه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٣) عن السدي.

وقيل: كانت سارةُ قائمةً وراءَ السِّترِ تسمعُ ما يجري بينَ إبراهيمَ وبينَ الضِّيفانِ.

وقيلَ: دَعا جبريلُ فأحيا الله العِجْلَ المشويَّ، فقام يَطفرُ[1]، فخرجَتْ سارةُ لهذه العجيبةِ.

المُبرِّدُ: وامرأتُه[2] قائمةٌ عن الولدِ[3].

وقيل: كانت قائمةً تُصلِّي.

وفي الشَّواذِّ: (وامرأتُه قائمةٌ وهو جالسٌ)[4].

قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾؛ أي: تبسَّمَتْ سرورًا بالأمنِ؛ لأنَّها خافَتْ كما خافَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ.

وقيل: ضحِكَتْ تعجُّبًا من إحياءِ الله تعالى العِجلَ المشويَّ وطَفرِه وعَدْوِه إلى مَرعاه.

وقيل: ضحِكَتْ من خوفِ إبراهيمَ وهو بين أهلِه وحشَمِه.

وقيل: ضحِكَتْ منِ امتناعِ الضَّيفِ منَ الأكلِ، ولم تكُنْ رأتْ مثلَ ذلك.

وقيل: ضحِكَتْ منَ البشارةِ بالولدِ، وفيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: بشَّرْناها بإسحاقَ فضَحِكَتْ.

وقال محمَّدُ بنُ قيسٍ: لـمَّا امتَنعُوا منَ الطَّعامِ وكانت لهم شارةٌ وشبابٌ وجمالٌ

---

(١) الطفر: وُثُوبٌ في ارتفاع. انظر: «العين» (٧/ ٤١٧).

(٢) «وامرأته»: ليست في (ن).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٨١).

(٤) نسبت هذه القراءة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٧٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٠٣).

ظنَّتْ أنَّهم على رأيِ قومِ لوطٍ في اللِّواطةِ[١] فضَحِكَتْ تعجُّبًا من ذلك[٢].

والضَّحكُ خاصَّةٌ للإنسانِ إذا رأى العجيبَ البديعَ حصَلَ في مادَّةِ البدنِ كهيئةِ الضَّحِكِ.

عكرمةُ ومجاهدٌ: ﴿ضحكت﴾: حاضَتْ[٣]، ورواه الخليلُ أيضًا[٤]، وقالوا: ضحِكَتِ الأرنبُ: إذا حاضَتْ[٥].

وقيل: ﴿ضحكت﴾ أي: أشرَقَ وجهُها، كما تقولُ: الرَّوضةُ تضحَكُ.

وقيل: معنى حاضَتْ أقربُ إلى البشارةِ بالولدِ؛ أي: رأَتْ أمارةَ ذلك بعد البشارةِ أو قبلَها، وأُنشِدَ:

وعَهْدي بسَلْمَى ضاحِكاً في لُبَابَةٍ ... ولم يَعْدُ حُقَّا ثَدْيِها أنْ تَحَلَّما[٦]

---

(١) في (و): «اللواط».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٥). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٣٤): «وقول محمد بن قيس: إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط، وقول الكلبي: إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم = ضعيفان جدًّا، وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما، فلا يلتفت إلى ذلك».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٢) عن عكرمة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٦) عن مجاهد وعكرمة.

(٤) انظر: «العين» (٣/ ٥٨)، وفيه: «﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا﴾ يعني: طمثت».

(٥) ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٢)، وعدَّه من العجائب.

وتعقب هذا التأويل ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ٤١٠) بقوله: «ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت، إذ لا عجب في حمل من تحيض، والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل».

(٦) البيت بلا نسبة في «الإبانة في اللغة» للعوتبي (٣/ ٤١٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ١٤١)، =

أي: حائضًا في لُبابةٍ، واللُّبابةُ والعِلْقةُ والشَّوْذَرُ واحدٌ[١]. ومنه: ضحِكَتِ الكافورةُ: إذا انشقَّتْ، وضحِكَت السَّمُرةُ: إذا سالَ صَمْغُها، وهو يُشبِهُ الدَّمَ.

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾: وبعد بشارةِ إسحاقَ يعقوبُ.

ورَوَى جماعةٌ منَ المُفسِّرين وكثيرٌ[٢] من أهلِ اللُّغةِ أو كلُّهم: أنَّ الوراءَ ولدُ الولدِ[٣]، والعربُ تقولُ: هذا ابني منَ الوراءِ؛ أي: ابنُ ابني[٤]، وهو مشكِلٌ في

= و«البحر المحيط» (٦/ ١٧٣). قال العوتبي: ولَمْ يَعْدُ؛ أي: لم يُجاوِزْ، والحُقَّان: ما تَفَلَّكَ منَ الثَدْيَيْنِ، تَحَلَّما: ارْتَفعَا وقَوِيَا».

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي المسمَّاة: «عناية القاضي وكفاية الرَّاضي» (٥/ ١١٥): «و«تحلما» أصله: تتحلما؛ أي: تظهر حلمته وتكبر، وهي رأس الثدي، وفي نسخة: «تحلبا» بالباء؛ كأنّ معناه خروج لبنهما».

(١) في هامش (ن): «اللبابة: ثوب يغطى به، وكذلك أخواته». وانظر: «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٩)، وفيه: «الشَّوْذَرُ واللُّبابة والعِلْقة: ثوب يجاب ولا يخاط جانباه فتلبسه الجارية، وهو إلى الحجزة».

(٢) في (و): «وجماعة».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، عن الشعبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٣)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ و٤٨٠) عن ابن عباس والحسن:

أما الأول: فرواه عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: مَن هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني، قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فولد الولد هم الوراء.

وأما الثاني: فرواه عن أبي اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى أبي موسى الأشعري، قال: كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، قال الحسن: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

الآيةِ جدًّا، ولم يُبيِّنْه المُفسِّرون لأنَّ الوراءَ إذا حملْتَه على ولدِ الولدِ يكونُ أولادَ يعقوبَ لا يعقوبَ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: سُمِّيَ ولدُ إسحاقَ وراءً لأنَّهم وراءَها؛ أي: أولادُ أولادِها، فبُشِّرَ من بينِهم بيعقوبَ لأنَّها رأتْه ولم ترَ غيرَه.

و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، و﴿وراء﴾ يقعُ للجمعِ كالولدِ.

ومَن رفَعَ ﴿يعقوب﴾[1] فهو مبتدأٌ، والجارُّ والمجرورُ خبرُه تقدَّمَ عليه، ومَن نصبَه فبفعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: وهَبْنا له يعقوبَ.

وقيل: هو محمولٌ على (إسحاقَ)[2] لفظًا وتقديرًا؛ أمَّا اللَّفظُ: فلأنَّه لا ينصرفُ، وأمَّا التَّقديرُ: فلأنَّه المُبشَّرُ به، وهو مفعولٌ[3].

وهو ضعيفٌ[4]؛ لأنَّ الظَّرفَ حيلَ به بينَ الواوِ والمعمولِ[5]، وبابُ هذا الشِّعرُ كقولِه:

يَوْمًا تراها كشِبْهِ أَرْدِيةِ الـ ... ـعُصْبِ[6] ويومًا أدِيمَها نَغِلا[7]

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بنصب الباء، والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) أي: معطوف عليه بالواو.

(٣) كأن مراده: أن كلمة (المبشَّر) اسم مفعول، والله أعلم.

(٤) في (ن): «وفيه ضعف».

(٥) في هامش (ن): «ومثال قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ في أن الظرف حال بين الواو والمعطوف قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وله نظائر، وإنما يجوز هذا حيث يكون العامل فعلاً، فأما إذا كان اسمًا فلا يجوز، تقول: مررت برجل ضارب زيدًا يوم الجمعة وبكراً يوم السبت، فتحيل بين الظرف والمعمول بظرف مع اسم الفاعل».

(٦) كتب فوقها في (ن): «البُرد اليماني».

(٧) البيت للأعشى يذكر نبات الأرض. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٣٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٣٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٧٠)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ٩٠) مادة: (خ م س) و(٨/ ١٣١) =

ومَن جعلَ هذا من بابِ العطفِ على عاملَين فقد سَها.

وإنَّما خُصَّتْ بالبشارةِ لظُهورِ أثرِ الحبَلِ عليها وهو الحيضُ على ما سبق، وقيل: جزاءً على خدمتِها للضَّيفِ، وقيل: لأنَّ النِّساءَ أعظمُ سُرورًا بالولدِ منَ الرِّجال.

ويحتملُ أنَّ سارةَ خُصَّتْ بالبشارةِ حيثُ لم يكُنْ لها ولدٌ، وكان لإبراهيمَ ولدٌ وهو إسماعيلُ صلَواتُ الله عليهم أجمعين(١).

ويجوزُ أنَّ الله سُبحانَه سمَّاهما إسحاقَ ويعقوبَ، ويجوزُ أنَّ الله بشَّرهما بالولدِ وولدِ الولدِ، ثمَّ إنَّهما سمَّياهما(٢) بإسحاقَ ويعقوبَ.

***

= مادة: (ن غ ل)، و«الصحاح» مادة: (خ م س) و(ن غ ل) و(أ د م)، ورواية الديوان وهذه المصادر: «أردية الخمس». قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (خ ع س): «الخِمْسُ: بُرْدٌ من برود اليمن». وقال الأزهري: «نَغِلَ وجهُ الأرضِ: إذا تهشَّم من الجُدُوبة».

وهو برواية المصنف في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٦٧) وعنه أخذ المؤلف هذا البحث، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٩٧)، وقد شرح ابن جني البيت على ما ذهب إليه شيخه أبو علي من عدم جواز العطف على (إسحاق) في هذه القراءة فقال: «أراد: تراها يومًا كمثل أردية العُصب، وأديمَها يومًا آخَرَ نَغِلاً، ففصَل بالظرف بين حرف العطف والمعطوف به على المنصوب من قبله، وهو «ها» من «تراها»، وهذا أسهل من قراءة من قرأ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وإنما كانت الآية أصعب مأخذًا من قِبَل أنَّ حرف العطف منها الذي هو الواو ناب عن الجار الذي هو الباء في قوله: ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، وأقوى أحوال حرف العطف أن يكون في قوة العامل قبله، وأن يليَ من العمل ما كان الأول يليه، والجار لا يجوز فصله من مجروره، وهو في الآية قد فُصِل بين الواو و﴿يَعْقُوبَ﴾ بقوله: ﴿مِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ﴾ والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «إنها سمتهما».

(٧٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: إيذانٌ بأمرٍ فظيعٍ، والويلُ: حلولُ الشَّرِّ، والألفُ في آخرِه بدلٌ منَ الإضافةِ، وقيل: يجري مَجرى ألفِ النُّدبةِ، وهو ضعيفٌ[١].

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾: ابنةُ تسعينَ سنةً، وقيل: تسعٍ وتسعينَ سنةً ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي، والبِعالُ: الجِماعُ، وأصلُه: القائمُ بأمرِه[٢]، ومنه بعلُ النَّخلةِ؛ لاستغنائِه عن تكلُّفِ السَّقيِ له.

﴿شَيْخًا﴾: ابنُ مئةِ سنةٍ، وقيل: ابنُ مئةٍ وعشرين سنةً.

وقيل: عرَّضَتْ بقولِها: ﴿شَيْخًا﴾ عن تركِ غشيانِه لها، حكاه الماورديُّ[٣].

و﴿شَيْخًا﴾ حالٌ، والعاملُ ﴿هذا﴾، والجملتانِ[٤] حالانِ، والعاملُ فيهما: ﴿ءَأَلِدُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: الولدُ من شيخَين أمرٌ عجيبٌ لم يُعهَد مثلُه؛ استغرَبَتْ من حيثُ العرفُ لا إنكارًا لقدرةِ الله.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «قول من قال: إن الألف جاء مجرى الندبة، ضعيف؛ لأن ألف الندبة تكون في المعرفة، وهذا نكرة».

(٢) في (و): «بالأمر».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) أي: جملة (وأنا عجوز) وجملة (وهذا بعلي شيخاً).

(٧٣) ـ ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الملائكةُ: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: استفهامُ تنبيهٍ، وأمرُ الله: حكمُه وقضاؤُه.

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ يريدُ: يا أهلَ البيتِ؛ دعاءٌ لهم، وقيل: إخبارٌ وتذكيرٌ للنِّعمةِ. ومن بركاتِه: أنَّ جميعَ الأنبياءِ بعده من نسلِه.

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ﴾: محمودٌ على كلِّ حالٍ، وقيل: ﴿حَمِيدٞ﴾ يَحمدُ المؤمنين من عبادِه. ﴿مَّجِيدٞ﴾: يَكثرُ الخيرُ من قِبَلِه، ومنه: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ[1].

والمَجدُ: نيلُ الشَّرفِ. مَجَدَ فهو ماجدٌ، ومَجُدَ فهو مجيدٌ.

الحسنُ: المجيدُ: الكريمُ[2]. وقيل: العظيمُ.

***

(٧٤) ـ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ ﴾ الرَّوعُ: الفزَعُ، وبالضَّمِّ: القلبُ، تقولُ العربُ: رِيعَ رُوعي: خافَ قلبي، وأحسَنُ ما تكونُ الظَّبيةُ إذا رِيعَتْ.

﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ سبقَ ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ القياسُ: (جادَلَنا)؛ لأنَّ (لمَّا) علَمٌ للظَّرفِ إذا وقعَ الشَّيءُ بوقوعِ غيرِه، وتقديرُ الآيةِ: أخذَ يُجادِلُنا، وهو حكايةُ

---

(١) قولهم: «في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار» يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض؛ أي: لكل واحد من هؤلاء فضل إلا أن فلانًا أفضل. والمرخ والعفار: من الشجر يكون فيهما النار. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٨٧).

حالٍ، والمعنى: يُجادِلُ رسُلَنا؛ أي: يُكرِّرُ السُّؤالَ ليعلمَ بأيِّ شيءٍ استحقُّوا عذابَ الاستئصالِ، وأنَّ ذلك واقعٌ لا محالةَ أم على سبيلِ الإخافةِ.

وقيلَ: جادَلَهم بقولِه: أرأيتُم إنْ كانَ فيها خمسونَ من المسلمين أتهلِكُونَهم؟ قالوا: لا، قال: أربعونَ؟ قالوا: لا، حتَّى بلغَ الواحدَ، قالوا: لا، قالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] الآية[١].

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يتشفَّعُ في قومِ لوطٍ[٢].

وقيل: يُكلِّمُنا[٣].

* * *

(٧٥) - ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ سبقَ في (براءة).

* * *

(٧٦) - ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؛ أي: قالتِ الملائكةُ: يا إبراهيمُ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدالِ، ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابِهم، ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: غيرُ مصروفٍ عنهم، ثمَّ خرجُوا من عندِ إبراهيمَ مُتوجِّهينَ نحوَ قومِ لوطٍ، وكانَ بينَ قريةِ إبراهيمَ وقومِ لوطٍ أربعةُ فراسخَ، قالَه الكلبيُّ[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٩٠)، عن قتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٩١).

(٧٧) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾؛ أي: لمَّا أتوه وضافُوه فرآهُم وهيئاتِهم وجمالَهم ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: ساءَه مجيئُهم وأُحزِنَ بهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: وضاقَ بمكانِهم صدرُه؛ لأنَّه[1] علِمَ أنَّه سيُدفعُ إلى الذَّبِّ عنهم والطَّردِ دونَهم، وأنَّ قومَه يُسارِعُونَ إلى أمثالِهم.

ابنُ عيسى: يُقالُ: ضاقَ بأمرِه ذَرْعًا: إذا لم يجِدْ منَ المكروهِ سبيلًا، ونُسِبَ إلى الذَّرعِ على عادةِ العربِ في وصفِ القادرِ على الشَّيءِ المُنبسِطِ فيه بالتَّذرُّعِ والتَّبوُّعِ[2] وطولِ اليدِ والباعِ والذِّراعِ، ثمَّ يُوضَعُ ضيقُ الذِّراعِ مكانَ ضيقِ الصَّدرِ، وهو نصبٌ على التَّمييزِ.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديدٌ في الشَّرِّ، وكذلك عَصَبْصَبٌ، وأصلُه منَ العَصْبِ، وهو الشَّدُّ، وقيل: خافَهم كما خافَ إبراهيمُ.

ثمَّ إنَّ عجوزَ السَّوءِ خرجَتْ وأخبرَت القومَ بمجيئِهم، وقالت: ما رأيتُ أحسنَ منهم وجهًا، ولا أطيبَ ريحًا، ولا أنظَفَ ثيابًا، فأقبلوا نحوَهم مُسرِعين، وهو قولُه:

(٧٨) ـ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: لطلَبِ الفاحشةِ منهم، والإهراعُ: الإسراعُ.

الكسائيُّ: الإهراعُ: الإسراعُ مع رِعْدةٍ[3].

---

(١) في (ن): «كأنه».

(٢) في (و): «والنبوغ».

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» مادة (ه رع) (١/ ١٠١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، واستغربه.

وقيلَ: هو الشَّوقُ العنيفُ.

وجاء على لفظِ المجهولِ كما جاء: عُنِيْتُ بكذا، وزُهِيْتَ علينا[١]. وقيل: كانَ يسوقُ بعضُهم بعضًا، ويحثُّ بعضُهم بعضًا.

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: قبلَ مجيءِ الملائكةِ ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ كنايةٌ عن إتيانِ الذُّكرانِ، وقيل: من قبلُ كانوا يأتون النِّساءَ من أدبارِهنَّ. والمعنى: أَلِفُوا[٢] الفاحشةَ فجاهَروا بها ولم يستَحْيُوا منها.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ قيل: أرادَ بناتِ صلبِه، وهما ابنتانِ زعورا وريثا، وذكرَ المُفسِّرون أنَّه أرادَ أن يقِيَ أضيافَه ببناتِه.

وقيل: أرادَ بناتِ قومِه، وكلُّ نبيٍّ أبو أمَّتِه، ومنه قراءةُ مَن قرأ: (وأزواجُه أمَّهاتُهم وهو لهم أبٌ)[٣]، وهذا أولى؛ لجمعِ البناتِ.

وقيل: كان في قومِه رجُلان مُطاعان، فأرادَ أن يُزوِّجَ ابنتَيه منهما، وكان النِّكاحُ جائزًا بينَ المُسلمةِ والكافرِ.

الحسنُ: كانوا من قبلُ يخطِبون بناتِه فيأبى، فحمَلَه ضيقُ الأمرِ على أن ضمِنَ إسعافَهم[٤].

وقيل: شرَطَ عليهم الإيمانَ بدليلِ قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

---

(١) انظر: «البارع» لأبي علي القالي (ص: ١٤٨)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٤٠١)، و«إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل» لابن علان (ص: ٤).

(٢) في (و): «ركبوا».

(٣) نسبت هذه القراءة لأبي بن كعب وابن عبّاسٍ وجعفر بن محمد. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٨٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٥)، واستغربه.

قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: أنظَفُ فِعلًا، وقيل: أحلُّ، وقيل: أعفُّ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: ولا تُذِلُّوني ولا تُهينُوني، وقيل: ولا تُشوِّروني[1] فيهم، منَ الخزايةِ وهي الاستحياءُ، وقيل: لا تُخزوني: لا تُهلِكُوني في حقِّهم، عَدَّ ذلك إهلاكًا.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ قيل: مُؤمنٌ، وقيل: آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المُنكرِ.

عكرمةُ: مَن يقولُ: لا إلهَ إلّا الله[2].

و(ليسَ) في الآية بمعنى (ما) النَّفي، والاستفهامُ للإنكارِ.

***

(٧٩) - ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ أي: لسنَ لنا بأزواجٍ فنستحِقَّهنَّ.

وقيل: ﴿مِنْ حَقٍّ﴾: حاجةٍ وشهوةٍ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: الذُّكرانَ.

وقيل: ادَّعُوا في الضِّيفانِ حقًّا حين نهَوه عن إيواءِ المُردِ منَ الضِّيفانِ وشرطُوه أن يستَبيحُوهُم، فلمَّا أضافَ أولئك ادَّعَوا فيهم حقًّا للنَّهيِ المُتقدِّمِ، فهذا باطلٌ تعلَّقُوا به[3].

***

(٨٠) - ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: لو قدرتُ على دفعِكُم بيدي[4]

---

(١) التشوير: التخجيل، يقال: شورت بفلان، وتشور فلان. انظر: «العين» (٦/ ٢٨١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٣) عن عكرمة عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٦)، واستغربه.

(٤) في (ن): «ببدني».

وقوَّتي، أو أنضمُّ وأرجعُ إلى عشيرةٍ ومنَعةٍ ينصُرونَني، لدفعتُكم، وجوابُ (لو) محذوفٌ.

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ: أنَّه لو كانَ لِلُوطٍ مثلُ رهطِ شُعيبٍ لجاهدَ بهم قومَه(١).

وعن ابنِ عبَّاسٍ: ما بعثَ الله بعد هذه الكلمةِ من لوطٍ نبيًّا إلّا في عزٍّ وثروةٍ من قومِه(٢).

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال عندَ قراءةِ هذه الآيةِ: «رحمَ الله أخي لوطًا، لقد كانَ يأوي إلى رُكنٍ شديدٍ»(٣) يُريدُ: نصرَ الله وعَونَه(٤).

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٧)، واستغربه.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٩٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٧)، واستغربه.

وقد ورد مرفوعًا، روى الترمذي (٣١١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ فما بعث الله من بعده نبيًّا إلا في ذروة من قومه»، وفي رواية عنده: «ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه». وفيه: قال محمد بن عمرٍو: «الثَّروةُ: الكثرةُ والمَنَعةُ»، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ».

(٣) رواه البخاري (٣٣٧٥)، ومسلم (١٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال ابن حزم في «الملل والنحل» (٤/ ٧): «أما قوله عليه السَّلامُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ فليس مخالفًا لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه؛ لأن لوطاً عليه السَّلامُ إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة وأو عشيرة أو أتباع مؤمنين، وما جهل قط لوط عليه السَّلامُ أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة وأشد ركن، ولا جناح على لوط عليه السَّلامُ في طلب قوة من الناس؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، فهذا الذي طلب لوط عليه السَّلامُ، وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى، فكيف =

وقيل: جوابُ (لو): لأجبَرتُكم على تركِ ما أنتم عليه، والله لا يُجبِرُ.

وكانَ لوطٌ عليه السَّلامُ قد أغلَقَ بابَه دونَ ضيفِه يُناظِرُ قومَه ويُناشِدُهم من وراءِ البابِ، وهم يُعالجون تسوُّرَ الجدارِ، فلمَّا رأتِ الملائكةُ ما لقِيَ لوطٌ منَ المشقَّةِ والتَّعبِ بسببِهم:

(٨١) ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾: لا تراهُم بعدَ هذا؛ لأنَّا مُهلِكوهُم قبلَ أن يصِلُوا إليك وإلى ضيفِكَ بمكروهٍ، فهوِّنْ عليك.

فلمَّا سمعَ مقالتَهم خلَّى بين القومِ وبين الدُّخولِ إلى منزلِه، فدخلوا، فضرَبَ جبريلُ عليه السَّلامُ بجناحِه وجوهَهم فطمَسَ أعيُنَهم وأعماهم، فصاروا لا يُبصِرونَ الطَّريقَ ولا يهتَدون إلى بيوتِهم، ويقولون: في بيتِ لوطٍ سحرةٌ، كما أنتَ يا لوطُ حتَّى نُصبِحَ؛ يُوعِدونَه.

ثمَّ قالوا له: إنَّا أُمِرْنا أن نُهلِكَهم حينَ يَنبلجُ الصُّبحُ، فاخرُجْ أنتَ بمَن آمنَ بك من أهلِكَ، فذلك قولُه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الإسراءُ والسُّرى: سيرُ اللَّيلِ؛ أي: سِرْ بأهلِكَ[1] ليلًا ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ قيل: بطائفةٍ منَ اللَّيلِ، وقيل: بنصفِ اللَّيلِ، كأنَّه قطعَ نصفَين، وقيل: بسوادِ اللَّيلِ.

= ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السَّلامُ؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر عليه السَّلامُ أن لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد، يعني: مِن نصر الله له بالملائكة، ولم يكن لوط علم بذلك، ومن اعتقد أن لوطاً كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر؛ إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر...».

(١) في (ن): «بهم».

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: لا يتخلَّفْ منكم أحدٌ، وقيل: معناه: لا ينظُرْ إلى ورائِه، وقيل: معناه: لا يلتفِتْ إلى مالِه هناك، لا يُبالِ به.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ النَّصبُ على الاستثناءِ من قولِه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ إلا امرأتَكَ، ومَن رفعَ[1] فعلى البدلِ من ﴿أَحَدٌ﴾، ويجوزُ النَّصبُ من هذا الوجهِ أيضًا، والرَّفعُ أقيَسُ.

مجاهدٌ: تُعُبِّدوا بأنْ لا يلتَفِتُوا إلى ورائِهم[2].

وفي الخبرِ أنَّها كانت مع لوطٍ، فلمَّا رفعَ جبريلُ الأرضَ سمعتِ الهدَّةَ فقالت: واقوماهُ، فأدرَكَها حجرٌ فقتلَها[3].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ ﴿مُصِيبُهَا﴾ منَ العذابِ ﴿مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾: موعدَ هلاكِهم ﴿ٱلصُّبْحُ﴾: وقتُ الصُّبحِ، فقالَ لوطٌ: أُريدُ الآنَ، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؛ أي: الوقتُ الذي أُمِرْنا بإهلاكِهم فيه قريبٌ، وهو أوَّلُ الفجرِ.

* * *

(٨٢) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: إهلاكُنا، وقيل: جاء أمرُنا بالعذابِ؛ أي: قيل له: كُنْ.

وقيل: ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: هو الملائكةُ.

---

(١) وهما ابن كثير وأبو عمرو، والباقون قرؤوا بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٠٧) بلفظ: «لا ينظروا وراءهم؛ كأنهم تعبدوا بذلك»، وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٨) عن مجاهد قال: «لا ينظر وراءه أحد».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٣٥) عن حذيفة رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٦) عن سعيد بن جبير.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: أدخَلَ جبريلُ جناحَه تحتَ قُرى قومِ لوطٍ؛ سدوم وعاموراء وداذوماء وصبوائيم، وهي المُؤتفكاتُ، فرفعَها حتَّى سمعَ أهلُ السَّماءِ صياحَ الدِّيكةِ ونُباحَ الكلابِ، ثمَّ جعلَ عاليَها سافلَها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على المدُنِ، وقيل: على شُذَّاذِها ومُسافريها ﴿حِجَارَةً﴾؛ أي: جعَلْنا الحجارةَ بدلَ المطرِ حتَّى أهلكَهُم من آخرِهم.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ:

الأوّلُ: حجارةٌ صلبةٌ ليست من جنسِ حجارةِ الثَّلجِ والبرَدِ.

ابنُ عبَّاسٍ: فارسيٌّ مُعرَّبُ: (سَنْك وكِلْ)[1] بدليلِ قولِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

الثّاني: شديدٌ منَ الحجارةِ، عن أبي عبيدةَ[2].

الثّالثُ: من مثلِ السَّجْلِ في الإرسالِ، والسَّجْلُ: الدَّلوُ.

الرّابعُ: من (أسجَلْتُه): أرسَلْتُه.

الخامسُ: من (أسجَلْتُه): أعطَيْتُه، وتقديرُه: من مثلِ العطيَّةِ في الإدرارِ.

السّادسُ: من (السِّجِلِّ)، وهو الكتابُ، وتقديرُه: من مكتوبِ الحجارةِ، وهي حجارةٌ كتبَ الله أن يُعذِّبَهم بها.

السّابعُ: من سجين؛ أي: من جهنَّمَ، أُبدِلَتْ نونُه لامًا[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، وزاد بعضهم فيه: «حجر وطين».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٩٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٨)، واستغربه.

الثّامنُ: منَ السَّماءِ الدُّنيا، وهي تُسمَّى سجِّيلًا[١]، حكاها ابنُ عيسى.

وأحسنُ الأقاويلِ ما وافقَ القرآنَ، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ (سَنْك وكِل)[٢]؛ لقولِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، ويقرُبُ منه قولُ مَن قالَ: إنَّه من السِّجِلِّ.

﴿مَّنضُودٍ﴾: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ حتَّى صارَ حجَرًا.

وقيل: ﴿مَّنضُودٍ﴾: مصفوفٍ في تتابعٍ، نُضِدَتْ حينَ أُمطِرَتْ كالمطرِ قطرةً بعد قطرةٍ.

***

(٨٣) ـ ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمةً ببياضٍ إلى حمرةٍ من السَّماءِ.

وقيل: مكتوبٌ عليها اسمُ مَن أُهلِكَ بها.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنِه، وقيل: في علمِه.

وهبُ بنُ منبِّهٍ: أُمطِرَ عليهم الكبريتُ والنَّارُ[٣].

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ يُريدُ: ظالمي أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: هو ترهيبٌ لقريشٍ.

وقيل: هو في قومِ لوطٍ، وهم الظّالمون؛ أي: لـم يبعُدْ عن ظالمٍ منهم، بل أصابَ جميعَهم حيثُ كانوا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «سندكل».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٦٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٧) إلى ابن أبي حاتم.

وذكَّرَ (بعيد)؛ أي: بمكانٍ بعيدٍ، وقيل: حُمِلَ على لفظِ الحجرِ، وقيل: ليس في لفظِ ﴿هِىَ﴾ علامةُ التَّأنيثِ.

***

(٨٤) - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾؛ أي: وأرسَلْنا شُعيبًا إلى بني مديَنَ، وقيل: ساكني مديَنَ.

ومدينُ هذا يُقالُ: إنَّه ابنٌ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ، فصارَ اسمًا للقبيلةِ، أو سُمِّيت البلدةُ باسمِه، وهو شاذٌّ في القياسِ كمَزْيَدَ ومَريمَ[1].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: المَكيلَ بالمكيالِ والمَوزونَ بالميزانِ؛ أي: لا تبخَسُوا النَّاسَ حقوقَهم، كانوا مع كُفرِهم مُطفِّفين.

والكيلُ: تعديلُ الشَّيءِ بالمكيالِ في القلَّةِ والكثرةِ، والميزانُ: آلةُ الوزنِ، والوزنُ: تعديلُ الشَّيءِ بالشَّيءِ في الخفَّةِ والثِّقلِ.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: نعمةٍ وخِصْبٍ، فلا حاجةَ بكم إلى التَّطفيفِ مع النِّعمةِ ورخصِ السِّعرِ.

﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ قيل: هو غلاءُ السِّعرِ، وقيل: الاستئصالُ في الدُّنيا، وقيل: العذابُ في الآخرةِ.

---

(١) والقياس أن تقْلَب الواو فيها ألفًا بعد نقل حركتها إلى ما قبلها. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ١٠٧).

(٨٥) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أتِمُّوهما، والوفاءُ: تمامُ الحقِّ، والإيفاءُ: إتمامُه.

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ، مصدرٌ أُميتَ فِعلُه، والفعلُ منه بالزِّيادةِ «أقسَطَ».

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: حقوقَهم، ذُكِرَ بأعمِّ الألفاظِ[1].

والبَخْسُ: ضِدُّ الإيفاءِ، وهو نُقصانُ الحقِّ.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ العِثِيُّ والعَيْثُ: أشدُّ الفسادِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ البقيَّةُ: تركةُ شيءٍ من شيءٍ قد مضى؛ أي: ما أبقى الله لكم بعد إيفاءِ الحقِّ منَ[2] الكيلِ والوزنِ خيرٌ لكم منَ التَّطفيفِ؛ لأنَّ الله يجعلُ فيها البركةَ.

وقيل: طاعةُ الله؛ لأنَّها تبقى.

الحسنُ: فرائضُ الله[3]. وقيل: رزقُ الله. وقيل: نعمةُ الله[4]، من قولِه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠]. وقيل: وصيَّةُ الله.

---

(١) وهو لفظ (شيء)، وقد نصَّ على أنه أعم الألفاظ الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٩٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٩).

(٢) «الحق من»: ليست في (ن).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٩٦)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧٢) عن الحسن قال: «رزق الله خير لكم من بخسكم الناس»، وهو القول الآتي.

(٤) في (ن): «رحمة الله».

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: خيرٌ لكم بشرطِ الإيمانِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: يحفظُ عليكم نعمَكُم، فاحفَظُوها بتركِ المعصيةِ، وقيل: ﴿بِحَفِيظٍ﴾: يحفظُكم عن البَخْسِ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ منَ الأصنامِ، وكانَ كثيرَ الصَّلاةِ. وقيل: أقراءَتُك تأمرُك؟ وقيل: أدِينُك يأمرُك؟

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ عطفٌ على ﴿مَا﴾؛ أي: نتركَ فِعْلَنا ما نشاءُ في أموالِنا، وليس بعطفٍ على ﴿أَن﴾ في قولِه: ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتَّاءِ(١)، فيكونُ عطفًا عليه، أو يُضمَرُ (لا).

وقيل: الأمرُ يتضمَّنُ معنى النَّهيِ، والنَّهيُ يتضمَّنُ معنى الأمرِ، فصار تقديرُه: تأمرُكَ بهذا وتنهاكَ عن هذا(٢).

فعلى هذه الوجوهِ يكونُ عطفًا على ﴿أَن﴾.

و﴿أَوْ﴾ في الآيةِ قيل: بمعنى الواوِ، وقيل: كقولِك: يركبُ البغلَ أو الفرسَ؛ أي: مرّةً هذا ومرّةً ذاك.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قيل: بزعمِك، وقيل: أرادوا ضدَّهما استهزاءً به.

---

(١) أي: (أو أنْ تَفْعَلَ في أموالِنا ما تَشاءُ) بتاء الخطاب فيهما، وقد نسبت هذه القراءة للسلمي والضحاك بن قيس. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

وقيل: قالوا له: إنَّك لأنتَ السَّفيهُ الجاهلُ، فردَّ الله عليهم وقال: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، وهذا ضعيفٌ بل مردودٌ[١].

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾؛ أي: كنَّا نظنُّك قبل هذا بهذه الصِّفةِ، كما قالوا لصالحٍ: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: ٦٢][٢].

وما كانوا يفعلون في أموالِـهم هو البَخْسُ والتَّطفيفُ.

وقيل: كانوا يقطَعون الدَّراهمَ والدَّنانيرَ، فنهاهُم عن ذلك[٣].

سفيانُ الثَّوريُّ: كان يأمرُهم بالزَّكاةِ، حكاه الماورديُّ[٤]. وإنَّما يصحُّ هذا على القراءةِ الشَّاذَّةِ.

و(رشيدٌ): فعيلٌ، يصلحُ للفاعلِ والمفعولِ، تقولُ: رَشَدَ رُشْدًا ورَشَدًا فهو رشيدٌ، وأرشدَه الله فهو رشيدٌ؛ مُرشِدٌ ومُرشَدٌ فيهما جميعًا.

* * *

(٨٨) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: بيانٍ وبرهانٍ، ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾: منَ الله، وقيل: منَ البيانِ ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالًا من غيرِ بَخْسٍ وتطفيفٍ، وقيل: علمًا ومعرفةً[٥]، وقيل: نُبوَّةً.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٩٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧٣).

(٥) في (ن): «ومغفرة».

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ، وتقديرُه: أتكرَهُون ذلك، وقيل: تقديرُه: أفأعدِلُ عنها وأتَّبعُ الضَّلالَ؟!

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ معناه: لا أنهاكُم عن شيءٍ ثمَّ آتيه.

وقيل: معناه: لا أجعَلُ فعلي مخالفًا لقولي.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾؛ أي: ما أُريدُ إلّا إصلاحَ أمرِكُم قَدْرَ طاقَتي على حسبِ قَبولِكُم منِّي.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به[1] المدَّةُ والدَّوامُ، كما تقولُ: ما طلعَتْ شمسٌ، و: ما ذرَّ شارِقٌ[2]؛ لأنَّ الاستطاعةَ من شروطِ[3] الفعلِ دونَ الإرادةِ[4].

وقيلَ: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ يتعلَّقُ بـ ﴿ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ لدُعائِكُم إلى الإسلامِ وتركِ التَّطفيفِ ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، ومعنى ﴿تَوۡفِيقِيٓ﴾: لا تكونُ أفعالي مُوافِقةً للصَّوابِ إلَّا بمعونةِ[5] الله، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾: استعَنْتُ به ووثِقْتُ به، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾: أرجعُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وقيل: أرجعُ في المعادِ، وقيل: له أدعو.

***

(١) الضمير يعود على (ما) في قوله: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾، والمعنى أن (ما) تحتمل أن تكون الظرفية الزمانية، ويكون معنى الآية: ما أريد إلا الإصلاح ما دمت أستطيع.

(٢) يقال: لا أفعل ذلك ما ذر شارق؛ أي: طلع، يراد بذلك طلوع الشمس. انظر: «مقاييس اللغة» مادة: (ش ر ق) (٣/ ٢٦٤).

(٣) في (و): «شرط».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

(٥) في (و): «بإذن».

(٨٩) - ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: لا يَكْسِبنَّكم ولا يَحملنَّكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: مُشاقَّتي وعَداوَتي وخِلافي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾: الغرقُ ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾: الرِّيحُ ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖ﴾: الرَّجفةُ، ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ لا في الزَّمانِ ولا في المكانِ.

***

(٩٠) - ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ سبق، وقيل: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: دُومُوا على التَّوبةِ.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بالمؤمنين، ﴿وَدُودٞ﴾: مُتحبِّبٌ إلى عبادِه بالإحسانِ إليهم. وقيل: مُحِبٌّ للمؤمنين. وقيل: محبوبُ المؤمنين، حكاه الثَّعلبيُّ[١].

***

(٩١) - ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ﴾: ما نفهمُ وما نعقلُ ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ يريدُ: التَّوحيدَ وتَرْكَ البَخْسِ ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾: ضعيفَ البصرِ، وقيل: أعمى، عمِيَ من كثرةِ البكاءِ من خشيةِ الله، وقيل: ضعيفَ البدنِ، وحِمْيَرُ تُسمِّي الأعمى: ضعيفًا[٢].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٣٩). وفي هامش (ن): «قول الثعلبي بعيد؛ لأنه لم يأت فعول بمعنى مفعول، ولا يعرف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٧٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٦).

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عشيرَتُك، وكانَ في عزٍّ ومنَعةٍ من قومِه، قال قتادةُ: بلغَنا أنَّهم كانوا أربعةَ آلافِ ألفٍ(١).

ابنُ عيسى: أصلُ الرَّهْطِ: الشَّدُّ، ومنه التَّرهيطُ: شدَّةُ الأكلِ، والرَّاهطاءُ(٢)، والرَّهْطُ أيضًا: اسمٌ لِمَا دونَ العشرةِ منَ الرِّجالِ، وجمعُه: أراهِطُ، وهو شاذٌّ، ولا يقعُ الرَّهطُ والعُصبةُ والنَّفرُ إلَّا على الرِّجالِ.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: قتَلْناك، وقيل: سبَبْناك.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: لستَ عندَنا من أهلِ الكرامةِ والتَّوقيرِ. وقيل: وما أنتَ علينا بذي غلبةٍ. وقيل: مُلْكٍ، وكانوا يُسمُّون المَلِكَ عزيزًا.

***

(٩٢) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أمنَعُ، وهذا إنكارٌ؛ أي: حِفْظُكم إيّايَ في الله أولى منه في رَهْطِي.

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الظِّهرِيُّ: المنسيُّ المتروكُ الذي جُعِلَ كأنَّه خلفَ الظَّهرِ، فيكونُ الضَّميرُ في قوله: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ يعودُ إلى الله سبحانَه، وقيل: إلى

---

(١) المروي عن قتادة مثل هذا عن قوم لوط، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧).

(٢) «الراهطاء»: جُحر من جِحَرةِ اليربوع بين النافقاء والقاصعاء يخبأ فيه أولاده. انظر: «العين» (٤/ ٢٠)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٤٥٠) مادة: (ر هـ ط)، وفيه: «الراء والهاء والطاء أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم». فالرَّهطُ: العصابة من ثلاثة إلى عشرة... وتخفيف الرهط أحسن من تثقيله».

أمرِ الله. وقيل: إلى ما جاءَ به شُعَيبٌ، والمعنى: لم يلتفِتُوا إليه، وهذا قولُ جمهورِ المُفسِّرين في الظِّهرِيِّ.

وقيل: الظِّهرِيُّ أيضًا: العَوْنُ وما يُتقَوَّى به، وهو ظَهْرِيْ؛ أي: عُدَّتي، وفلانٌ بين ظَهْرَيهم وظَهْرانَيهم؛ على التَّثنية.

قال المُبرِّدُ: فعلى هذا: اتَّخذتُم العِصيانَ عُدَّةً لدَفعي، وينبَغي أن يكونَ (وَراء) بمعنى (قُدَّام)[1].

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: عالِـمٌ به مُجازٍ عليه.

هو[2] من قولِـهم: حملتَ فلانًا على ظهرِك: إذا أظهرتَ عِنادَه[3].

***

(٩٣) - ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سبقَ في (الأنعام) تفسيرُه، وقولُه: ﴿يُخْزِيهِ﴾ أي: يُهلِكُه ويفضَحُه.

﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ قيل: تقديرُه: ويُخزي مَن هو كاذبٌ.

وقيل: عطفٌ على الأوَّلِ. وهو الأظهرُ.

﴿وَارْتَقِبُوا﴾: انتظِروا هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ لهلاكِكُم.

---

(١) الذي في «الكامل» للمبرد (١/ ٢٣) موافق لقول الجمهور في الظهري، حيث قال: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾؛ أي: رميتم به وراء ظهوركم؛ أي: لم تلتفتوا إليه، يقال في المثل: «لا تجعل حاجتي منك بظهرٍ»؛ أي: «لا تطرحها غير ناظر إليها».

(٢) في (و) زيادة: «الحسن».

(٣) لم أقف على أحد نسب هذا القول للحسن، ولذلك لم أثبت ما جاء في (و). وفي «النكت والعيون» (٢/ ٥٠٠)، وفيه: يعني: أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، قاله السدي، من قولهم: حملت فلاناً على ظهري، اذا أظهرتُ عناده».

(٩٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قيل: ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: الصِّياحُ، صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ فماتُوا.

وقيل: ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ هاهنا: العذابُ، وإنَّما أُهلِكُوا بالحرِّ، وهم أهلُ يومِ الظُّلَّةِ.

وقيل: بعَثَ الله شُعيبًا إلى مدينَ وأصحابِ الأيكةِ، فأهلَكَ أصحابَ مدينَ بالصَّيحةِ كما في الآيةِ، وأصحابَ الأيكةِ بالحرِّ، ويُقوِّيه ما بعدَه: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، وثمودُ أُهلِكُوا بالصَّيحةِ.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: ميِّتين صَرْعَى هَلْكَى.

***

(٩٥) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: لم يُقيموا ولم يكونُوا فيها، شبَّه هلاكَهم بانقطاعِ آثارِهم منها بما لم يكونوا فيها، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾: هلاكًا وإبعادًا ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: هلكَتْ، (بَعُدَ) بالضَّمِّ: ضِدُّ قَرُبَ، و(بَعِدَ) بالكسرِ: هَلَكَ.

***

(٩٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: هي المُعجِزاتُ التِّسعُ ﴿وَسُلْطَـٰنٍ﴾: حُجَّةٍ واضحةٍ نيِّرةٍ، واشتقاقُه منَ السَّليطِ، وهو الزَّيتُ.

﴿مُّبِينٍ﴾: واضحٍ ومُوضِّحٍ، و(أبانَ): لازمٌ ومُتعدٍّ.

***

(٩٧) ـ ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ﴾؛ أي: الملأُ ﴿أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ جوابٌ لفرعونَ في قولِه: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وقيل: معناه: وما أمرُه ذا[١] صلاحٍ.

وقيل: (الرَّشيدُ) هاهنا بمعنى: المُرشِدِ، على ما سبق.

***

(٩٨) ـ ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾.

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يتقدَّمُهم: يقودُهم إلى النّارِ ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ وذِكرُه بلفظِ الماضي يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: فأورَدَهم في الدُّنيا النَّارَ؛ أي: إلى مُوجِبِه، وهو الكفرُ.

والثّاني: أنَّ ألفاظَ القيامةِ أكثرُها جاء بلفظِ الماضي تحقيقًا، فيكونُ المعنى: يقودُهم إلى أن يُورِدَهُم، فيدخلُ قبلَهم وهم خلفَه.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾: المدخلُ المدخولُ فيه النَّارُ[٢]، وهو ذمٌّ للنَّارِ، وقيل: للوارِدينَ، وأصلُه منَ (الوُرودِ)، وهو إتيانُ الماءِ.

ابنُ عبّاسٍ: ﴿ٱلۡوِرۡدُ﴾: الدُّخولُ[٣].

***

---

(١) في (و): «ذو».

(٢) «النار» هو المقصود بالذم، و«المدخل» فاعل فعل الذم، و«المدخول فيه» صفته، كما تقول: بئس الرجلُ الجبان زيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٠).

(٩٩) ـ ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾.

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً ﴾ يعني: في هذه الدُّنيا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سبقَ. وقيل: ويُلعَنونَ يومَ القيامةِ.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾: العَطاءُ المُعطَى، والعَوْنُ المُعانُ، وأصلُ الرِّفدِ: شيءٌ يُضافُ إلى شيءٍ ليَعمِدَه ويُقوِّيَه، تقولُ: رفَدْتُ الحائطَ، واسمُ ذلك: رِفْدٌ، ثمَّ جُعِلَ كلُّ إعانةٍ رِفْدًا، والمعنى: بئسَ العطاءُ الـمُعطَى اللَّعنةُ بعدَ اللَّعنةِ.

***

(١٠٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ذلك النَّبأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: نُخبرُك به، ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾؛ أي: عامرٌ ﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها حصيدٌ خرابٌ، وأصلُ الحصدِ: قطعُ الشَّيءِ من أصلِه، ومعنى الحصيدِ: المحصودُ.

وقيل: ﴿قَآئِمٌ﴾ بناؤُها خالٍ عن أهلِها، ﴿وَحَصِيدٌ﴾: مطموسُ العينِ والأثرِ.

وقيل: القائمُ ما بقيَتْ حيطانُه؛ كقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، والحصيدُ: المخسوفُ به وما قد مُحِيَ أثرُه.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالقرى: قُرى مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، وأنَّ القائمَ منها ديارُ قومِ هودٍ وصالحٍ وموسى عليهم السَّلامُ، والحصيدُ ديارُ قومِ نوحٍ ولوطٍ.

***

(١٠١) ـ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بإهلاكِنا إيَّاهُم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باتِّخاذِهم الأصنامَ

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ﴾: ما نفعَتْهُم ولا دفعَتْ عنهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: هلاكٍ. وقيل: خسارةٍ، من قولِه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١]. وقيل: تدميرٍ وتخسيرٍ.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بيَّنّا من أخذِه وإهلاكِه ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلكَها[1] ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾؛ أي: أهلُها كافِرون ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ﴾: مُؤلمٌ ﴿شَدِيدٌ﴾: يعسُرُ زوالُه.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: إنَّ في ذلك الذي نزَلَ بالأممِ المُهلَكةِ من أنواعِ العذابِ لعبرةً لمَن خافَ عذابَ الآخرةِ؛ أي: اعتقَدَ صِحَّتَه ووجودَه.

وقيل: ﴿لَأٓيَةٗ﴾: علامةً أنَّ الله يُنجِزُ وعدَه للمُؤمنين.

وقيل: للأنبياءِ أن ينصُرَهم.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾: يُحشَرُ الخلائقُ كلُّهم فيه، وليس يومٌ بهذه الصِّفةِ إلّا يومَ القيامةِ.

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: يشهدُه أهلُ السَّماواتِ والأرَضين، وفي تفسيرِ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣]: أنَّ الشّاهدَ: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والمشهودَ: يومُ القيامةِ.

---

(١) في (و): «أهلها».

(١٠٤) ـ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴾.

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾؛ أي: اليومَ المذكورَ، وقيل: الجزاءَ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾: لوقتٍ مُؤَخَّرٍ، عُيِّنَ لوقوعِ أمرٍ ما فيه ﴿مَّعۡدُودٍ﴾: معلومٍ محسوبٍ.

***

(١٠٥) ـ ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾.

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾؛ أي: يومَ يأتي الجزاءُ، ويحتمِلُ أنَّ اليومَ بمعنى الحينِ؛ أي: حينَ يأتي ذلك اليومُ ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾: تَنْفعُ من شفاعةٍ أو وسيلةٍ ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾.

وقيل: إنَّ فيه وقتًا يُمنَعون عنِ الكلامِ إلّا بإذنِ الله.

﴿فَمِنۡهُمۡ﴾؛ أي: منَ الذين جُمِعُوا لمجيءِ الأجلِ. وقيلَ: يعودُ إلى النَّفسِ، والمُرادُ بها الإنسانُ.

﴿شَقِيٌّ﴾ مستحقٌّ للنَّارِ، سبقت له الشَّقاوةُ، ﴿وَسَعِيدٌ ﴾؛ أي: ومنهم سعيدٌ مُستحقٌّ للجنّةِ، سبقَتْ له السَّعادةُ.

وقيل: ﴿شَقِيٌّ﴾: مُعذَّبٌ، ﴿وَسَعِيدٌ ﴾: مُنعَّمٌ.

***

(١٠٦) ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ الزَّفيرُ: ابتداءُ صوتِ الحمارِ في النَّهيقِ، وأصلُه منَ (المزفورِ)، وهو الشَّديدُ الخَلْقِ.

والشَّهيقُ: آخرُ صوتِ الحمارِ، وأصلُه: الطُّولُ، منَ الجبلِ الشَّاهقِ.

وقيل: الشَّهيقُ: الصَّوتُ الشَّديدُ يصدرُ عن اشتدادِ الكربِ، وربَّما تبعَتْه الغَشْيةُ وتلاه الموتُ.

(١٠٧) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مُقدَّرٌ، تقولُ العربُ: مررتُ برجلٍ معَه صقرٌ صائدًا به غدًا[١]، والعاملُ فيه معنى الاستقرارِ في قولِه: ﴿فَفِي ٱلنَّارِ﴾[٢].

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: دوامَ السَّماواتِ والأرضِ، وأرادَ بالدَّوامِ وقتَ الدَّوامِ، وقيَّدَ الخلودَ بالدَّوامِ؛ لأنَّ العربَ لا تفهمُ خُلودًا لا نهايةَ له، وهذه لفظةٌ وُضِعَتْ للدَّوامِ، ولها أمثالٌ.

وفي هذه الآيةُ والتي تليها سؤالانِ:

أحدُهما: أنَّ السَّماواتِ والأرضَ فانياتٌ، وأنَّ بقاءَ أهلِ الدَّارَينِ بصفةِ الدَّوامِ، فكيف علَّقَ ما يبقى بما يفنَى؟

والثَّاني: بمَ يتَّصِلُ الاستثناءُ؟

وقد أكثرَ المُفسِّرون والنُّحاةُ الكلامَ فيهما، أمَّا السُّؤالُ الأوَّلُ فالجوابُ عنه من وجوهٍ:

أحدُها: أنَّ العربَ كانت تعتقِدُ دوامَهما، فخاطبَهم على ما اعتقَدوا وإن كانَ اللهُ علِمَ من شأنِهما ما جهِلُوا.

والثَّاني: أنَّهما تُعادانِ، وإذا أُعيدَتا بقيَتا إلى غيرِ نهايةٍ، يُقوِّيه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) تريد: قاصِداً به الصَّيْدَ غداً. انظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢). وسميت: الحالَ المقدرةَ؛ لأنها لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قمِيصاً»، و: «اِبْرِ هذه القصبةَ قلماً»، فهذه كلها من الحال المقدَّرة؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، ولا الثوبُ والقصَبةُ قميصاً وقلماً في حال الخياطةِ والبَرْي.

(٢) والتقدير: أما الذين شقوا فاستقروا في النار خالدين.

والثّالثُ: ما دامتِ السَّماءُ سماءً والأرضُ أرضًا، وهذا شيءٌ[1] لا يُفارِقُهما في ذواتِهما، بقِيَتا أو فنِيَتا.

والرّابعُ: ما دامت سماءُ الجنّةِ وأرضُ النَّارِ.

ويحتملُ أنَّ المُرادَ منه المعنى؛ لأنَّ الكلامَ على ضربَين؛ ضربٌ يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، نحو: قامَ زيدٌ وجلسَ عمرٌو، وضربٌ آخرُ لا يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكن يدلُّكَ اللَّفظُ على معناه الذي يقتَضيه موضوعُه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى معنًى تصِلُ به إلى الغرضِ؛ كقولِه: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، و: ﴿ضربنا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، و: فلانٌ طويلُ النَّجادِ كثيرُ الرَّمادِ، وكلُّ واحدٍ من هذه يدلُّ لفظُه على معنًى، والمعنى على معنًى آخرَ، وكذلك ﴿مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ دلَّ على الأبدِ بواسطةِ ألفاظٍ هي غيرُ مُرادةٍ لها، بل لمعنَى المعنَى[2].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو السُّؤالُ الثّاني، وعنه عشرةُ أجوبةٍ:

أحدُها: أنَّ قولَه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يُصرَفُ إلى السَّماواتِ والأرضِ، والخلودُ بحالِه؛ أي: إلّا أن يشاءَ الله فيهما ما يشاءُ.

وقيل: إلّا ما شاءَ الله من زيادةِ الدَّوامِ على دوامِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: سِوَى، تقولُ: لك عليَّ ألفٌ إلّا الألفانِ اللَّذانِ تعرِفُهما، فيلزَمُكَ ثلاثةُ آلافٍ.

وقيل: هذا الإطلاقُ يُوجِبُ أن يكونُوا في حالِ الإخبارِ في الجنَّةِ أو في النّارِ، فاستثنى مُدَّةَ لُبثِهم في الدُّنيا والبرزخِ.

---

(١) «شيء»: ليست في (و).

(٢) يلاحظ أن المصنف في هذا الكلام مطبق لنظرية الجرجاني في قضية المعنى ومعنى المعنى أكثر من الجرجاني نفسه، وهذا ظاهر عند تأمل كلام الجرجاني في «دلائل الإعجاز» (ص: ٢٦٣) وموازنته بكلامه في «درج الدرر» (٣/ ٩٨٥).

وقيل: مُدَّةَ وقوفِهم في القيامةِ قبلَ الدُّخولِ.

وقيل: إلّا ما شاءَ ربُّك بزيادةِ العذابِ على أهلِ النّارِ، وبزيادةِ النَّعيمِ على أهلِ الجنّةِ.

قال الفرَّاءُ: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواوِ؛ أي: وما شاءَ ربُّك[١].

وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ بمعنى: مَن، وهم قومٌ يخرُجُونَ منَ النّارِ ويدخُلون الجنّةَ فيُقالُ لهم: الجهَنَّميُّونَ[٢]، وهم المُستثنَونَ من أهلِ الجنَّةِ أيضًا؛ لمُفارقتِهم إيَّاها بكونِهم في النَّارِ أيَّامًا، وهؤلاءِ لـم يَشْقَوا شقاءَ مَن يدخُلُ النّارَ على التَّأبيدِ، ولا سُعِدُوا سعادةَ مَن لا تمسُّه النّارُ.

وقيلَ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو ما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: ليأتينَّ على جهنَّمَ زمانٌ تُطبِقُ أبوابَها ليس فيها أحدٌ، وذلك بعد ما يلبَثون فيها أحقابًا، فيأمرُ الله النّارَ فتأكلُهم[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨)، وقد ذكر وجوهاً يحتمل أحدها هذا المعنى.

(٢) روى البخاري (٦٥٥٩) عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين».

(٣) هذا مجموع من قولي ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٨٢) قال: حدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناء الله، يأمر النار أن تأكلهم. قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا». وإسناده ضعيف لانقطاعه.

وروى الفسوي مثل قول ابن مسعود لكن دون قوله: «وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»، في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٠٣)، والبزار في «مسنده» (٢٤٢٨)، من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي إسناده أبو بلج، واسمه يحيى بن سليم الفزاري الواسطي، ذكر له الذهبي في ترجمته في «الميزان» هذا الخبر وقال: «هذا منكر، قال ثابت البناني: سألت الحسن عن هذا =

وقال الشَّعبيُّ: جهنَّمُ أسرعُ الدَّارَين عذابًا وأسرعُهما خَرابًا[1]. ولهذا قال في الجنَّةِ: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، ولـم يقل مثلَه في النّارِ.

ورُوِيَ عن الدَّهانِ وجهٌ فيه جوابُ المسألتَين، وذلك أنَّه جعلَ ﴿مَا﴾ للنَّفيِ، و﴿إِلَّا﴾ جوابًا له على تقديرِ: لا تدومُ السَّماواتُ والأرضُ إلّا مقدارَ ما شاءَ ربُّك، قال: ويكونُ المعنى: يدخُلونَها عن قريبٍ[2].

وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو لا يشاءُ غيرَ تخليدِهم.

وقيل: لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ إلّا ما شاءَ ربُّك من أنواعِ العذابِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ من غيرِ اعتراضٍ عليه.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تقول: سَعَدَهُ اللهُ فسَعِدَ، ومَسْعودٌ منه، و(أسعَدَ) هو المعروفُ في كلامِ العربِ؛

= فأنكره». قلت: وكذا روى الفسوي عن الحسن عقب الخبر.

وهذان الخبران ـ إن صحا ـ فقد ذكر لهما أبو حيان رحمه الله تأويلاً يزيل الإشكال عنهما حيث قال: والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره: «أنها تخلو من النار» إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين، وهو الذي يسمى جهنم، وسمِّي الكل به تجوزاً. انظر: «البحر» (٦/ ٢١٣).

قلت: ويؤيد هذا التأويل أنه جاء في روايته عند البزار في آخره: «يعني: من الموحدين»، وكذا ما رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢٠) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها، ما فيها من أمة محمد أحد».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٨٢) بلفظ: «جهنم أسرع الدارين عمرانًا، وأسرعهما خرابًا».

(٢) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢١).

كقولِكَ: أَحَبَّ فهو محبوبٌ، وقد جاءَ: (حَبَّه) كما جاءَ (سَعَدَه)[1].

﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غيرَ مقطوعٍ عنهم، و﴿عَطَآءً﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: أُعطُوا عطاءً، وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ كقولِه: ﴿نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

* * *

(١٠٩) ـ ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المِريةُ: الشَّكُّ تطلُبُ معه اليقينَ، والفعلُ منه: امترَى وتَمارَى، ومارَى غيرَه مُماراةً ومِراءً.

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ المعنى: لا تشُكَّ أنَّ عبادةَ ما يعبُدونَه ضلالٌ.

والثّاني: لا تشُكَّ أنَّها تقليدٌ لآبائِهم واقتداءٌ منهم بهم.

والثّالثُ: أنَّ الكفّارَ نوعانِ؛ نوعٌ يَنفُونَ الصّانعَ، ونوعٌ يُقِرُّونَ باللهِ ويعبُدون الأصنامَ؛ أي: فلا تشُكَّ في أنَّ هؤلاءِ في الكفرِ كهؤلاءِ.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: هم كآبائِهم في الكفرِ والتَّقليدِ.

ومعنى ﴿كَمَا يَعْبُدُ﴾: كما كانَ يعبُدُ، فحُذِفَ لأنَّ ﴿قَبْلُ﴾ يدلُّ عليه.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظَّهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ قيل: منَ الرِّزقِ، وقيل: منَ الخيرِ والشَّرِّ، وقيل: منَ العذابِ.

---

(١) في هامش (ن): «وقد جاء سُعِدَ ـ بضم السين ـ فهو مسعود، ونُحِس فهو منحوس، وسُبِتَ فهو مسبوت؛ أي: أصابه السبات، وهو النوم القليل، وصَعِقَ وصُعِقَ جائزان في قوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ كسَعِدَ وسُعِدَ، وكلمات جاءت فَعَل بفتح العين متعديًا وبكسره لازمًا منه سَعَد وحَزَن بفتح العين، فافهم».

(١١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فصدَّقَه قومٌ وآمنَ به، وكفرَ به قومٌ، وهذه تسليةٌ لرسولِ الله عليه السَّلامُ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ العذابِ عن أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ إلى يومِ القيامةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لأُهلِكُوا وفُرِغَ من عذابِهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: رَيبٍ يُوقِعُ الرِّيبةَ[١].

* * *

(١١١) ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾: المؤمنَ والكافرَ، اختلفَ القُرَّاءُ في تخفيفِ (إنَّ) وتشديدِه بعدَ إجماعِهم على نصبِ (كلّ) إلّا شاذًّا، واختلفُوا في تخفيف (لمَّا)[٢] وتشديدِه[٣].

فمَن خفَّفَ فلكراهةِ اجتماعِ اللَّامَين زِيدَ بينهما (ما)، وهي صلةٌ، واللَّامُ الأولى لامُ الابتداءِ، وهو الذي يدخُلُ في خبرِ (إنَّ)، والثَّانيةُ لامُ القسمِ[٤].

---

(١) ظاهر صيغ المصنف أنه فسّر الشك بالريب، وللراغب كلام يعترض فيه على هذا الصنيع. انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٦).

(٢) في (ن): «واختلفوا في تخفيف إن»، وفي (و): «واختلفوا في لما»، والصواب المثبت.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر: (وإنْ كلاًّ) بإسكان النون، والباقون بتشديدها، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٠٩)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١١٨).

وقيل: (ما) بمعنى الذي؛ أي: لَلَّذي لَيُوفِّيَنَّهم، وقيل: بمعنى: مَن؛ أي: لمَن ليُوفِّيَنَّهم.

ومَن شدَّدَ فهو مُشكِلٌ، قال الكسائيُّ: لا أعرِفُ للتَّشديدِ وجهًا(١).

قال أبو عليٍّ: لم يُبعِدْ فيما قالَ(٢).

وقال بعضُهم: معناه: (إلّا) كما تقولُ: نشَدْتُكَ الله لـمَّا فعلتَ كذا، و: إلَّا فعلتَ كذا، بالكسرِ؛ أي: ما أسألُكَ بالله إلّا كذا، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ النَّاصبةَ لا تقعُ بعدَها (لمَّا) ولا (إلّا)، إنَّما يقعانِ إذا تقدَّمَهما نفيٌ وطلبٌ.

قال المازنيُّ: أصلُه (لَمَا) بالتَّخفيفِ، فشُدِّدَ(٣). وهو بعيدٌ.

وقال الفرَّاءُ: أصلُه (لمَنْ ما) فأُدغِمَ النُّونُ فصار ميمًا، ثمَّ حُذِفَ وأُدغِمَ الميمُ المفتوحةُ(٤). وهذا أيضًا كما تَرى بعيدٌ.

وقيل: إنَّما هو (لمًّى) فعْلَى، مِن لَمَمْتُ، أو: (لَمًّا) فأُجرِيَ الوصلُ مجرَى الوقفِ، وقد قُرِئَ: (لمًّا) في الشّاذِّ، كقولِه: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩](٥).

ومعنى: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: جزاءَ أعمالهم ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

***

---

(١) أي: لتشديد الميم على قراءة مَنْ قرأ ﴿لَّمَّا﴾.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٨).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٨١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٨٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩).

(٥) نسبت هذه القراءة إلى الزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٢٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٣٩).

(١١٢) ـ ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾؛ أي: أمرِ ربِّك، وبلِّغِ الرِّسالةَ، وادعُ النّاسَ إلى الإيمانِ باللهِ.

عائشةُ في جماعةٍ: استقِمْ على القرآنِ[(١)].

السُّدِّيُّ: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به الأمَّةُ[(٢)].

قال ابنُ عبّاسٍ: ما نزلَتْ على رسولِ الله عليه السَّلامُ في جميعِ القرآنِ آيةٌ كانت أشدَّ ولا أشقَّ عليه من هذه الآيةِ، ولهذا قال: «شيَّبَتْني سورةُ هودٍ»[(٣)].

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾؛ أي: آمنَ بك فليستقيمُوا، ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾: لا تُجاوِزُوا أمرَ الله، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: يعلَمُ أعمالَكُم فيُجازِيكُم عليها.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تميلُوا[(٤)]. وقيل: لا ترضَوا أعمالَهم. وقيل: لا تُدهِنُوا، من قوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. وقيل: لا تلحقُوا بالمُشركين.

وحقيقةُ الرُّكونِ: السُّكونُ إلى الشَّيءِ بالمحبّةِ له، تقولُ: ركَنَ يَركَنُ بالفتحِ والضَّمِّ؛ إذا مالَ، والرُّكنُ: ناحيةٌ منَ الجبلِ أو الحائطِ قويّةٌ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣) عن عائشة رضي الله عنها وسفيان، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٩) عن سفيان بن عيينة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣). وحديث: «شيبتني هود» تقدم تخريجه في أول السورة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٧٧).

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: فيُصيبكُم العذابُ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: أعوانٍ يمنَعونكُم من عذابِ الله ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: حالٌ وليسَ بعطفٍ[1]؛ أي: حالُكم حينَئذٍ هذا.

* * *

(١١٤) - ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ في سببِ النُّزولِ برواياتٍ جمَّةٍ وطُرقٍ مختلفةٍ: أنَّها نزلَتْ في رجلٍ أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقال: إنِّي أصبتُ من امرأةٍ غيرَ أنِّي لم آتِها، فأنزلَ الله: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[2].

وفي روايةٍ أُخرَى: فقالَ الرَّجلُ: ألي خاصَّةً يا رسولَ الله أم للنَّاسِ عامَّةً؟ فضرَبَ عمرُ صدرَه، وقال: لا، ولا نُعْمةَ عينٍ، ولكنْ للنّاسِ عامَّةً، فضحِكَ رسولُ الله عليه السَّلامُ فقال: «صدَقَ عمرُ»[3].

---

(١) الكلام عن ﴿وَمَا لَكُم﴾، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».

وليس في الصحيحين تعيين صاحب القصة، ورواه الترمذي (٣١١٥) من حديث أبي اليسر قال: «أتتني امرأة تبتاع تمراً...» فذكره، قال الترمذي: «حسن غريب، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره».

وللحديث روايات كثيرة كما أشار المصنف في السنن والمسانيد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢١٥) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما. وفي إسناده علي بن زيد وهو سيئ الحفظ ثقة، وبقية رجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٨). قلت: لكن يشهد له حديث ابن مسعود في الصحيحين، وحديث أبي اليسر عند الترمذي اللذين ذكرناهما قريباً.

وذكرَ الثَّعلبيُّ أنَّ اسمَ الرَّجلِ أبو اليَسَرِ عمرُو بنُ غزيَّةَ الأنصاريُّ[١].

قولُه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: المفروضةَ ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: صلاةُ الصُّبحِ، واختُلِفَ في الطَّرفِ الثَّاني:

ابنُ عبّاسٍ: المغربُ[٢].

القُرَظيُّ: الظُّهرُ والعصرُ[٣].

الضَّحّاكُ: صلاةُ العصرِ[٤].

مُقاتلٌ: صلاةُ الفجرِ والظُّهرِ طَرفٌ، وصلاةُ العصرِ والمغربِ طرفٌ[٥].

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾: العشاءُ الآخِرةُ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٦٧)، وتعقبه ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٥٣) بأنَّهم لم يذكروا من الصحابة ممن يكنى أبا اليسر إلا أبا اليسر كعب بن عمرو، وقد وردت هذه القصة عنه أيضاً، قال: فإن كان الثعلبي ضبطَه حُمل على أن عمرو بن غزية كان يكنى أبا اليسر أيضاً، فيستدرك على مصنّفي المشتبه.

وقد وقع في صاحب القصة اختلاف، ومما قيل في اسمه: كعبُ بنُ عمرٍو أبو اليَسَرِ كما قدمنا، وقيل: إنَّه عمرُو بنُ غَزِيَّةَ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ أبو حَبَّةَ التَّمَّارُ، وقيل: ابنُ مُعَتِّبٍ رجلٌ من الأنصارِ، وقيل: أبو مُقْبِلٍ عامرُ بن قيس الأنصاريُّ، وقيل: نبهانُ التمَّارُ، وقيل: عبَّادٌ.

وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٥٧) بعد أن ذكر الاختلاف عليه: وأقوى الجميع أنه أبو اليسر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٢)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٣).

(٥) ذكره عن مقاتل الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٧). وجاء في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ٣٠٠): «طرفي النهار يعني: صلاة الغداة وصلاة الأولى والعصر، ثم قال: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء».

الحسنُ: ﴿زلفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾: المغربُ والعشاءُ[١].

والزُّلفةُ: السَّاعةُ منَ اللَّيلِ، والزُّلفةُ: المنزلةُ والقُربةُ، ومنه: الزُّلفَى والمُزدلفةُ.

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إنَّ الصَّلواتِ الخمسَ تذهبُ بالذُّنوبِ، وفي الحديثِ: أنَّ الصَّلواتِ الخمسَ تُكفِّرُ ما بينَها منَ الذُّنوبِ[٢].

الحسنُ: إذا كانَ قبلَ الأذانِ يُنادي مُنادٍ: يا بني آدمَ، قُومُوا فأطفِئُوا نيرانَكُم ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٣].

وقيل: الحسناتُ: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي ذكَرْنا، وقيل: القرآنُ ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: لمَن شأنُه أن ينتبِهَ إذا نُبِّه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٩).

(٢) ورد في معنى ذلك عدة أحاديث:

منها: ما رواه مسلم (٢٣١) عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يتطهر، فيتم الطهور الذي كتب الله عليه، فيصلي هذه الصلوات الخمس، إلا كانت كفارات لما بينها».

ومنها: ما رواه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٥) بلفظ: «ما ينادي مناد من أهل الأرض بالصلاة حتى ينادي مناد من أهل السماء: قوموا يا بني آدم فأطفئوا نيرانكم»، قال: «فيقوم المؤذن يؤذن، ثم يقوم الناس إلى الصلاة».

وبنحو هذا رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٦٤٨).

وروي نحوه مرفوعاً، رواه الطبراني في «الصغير» (١١٣٥)، و«الأوسط» (٩٤٥٢)، من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم فأطفئوها بالصلاة».

قال ابن رجب في «تفسيره» (١/ ٥٥٨): «فإقامةُ الصلواتِ المفروضاتِ على وجهِها يوجبُ تبريدَ الحريقِ الَّذي تكسبه الذنوبُ وإطفاءَه».

(١١٥) ـ ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على الصَّلواتِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: المُصلِّين، هو كقولِه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقيل: واصبرْ فإنَّ بالصَّبرِ تُنالُ درجةُ المُحسِنين.

وقيل: واصبرْ على ما يُصيبُك من أذى قومِك.

***

(١١٦) ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: فهلَّا كانَ، وهو موضوعٌ للتَّحضيضِ ومختصٌّ بالفعلِ[1].

وقيل: هو مُركَّبٌ من (لو) الذي للتَّمنِّي و(لا) النَّافيةِ[2]؛ أي: لم يكُنِ المُتمنَّى كونُه.

والبقيَّةُ: الباقي منَ الشَّيءِ؛ أي: بقيَتْ له بقيَّةٌ من الرَّأيِ والعقلِ والتَّمييزِ والبصيرةِ، فيعرِفُ الحقَّ منَ الباطلِ، والصَّوابَ منَ الخطأ.

ابنُ عيسى: ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾: أصحابُ جماعةٍ تبقَى من نسلِهم.

ابنُ بحرٍ: مَن يُبقي على نفسِه وقومِه من عذابِ الله تعالى.

والمعنى: لو كانَ منهم مَن هذه صفتُه لَمَا نزلَ بهم العذابُ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ١١٤)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ٤١٦)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص:٦٠٥).

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٧٦).

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: لكنْ قليلًا منهم أنجَيْناهُم؛ لأنَّهم كانوا بهذه الصِّفةِ.

والاستثناءُ مُنقطِعٌ.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾؛ أي: عُوِّدُوا التَّرفُّهَ بالنَّعيمِ واللَّذَّةِ، والتَّرفُّهُ[١]: عادةُ النِّعمةِ.

وقيل: أُبطِرُوا فيه.

والمعنى: آثَرُوا الدُّنيا والتَّنعُّمَ فيها على الآخرةِ، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين.

***

(١١٧) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾؛ أي: بظُلمٍ منَ الله وأهلها مصلحون: مُؤمِنون مُحسِنون.

وقيل: ﴿بِظُلْمٍ﴾ منهم؛ أي: بعضِهم[٢]، والأكثرُ على الصَّلاحِ.

وقيل: ﴿بِظُلْمٍ﴾ منهم، وهو الشِّركُ، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ في المُعاملاتِ فيما بينَهم، ولا يَظلِمُ بعضُهم بعضًا؛ لأنَّ مُكافأةَ الكفرِ والشِّركِ النّارُ، وإنَّما أُهلِكَ مَن أُهلِكَ بالتَّعدِّي في الشِّركِ.

وقيل: وفيهم مُصلِحون يأمُرونَ بالمعروفِ وينهَونَ عن المُنكرِ.

***

---

(١) في (و): «والرفه».

(٢) أي: من بعضهم، فالبعض بدل من الهاء في «منهم».

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: مُسلمين كلَّهم، لكنْ لم يشأْ[١] ذلك ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأديانِ كاليهودِ والنَّصارى والمجوسِ.

والاختلافُ: اعتقادُ كلِّ واحدٍ خلافَ[٢] ما يعتقِدُ الآخرُ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداه إلى الإيمانِ، فإنَّه ناجٍ منَ الاختلافِ بالباطلِ. والاستثناءُ مُنقطعٌ.

الحسنُ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأرزاقِ والأحوالِ من تسخيرِ بعضِهم لبعضٍ[٣].

وقيل: معنى ﴿لا يزالون مختلفين﴾[٤]: لا يزالُ الخلَفُ فيهم يَتْبعُ السَّلَفَ.

والاختلافُ افتعالٌ، من خلَفَه يخلُفُه: إذا قامَ بالشَّيءِ بعدَه مَقامَه، فخلَفوا واختلَفوا كقولِهم: قتَلُوا واقتتَلُوا، فعلى هذا يكونُ اعتِراضًا، والتَّقديرُ: ولو شاءَ ربُّكَ لجعَلَ النَّاسَ أمَّةً واحدةً كفَّارًا إلَّا مَن رحِمَ ربُّك فهداه، ولا يزالونَ مُختلفين[٥].

قولُه: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؛ أي: للرَّحمةِ خلقَهم، واللَّامُ لامُ العاقبةِ.

---

(١) في (و): «ما».

(٢) في (ن): «نقيض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٤) عن الحسن، بلفظ: «مختلفين في الرزق يسخر بعضهم لبعض».

(٤) «في الأرزاق والأحوال من تسخير بعضهم لبعض، وقيل: معنى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾»: ليست في (و).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٣)، واستغربه.

ابنُ عيسى: على الاختلافِ خلقَهم، واللَّامُ يعاقبُ (على) في مواضعَ، تقولُ: أكرمتُكَ لبرِّك وعلى برِّك[1].

وقيل: للاختلافِ والرَّحمةِ خلقَهم، فوحَّدَ كقولِه: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[2] [البقرة: ٦٨].

وقيل: للسَّعادةِ والشَّقاوةِ.

وقيل: للجنَّةِ والنَّارِ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وعيدُه. وقيل: هي قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقيل: يمينُه، وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾؛ أي: منهما لا من أحدِهما، وليس ذلك للإحاطةِ.

وقيل: من عُصاةِ الجنَّةِ والنَّاسِ أجمعين، فتكونُ للإحاطةِ.

***

(١٢٠) ـ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾؛ أي: نتلو عليكَ من أخبارِهم ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: نُسكِّنُ به فؤادَك، فيقْوَى به قلبُكَ، فتطيبُ به وتصبرُ صبرَهم.

و﴿كُلًّا﴾ منصوبٌ نصبَ المصدرِ؛ أي: وكلَّ القَصَصِ نقُصُّ عليك. وقيل: هو مفعولُ ﴿نَقُصُّ﴾، و﴿مَا نُثَبِّتُ﴾: منصوبٌ بدلٌ عن ﴿كُلًّا﴾.

---

(١) تقدم التنبيه إلى أن الكوفيين يميلون إلى أن حروف الجر تتعاور، فيأخذ بعضها معنى بعض، أما البصريون فلا يرضون ذلك، وقد أنكر النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٦) أن تكون اللام بمعنى: على، وأثبته كثير من النحاة. انظر: «الجنى الداني» (ص: ١٠٠)، و«شرح الأشموني على الألفية» (٢/ ٨١).

(٢) في هامش (م): «في سورة البقرة: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾».

ابنُ عيسى: الفؤادُ: العضوُ الذي يَحْمَى بالغضبِ الذي يحلُّ فيه، منَ المُفتَأَدِ، وهو المُشتَوَى، وأنشدَ:

كأنَّـه خارِجًـا مـن جنـبِ صَفْحَتِهِ ... سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عندَ مُفتَـأَدِ[1]

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾؛ أي: فـي هذه السُّورةِ، وقيل: في هذه الأنباءِ، وقيل: في هذه السُّورةِ مع سائرِها، وقيل: فـي هذه الدُّنيا ﴿ٱلْحَقُّ﴾: النُّبوَّةُ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: عبرةٌ لمَن اعتبرَ وتذكرةٌ لمَن تذكَّرَ.

***

(١٢١ ـ ١٢٣) ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ سبق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: خزائنُهما[2].

وقيل: ما غابَ عنِ العبادِ.

وقيل: غَيبُ نزولِ العذابِ.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تصحيح الفصيح وشرحه» (ص: ٢٨١)، و«الخصائص» (٢/ ٢٧٧)، و«إسفار الفصيح» (٢/ ٦٠٧)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ١٨٥)، والبيت في وصف كلب صيد كان يطارد ثوراً، فطعنه الثور، فخرج قرنه من صفحة الكلب، فشبه ذلك المنظر بمنظر لحم مشوي على حديدة، وقد نسبه قوم شغلهم الشراب على المطبخ والمشتوى.

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٧٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٩٤).

وقيل: ما اشتمَلَتْ عليه السَّماواتُ والأرضُ.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: يومَ الدِّينِ، فلا يبقى لأحدٍ فيه مُلكٌ ولا أمرٌ.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحدَه وأطِعْه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِقْ به وفوِّضْ أمرَكَ[1] إليه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ رُوِيَ عن كعبِ الأحبارِ أنَّه قالَ: خاتمةُ التَّوراةِ هذه الآيةُ[2].

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[3]

***

(١) في (ن): «أمورك».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٧٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٤٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٤٥).

(٣) «والحمد لله حق حمده»: ليست في (و).

سُورَةُ يُوسُفَ

سُورَةُ يُوسُفَ

عليه السَّلامُ

مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً(١). مكِّيَّةٌ عندَ الجمهورِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: مكِّيَّةٌ إلّا أربعَ آياتٍ من أوَّلِ السُّورةِ(٢).

عكرمةُ والحسنُ: مدنيَّةٌ(٣).

رَوَى البخاريُّ في «صحيحِه» عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضيَ الله عنه في قولِه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، قال: أُنزِلَ القرآنُ على رسولِ الله عليه السَّلامُ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قصَصْتَ، فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ، وفيها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو حدَّثتنا، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، قالَ: كلُّ ذلك يُؤمَرونَ بالقرآنِ(٤).

---

(١) «مئة وإحدى عشرة آية»: من (ن).

(٢) ذكره هكذا الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٥) عن ابن عبَّاسٍ وقتادة. وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١١٩) عن ابنِ عبَّاسٍ: إلا أربع آيات: ثلاث من أولها، والرابعة: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي﴾ [يوسف: ١١١]. قال السيوطي في «الإتقان» (١/ ٥٩) عن استثناء ثلاث من أولها: «وهو واه جداً لا يلتفت إليه».

(٣) قاله الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٨٧)، ولم أقف عليه عن عكرمة والحسن، وإنما ذكر الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (١/ ٢٤٨) عنهما أنها مكية.

(٤) لم يروه البخاري في «صحيحه»، ورواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» =

ويُروَى أنَّ الصَّحابةَ قالوا: يا رسولَ الله، لو يُنزِّلُ الله سورةً ليس فيها أمرٌ ولا نهيٌ ولا وَعدٌ ولا وعيدٌ، فنَتَنزَّهَ بقراءتِها، وتنفتحَ بها قلوبُنا، فأنزلَ الله هذه السُّورةَ(١).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّ علماءَ اليهودِ قالوا لأصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: سَلُوا صاحبَكُم محمَّدًا؛ لِماذا انتقَلَ يعقوبُ من أرضِ كنعانَ إلى مِصرَ؟ فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ(٢).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّ اليهودَ افتخرَتْ بأنَّ في كتابنا قصَّةَ يوسفَ، وليس ذلك في كتابِكُم، فأنزَلَ الله قصّةَ يوسفَ في سورةٍ واحدةٍ على أحسنِ ترتيبٍ وأعجَبِ نظامٍ(٣).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ سبقَ بيانُ الحروفِ أوَّلَ (البقرةِ) وغيرِها.

وقولُه: ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: حلالَه وحرامَه، وما تحتاجونَ إليه من أمرِ دينِكُم. و(أبانَ) لازمٌ ومُتعدٍّ(٤).

وقيل: ظاهرٌ في نفسِه أنَّه كلامُ الله.

وقال معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ الله عنه: المُبينُ للحروفِ التي سقَطَتْ من ألسُنِ الأعاجمِ، وهي ستَّةٌ(٥). حكاه المُفسِّرون.

= (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩) وصححه، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩)، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٣٤).

(١) ذكره بنحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧٨).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وهو على المعنى الذي ذكر أولاً متعدّ، وعلى المعنى الذي سيأتي لازم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٨١)، والماوردي في =

وأرادَ بالسِّتَّةِ: الصّادَ والضّادَ والطّاءَ والظّاءَ والعَينَ والحاءَ، وكذلك الثّاءُ والقافُ، وأمَّا الذّالُ المُعجَمةُ فلا تقعُ أيضًا في أوائلِ الكلمِ[1] العجميّةِ، وإذا وقعَ في الحشوِ والآخرِ فمنهم مَن جعلَه دالًا، ومنهم من جعلَه ذالًا.

والمعنى[2]: يُبينُ بهذه الحروفِ: أنَّ هذا القرآنَ عربيٌّ وبلسانِكُم يا معشرَ العربِ.

***

(٢) - ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ يعني: الكتابَ، وقيل: نبأَ يوسُفَ، وقيل: تعودُ إلى القرآنِ[3]، و﴿قُرۡءَٰنًا﴾: مصدرُ (قرأت)؛ أي: يُقرأُ قُرآنًا.

وقيل: أنزَلْناه مجموعًا.

ويَحتمِلُ أنَّه كنايةٌ عن المصدرِ؛ أي: أنزَلْنا قرآنًا عربيًّا إنزالًا[4].

و ﴿عَرَبِيّٗا﴾: بلسانِ العربِ وبلُغتِهم، والعربيُّ منسوبٌ إلى العربِ، والعربُ جمعُ عربيٍّ، كروميٍّ ورومٍ، وهو منسوبٌ إلى أرضٍ يسكُنونَها، وهي عَرَبةُ؛ باحةُ دارِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما السَّلامُ، قال الشّاعرُ:

وعَرْبةُ أَرضٌ[5] ما يُحِلّ حرامَها ... منَ النّاسِ إلّا اللَّوذَعيُّ الحُلاحِلُ[6]

= «النكت والعيون» (٣/ ٥). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٥)، وعدَّه من العجائب.

(١) «الكلم» من (ن).

(٢) أي: على ما رُوي عن معاذ رضي الله عنه.

(٣) في (و): «الكتاب».

(٤) «قرآنًا عربيًّا»: من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٥)، واستغرب فيه المصنف هذا القول والذي قبله.

(٥) في (و): «دار».

(٦) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» مادة (ع ر ب) (٢/ ٢٢٢)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ١٢). =

يعني: النَّبيَّ عليه السَّلامُ، أُحِلَّتْ له مكّةُ، وسكَّنَها الشّاعرُ ضرورةً[1].

وإنْ شئتَ قلتَ: نُسِبَ القرآنُ إليها ابتداءً[2]؛ أي: على لغةِ أهلِ هذه القريةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تفهَمُوا معانيَه. وقيل: لتكُونوا على رجاءِ فهمِ معانيه.

***

(٣) - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: نتلُو عليك ونُتبعُ بعضَ الحديثِ بعضًا ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أحسَنَ البيانِ، فهو مصدرٌ.

وقيل: ﴿الْقَصَصِ﴾: المفعولُ، كالسَّلَبِ والطَّلَبِ للمصدرِ والمفعولِ.

والأحسنُ: الأعظمُ في الحُسنِ.

وقيل: أحسنُ منَ الأمورِ السّالفةِ والكتُبِ الماضيةِ.

وقيل: هو بمعنى الحَسَنِ؛ كقولِه: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

و﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ جميعُ القرآنِ، وهو الظّاهرُ، وقيل: هو قصّةُ يوسفَ عليه السَّلامُ، وسمَّاها أحسنَ القصَصِ؛ لاشتمالِها على ذكرِ حاسدٍ ومحسودٍ، ومالكٍ

= ونسب لأبي طالب كما في «معجم البلدان» (٤/ ٩٧)، و«تاج العروس» مادة: (ق ن ب ل)، ورواية العجز في بعض المصادر:

من الناس إلا الشوتري القنابل

وفي نسبته لأبي طالب نظر؛ لأن موته كان قبل إحلال مكة للنبي ﷺ بوقت طويل.

(١) وقال الواحدي: اضطر الشاعر إلى شيئين: سكون الراء من «عربة» وهي مفتوحة، وكان يجب أن يقول: أحلت له، فقال: يُحل هو.

وقد ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

ومملوكٍ، وعاشقٍ ومعشوقٍ، وشاهدٍ ومشهودٍ، وحبسٍ وإطلاقٍ، وسجنٍ وخَلاصٍ، وخِصْبٍ وجَدْبٍ، وغيرِها ممَّا يعجزُ عن بيانِها طَوقُ البشرِ.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ أي: بإيحائنا، و(ما) للمصدرِ، وقيل: بمعنى الذي، وفيه بُعدٌ[1].

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾: هي المُخفَّفةُ منَ الثَّقيلةِ، ويلزمُ بعدَها لامُ الفرقِ، وليست بالتي تدخُلُ خبرَ (إنَّ) وهي مُثقَّلةٌ[2].

﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ. وقيل: القصصِ.

﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: عن قصَّةِ يوسفَ، وقيل: عمَّا عرَّفَكَ الله بالقرآنِ.

***

(٤) - ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ﴾: واذكُرْ إذ قالَ، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ فيكونَ مفعولًا به على الاتِّساعِ، ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا لقولِه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾[3].

﴿لِأَبِيهِ﴾: يعقوبَ، وهو اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: سُمِّي يعقوبَ؛ لأخذِه عقبَ عيص عندَ الولادةِ.

---

(١) «وفيه بعد»: من (ن). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) فالتي تدخل على خبر (إنّ) المثقلة تسمّى اللام المزحلقة. انظر: «اللمع» لابن جني (ص: ٤٢)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (١/ ٢٥٦).

(٣) في (و): «ظرفًا كقوله قال يا بني»، وفي (ن): «ظرفًا لقوله يا بني»، والصواب المثبت، قال أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٨٠): «والذي يظهر أن العامل فيه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ كما تقول: إذ قام زيد قام عمرو، وتبقى ﴿إِذۡ﴾ على وضعها الأصلي من كونها ظرفاً لمَا مضى».

ويوسفُ: اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: هو منَ الأسفِ والأسيفِ، ولعلَّ هذا على قراءةِ مَن همَزَ[(١)]، وتكونُ العِلَّتانِ التَّعريفَ ووزنَ الفعلِ.

وزعمَ أهلُ الكتابِ أنَّ معنى يوسفَ بالعجميَّةِ: فيروز.

ورَوَى أبو هريرةَ رضيَ الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»[(٢)].

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التَّاءُ عندَ النَّحويِّين بدلٌ من ياءِ الإضافةِ، وخُصَّ بالنِّداءِ[(٣)].

وقيل: هي تاءُ التَّأنيثِ، كعمَّةٍ وخالةٍ، ولكنْ لـمَّا جُعِلَ للأمِّ اسمٌ مفردٌ جُعِلَ الأبُ والأبةُ للأبِ[(٤)].

ويحتملُ أن تكونَ بدلًا منَ الواوِ التي هي لامُ الفعلِ في (أبوانِ) و(أبوَينِ)[(٥)].

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أصلُه: أحدٌ وعشرٌ، فرُكِّبا وبُنِيا على الفتحِ لتضمُّنِ الحرفِ.

والكوكبُ: النَّجمُ، وليس له نظيرٌ إلّا (بابلُ)[(٦)].

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هما المعروفانِ ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كرَّرَ الرُّؤيةَ لأنَّ الأولى مُتعلِّقةٌ بالذَّاتِ، والأُخرَى بالحالِ.

وقيل: لمَّا طالَ الكلامُ أعادَها.

---

(١) قرأ طلحة بن مصرف: (يؤسِف) بكسر السين، وبعض بني أسد: (يؤسُف) بضم السين، وعن بعضهم بفتحها. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١١٦)، ورواه البخاري (٣٣٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٦٢).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٢)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٦٣)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٦) في هامش (ن): «لأن كوكباً وبابل فاؤهما وعينهما من جنس واحد».

ويحتمِلُ أنَّـه جـوابٌ ليعقـوبَ، كأنَّه قالَ لـه: كيفَ رأيتَهـا؟ فقـال: رأيتُهم لي ساجدينَ مُتَواضِعينَ[١].

وقيل: سجدةُ تحيَّةٍ، وذكَّرَ الكنايةَ وجمَعَ جمْعَ العُقَلاءِ لمَّا وصفَها بوصفِهم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الشَّمسُ والقمرُ أبواه، والأحدَ عشرَ كوكبًا إخوتُه[٢].

السُّدِّيُّ: الشَّمسُ والقمرُ أبوه وخالتُه[٣]، وكانت أمُّه راحيلُ تُوفِّيت[٤].

وقيل: القمرُ أبوه للتَّذكيرِ، والشَّمسُ أمُّه أو خالتُه على القولَينِ للتَّأنيثِ.

وأسماءُ إخوتِه: رُوبِينُ -ويُقالُ باللَّامِ-، وشَمْعُونُ، ولاوي، ويَهُوذا، وبِشْمسخودُ[٥]، وزَبُولُونُ، وتولونُ[٦]، ونفتولي، وكودواء، وشير، وبِنْيامينُ، ويوسُفُ[٧].

وذكرَ السُّدِّيُّ عن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ رجلٌ منَ اليهودِ فقالَ: يا محمَّدُ، أخبِرْني عن الكواكبِ التي رآها يوسفُ ساجدةً له، ما

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢) عن السدي بالشك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «الشمس أبوه والقمر خالته».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩١)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٨). وقال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣): «وروي عن ابن عبّاسٍ أنه قال: «الكواكب إخوته، والشمس والقمر: أبوه وخالته»، من وجه غير محمود، فكرهت ذكره».

(٥) في (و): «ويشوخير».

(٦) في (ن): «ودون».

(٧) في كتب التفسير والتاريخ اختلاف كثير في ذكر أسماء إخوة يوسف، والبحث في ذلك أمر لا طائل منه؛ لأنه لم يرد فيه شيء.

أسماؤُها؟ فسكَتَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ولـم يُجِبْه بشيءٍ، فنزَلَ عليه جبريلُ عليه السَّلامُ فأخبرَه بأسمائِها، فقالَ له النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «هل أنتَ تُؤمِنُ إنْ أخبرتُكَ بأسمائِها؟» قال: نعم، قال: «جَرْبانُ والطَّارقُ والذَّيَّال وذو الكتفاتِ وقابسٌ ووثَّابٌ وعَمودان والـمُصبِّحُ والفَلِيقُ والضَّروحُ والفَرْغُ والضِّياءُ والنُّورُ، نزَلْنَ منَ السَّماءِ فسَجَدْنَ له»، فقالَ اليهوديُّ: إي واللهِ إنَّها لأسماؤُها[1].

***

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١١١)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٩٧)، من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر به.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٧): «تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه الأئمة، وتركه الأكثرون».

وقال ابن حبان: هذا لا أَصْلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكم بن ظهير الفزاريّ الكوفي كان يشتم أصحاب محمد ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياء الموضوعات.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ.

وله طريق آخر ليس فيه الحكم بن ظهير، رواه الحاكم في «المستدرك» (٨١٩٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. وجعله السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٨٣) متابعةً لرواية الحكم بن ظهير، وتابع السيوطي في ذلك الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٤٦٤)، لكن الشيخ عبد الرحمن المعلمي في تعليقه على «الفوائد» رد ذلك فقال: «وقف الذهبي في «تلخيصه» فلم يتعقبه، ولا كتب علامة الصحة كعادته فيما يقر الحاكم على تصحيحه، وقد جزم الجوزجاني ثم العقيلي بأن الحكم بن ظهير تفرد به عن السدي، ومن طريق الحكم، ذكره المفسرون، مع أن تفسير أسباط عن السدي عندهم جميعًا، فكيف فاتهم منه هذا الخبر ووقع للحاكم بذاك السند؟ هذا يشعر بأن بعض الرواة وهم؛ وقع له الخبر من طريق الحكم، ثم التبس عليه فظنه من طريق أسباط كالجادة، والله أعلم».

(٥) - ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيرُ (ابنٍ)، صغَّرَه لصِغَرِ سِنِّه، وكان ليوسفَ يومَئذٍ اثنتا عشرةَ سنةً[1].

﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ ابنُ عيسى[2]: الرُّؤيا تُصوِّرُ المعنى في المنامِ على توهُّمِ الإبصارِ، قال: وذلك لأنَّ العقلَ مغمورٌ في النَّومِ، فإذا تصوَّرَ الإنسانُ المعنى توهَّمَ أنَّه يراه.

﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾: فيحتالُوا في هلاكِكَ حيلةً، تقولُ: كادَه وكادَ له، مثل: نصحتُه ونصَحْتُ له.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

* * *

(٦) - ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلُ هذا الاجتباءِ الذي عليه دلَّ رُؤياكَ ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: يختارُكَ، من جَبيتُ الشَّيءَ: إذا جمعتَه لنفسِكَ، وجَبَيْتُ الماءَ في الجابيةِ[3].

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ معاني الكلامِ في آياتِ الله وكتُبِه، والأكثرُ على أنَّه تعبيرُ الرُّؤيا؛ أي: ما يؤُولُ إليه أمرُها، وكانَ أعبرَ النَّاسِ للرُّؤيا.

وقيل: ﴿تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: عواقبُ الأمرِ وما يؤُولُ إليه آخرُه.

---

(١) ويحتمل أنه صغَّره تحبُّباً. انظر: «شرح التصريح على التوضيح».

(٢) «ابن عيسى»: من (ن).

(٣) في (ن): «الخابية»، وهو تصحيف، والجابية: الحوض الذي يُجبى فيه الماء للإبل. انظر: «الصحاح» مادة (ج ب و) (٦/ ٢٢٩٧).

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنُّبوّةِ؛ الحسنُ: هذا شيءٌ أعلَمَه الله يعقوبَ من أنَّه سيُعطي يوسفَ النُّبوّةَ[1].

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أهلِ بيتِه وولدِه.

وقيل: أهلِ دينِه بأن يجعلَ فيهم النُّبوَّةَ.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: كما اختارَهما للنُّبوَّةِ والرِّسالةِ ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِكَ، وقيل: من قبلِ هذا الوقتِ.

و﴿أَبَوَيْكَ﴾: تثنيةُ (أبٍ)، والمُرادُ: أبا أبيك وأباه؛ أي: جدُّك وجدُّ أبيك ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ بدلٌ من ﴿أَبَوَيْكَ﴾، وهما اسمانِ أعجميَّانِ، قيل: معناه[2]: أبٌ رحيمٌ، وقيل: من البَرْهَمةِ، وهي شدّةُ النَّظرِ.

وإسحاقُ قيلَ: معناه: الضَّاحِكُ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَن يستحِقُّ الاجتباءَ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ الأشياءَ مواضِعَها، والآيةُ دالّةٌ على نُبوَّةِ يوسفَ ونبوَّةِ إخوتِه[3].

***

(٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾: عجائبُ واضِحةٌ ودلائلُ قاطعةٌ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن قصّةِ يوسفَ.

وقيل: للسَّائلينَ وغيرِ السَّائلينَ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨) مختصرًا.

(٢) أي: معنى إبراهيم.

(٣) ذهب إلى هذا الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٠٩).

ومَن وحَّدَ الآيةَ[1] أرادَ: قصَّةُ يوسفَ آيةٌ.

* * *

(٨) ـ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ﴾ بِنْيامينُ[2] ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ ثمَّ بلغَ إخوةَ يوسفَ رُؤياه، فحسدُوه أشدَّ الحسدِ لعلمِهم تأويلَها، فقالوا هذه المقالةَ بينَهم.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾: جماعةٌ أقوياءُ.

والعَصَبةُ: في النَّسبِ، والعُصْبةُ: هي العشرةُ، المُبرِّدُ: من عشرةٍ إلى أربعينَ[3]، واشتقاقُه منَ العَصبِ والتَّعصُّب، ولا يقالُ للضِّعافِ: عُصبةٌ.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾؛ أي: عن التَّعديلِ في المحبَّةِ بينَ الأولادِ.

وقيل: في غلطٍ من أمرِ دُنياه، فإنَّا نقومُ بأموالِه ومواشيه.

وقيل: في ضلالٍ باختيارِه الصَّغيرَ على الكبيرِ، والقليلَ على الكثيرِ، وغيرَ المُعينِ على المُعينِ.

وقيل: في ضلالٍ عن الطَّريقِ الذي يكونُ عليه الآباءُ في أبنائِهم.

وقيل: في ضلالِ محبَّةٍ.

* * *

---

(١) قرأ ابن كثير (آية)، وقرأ الباقون: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالألف على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) «بنيامين»: من (ن).

(٣) وورد عن مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، وقتادة كما رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٥)، وبه قال أبو عبيد في «الغريب المصنف» (١/ ٣٨١)، وابن السكيت في «الألفاظ» (ص: ٢٥)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ١٧٥).

(٩) ـ ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾.

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ قال بعضُهم لبعضٍ. وقيلَ: قالَه شمعون. وقيلَ: روبين.

﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أبعِدوه عن أرضِ أبيه إلى أرضٍ بعيدةٍ عنه، وتقديرُه: في أرضٍ، فحُذِفَ الجارُّ وتعدّى الفعلُ إليه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: تَصْفُ مودَّتُه لكم ويُقبِلُ بكلِّيَّتِه عليكم ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ﴾: من بعدِ قتلِه أو طرحِه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تقديرُه: ثمَّ توبُوا لتكونُوا قومًا صالحينَ، هيَّئوا التَّوبةَ قبلَ المعصيةِ.

وقيلَ: ﴿صَالِحِينَ﴾: تائبين. وقيل: صالحين مع أبيكُم في أمرِ دُنياكُم.

* * *

(١٠) ـ ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: رُوبين، وهو ابنُ خالةِ يوسفَ، وكانَ أحسنَهم فيه رأيًا وأكبرَهم سنًّا. وقيل: يهوذا، وكان أعقلَهم. مجاهد: شمعون[١].

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإنَّ القتلَ عظيمٌ ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: في قعرِ البئرِ.

وقيل: (غيابةُ الجبِّ): الموضعُ الذي يغيبُ خبرُه ويذهبُ أثرُه.

ابنُ عيسى: كلُّ ما غيَّبَ شيئًا عن الحسِّ بكونِه فيه[٢] فهو غيابةٌ.

والجبُّ: بئرٌ تُجبُّ؛ أي: تُقطَعُ وتُحفَرُ من غيرِ طيٍّ.

قتادةُ: بئرُ بيتِ المقدسِ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١).

(٢) «بكونه فيه»: من (ن).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١)، وابن أبي حاتم في =

وقيلَ: بينَ مَدينَ ومصرَ.

وقيل: بالأردُنِّ.

وقيلَ: على ثلاثةِ فراسخَ من بيتِ يعقوبَ.

وقيلَ: كانت ثمانينَ قامةً، أسفلُها واسعٌ وأعلاها ضيِّقٌ.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ يأخذْه بعضُ المُجتازين، يُقالُ: لقطْتُ الشَّيءَ والتَقَطْتُه.

ابنُ عيسى: الالتِقاطُ: تَناوُلُ الشَّيءِ منَ الطَّريقِ، ومنه اللُّقَطةُ واللَّقيطُ.

والسَّيَّارةُ: رفقةٌ مُسافِرونَ يسيرونَ في الأرضِ.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ به شيئًا. وقيل: إن كنتُم فاعلين بمَشورتي. وقيل: إن كنتُم فاعلينَ ما قصدتُم منَ التَّفريقِ بينَه وبينَ أبيه.

واختلَفُوا في إخوةِ يوسفَ حينَ قالُوا هذا وفعلُوا؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم قارَبُوا الحُلُمَ ولم يكونُوا بالِغِينَ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم كانوا بالِغينَ أقوياءَ، ولم يكونُوا بعدُ أنبياءَ.

***

(١١) ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فلمَّا عزمُوا على طرحِه في البئرِ جاؤوا أباهُم وقالوا: يا أبانا ما لَكَ لا تأمنَّا؟ أي: لا تأمنُنَا[1] أن تُرسلَه معنا؛ أي: لِـمَ تخافُنا عليه؟ وأُدغِمَ النُّونُ في النُّونِ بإشمامٍ وغيرِ إشمامٍ[2].

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: حافِظونَ نحفظُه ونردُّه عليك سالمًا. وقيل: مُحِبُّون مُشفِقُونَ.

= «تفسيره» (٧/ ٢١٠٧).

(١) «أي لا تأمننا»: من (ن).

(٢) قرأ أبو جعفر بلا إشمام، وقرأ باقي العشرة بالإشمام. انظر: «النشر» (١/ ٣٠٣).

والنُّصحُ: طلَبُ الصَّلاحِ. وقيل: هو إصلاحُ العملِ. والنَّاصحُ: الخيَّاطُ.

قال مقاتلٌ: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لأنَّ هذا جوابٌ لقولِه: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ الآية[١].

***

(١٢) ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: خلِّهِ غدًا يخرُجْ معنا إلى الصَّحراءِ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قُرِئَ بكسرِ العينِ وجزمِه[٢]؛ فمَن كسرَه جعلَه منَ الرَّعيِ، وهو افتعالٌ منه، ومَن قرأ بالجزم جعلَه منَ الرَّتعِ، وهو الرَّعيُ أيضًا، قالَ:

وكلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوى غَيْرُهُ وهوَ راتِعُ[٣]

أبو عُبيدةَ: ﴿نَرْتَعْ﴾: نلهُو[٤].

ابنُ عيسى: الرَّتعةُ: التَّصرُّفُ في الشَّهواتِ[٥]، ومنه المثَلُ: «القَيْدُ والرَّتْعةُ»[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٢١)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٤).

(٢) قرأ: ﴿نَرْتَعِ ونَلْعَبْ﴾ ابن كثير بخلاف عن قنبل، ﴿نرتعي ونَلْعبْ﴾ قنبل بوجهه الآخر، ﴿نَرْتَعْ ونَلْعَبْ﴾ ابن عامر وأبو عمرو، ﴿يَرْتَعِ ويَلْعَبْ﴾ نافع وأبو جعفر، ﴿يَرْتَعْ ويَلْعَبْ﴾ الباقون. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣ و٢٩٧).

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما في «ديوانه» (ص: ٧٨)، و«الحيوان» (١/ ١٧)، و«أدب الكاتب» (ص: ٣١٠). قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» (٢/ ٩٢٩): «كانت العرب إذا وقع العُرُّ في إبلهم ـ وهو قرحٌ يخرج في مشافِرها ـ اعترضوا بعيراً لم يقع ذلك فيه فيكوى مشفره، ويرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العر من إبلهم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٣)، وفيه: «﴿نَرْتَع ونَلْعَب﴾؛ أي: ننعم ونلهو».

(٥) ذكره الواحدي بلا نسبة في «تفسير مقاتل» (١٢/ ٣٩).

(٦) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٤١)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٥٦)، وذكر كل منهما له قصة، وذكره أيضاً الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٣).

ومَن قرأ بالنُّونِ أرادَ: نرتعُ مواشيَنا، و﴿نَلْعَبْ﴾: نلهُو ونَنْشُطُ. وقيل: نلعبُ بالرَّمْيِ. وقيل: بالشَّدِّ والعَدْوِ.

ورَوَى هارونُ صاحبُ أبي عمرٍو أنَّه قال: قلتُ لأبي عمرٍو: كيفَ تقرأُ: ﴿نَلْعَب﴾ بالنُّونِ وهم أنبياءُ؟ قال: لم يكونُوا يومَئذٍ أنبياءَ(١).

ومَن قرأ بالياءِ؛ أي: يرتعُ يوسفُ ساعةً ويلعبُ ساعةً.

ورُوِيَ عن يعقوبَ: (نَرْتَعْ) بالنُّونِ، (ويَلْعَبْ) بالياءِ(٢).

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عن أن ينالَه مكروهٌ.

***

(١٣) - ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعقوبُ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: يحزُنُني ذهابُكم به ويألمُ قلبي بفراقِه.

والصَّحيحُ أنَّ (أذهبَه) و(ذهبَ به) بمعنًى واحدٍ؛ كقولِه: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، و﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣].

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ وكان أرضُهم مَذْأَبةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠١)، وأبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ٤٠٦).

(٢) هي روايةٌ عن روح عن يعقوب. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٥٠٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٤٥)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٥).

وقيلَ: رأى في المنامِ أنَّ الذِّئابَ كانت تقصدُ يوسفَ[١].

ابنُ عيسى: الذِّئبُ: سبُعٌ دونَ الأسدِ وفوقَ الكلبِ، يطلبُ الغنمَ أشدَّ الطَّلبِ، وهو من تذأَّبَتِ الرِّيحُ: إذا هبَّتْ من كلِّ جهةٍ.

قيلَ: كأنَّه لقَّنَهم بقولِه: ﴿أخاف أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ علَّةً وعُذرًا وكانوا لا يدرُونَ ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ﴾[٢].

* * *

(١٤) ـ ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾.

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: عشرةٌ نحفَظُه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾: عاجِزونَ ضُعَفاءُ مغبونُون.

وجاء في القِصَّةِ: فأقبلَ على يوسفَ وقالَ له: أتحِبُّ ذلك يا بنيَّ؟ وقد كانوا قالوا له: اطلُبْ من أبيكَ أن يبعثَكَ معَنا، قال: نعم، قال يعقوبُ: إذا كان غدًا أذِنْتُ لك في ذلك، فلمَّا أصبحَ يوسفُ لبسَ ثيابَه وشدَّ عليه منطقتَه، وخرجَ مع إخوتِه، فشيَّعَهم يعقوبُ وقال: يا بَنيَّ، أوصيكم بتقوَى الله وبحبيبي يوسفَ، ثمَّ أقبلَ على يوسفَ وضمَّه إلى صدرِه وقبَّلَ بين عينَيه ثمَّ قالَ: أستودِعُكَ اللهَ ربَّ العالمين، وانصرَفَ.

* * *

---

(١) قال الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢١٥): «لكن هذا لا يحتمل؛ لأن رؤيا الأنبياء أكثرها صدق وحق، فلا يحتمل أن رأى ذلك ثم يقول: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أو يدعه يذهب معهم، لكنه خاف عليه أكل الذئب على ما يُخاف على الصبيان في المفاوز والبراري».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٨) عن أبي مجلز، ولفظه: «لا ينبغي لأحد أن يلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس، حتى قال لهم أبوهم: إني أخاف أن يأكله الذئب».

(١٥) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ أي: عزَمُوا على إلقائِه في البئرِ، يُقالُ: أجمعَ أمرَه: إذا صحَّحَ العزمَ.

أتَوا به البئرَ وجعلوا يُدلُونَه فيها، فيتعلَّقُ بشفيرِها، فربَطُوا يدَيه ونزَعُوا قميصَه وقالَ: يا إِخوتاهُ، رُدُّوا عليَّ قميصي أتوارَى به في الجبِّ، فقالوا: ادعُ الأحدَ عشرَ كوكبًا والشَّمسَ والقمرَ يكسوك ويُؤنِسوكَ، فدلَّوه في البئرِ حتَّى إذا بلغَ نصفَها ألقَوه، وكان في البئرِ ماءٌ، فسقطَ فيه، ثمَّ أوى إلى صخرةٍ في البئرِ فقامَ عليها يبكي[1]، فجاءَه جبريلُ عليه السَّلامُ بالوَحْيِ منَ الله، وهو قولُه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: لتُخبِرَنَّ يا يوسفُ إخوتَكَ ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: بصنيعِهم هذا، يُريدُ: بمصرَ، وهو قولُه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٩].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالوحيِ؛ أي: أوحَينا وهم لا يشعُرونَ.

وقيلَ: متَّصِلٌ بقولِه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّك يوسفُ؛ أي: لا يعرِفُونَك.

وقيلَ: كان الوحيُ وحيَ إلهامٍ.

وقيلَ: كانت بئرًا قليلةَ الماءِ تُغيِّبُه ولا تُغرِقُه.

وقيلَ: جعلوه في جانبٍ منها.

---

(١) ذكر المفسرون في القصة أشياء كثيرة تتضمن كيفية إلقائه في غيابة الجب، ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون إلا قساوة، ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشيء منها، قاله أبو حيان. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٢٨٧).

وجوابُ ﴿فَلَمَّا﴾ مُضمَرٌ تقديرُه: عظُمَتْ فتنتُهم، وقال الكوفيُّونَ: الواوُ زائدةٌ، ومثلُه: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣](١)، قالَ الشّاعرُ:

فلمَّـا أجَزْنـا سـاحةَ الحـيِّ وانْتَـحى ... بنا بَطْـنُ خَبْـتٍ ذي قِفـافٍ عَقَنْقَـلِ(٢)

* * *

(١٦) ـ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾: آخرَ النَّهارِ ﴿يَبۡكُونَ﴾ قيل: يتباكَون، وقيل: بكَوا ببكاءِ أبيه عليه، فلمَّا سمعَ أصواتَهم فزِعَ وقال: ما لكم يا بَنيَّ، وأينَ يوسفُ؟

* * *

---

(١) انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٤)، وهو قول الفراء في الآية. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٠)، لكن الفراء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ جعل الجواب في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾، وصنيع المؤلف يوهم أن الجواب في قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ حيث لم يكمل الآية. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٨) و(٢/ ٢١١ و٣٩٠).

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٩)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٢٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٠). ورواية «الديوان»: «حقاف» بدل «قفاف». وقوله: «انتحى بنا بطن خبت» أسند الفعل إلى (بطن خبت) والفعل عند التحقيق له وللحبيبة، ولكنه ضرب من الاتساع في الكلام، يقول: فلما جاوزنا ساحة الحي وخرجنا من بين البيوت وصرنا إلى أرض مطمئنة أحاطت بهار أراض مرتفعة طاب حالنا وراق عيشنا.

وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو في (وانتحى) مقحمة زائدة، وهو عندهم جواب (لَمّا). ولا تقحم الواو زائدة في جواب (لَمّا) عند البصريين، والجواب عندهم في مثل هذا الموضع محذوف، وتقديره: فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها، وحذفُ جواب (لَمّا) كثير في التنزيل وكلام العرب. انظر: «شرح المعلقات» للزوزني (ص: ٥٠).

(١٧) ـ ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾: من السِّباقِ في الرَّمي. وقيل: في العَدْوِ؛ لنعلَمَ أيُّنا أشدُّ عَدْوًا ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾: رَحْلِنا ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ الجمهورُ: بمُصدِّقٍ لنا؛ أي: تُسيءُ ظنًّا بنا لشدَّةِ محبَّتِكَ ليوسفَ ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ جوابُه: ما صدَّقْتَنا لاتِّهامِكَ لنا في أمرِ يوسفَ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: (لو) فيه طرفٌ منَ التَّمنِّي وطرفٌ منَ النَّفيِ؛ لأنَّ قولَكَ: «لو كانَ» دليلٌ على أنَّه لـم يكُنْ، ولا يُتمنَّى إلّا ما هو غيرُ موجودٍ، فدلَّ على أنَّهم لم يكونُوا صادِقين[١].

وقيل: تقديرُه: وما أنتَ بمُصدِّقٍ لنا وإنْ كنَّا قد صدَقنا[٢]، وهذا قميصُه بالدَّمِ.

***

(١٨) ـ ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾؛ أي: بدمٍ ذي كذِبٍ، يُريدُ: مكذوبًا فيه؛ لأنَّه لـم يكُنْ دمَ يوسفَ، بل دمَ سخلةٍ.

قتادةُ: دمُ ظَبْيٍ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٩)، وعدّه من العجائب.

(٢) في (و): «صادقين» بدل: «قد صدقنا».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥).

وقُرِئَ: (بدمٍ كَدِبٍ) بالدَّالِ[١]؛ أي: طريٍّ.

ورَوَى أبو الفضلِ الرَّازيّ: (بدمِ كَدْبٍ) بالإضافةِ وفتحِ الكافِ وسُكونِ الدَّالِ غيرَ مُعجَمةٍ، وفسَّرَه: الجَدْيُ، وهو غريبٌ[٢].

وقولُه: ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ حالٌ لـ(دمٍ) وليس بصلةٍ للمصدرِ، وصفةُ النَّكرةِ إذا تقدَّمَتْ انتصَبَتْ على الحالِ.

وقيل: تقديرُه: وجاؤوا بقميصِه عليه دمٌ كذبٌ، فقدَّمَ الدَّمَ لأنَّه الأهمُّ.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾؛ أي: زيَّنَتْ.

وقيل: التَّسويلُ: جَعْلُ الشَّيءِ بالحكمِ سُؤْلًا؛ أي: مطلوبًا، وذلك أنَّ يعقوبَ قال لهم: أَرُوني قميصَه، فأَرَوْه، فقال: تاللهِ ما رأيتُ كاليومِ ذئبًا حكيمًا، أكلَ ابني ولم يخرِقْ عليه قميصَه، فعندَ ذلك قالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

ويحتمِلُ أنَّه فرحَ بذلك؛ لأنَّ القميصَ كذَّبَهم، فدلَّ أنَّ يوسفَ حيٌّ لم يأكُلْه الذِّئبُ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: أولى وأفضَلُ. وقيل: فصبري صبرٌ جميلٌ[٣].

الشَّعبيُّ: لقميصِ يوسفَ ثلاثُ آياتٍ:

إحداها: حينَ جاؤوا عليه بدمٍ كذبٍ.

والثَّانيةُ: حينَ قُدَّ.

---

(١) نسبت إلى الحسن وابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما وأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٠)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٣) فعلى الأول يكون (صبر) مبتدأ، و(جميل) صفته، و(أولى) خبره، وعلى الثاني يكون (صبري) مبتدأ، و(صبره) خبره، و(جميل) صفة الخبر.

والثّالثة: حين أُلقِيَ على وجهِ أبيه يعقوبَ(١).

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تكذِبون.

***

(١٩) ـ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: هم المُسافِرون يُسيرون من أرضٍ إلى أرضٍ ـ وقيل: المارّةُ في الطَّريقِ ـ وفيهم مالكُ بنُ ذُعْرٍ(٢).

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: مَن يرِدُ الماءَ ليستقيَ منه ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: أرسلَ الدَّلوَ ليملأَها ﴿قال يا بشرايَ هذا غلامٌ﴾ يُريدُ: ثمَّ دلَّاها؛ أي: أخرَجها فتشبَّثَ بها يوسفُ، فلمَّا رآه قال: يا بُشرايَ، بشَّرَ المُدْلي نفسَه، وقال: يا بُشرَى، تعالَي هذا أوانُكِ.

وقيلَ: بشَّرَ أصحابَه بأنَّه وجدَ غلامًا.

وقيل: بُشرَى: اسمُ صاحبٍ له، ناداه يُخبِرُه خبرَ الغُلامِ.

قالَ الأصمعيُّ: سألتُ أبا عَمرٍو عن ﴿بُشرايَ﴾ فقال: يا حِرْزا وأبتَغي النَّوافلا(٣)،

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٨).

(٢) كذا بالمعجمة في النسخ الخطية، وقد جُعل بالمهملة في كثير من التفاسير وكتب التاريخ واللغة، وجُعل بالمعجمة في كثير منها أيضاً، وربما جُعل مرة بالمعجمة ومرة بالمهملة في بعضها، وقد ذكره الصاغاني في «التكملة والذيل والصلة» (٢/ ٥٢٥) في مادة (ذ ع ر) وهو الصواب إن شاء الله.

(٣) أي: أدركت ما أردت وأطلب الزيادة، قالوا: والحرز بمعنى المحرَز، كأنه أراد: يا قوم أبصروا ما أحرزت من مرادي ثم أبتغي الزيادة، و«حرزا» يريد به: حرزي، فعوض من الياء ألفاً في النداء لخفته كقولهم: يا غلاماً، في موضع يا غلامي، ويروى: «واحرزا» قالوا: يريد: «واحرزاه» فحذف، يضرب لمن طمع في الربح حتى فاته رأس المال. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٠٠)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٤١٩).

هذا مَثَلٌ معناه: قد أحرَزْتُ ما كنتُ أطلُبُه، فأنا أطلُبُ الفُضولَ[١].

وفي ﴿بشراي﴾ قراءتانِ: الإضافةُ إلى ياءِ المُتكلِّمِ وفتحُه، والثّانيةُ: الإفرادُ[٢].

وإذا أضفْتَ[٣] فالألفُ في حكمِ النَّصبِ كـ: يا عبدَ الله، وقيل: في حكمِ الكسرِ كميمِ (غُلامي).

وقُرِئَ: (يا بُشرايْ) بسكونِ الياءِ[٤]، وقُرِئَ: (يا بُشرَيَّ) بتشديدِ الياءِ[٥].

ومَن أفردَ جازَ أن يكونَ في محلِّ نصبٍ؛ لأنَّها نكرةٌ، وجازَ أن يكونَ مضمومًا، وإنْ جعلتَه اسمَ عَلَمٍ على ما سبقَ فهو مضمومٌ.

وأجازَ الكوفيُّون أن يكونَ المُنادَى محذوفًا تقديرُه: يا قوم، بُشرايَ هذا غلامٌ[٦].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ الإسرارُ: ضدُّ الإعلانِ، والبضاعةُ: القطعةُ منَ المالِ تُجعَلُ للتِّجارةِ، مُشتقّةٌ من: بضَعْتُه؛ أي: قطَعتُه، ومنه المِبْضَعُ.

وفي هذا الضَّميرِ قولان:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى الوارِدِ وأصحابِه؛ أي: أخفَوا حالَه وكتَمُوا شأنَه، وقالوا

---

(١) فسَّر أبو عمرو الآية بالمثل، وجعلهما بمعنى واحد.

(٢) قرأ الكوفيون: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير إضافة، وقرأ الباقون بألف بعد الراء وفتح الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣).

(٣) في (ن): «أضيف».

(٤) وهي رواية لورش عن نافع، قال ابن مجاهد: ورأيت أصحاب ورش لا يعرفون هذا ويروون عنه بفتح الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧). وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧).

(٥) نسبت إلى ابن أبي إسحاق وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٦٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٣).

(٦) وليس هذا ببعيد عن قول سيبويه والبصريين. انظر: «الكتاب» (٢/ ٢٢٠)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣٥٤).

للسَّيّارةِ: «هو بضاعةٌ أبضَعَناها أهلُ الماءِ لنبيعَه بمصرَ» لئلا يَسْتَشْرِكَهُم فيه النّاسُ، و﴿بِضَٰعَةً﴾: نصبٌ على الحالِ، الزَّجّاجُ: أسرُّوه جاعِليهِ بضاعةً[١].

والثّاني: أنَّه يعودُ إلى إخوةِ يوسفَ، وذلك أنَّ يهوذا كان يأتيه بالطَّعامِ كلَّ يومٍ؛ لأنَّه بقيَ فيها ثلاثةَ أيّامٍ، فأتاه يومئذٍ بالطَّعامِ فلم يجِدْه فيها، فأخبرَ إخوتَه، فأتَوا مالكًا وقالوا: هذا عبدُنا أبَقَ[٢] منّا، وكتمَ يوسُفُ شأنَه مخافةَ أن يقتُلَه إخوتُه.

ويقالُ: قالوا ليوسفَ بالعبرانيّةِ: إن لم تُقِرَّ بأنَّك عبدٌ انتزَعْناكَ منَ السَّيّارةِ ثمَّ لنقتُلَنَّكَ، فقال يوسفُ: إنّي عبدٌ، وأرادَ به: عبدُ الله، فكتَموا حرِّيَّتَه وباعوه على أنَّه بضاعةٌ.

قتادةُ: أسرُّوا بيعَه[٣].

ابنُ عبّاسٍ: أسرَّ إخوةُ يوسفَ أنَّه أخوهم وجعلوه بضاعةً وباعوه[٤].

ويحتمِلُ أنَّ معنى ﴿أسرّوه بِضَٰعَةً﴾: أظهَرُوه بضاعةً[٥]؛ سواءٌ يعودُ الضَّميرُ إلى الواردِ وأصحابِه أو إلى الإخوةِ، وهذا كما تقولُ: هذا شيءٌ أظهَرْتُه أُعجوبةً، و: هذا مالٌ أظهَرتُه بضاعةً، والمعنى: أظهَروا حالَ يوسفَ على هذا الوجهِ، والله أعلَمُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بيوسف.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٨).

(٢) في (و): «فأبق».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٩)، ولفظه: «﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ يعني: إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم، فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله إخوته، واختار البيع، فذكره إخوته لوارد القوم، فنادى أصحابه قال: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ يباع، فباعه إخوته». وإسناده ضعيف جدًّا.

(٥) وهذا مبني على أن (أسرَّ) من الأضداد؛ فيعني: أخفى وأظهر. انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٤٦).

(٢٠) ـ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾.

﴿ وَشَرَوْهُ ﴾؛ أي: باعُوه، والشِّرى: البيعُ، مشتقٌّ مِنَ الشَّرْوَى؛ لأنَّ البائعَ والمُشتريَ يُعطي شيئًا ويأخذُ شيئًا.

والضَّميرُ عند الجمهورِ يعودُ إلى إخوةِ يوسفَ؛ لأنَّهم باعوه من مالكِ بنِ دُعْرٍ.

ابنُ بحرٍ[(١)]: الضَّميرُ يعودُ إلى الواردِ وأصحابِه؛ أي: أسرُّوه بضاعةً وحملوه إلى مصرَ فباعوه بثمنٍ طفيفٍ؛ لأنَّهم عرَفوا أنَّه حرٌّ يظهرُ أمرُه فقَنِعُوا باليسيرِ[(٢)].

ويحتملُ أنَّ قولَه: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ على ظاهرِه من معنَى اشترَوا؛ أي: اشترَى الواردُ وأصحابُه من إخوتِه، والله أعلَمُ.

﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: حرامٍ؛ لأنَّه حرٌّ. وقيل: ظُلمٍ؛ لأنَّهم ظلَمُوه في بيعِه. وقيل: ذي بخسٍ؛ أي: ناقصٍ. وقيل: قليلٍ. وقيل: زَيفٍ.

﴿دَرَٰهِمَ﴾ بدلٌ منَ الثَّمنِ ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلةٍ، عشرينَ درهمًا اقتَسمُوا دِرهمَينِ دِرهمَينِ. وقيل: اثنانِ وعشرونَ درهمًا. وقيل: أربعون درهمًا. وقيل: ما كانوا يزِنون دونَ الأوقيّةِ، وهي أربعونَ درهمًا[(٣)].

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾: ﴿فِيهِ﴾ يعودُ إلى الثَّمنِ، وقيل: إلى يوسفَ.

والضَّميرُ في ﴿وَكَانُوا۟﴾ يعودُ إلى الإخوةِ إلّا على قولِ ابنِ بحرٍ.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: غيرَ مُحتاجين إليه ولا راغبينَ فيه، ولا يجوزُ أن

---

(١) في (و): «وقيل».

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٤٣٤) بلا نسبة.

(٣) «درهما»: من (ن).

يكونَ ﴿فِيهِ﴾ من صلةِ ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ لأنَّ اسمَ الفاعلِ إذا كانَ فيه الألفُ واللّامُ لا يعملُ فيما قبلَه[1]، وعندَ النُّحاةِ: أنَّ ﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ، والتَّقديرُ: وكانوا فيه زُهَّدًا منَ الزّاهدين[2]، وجازَ حذفُ العاملِ لأنَّ الظَّرفَ جائزٌ فيه هذا الاتِّساعُ، ولم يجُزْ: كانوا زيدًا منَ الضّاربين[3].

***

(٢١) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ ثمَّ إنَّ مالكَ بنَ ذُعْرٍ حملَه إلى مصرَ وباعَه فيمَن يزيدُ بعشرينَ دينارًا، وقيل: بوزنِه فضَّةً، وقيل: بوزنِه ذهبًا، وقيل: أكثرَ من ذلك، فاشتراه عزيزُ مصرَ، وكان صاحبَ خزانةِ الملكِ، واسمُه: قِطْفيرُ، واسمُ الملكِ الوليدُ بنُ الريَّانَ.

---

(١) وهذه المسألة فيها خلاف، وليست من المتفق عليه بين النحويين، فقد ذهب البصريون إلى المنع مطلقاً، وذهب الكوفيون إلى الجواز مطلقاً، وقال ابن الحاجب: إنه متعلق بالصلة، والمعنى عليه بلا شبهة، وإنما فروا منه لِمَا فهموا من أنّ صلة الموصول لا تعمل فيما قبل الموصول مطلقاً، وبين صلة (أل) وغيرها فرْق، فإنّ هذه على صورة الحرف المنزل منزلة جزء من الكلمة فلا يمتنع تقديم معمولها عليها. انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٨٣)، و«حاشية الشهاب» (٥/ ٢٦٥)، و«روح المعاني» (١٢/ ٢٥٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٣٤٢).

وأجاز بعضهم ذلك في الظرف فقط دون المفعولات، ومنهم المؤلف كما سيأتي.

(٢) فالجار والمجرور متعلقان باسم فاعل مقدر دلّ عليه ما جاء بعده.

(٣) لأن «زيداً» من صلة «الضاربين»، ولا تتقدم الصلة على الموصول ما لم يكن ظرفاً أو جارًّا ومجروراً: ولم يجز تقدير عامل محذوف؛ لأن المعمول ليس ظرفاً.

قالَ ﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ واسمُها عندَ جُلِّ المُفسِّرين: راعيلُ، وقيل: فيكا[١]، وقيل: زَلِيْخا: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ يصلُحُ للمصدرِ؛ أي: إقامتَه، ويصلحُ للمكانِ؛ أي: موضعَ إقامتِه، والمعنى: أحسِني إليه في جميعِ حالاتِه من مأكولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ.

ابنُ عيسى: الإكرامُ: إعطاءُ المُرادِ على وجهِ الإعظامِ[٢].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضِياعِنا وأموالِنا، وقيل: لعلَّنا نبيعُه بثمنٍ أزيدَ ممَّا اشتريناه به، ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾: نتبنَّاه، ولم يكُنْ له ولدٌ.

ورُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قالَ: أحسَنُ النَّاسِ فِراسةً ثلاثةٌ: العزيزُ حينَ قالَ في يوسفَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾، وابنةُ شُعيبٍ حين قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾ الآية [القصص: ٢٦]، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ حين استخلَفَ عمرَ الفاروقَ رضيَ الله عنهما[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: تحبيبُ الله يوسفَ إلى مُشتَريه أوَّلُ تمكينِه في الأرضِ.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ عطفٌ على مُضمرٍ تقديرُه: لنُوحي إليه ولنُعلِّمَه. وقيل: كما أنعَمْنا عليه بالخروجِ مكَّنَّاه في الأرضِ لنُوحيَ إليه ولنعلِّمه.

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: عِبارةِ[٤] الرُّؤيا ومعاني كتُبِ الله.

---

(١) في (ن): «بكاء».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٠) بلا نسبة.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٣)، وأبو بكر بن الخلال في «السنة» (٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) في (و): «عبارة عن».

الزَّجَّاجُ: مثلَ الذي وصَفْنا مكَّنَّا ليوسفَ في الأرضِ[١].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ لا يردُّه شيءٌ، وقيل: غالبٌ على أمرِ يوسفَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: أهلَ مصرَ، وقيل: أهلَ مكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لطائفَ صُنعِ الله.

***

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: مُنتهَى اشتدادِ جسمِه وقوَّتِه.

الضَّحَّاكُ: عشرينَ سنةً[٢].

مجاهدٌ: ثلاثًا وثلاثينَ سنةً[٣].

وابتداءُ الأشُدِّ: بلوغُ الحُلُمِ، وقيل: ثماني عشرةَ سنةً. وقيل: إحدى وعشرينَ سنةً؛ لأنَّه يتقوَّى لسبعِ سنينَ، ويبلُغُ لسبعٍ بعدَها، ويتناهَى طولُه وقوَّتُه لسبعٍ بعدَها.

وآخرُ الاشتدادِ[٤] أربعونَ سنةً، وقيل: ستُّونَ.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾: حكمةً وعقلًا. وقيل: حكمًا على النَّاسِ. وقيل: نُبوَّةً. وقيل: فِقهًا. وقيل: إصابةَ القولِ.

﴿وَعِلۡمٗا﴾ بتأويلِ الأحاديثِ.

وقيل: أُعطِيَ النُّبوَّةَ في الجبِّ، ثمَّ لـمَّا بلَغَ أشُدَّه أُمِرَ بإظهارِ الدَّعوةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧).

(٤) في هامش (ن): في نسخة: «الأشد».

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: المُؤمنين(١). وقيل: الصَّابرينَ. وقيل: كما فعَلْنا بيوسفَ نفعلُ بمحمَّدٍ عليهما السَّلامُ.

***

(٢٣) - ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ يعني: راعيلُ طلبَتْ يوسفَ أن يُواقِعَها، وأصلُه من: رادَ يرودُ: إذا جاءَ وذهبَ، ومنه: الرَّائدُ؛ لأنَّه يجولُ في الصَّحراءِ لطلبِ المَرعى.

ابنُ عيسى: المُراودةُ: المُطالبةُ بأمرٍ يُعمَلُ به(٢)، ولا يُقالُ في مُطالبةِ الدَّينِ: راودَه(٣).

﴿عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ التَّغليقُ: إطباقُ البابِ بما يَعْسُرُ فتحُه، والتَّشديدُ للمُبالغةِ في الإيثاقِ، وقيل: للكثرةِ، وكانت سبعةَ أبوابٍ.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: تعالَ وأَقْبِلْ، وهي منَ الأسماءِ التي سُمِّيتِ الأفعالُ بها، وقُرِئَ: (هِئْتُ) بكسرِ الهاءِ وضمِّ التَّاءِ بغيرِ همزٍ وبهمزٍ(٤)، وهي من قولِكَ: هِئْتُ أهيءُ هَيْئةً، كجِئْتُ أَجِيءُ جَيْئةً، ومعناه: تهيَّأْتُ، و﴿لَكَ﴾ على هذا الوجهِ مُتعلِّقٌ بالفعلِ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ تبيينٌ للمدعوِّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٩).

(٢) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥) بلا نسبة.

(٣) فالمطالبة تستعمل في العين والدراهم، والمراودة لا تستعمل إلا في العمل. انظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٣١٥).

(٤) قرأ نافع وابن ذكوان: ﴿هِيْتَ﴾ بكسر الهاء من غير همز وفتح التَّاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز: ﴿هِئْتَ﴾، وقد رُوِيَ عنه ضم التَّاء: ﴿هِئْتُ﴾، وابن كثير بفتح الهاء وضم التَّاء: ﴿هَيْتُ﴾، والباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

الزَّجَّاجُ: المعنى في اللَّامِ[(١)]: تَقدَّمْ لنفسِكَ؛ أي: لكَ في التَّقدُّمِ حظٌّ[(٢)].

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعتصِمُ به، وهو نصبٌ على المصدرِ؛ أي: أعوذُ باللهِ عياذًا ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾: إنَّ اللهَ خالقي ولا أعصيه[(٣)]. وقيل: إنَّ العزيزَ ربِّي وسيِّدي اشتَراني[(٤)] وأحسنَ منزلَتي، فلا أخونُه في أهلِه.

﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ حيثُ قالَ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ﴾: الأمرَ والشَّأنَ ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الواضِعونَ الشَّيءِ غيرَ موضعِه، والمُرادُ به هاهنا: الزُّناةُ.

***

(٢٤) - ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ أي: همَّا بالذَّنبِ، والهمُّ بالشَّيءِ: مُقاربَتُه من غيرِ دخولٍ، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: استلقَتْ على قَفاها وحلَّ هو هِمْيانَه؛ أي: سراويلَه، وجلَسَ منها مجلسَ الخاتنِ[(٥)].

---

(١) في (و): «معنى اللام».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٩)، ولفظه: «المعنى: هلم لك؛ أي: أقبل إلى ما أدعوك إليه»، وقد ذكره المصنف باللفظ أعلاه في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه، ورجَّح القول الآتي أنه العزيز.

(٤) في (و): «ابتدأني».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٣).

قال الإمامُ أبو منصور الماتريدي رحمه الله: أمَّا ما قالَه بعضُ أهل التَّفسير أنَّها استلقَتْ له، وهمَّ بها، وحلَّ إزارَه، وأمثالَ هذا من الخرافات؛ فهذا كلُّه ممَّا لا يحلُّ أنْ يُقال، والدلالةُ على فسادِ ذلك وجوهٌ: أحدُها: قوله تعالى: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾. والثَّاني: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ =

الحسنُ: أمّا همُّها فكانَ أخبثَ همٍّ، وأمّا همُّه فما طُبِعَ عليه الرِّجالُ من شهوةِ النِّساءِ من غيرِ عزمٍ على الزِّنى(١).

وقيل: همَّ بضربِها والفِرارِ منها(٢).

وقيلَ: همَّ بها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وهذا حسَنٌ في المعنى ضعيفٌ في

= عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾. والثَّالث: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾. والرَّابع: قولهنَّ: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾. والخامس: قولها: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

فهذا كلُّه دليلٌ على أنَّه لم يكنْ منهُ شيءٌ من ذلك، وليس في ظاهرِ الآية ممَّا قالوا من قليلٍ ولا كثيرٍ؛ إذ ليس فيه شيءٌ سوى أن ﴿هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٢٥ـ٢٢٦).

وما أحسن كلام الزمخشري في رد تلك الأباطيل حيث قال: ولو وُجدتْ من يوسفَ عليه السلام أدنى زلَّةٍ لنُعِيَتْ عليه وذُكِرَتْ توبتُه واستغفارُه كما نُعيَتْ على آدم صلوات الله عليه زلَّتُه، وعلى داود وعلى نوح وعلى أيُّوب وعلى ذي النُّون عليهم السلام، وذُكِرَت توبتُهم واستغفارُهم، كيف وقد أُثنيَ عليه وسُمِّي مخلَصاً، فعُلم بالقطع أنه ثبتَ في ذلك المقام الدَّحْضِ، وأنه جاهدَ نفسَه مجاهدةَ أولي القوة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجهِ القبح، حتى استَحَقَّ من الله الثناءَ فيما أُنزل من كتب الأوَّلين، ثم في القرآن الذي هو حجةٌ على سائر كتبه ومِصداقٌ لها، ولم يَقتصِر إلَّا على استيفاء قصَّتهِ وضربِ سورةٍ كاملةٍ عليها؛ ليجعل له لسانَ صدقٍ في الآخِرين كما جَعَله لجدِّه الخليلِ إبراهيمَ عليه السلام، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدَّهر في العفَّة وطِيْبِ الإزار، والتثبُّتِ في مواقف العِثَار. انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٥٧).

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه. وضعَّفه الماتريدي فقال: يدخل عليه قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، لو كان همه بها هم دفع لم يكن لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ معنى. ثم ذكر له تخريجاً بأن يكون التقدير: هم بقتلها، فإذا كان هم بقتلها فرأى برهان ربه فتركها لما لا يحل قتلها. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٢٦).

الإعرابِ؛ لأنَّ جوابَ ﴿لَوۡلَآ﴾ لا يتقدَّمُ عليه، بل جوابُه مُقدَّرٌ تقديره: لو لا أنْ رأى برهانَ ربِّه لأمضى ما همَّ به[١].

وفي ﴿بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: هو أنْ رأى يعقوبَ ـ أي: صورةَ يعقوبَ ـ عاضًّا على أناملِه[٢].

قتادةُ: نُودِيَ: يا يوسفُ، أنت مكتوبٌ في الأنبياءِ وتعملُ عملَ السُّفهاءِ[٣].

وقيل: رأى جبريلَ.

وقيل: تذكَّرَ جزاءَ الزِّنى[٤].

وقيل: رأى قِطْفِيرَ.

وقيل: رأى كفًّا بلا مِعصَمٍ يمنعُه منَ المُواقعةِ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، وعدَّه من العجائب، وقد بيَّن أبو حيان أن هذا التضعيف لا طائل تحته وأن الجواب مقدر دلَّ عليه ما تقدم. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٥٨).
قلت: رؤية البرهان منعت الهم مطلقاً؛ وتقدير الكلام: ولولا أن رأى برهان ربّه لهمت به وهمّ بها ولكن تقدم الهم في الآية أتاح لسامع الذكر الحكيم الفرصة ليتخيل السلوك الذي يتبعه البشر بحكم الغريزة في مثل هذا الموقف ثم يمضي مع الآية ليرى طهر يوسف عليه السلام، ويشعر من خلال المقارنة بسموِّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليه السلام.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٩٠ ـ ٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٣).

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٩، ٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤) واستغربه.

(٥) في هامش (ن): «قال: وقد رأيت في بعض التفاسير أن البرهان في قوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ نبتٌ ظهر في أنفها؛ شعرات قبيحة، وذلك مما تنفر الطباع عنه، فامتنع يوسف عنها».
وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كذلك فعَلْنا، فهو في محلِّ نصبٍ.

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾: عن يوسفَ ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: الذَّنبَ ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: الزِّنى ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلَصَهم الله واختارَهُم، ومَن كسرَ[1] فالمعنى: أخلَصُوا دينَهم لله.

* * *

(٢٥) - ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: طلَبَا المُبادرةَ إلى البابِ، وذلك أنَّ يوسفَ لمّا رأى برهانَ ربِّه قصدَ البابَ للخروجِ، وقصدَتِ البابَ لتمنعَه منَ الخروجِ، فلم تصِلْ إلّا إلى ذيلِه من خلفِه، فتشبَّثَتْ به فشقَّته، وهو قولُه: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ القَدُّ: الشَّقُّ طولًا، والقَطُّ: عرضًا.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾: صادفَا زوجَ المرأةِ على البابِ، فلمَّا رأته خافتْ فاحتالَتْ لتبرئةِ[2] نفسِها ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أوهمَتْ أنَّه قصدَها، وأنَّ البِدارَ[3] كانَ منها.

و﴿مَا﴾ نفيٌ، وتقديرُه: إلّا السِّجنُ أو عذابٌ أليمٌ، وهو الضَّربُ الوجيعُ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ، وتقديرُه: هل جزاؤُه إلّا السِّجنُ، وفيه ضعفٌ[4].

* * *

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) في (ن): «لتنزيه».

(٣) البدار؛ أي: المبادرة بدفعه.

(٤) في هامش (ن): «وضعَّف مَن يجعل ﴿مَا﴾ بمعنى (هل) أنه لم يأت بمعناه». وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، واستغربه.

(٢٦) ـ ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾؛ أي: طالبَتْني بالمُواقعةِ، ولـم يكُنْ عليه السَّلامُ يكشفُ الأمرَ ويفضحُها إنْ لم تكذِبْ عليه.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾: أخبرَ مُخبرٌ من أهلِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان صبيًّا أنطقَه الله[1]. وإليه ذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين.

وقيل: كانَ رجلًا له رأيٌ من خاصَّةِ الملكِ[2].

وقيل: الشّاهدُ: العزيزُ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٨).
وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢٢)، والبزار (٢٤ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٥) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السَّلامُ، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون».
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. إلا أنه في رواية ابن حبان قال بدل «شاهد يوسف»: «والرابع لا أحفظه».
وروى البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة التي مر عليها الراكب ذو الشارة، وروى مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود، وفيه ذكر تكلُّم ولد المرأة التي أحرقت في الأخدود؛ فصار ما ذكر في الصحيحين أربعة، ومع حديث ابن عباس يصبحون ستة، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٩) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، واستغربه.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: السِّنَّورُ[١].

وعن مجاهدٍ: القميصُ المقدودُ[٢].

***

(٢٧) ـ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ومعنى: ﴿إِن كَانَ﴾: إنْ يصحَّ.

المُبرِّدُ: يجوزُ بقاءُ ﴿كَانَ﴾ على الماضي، وإليه ذهبَ الزَّجَّاجُ[٣]، ويأباه أبو عليٍّ.

وكان القياسُ: وشهِدَ شاهدٌ أنَّه، لكنْ ذهبَ به مذهبَ القولِ والحكايةِ.

و(قَدْ) مُضمَرٌ مع (قُدَّ)؛ أي: إنْ يكُنْ الآنَ قَدْ قُدَّ قميصُه، وهذه دلالةُ عادةٍ: أنَّ الذي شُقَّ قميصُه هو الهاربُ كما أنَّ الذي في ظهرِه الضَّربةُ هو المهزومُ في الحربِ، قالَه ابنُ عيسى[٤].

ويحتملُ أنَّ الشَّاهدَ علِمَ قطعًا أنَّ الذَّنبَ لها، فلم يُرِدْ أن يُصرِّحَ بذلك فعرَّضَ بهذا[٥].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤) عن النقاش، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ١٠٧) عن المبرد، وليس فيه التصريح بالترجيح.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، واستغربه.

(٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾؛ أي: رآه بعينِه. وقيل: علِمَ صِدقَه.

﴿قَالَ﴾ يعني: الزَّوجَ، وقيل: الشّاهدَ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾، وقيلَ: إلى السُّوءِ، وقيل: إلى كذِبِها.

﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: من حيلتِكُنَّ ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾: حيلتكُنَّ ﴿عَظِيمٌ﴾: يَخْلصُ إلى الصَّالحِ والطَّالحِ، والبريءِ والسَّقيمِ، وكيدُ الشَّيطانِ ضعيفٌ؛ لأنَّه وسوسةٌ وغيبٌ، وكيدُهنَّ مُواجهةٌ وعينٌ[1].

ثمَّ أقبلَ على يوسفَ وقال:

(٢٩) ـ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.

﴿يُوسُفُ﴾ يريدُ: يا يوسفُ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتُمْه ولا تذكُرْه، وقيل: دَعْ ذلك.

ثمَّ أقبلَ[2] على راعيلَ وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾: تُوبي إلى الله من خطيئَتِكِ ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ ذكَّر لتغليبِ الرِّجالِ.

ورُوِيَ عن بعضِهم أنَّه قال: كان السَّيِّدُ قليلَ الغَيرةِ؛ حيثُ اقتصرَ على قولِه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾[3].

---

(١) قال الطيبي في «حاشيته على الكشاف» (٨/ ٣١٠): «وفيه نظر؛ لأن الذي في هذه الآية من كلام العزيز، فيمكن أن تكون حكايته تصحيحًا لكلامه لا تحقيقًا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ مقابل بكيد الله، فحقه أن يكون ضعيفًا، ولأن كيد الشيطان أصل لكيد النساء، فلا يكون كيدهن أعظم».

(٢) في (و): «مال».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلُبُ مُواقعةَ غلامِها إيَّاها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: دخلَ حبُّه شَغافَ قلبِها، والشَّغافُ: باطِنُ القلبِ، وهو حبَّةُ القلبِ وسُوَيداؤُه.

وقيل: الشَّغافُ: غلافُ القلبِ.

وقيل: الشَّغافُ: داءٌ يكونُ في الجوفِ.

و﴿حُبًّا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ لصرفِ الفعلِ عنه.

وقيل: ﴿شَغَفَهَا﴾ مثلُ: رَأَسَهُ ورَجَلَهُ[1] ﴿حُبًّا﴾ بالحبِّ، والأوَّلُ أَولى.

﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في ضلالٍ عنِ الرُّشدِ، وقيل: في محبَّةٍ عظيمةٍ.

***

(٣١) ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾؛ أي: سمعَتْ راعيلُ بوقيعتِهنَّ.

وقيل: سُمِّيَ مكرًا لأنَّهنَّ قُلنَ ذلك لتُرِيَهنَّ يوسفَ، وكان يُوصَفُ لهنَّ حسنُه وجمالُه.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعُوهنَّ إلى مأدُبةٍ اتَّخذَتْها، فدعَتْ أربعين امرأةً، قيل[2]:

---

(١) رأسه: أصاب رأسه، ورجله: أصاب رجله.

(٢) «قيل» من (ن).

وفيهنَّ أربعٌ قد أطلَعَتْهُنَّ على سرِّها، واستكْتَمَتْهُنَّ فأفشَينَ سِرَّها، وذلك مكرُهنَّ.

﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾: وأعدَّتْ، منَ العتيدِ، وهو المُعَدُّ.

﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾: مجلسًا فيه ما يتَّكِئْنَ عليه منَ الوسائدِ والنَّمارقِ، وفيه الطَّعامُ والشَّرابُ.

الحسنُ في جماعةٍ: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾: طعامًا[1]، قال الشّاعرُ:

فظَلِلْنـا بـنِـعْــمةٍ واتَّـكَـأْنــا ... وشرِبْنا الحـلالَ مِـنْ قُلَلِـهْ[2]

وقيل: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾: ما يُقطَعُ بالسِّكِّينِ، مثلُ: الأُتْرُجِّ والبِطِّيخِ والمَوز.

وقيـلَ: الزُّمـاوَرْدُ[3]، وهـو الرِّقـاقُ الملفـوفُ باللَّحـمِ وغيـرِه، كأنَّه يُتَّـكأُ عليه بالسِّكِّين.

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ المُبرِّدُ: كانوا في ذلك الزَّمانِ لا يأكلونَ إلّا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٣).

(٢) البيت لجميل بن معمر كما في: «ديوان جميل بثينة» (ص: ١٨٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٢٥٧)، و«الصحاح» مادة: (ق ل ل)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١٠/ ٢١). القلل: جمع قلة، وهي الجرة، و«الحلال»: فسره بعضهم بالنبيذ، لكن تعقب البغدادي ذلك بقوله: ولا يخفى أن حمله على ظاهره أنسب؛ لأن قائله مؤمن وكان في عرفة في موسم الحج.

(٣) الزَّماورد ـ ويقال: الزُّماورد والبَزْمَاوَرْد ـ وهو طعام من البيض واللحم والسمن، معرب كما في «القاموس»، أو هو الرقاق الملفوف باللحم، كما ذكر المصنف وكما في حواشي «الكشاف»، وربما قيل له: لقمة القاضي، أو: لقمة الخليفة، وقيل: هو ضرب من الحلوى يصنع من العجين بالسكر، وقيل: كل ما عمل من السكر حلوى فهو زماورد. انظر: «معجم متن اللغة» لأحمد رضا (٣/ ٦١).

بالملاعقِ والسَّكاكينِ كفعلِ الأعاجمِ، قال: والعربُ تنهَسُ نَهسًا لا تبتَغي سكِّينًا[١].

﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ فخرَجَ عليهنَّ يوسفُ.

عكرمةُ قال: كان فضلُ يوسفَ على النَّاسِ في الحُسنِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على نُجومِ السَّماءِ[٢].

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: هالَـهُنَّ أمرُه. وقيل: أعظَمْنَه.

مجاهدٌ: حِضْنَ[٣]. قالَ:

نأتـي النِّسـاءَ علـى أطهارِهِـنَّ ولا ... نأتـي النِّسـاءِ إذا أكْبَـرْنَ إكبـارا[٤]

والهاءُ في قولِه: ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ على هذا يعودُ إلى المصدرِ؛ أي: أكْبَرْنَ إكبارًا، وقيل: أكْبَرْنَ له، فحُذِفَ اللّامُ.

---

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٤) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كانت سنتهم إذا وضعوا المائدة أعطي كل إنسان منهم سكيناً يأكل بها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٢).

(٣) ذكره عن مجاهد الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الزجاج: «وليس ذلك بمعروف في اللغة».

وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، وعدَّه من العجائب، وقال: «ويمكن تصحيح (أَكْبَرَ) بمعنى: حاض أو أمذى الغلامُ والجارية من وجه، وهو أن يحمل على أول حيض وأول إمذاء، فإن ذلك علامة الكبر، ثم صار كناية عن الحيض والإمذاء».

(٤) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (١٣/ ١٣٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٦)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١٢٠) مادة: (ك ب ر). و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٥٣٦)، وفيه: «والمحققون على أن بيت «أكبرن» مصنوع لا يعرف قائله». وقال الزجاج: وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة، والهاء في ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ تنفي هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول: النساء قد حِضْنَهُ يا هذا؛ لأن (حضن) لا يتعدى إلى مفعول.

وقيل: المرأةُ إذا اشتدَّتْ غُلمَتُها حاضَتْ، ومنه قولُ المُتنبِّي:

خَفِ اللهَ واستُرْ ذا الجمالَ ببُرْقُعٍ فإنْ لُحْتَ حاضَتْ في الخدورِ العَواتقُ[1]

وقال بعضُ المُفسِّرين: أمنَيْنَ من حُسنِه كما يُمنيْنَ منَ الجماعِ.

والاستدلالُ بشعرِ المُحدَثين في المعاني جائزٌ بإجماعٍ، وأمَّا ابنُ عيسى فإنَّه قال: العلماءُ بروايةِ الشِّعرِ لا يعرِفُونَ هذا البيتَ.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: خدَشْنَها بالسَّكاكينِ وخِلْنَ يقطَعْنَ الطَّعامَ.

قتادةُ: أَبَنَّ أيديَهنَّ حتَّى ألقَيْنَها[2]. وهذا غُلوٌّ، وإنَّما قال هذا كقولِ القائلِ: قطعتُ يدي: إذا خدَشَها أو جرَحَها.

وهبٌ: بلغَني أنَّ سبعًا منَ الأربعينَ مِتْنَ في ذلك المجلسِ وَجْدًا بيوسفَ عليه السَّلامُ[3].

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهٌ له عن حالِ البشرِ.

أبو عبيدةَ: لهذه اللَّفظةِ معنيانِ: الاستثناءُ، والتَّنزيهُ[4].

«الحجَّة»: لا يخلو (حاشى) من أن يكونَ الحرفَ الجارَّ في الاستثناءِ أو الفعلِ، فلا يجوزُ أن يكونَ الجارَّ؛ لأنَّ الجارَّ لا يدخلُ على مثلِه، فثبتَ أنَّه (فَاعَلَ)

---

(١) انظر: «ديوان المتنبي» بشرح عبد الرحمن البرقوقي (٣/ ٨٩)، و«الكشاف» (٢/ ٤٦٥)، وفي «الديوان»: «ذابت» بدل «حاضت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٦)، بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «فيه بعد».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٧)، وفيه: «تسعًا» بدل «سبعًا»، وهو أبعد مما قبله.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣١٠).

منَ (الحشا) الذي يُعنَى به: النّاحيةُ، وفاعلُه يوسفُ؛ أي: صار في حشًا من ذلك، هذا معنى كلامِ أبي عليٍّ[1]، وحُذِفَ ألفُه اكتفاءً بالفتحِ عليه دليلًا.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾؛ أي: مثلُ هذا الجمالِ ليس بمعهودٍ في البشرِ، إنَّما هو ملَكٌ.

***

(٣٢) - ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: أكثَرْتُنَّ مَلامَتي فيه؛ أي: في حبِّي إيَّاه وشَغَفي به، وكان القياسُ هذا، ولكنَّه غابَ عن أعيُنِهنَّ.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أقرَّتْ لهنَّ حين عرَفَتْ أنَّهنَّ يعذُرْنَها.

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾: امتنعَ بطلبِ العصمةِ من رُكوبِ الفاحشةِ.

ثمَّ قُلنَ له: أطِعْ مولاتَك، فقالَتْ راعيلُ: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾: ليُحْبَسَنَّ، والسَّجنُ مصدرُ سجَنَه؛ أي: منعَه منَ التَّصرُّفِ بالحبسِ.

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذِلَّاءِ، والفعلُ منه: صَغِرَ - بالكسرِ - يَصغَرُ صَغَرًا وصَغارًا، وفي الدِّقَّةِ والسِّنِّ: صَغُرَ صِغَرًا، فهو صغيرٌ.

والوقفُ على قولِه: ﴿لِيَكُونًا﴾ بالألفِ، ومثلُه: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥]، وليس لهما في القرآنِ نظيرٌ.

***

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٣)، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٦) القول بأنه حرف جر، وعدَّه من العجائب، وقال: وهذا بعيد؛ لأنه لا يدخل الجار على الجار.

(٣٣) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يوسفُ عليه السَّلامُ: ﴿رَبِّ﴾: يا ربِّ ﴿ٱلسِّجۡنُ﴾: الكونُ في السِّجنِ ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: الزِّنى.

ابنُ عيسى: إنَّما قالَ: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ولم يكنِ الزِّنى محبوبًا إليه؛ لأنَّ المعنى: لو كان ذلك ممَّا أُريدُه لكانت إرادَتي لهذا أشدَّ، والمعنى: وطَّنْتُ نفسي على السِّجنِ.

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾: دُعاءَهنَّ إيَّاي إلى الزِّنا، وسمَّاه: كيدًا لأنَّهنَّ يُحَسِّنَّ عندَه ذلك.

﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾: أمِلْ بطبعي وغلبةِ شهوتي إلى إجابتِهنَّ، تقولُ: صَبا الرَّجلُ[1] إلى المرأةِ: مالَ إليها وغازَلَها، صِبًا وصَباءً؛ إذا كسَرْتَ قَصَرْتَ، وإذا فتَحْتَ مدَدْتَ[2]، والصِّبا: رِقَّةُ الهوى.

وذُكِرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّهنَّ قُلنَ له: أطِعْ مولاتَكَ.

وقيلَ: أصبُ إلى قولِـهِنَّ.

وقيلَ: كلُّ واحدةٍ منهنَّ دَعَتْه إلى نفسِها سرًّا، وظاهرُ الآيةِ يدُلُّ على ذلك.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: منَ العاصين.

***

(٣٤) ـ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: فأجابَ الله دُعاءَه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾: مكرَهُنَّ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعائِه ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالِه وحالِـهِنَّ.

---

(١) في (ن): «الزوج».

(٢) انظر: «المقصود والممدود» لأبي علي القالي (ص: ١٨٣)، والكلام فيه على (الصِّبا) بمعنى الصِّغر.

وقيلَ: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعاءِ الدَّاعي، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإخلاصِه.

* * *

(٣٥) - ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: ظهرَ لهم بعد أنْ لم يكُنْ، والضَّميرُ يعودُ إلى العزيزِ والنِّساءِ، وذكَّرَ تغليبًا للمُذكَّر.

وقيل: تعودُ إلى العزيزِ وحدَه، وجُمِعَ جمعَ الملوكِ.

وقيل: إلى العزيزِ وأهلِ مشورتِه.

وفي فاعلِ ﴿بَدَا﴾ قولانِ: أحدُهما: رأيٌ وبَداءٌ، والعربُ تقولُ: بدا لي، ولا يذكُرون (بَداءً)؛ لكثرتِه، قال الشّاعرُ:

لعلَّكَ والموعودُ حقٌّ لقاؤُهُ[1] ... بَدا لكَ في تلكَ القَلوصِ بَداءُ[2]

والبَداءُ في الرَّأيِ: التَّلوُّنُ[3] فيه.

وقال الكوفيُّونَ: فاعلُ ﴿بَدَا﴾ قولُه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾، وعند البصريِّين: لا تقعُ الجملةُ فاعلةً قطُّ[4]، بل قولُه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ تفسيرٌ للبَداءِ[5].

---

(١) في (ن): «وفاؤه»، وهي الرواية في «أمالي القالي» و«المحكم»، والمثبت من (و)، وهي الرواية في أكثر المصادر.

(٢) البيت للشماخ. انظر: «ملحق ديوانه» (ص: ٤٢٧)، و«أمالي القالي» (٢/ ٧١)، و«الحجة» للفارسي (٢/ ٥٨)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٣٤١)، و«المحكم» (٩/ ٤٤١)، و«لسان العرب» (١٤/ ٦٦)، مادة: (ب د و) (١٤/ ٦٦).

(٣) في (ن): «التكون»، وهو تحريف. يقال: بدا لي بَداء؛ أي: تغيّر رأيي عما كان عليه. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ١٦).

(٤) في (ن) زيادة: «فقال». ولا يظهر لها وجه، وانظر تفصيل أقوال الكوفيين في جملة الفاعل في «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٢٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٥٠)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ١٠٩).

قالَ المُبرِّدُ: ثمَّ بدا لهم سجنُه[١].

والآياتُ: قَدُّ القميصِ، وقَطعُ الأيدي، والاستِعصامُ، ويحتملُ أنَّ كلامَ الشَّاهِدِ هو الآيةُ إذا حملتَه على الصَّبيِّ، وهو الأكثرُ.

وقولُه: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قيل: سبعُ سنينَ، وقيل: خمسُ سنينَ.

السُّدِّيُّ: وذلك أنَّ المرأةَ قالت لزوجِها: إنَّ هذا العبدَ العِبْرانيَّ قد فضَحَني في النَّاسِ، يعتذرُ إليهم، ويخبِرُهم أنِّي راوَدْتُه عن نفسِه، فإمَّا أن تأذَنَ لي فأخرُجَ وأعتذِرَ، وإمَّا أن تحبِسَه كما حبَسْتَني، فحبَسَه بعد علمِه ببراءتِه[٢].

***

(٣٦) - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ﴾؛ أي: أُدخِلَ يوسفُ السِّجنَ، فدخَلَ، ودخَلَ معه فتيانِ، قيل: مملوكانِ للملكِ.

وقيل: شابَّانِ؛ صاحبَ شرابِ الملكِ، وصاحبُ طعامِه؛ بلغَ الملكَ أنَّ خبَّازَه يُريدُ أن يسُمَّهُ، وأنَّ ساقيَه مالأَه على ذلك، فحَبَسَهما.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ - يعني: صاحبَ شرابِه - ليوسفَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾: أستخرجُ العصيرَ منَ العِنَبِ. سُمِّيَ العصيرُ خمرًا بما يؤُولُ إليه. والعَصرُ: استِخراجُ المائعِ.

وقيل: الخمرُ: العِنَبُ بلغةِ عُمَانَ.

---

(١) كذا ذكر المؤلف عن المبرد هنا وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، وذكر غيره عنه كالقول الأول: أن الفاعل مضمر، وهو مصدر ﴿بَدَا﴾. انظر: «الهداية» لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٥٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ١٨٦)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٢/ ٥٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠).

الزَّجَّاجُ: أعصِرُ عِنَبَ الخمرِ(١). والوجهُ الأوَّلُ.

﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾ يعني: صاحبَ الطَّعامِ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾؛ أي: فإذا سباعُ الطَّيرِ تنهَسُ منه.

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: أخبِرْنا بتفسيرِه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: العالِمين، من قولِهم: فلانٌ يُحسِنُ هذا العلمَ.

وقيل: من المُحسنين إلينا إنْ فسَّرتَ رُؤيانا(٢).

وقيل: كان يُداوي مريضَهم، ويُعزِّي حزينَهم، ويجتهدُ لربِّه في الحبسِ.

* * *

(٣٧) - ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾؛ أي: أنا عالمٌ بتعبيرِ الرُّؤيا حتَّى لو رأى واحدٌ منكما في منامِه طعامًا يأكلُه عبَّرتُ رُؤياه وأخبرتُه بما يؤولُ إليه قبلَ أن يكونَ.

وقيل: لا يأتيكُما طعامٌ في اليقظةِ، فيكونُ المعنى معنى كلامِ عيسى عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ابنُ جُرَيجٍ: كانَ الملكُ إذا أرادَ قتلَ إنسانٍ صنعَ له طعامًا معلومًا؛ أي: أُخبِرُكما بذلك الطَّعامِ إنْ أُتيتُما به قبلَ أن يأتيَكُما(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٧)، وذكره =

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ يجوزُ أن يكونَ: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ ابتداءً ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ فاعلَ ﴿يَأۡتِيَكُمَا﴾، وقولُه: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾؛ أي: من جهةِ تعليمِ الله.

وإنَّما عدلَ عن التَّعبيرِ إلى هذا الكلامِ؛ لأنَّه كرِهَ تعبيرَ رُؤيا السُّوءِ، وهو ما في رُؤيا صاحبِ الطَّعامِ، فلمَّا ألزَمَه أخبرَه به.

وقيلَ: عدلَ عن ذلك فدعاهما إلى الإسلامِ أوَّلًا، وكان ذلك أولى.

ويحتمِلُ أنَّه ليس بعدولٍ؛ لأنَّ في المنامِ ذكرَ الطَّعامِ.

وقولُه: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾؛ أي: أُخبِرُكم عن علمٍ ووَحْيٍ، لا على طريقِ الكَهانةِ والعرافةِ والتَّنجيمِ.

﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ لمَّا قدَّمَ الصِّلةَ أعادَ ﴿هُمۡ﴾.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاتِّباعُ ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ بالإسلامِ والنُّبوَّةِ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: وعلى سائرِ النَّاسِ الذين عصمَهُم الله عن الكفرِ، ووفَّقهُم للإسلامِ واتِّباعِ الأنبياءِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: لا يشكرونَ الله على نعمِه.

ثمَّ دعاهُما إلى الإسلامِ، فقال:

= المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، واستغربه.

(٣٩) ـ ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾: يا ساكنَيه ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾: أأصنامٌ شتَّى مختلفةُ الذَّواتِ والحقائقِ والأفعالِ.

وقيل: ﴿مُّتَفَرِّقُونَ ﴾، أي: أصنامٌ وأوثانٌ وجِنٌّ وملائكةٌ.

﴿خَيۡرٌ ﴾: أعظمُ وأولى بالاتِّباعِ ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: المُنفردُ بالإلهيّةِ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: الذي يغلِبُ ولا يُغلَبُ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ أنتما ومَن على دينِكما ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: دونِ الله ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ ﴾: لا طائلَ تحتَها، ولا معانيَ فيها.

وقيل: إلّا أصحابَ أسماءٍ.

وقيل: كأنَّهم اعتقَدوا وجودَ ما ليس بموجودٍ، فصاروا يعبُدون اسمًا لا مُسمًّى له.

﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾؛ أي: لم يأمُرْ بعبادتِها ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: القَضاءُ والقدرُ والأمرُ والنَّهيُ لله ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾: المستقيمُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

في رُؤياهما ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهما تحالَما وأرادا تجربةَ علمِه.

وقيل: بل كانت رُؤيا حقيقةً.

وقيل: رُؤيا السّاقي حقيقةٌ، ورُؤيا صاحبِ الطَّعامِ تحالُـمًا.

ثمَّ عبرَ الرُّؤيا فقالَ:

(٤١) - ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾؛ أي: السَّاقي ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾: سيِّدَه ﴿خَمۡرٗا﴾.

وجازَ تسميتُه ربًّا للإضافةِ، والمعنى: يعودُ إلى منزلتِه.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾؛ أي: الخبَّازُ ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ فقالا: لم نرَ شيئًا، وقيل: قال الخبَّازُ، فأجابَه فقالَ: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: قضَى اللهُ لكلِّ واحدٍ منكما ما عبَرْتُ رُؤياه[1] به، صدَقَ فيها أم كذَبَ؛ لأنَّ هذا منَ اللهِ لا من تلقاءِ نفسي.

***

(٤٢) - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾؛ أي: علِمَ وتيقَّنَ[2]؛ لقولِه: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾.

وقيل: إنَّما قال: ﴿ظَنَّ﴾ لمَّا[3] أنكرا رُؤياهُما.

ومعنى: ﴿نَاجٖ﴾: مُتخلِّصٌ ينجُو منَ الهلاكِ ويتخلَّصُ منه.

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سيِّدِك؛ يعني: الملِكَ، وقُلْ له: إنَّ في السِّجنِ غلامًا حُبِسَ ظُلمًا.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ في الضَّميرَين قولانِ:

---

(١) «رؤياه»: من (ن).

(٢) في (ن): «وأيقن». انظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٢/ ٥٤٤).

(٣) في (ن): «حين».

أحدُهما: أنَّهما يعودانِ إلى السّاقي.

والثّاني: يعودانِ إلى يوسفَ؛ أي: أنسى الشَّيطانُ يوسفَ ذكرَ الله حتَّى استعانَ بغيرِ الله، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «رحِمَ الله أخي يوسُفَ، لو لم يقُلْ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ لَمَا لبِثَ في السِّجنِ سبعًا بعدَ الخمسِ»(١).

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ﴾ فمكَثَ وبقيَ فيه ﴿بِضۡعَ سِنِينَ﴾: سبعَ سنين.

وقيل: هذه مُدَّةُ لُبثِه في السِّجنِ.

وقيل: سبعَ سنين بعدَ الرُّؤيا، وكان فيه خمسَ سنينَ قبلَ ذلك، وهو ما جاءَ في الخبرِ.

وقيل: ﴿بِضۡعَ سِنِينَ﴾: خمسَ سنين.

والبِضْعُ: نَيِّفٌ ما بين الثَّلاثةِ إلى العشرةِ، وهذا هو الأصحُّ، وقيل: من الثَّلاثةِ إلى الخمسةِ. وقيل: إلى السَّبعةِ. وقيل: إلى التِّسعةِ.

وهي بِضعةٌ منَ الدَّهرِ؛ أي: قِطعةٌ منه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، عن قتادة قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «لو لم يستعن يوسف على ربّه، ما لبث في السجن طول ما لبث».

وروى نحوه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ يوسفَ لولا الكلمةُ التي قالها: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لَبِثَ في السجنِ ما لَبِثَ...» الحديث، وتعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٧٨) بسبب إدراج هذا الحديث في «صحيحه»، وقال: «إنه حديث منكر من هذا الوجه، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة، وهذه اللفظة مِن أنكرها وأشدها».

وبنحو لفظ ابن حبان رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٠) من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا كما قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٩١)، ثم قال: «سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد ـ هو الخوزي ـ أضعف منه أيضًا. وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلًا عن كلٍّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قُبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن».

(٤٣) - ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾؛ أي: رأيتُ في المنامِ كأنِّي أرى سبعَ بقراتٍ.

ابنُ عيسى: البقرُ: حيوانٌ مُهيَّأٌ للكِرابِ، ومنه المثَلُ: الكِرابُ على البقرِ[1].

والسِّمَنُ: زيادةُ البدنِ في الشَّحمِ واللَّحمِ.

وأُجرِيَ الصِّفتانِ[2] على المُضافِ إليه، وفي قولِه: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] على المُضافِ، وكلاهما جائزٌ.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: ضِعافٌ مهازيلُ، والعَجَفُ: أشدُّ الهُزالِ، والفاعلُ: أعجَفُ وعَجفاءُ[3]، والجمعُ: عِجافٌ، شذَّ عنِ الأقيسةِ، وكذلك سِمانٌ، جمعُ (سَمينٍ)[4].

---

(١) قوله: «الكراب على البقر»: هذا من قولك: كربت الأرض؛ إذا قلبتها للزراعة، أي: لا تُكْرَبُ الأرضُ إلَّا على البقر. والمعنى: وجوب ممارسة كل أمر بآلته، وقيل: يضرب في تخلية المرء وصناعته. ويروى: «الكلاب على البقر» يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة؛ يعني: لا ضرر عليك فخلهم، وقيل غير ذلك. وفي كليهما يجوز الرفع على الابتداء والنصب على إضمار الفعل. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٤٢)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ٣٣٠).

(٢) في (ن): «وأجرى الصفات».

(٣) فهما صفتان مشبهتان باسم الفاعل أغنتا عنه.

(٤) لا يُجمع (أفعل) و(فعلاء) على (فِعال) في القياس، لكنهم حملوه على ضدّه، فجعلوه مثل (سِمان) جمع (سمين)، وقد ذكر في «العين» (١/ ٢٣٤) أنها رواية شاذة عن العرب، وذكر ابن خالويه في كتاب «ليس في كلام العرب» (ص: ١٢٣) أنها إحدى ثلاثة أحرف، ولا يسلم له هذا الحصر. انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٣٣٦).

والبقرةُ مُؤنَّثةٌ، وقيل[١]: البقرةُ كالجماعةِ تقعُ على المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ.

وقيل: جمعُ سمينةٍ، كصبيحةٍ وصِباحٍ[٢]، وظريفةٍ وظِرافٍ، حكاهُما سيبويهِ[٣].

وحُكِيَ عن قُطربٍ: أَبْطَحُ وبِطاحٌ، وأَجْرَبُ وجِرابٌ، وأقعَسُ وقِعاسٌ، مثل عِجافٍ.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ ابنُ عيسى: السُّنبلةُ: نباتٌ كالقصبةِ حملُه حبوبٌ مُنتظِمةٌ، وتقديرُه: وسبعَ سُنبلاتٍ أخرَ يابساتٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: عبِّروها إنْ كنتُم عالِمينَ بها.

ابنُ عيسى: العِبارةُ: نقلُ معنَى التَّأويلِ إلى نفسِ السّائلِ بالتَّفسيرِ.

وفي دُخولِ اللّامِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الفعلَ واقعٌ موقعَ المصدرِ؛ أي: للرُّؤيا عِبارَتكم.

والثّاني: أنَّ الفعلَ واقعٌ موقعَ الفاعلِ؛ أي: للرُّؤيا مُعبِّرين.

والثّالثُ: أنَّ المفعولَ محذوفٌ واللامَ للعلّةِ؛ أي: تَعبُرونَ ما تَعبُرون للرُّؤيا.

والرّابعُ: أنَّ المفعولَ إذا تقدَّمَ ضعُفَ الفعلُ فقُوِّيَ باللّامِ، وهذا مُطَّردٌ فيما يَرِدُ عليك منَ اللّاماتِ في مثلِ هذه الآيةِ[٤].

---

(١) في (و): «وقيل بل» بزيادة «بل».

(٢) في (و): «كصحيفة وصحاف».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٣٦).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٦ ـ ٣٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

وذلك أنَّه لمَّا دَنا فرَجُ يوسفَ رأى ملكُ مصرَ في منامِه سبعَ بقراتٍ سِمانٍ خرَجْنَ من نهرٍ يابسٍ، وسبعَ بقراتٍ عِجافٍ مهازيلَ، فابتلَعَتِ العِجافُ السِّمانَ، فدخَلْنَ في بُطونِهنَّ ولـم يُرَ منهنَّ شيءٌ، ورأى سبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ قد أدرَكَ حَبُّها، وسبعًا أُخرَ يابساتٍ قد استُحصِدَتْ وأُفرِكَتْ، فالتَوَتِ اليابساتُ على الخضرِ حتَّى غلَبْنَ عليها، فجمَعَ الكهنةَ والسَّحرةَ فاستفتاهُم فيها فعَجَزُوا.

***

(٤٤) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ﴾؛ أي: هذه أضغاثُ ﴿أَحۡلَٰمٖ﴾: رُؤيا مختلفةٌ أباطيلُ، واحدُها: ضِغْثٌ، ومنه الضِّغْثُ منَ الحشيشِ، وهو الحزمةُ من أنواعٍ مختلفةٍ منه.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: ليس تعبيرُ الرُّؤيا من شأنِنا وعلمِنا.

والحلُمُ: ما يُرَى في النَّومِ.

ابنُ عيسى: أصلُ الكلمةِ الأناةُ؛ لأنَّ النومَ(١) حالةُ أناةٍ وسكونٍ، والحلَمةُ تحلِّمُ الطِّفلَ؛ أي: تُسكِّنُه.

***

(٤٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾: من صاحبَيِ السِّجنِ، وهو السّاقي ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: تذكَّرَ يوسفَ بعد أن نسِيَه ونسِيَ ما وصَّاه به من تذكيرِ الملكِ.

و ﴿أُمَّةٍ﴾: حينٍ منَ الدَّهرِ؛ أي: جماعةٍ مجتمعةٍ منَ الزَّمانِ.

---

(١) في (و): «الحلم».

وفي الشَّواذِّ: (أَمَهٍ) بفتحتَين[١]؛ أي: بعدَ نسيانٍ، ورُوِيَ: (أَمْهٍ) بسكونِ الميمِ[٢]، وهو زوالُ العقلِ.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ ذكَّرَ حملًا على الحلُمِ؛ أي: أدلُّكم على مَن يُخبِرُكم بتأويلِه ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾؛ أي[٣]: إلى السِّجنِ.

***

(٤٦) - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يُوسُفُ﴾؛ أي: فأُرسِلَ فجاءَ إلى السِّجنِ، وقال: يا يوسفُ ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: هو المبالِغُ في الصِّدقِ ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: أعودُ إلى الملكِ، فإنَّ الملكَ رآها في منامِه، وقيل: إلى النَّاسِ جميعًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويلَ رُؤيا الملكِ، وقيل: لعلَّهم يعلمون حالَكَ ومنزلتَكَ ومَقالَك.

و(لعلَّ) هاهنا بمعنى لامِ (كي). وقيلَ: هو على أصلِه من معنى الطَّمعِ.

***

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٤) عن ابن عباس، وابن عمر بخلاف، وعكرمة ومجاهد بخلاف عنهما، والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشُبيل بن عَزْرَة الضُّبعِي وربيعة بن عمرو وزيد بن علي. ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٢)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواها الطبري أيضاً عن عكرمة والضحاك ومجاهد.

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٦) عن مجاهد، وعزاها في «البحر» (١٢/ ٤٩٠) لمجاهد وشبيل بن عزرة. وخطَّأ الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١١٣) هذه القراءة، وروى الهروي في «الغريبين» مادة: (أ م ه)، عن أبي الهيثم قال: «(بعد أَمْهٍ) بجزم الميم، و(أَمَهٍ) خطأ».

(٣) «أي»: من (ن).

(٤٧) ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: على عادَتِكُم المُستمرَّةِ الدَّائبةِ.

وقيل: تجتَهِدونَ في الزِّراعةِ اجتهادًا.

والدَّأبُ: العادةُ، والدُّؤوبُ: المُبالغةُ في السَّيرِ.

وقولُه: ﴿تَزْرَعُونَ﴾؛ أي: تحرُثون، والزَّرعُ منَ الخلقِ: حَرْثٌ، ومنَ الله: إنباتٌ.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ كي لا يأكلَه السُّوسُ، وفي مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (فَذَرُوهُ في سُنبُلِه هو أبقَى له)[1].

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: من تلكَ السِّنين لغذائِكُم، يجوزُ أن يكونَ عبرَ الرُّؤيا فقال: البقراتُ السِّمانُ هي السِّنونَ الخِصبةُ، والسَّنابلُ الخضرُ زكاءُ الزَّرعِ، ثمَّ أمرَهُم بما هو الصَّوابُ نصيحةً لهم لكونِه نبيًّا، فقالَ: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ في معنى الأمرِ أيضًا، كأنَّه قال: ازرَعُوا سبعَ سنينَ على العادةِ، فما حصدتُم فذروه في سُنبلِه هو أبقى له إلَّا قليلًا ممَّا تأكلونَ، والله أعلَمُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ السَّبعُ الشِّدادُ:

---

(١) رواها ابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٤٦) ـ عن ابن جريج في قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ قال: في بعض القراءة الأولى: (هو أبقى له لا يؤكل)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٩)، واستغربه.

البقراتُ العِجافُ والسَّنابلُ اليابساتُ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ يريدُ: تأكلونَ فيها، فأَسندَ الفعلَ إلى الظَّرفِ كقولِهم: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ، وقد سبقَ.

وقولُه: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: في السِّنينَ المُخصِبةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تدَّخِرونَ استِظهارًا وعُدَّةً لبذورِ الزِّراعةِ.

***

(٤٩) - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾؛ أي: في السَّنةِ الثّامنةِ ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: يُمطَرون، منَ الغَيثِ، تقولُ العربُ: غِثْنا ما شِئْنا[1]، وقيل: منَ الغَوْثِ، تقولُ: استغاثَ فأغاثَه؛ أي: يُغيثُهم الله منَ القَحْطِ والجوعِ.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾؛ أي: تكثرُ الثِّمارُ والأعنابُ والسِّمْسِمُ والزَّيتونُ، فيعصِرونَها ويتَّخِذونَ الأدهانَ والأشربةَ.

ابنُ عبّاسٍ: يحلُبونَ المواشيَ من كثرةِ المَراعي[2].

أبو عبيدةَ: ﴿يَعْصِرُونَ﴾: يَنجُونَ، من قولِهم: هو عُصْرَةُ المَنْجُودِ[3]. قال:

---

(١) قال الأصمعي: أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال: سمعت ذا الرمة يقول: قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها! قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غثنا ما شئنا. «غثنا» بكسر الغين؛ أي: سقينا الغيث، وهو المطر. انظر: «لسان العرب» مادة: (غ ي ث).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٥)، دون قوله: «المواشيَ من كثرةِ المَراعي»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١٣).

صادِيًا يستغِيْثُ غيرَ مُغاثٍ ولقدْ كانَ عُصْرَةَ المَنْجُوْدِ[١]

أي: المَكروبِ.

وحكى أقضى القُضاةِ: تعصِرونَ السَّحابَ بنُزولِ الغيثِ[٢]. وإنَّما يصِحُّ هذا المعنى على قراءةِ مَن قرأ: (وفيه يُعْصَرُون) على المجهولِ، وهو شاذٌّ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: من قولِه: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [النبأ: ١٤][٤].

***

(٥٠) - ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

فرجعَ السَّاقي وأخبرَ الملكَ بتعبيرِ رُؤياه ونُصحِه إيَّاه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليُخرِجَه منَ السِّجنِ ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يُريدُ: الملِكَ ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يُريدُ بذلك إظهارَ براءتِه ممّا نُسِبَ إليه، وأنَّه كان محبوسًا ظُلمًا.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «رحِمَ الله أخي يوسُفَ، لو كنتُ مكانَه

---

(١) لأبي زبيد الطائي. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٨٣)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٤٥) وعزاه لعيسى بن عمر الثقفي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٠)، وعدَّه من العجائب.

(٣) نسبت لعيسى والأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٨). أما المتواتر فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿تَعْصِرون﴾ بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (١/ ١٢٩)، و«التيسير» (٢/ ٢٩٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٤). وفيه: ومَن قرأ: (يُعْصَرونَ) أراد: يُمْطَرُون، من قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾.

لبادَرْتُهم إلى البابِ، إنْ كانَ لَحليمًا ذا أناةٍ»(١)، ويُروَى: «لو كنتُ مكانَه ما أخبرتُهم حتَّى أشترِطَ أن يُخرِجُوني»(٢).

وقولُه: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾؛ أي: فاسألْه أن يسألَ النِّسوةَ: ما بالُـهنَّ وشأنُهنَّ؟ وعمَّهُنَّ بالذِّكرِ دونَ امرأةِ العزيزِ صيانةً لها، وأنَّها معَهنَّ تعريضًا لا تصريحًا.

ويحتملُ أنَّ المعنى: ما بالُـهُنَّ لـم يشهَدْنَ ببراءتي وقد عرَفْنَ ذلك بإقرارِ امرأةِ العزيزِ عندَهُنَّ؟

ويحتملُ أنَّه خافَ أن تُحيلَ الذَّنبَ عليه كالأوَّلِ.

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ حيـنَ قلْـنَ لـي: أطِعْ مولاتَـكَ، وقيـل: أرادَ بقولِه: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: العزيزَ.

* * *

(٥١) ـ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فرجعَ الرَّسولُ إلى الملكِ من عندِ يوسفَ برسالتِه، فدَعا الملكُ النِّسوةَ اللاتي قطَّعْنَ أيديَهنَّ ودَعا امرأةَ العزيزِ.

---

(١) هذا معنى حديث رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٥٥٤) بلفظ: «لو كنتُ أنا لأسرعتُ الإجابةَ، وما ابتغيْتُ العذرَ». وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٢) عن عكرمة مرسلاً، ولفظه: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه فالله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف السمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط عليهم أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب، ولكنه أراد أن يكون له العذر، ولولا أنه قال الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث».

﴿قَالَ﴾ لهنَّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنُكُنَّ؟

والخَطْبُ: الأمرُ العظيمُ يُخاطَبُ فيه صاحبُه.

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: معاذَ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: ذنبٍ.

وقيل: معناه: ما دَعَوناه إلى أنفُسِنا، وإنَّما دَعَوناه إلى امرأةِ العزيزِ، وما عِلمْنا سوءًا في أن ندعُوَ المملوكَ إلى طاعةِ صاحبتِه[1].

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾، وقيل: أقرَّتْ مخافةَ أن يشهَدْنَ عليها.

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولِه: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾.

ومعنى: ﴿حَصْحَصَ﴾: بانَ وظهرَ. عن ابنِ عبّاسٍ[2].

ابنُ عيسى: هو من قولِهم: حَصَّ شعرَه: إذا استأصَلَ قِطعةً، والحِصَّةُ: القطعةُ منَ الشَّيءِ[3].

***

(٥٢) - ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

ثمَّ رجعَ الرَّسولُ إلى يوسفَ فأخبرَه بكلامِ النِّسوةِ وإقرارِ امرأةِ العزيزِ، وبشهادتِها على نفسِها، فقال يوسفُ:

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: رَدِّي الرَّسولَ[4] إلى الملكِ وامتِناعي منَ الخروجِ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيزُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٦).

(٣) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٧) بلا نسبة.

(٤) في (ن): «أي رد السؤال».

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عنِّي. وقيل: ليعلمَ الملكُ أنِّي لـم أخُنِ العزيزَ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يهدي الخائنينَ بكيدِهم.

* * *

(٥٣) - ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ لقاه[١] فقالَ له: ولا حينَ همَمْتَ؟ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ عن ابنِ عبّاسٍ[٢].

السُّدِّيُّ: خاطَبَتْه بذلك راعيلُ امرأةُ العزيزِ فقالَتْ: ولا حينَ خلَعْتَ السَّراويلَ؟ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٣].

الحسنُ: لمَّا زكَّى نبيُّ الله نفسَه استدرَكَ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٤].

قتادةُ: خاطبَه الملِكُ فقال له[٥]: اذكُرْ ما همَمْتَ؟ قالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٦]: لا أُنزِّهُها.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: كثيرةُ الأمرِ بالمعصيةِ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ قيل:

---

(١) «لقاه»: من (ن) وليست في (و)، ولعل الصواب: (أتاه).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨)، ولم يرتضه الزمخشري وعدَّه من الروايات المصنوعة. انظر كلامه في «الكشاف» (٢/ ٤٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨). وهذا أشد وأدهى مما قبله، ولا شك أنه من أباطيل الإسرائيليات.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨). وهذا هو المناسب في حق الأنبياء عليهم السلام.

(٥) «له»: من (ن).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١)، واستغربه.

استثناءٌ متَّصلٌ؛ أي: إلّا مَن رحِمَه الله فعصمَه عن السُّوءِ، وقيل: مُنقطِعٌ؛ أي: لكنْ مَن رحمَه، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا كلَّه من كلامِ امرأةِ العزيزِ، وهو متَّصلٌ بقولِـها: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾؛ أي: الإقرارُ على نفسي ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يوسفُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهرِ الغيبِ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٢)﴾ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ عن ذنبٍ همَمْتُ به، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ إذا غلبَتِ الشَّهوةُ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ بنزعِ الشَّهوةِ عن نفسِ[1] يوسفَ، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وهذا قولٌ لطيفٌ وهو الأظهر، والأول قول الجمهور[2] وفيه غموضٌ.

واعتراضُ صاحبُ «النَّظمِ» بقولِه: «يجوزُ أن يكونَ من كلامِ المرأةِ لولا قولُه: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾» لا يدفعُه؛ لأنَّ الكفَّارَ مُقِرُّونَ بالله.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعلْه خالصًا لنفسي من غيرِ شركةٍ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: عبَرَ رُؤياه شِفاهًا ودلَّه على الرُّشدِ في أُمورِه ﴿قَالَ﴾ الملِكُ ليوسفَ: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانةٍ ومنزلةٍ ﴿أَمِينٌ﴾: مأمونٌ.

وقيل: ﴿أَمِينٌ﴾: آمِنٌ لا يخافُ العواقبَ، فمَن لي بما هَديتَ إليه وأَشَرْتَ به؟

---

(١) «نفس»: من (ن).

(٢) في (و): «وهذا قولٌ لطيفٌ، والأوَّلُ أظهرُ». والمثبت من (ن)، وهو الأقرب لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١) حيث عقبه بقوله: «وهذا القول ظاهر، والأول قول الجمهور».

(٥٥) ـ ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ يوسفُ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ ﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾؛ أي: حفيظٌ لها ممَّن لا يستحِقُّها ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوهِ التَّدبيرِ فيها ومُتصرَّفاتِها[1].

وقيل: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: كاتبٌ حاسبٌ.

وقيل: ﴿حَفِيظٌ﴾ لكتُبِ الله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمعانيها، وفيها هدايةُ العبادِ ومصالحُ الأمورِ والرَّشادِ[2].

وقيل: عليمٌ بالألسُنِ[3].

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: اجعَلْني على خزائنِ الأرضِ إنِّي حفيظٌ عليمٌ، وقال الملِكُ: إنَّك اليومَ لدَينا مكينٌ أمينٌ؛ أي: أجابَه إلى مُلتَمَسِه[4].

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جاء في القصصِ: أنَّ الملِكَ أجلَسَه على السَّريرِ وفوَّضَ إليه جميعَ الأمورِ، وجعلَه مكانَ العزيزِ قِطفير، وقيلَ: أطفير، وأنَّ

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢): «قيل: هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور الداخل في قوله عز وجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، ودليل أيضًا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي الظالم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، واستغربه.

العزيزَ تُوفِّيَ في تلكَ اللَّيالي، وزوَّجَ الملكُ يوسفَ امرأةَ العزيزِ راعيلَ، فوجَدَها عذراءَ، ووُلِدَ له ابنانِ أفراثيم وميشا.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: ينزلُ منها حيثُ يُريدُ ويَهْوَى، ومَن قرأ بالنُّونِ[1]؛ أي: حيثُ يشاءُ اللهُ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(٥٧) - ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يُريدُ: يوسفَ عليه السَّلامُ وغيرَه منَ المؤمنينَ إلى يومِ القيامةِ ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: الشِّركَ والفواحشَ.

ثمَّ انقضَتْ السِّنونَ المُخصِبةُ ودخلَتِ المُجدِبةُ، وعمَّ أهلَ مصرَ ونواحيَها والشَّامَ وأطرافَها القحطُ وقلَّةُ الطَّعامِ، وكان بمصرَ ما أعدُّوه بنصيحةِ يوسفَ، فجعلَ أهلُ مصرَ يبتاعُونَ من يوسفَ الطَّعامَ بالنُّقودِ حتَّى لم يبقَ لهم درهمٌ جعلوا يبتاعونَ بالحليِّ والجواهرِ، ثمَّ بالمواشي والدَّوابِّ، ثمَّ بالعبيدِ والإماءِ، ثمَّ بالضِّياعِ والعقارِ والدُّورِ، ثمَّ بأولادِهم، فدخلَتِ السَّنةُ السّابعةُ ولم يبقَ لهم شيءٌ، فابتاعُوا الطَّعامَ برِقابهم حتَّى لم يبقَ في مصرَ حرٌّ ولا حرّةٌ إلّا صارَ عبدًا له، ثمَّ إنَّ الملِكَ استشارَ يوسفَ في أمرِهم، وجعَلَ يوسفَ وكيلَه فيما يستفتونَه فيه فأعتَقَهم جميعًا، وردَّ عليهم أملاكَهم، وقصَدَ النّاسُ في تلك السِّنينَ مصرَ من كلِّ أوبٍ يمتارُونَ، وجعَلَ يوسفُ لا يُمكِّنُ أحدًا وإنْ كانَ عظيمًا من أكثرَ من حِمْلِ بعيرٍ.

وأصابَ أرضَ كنعانَ منَ الشِّدّةِ ما أصابَ سائرَ البلادِ، فأرسلَ يعقوبُ عشرةً من بنيه إلى مصرَ للميرةِ[2]، وهو قولُه:

---

(١) قرأ بها ابن كثير، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) في هامش (ن): «الميرة: الطعام يجلب ويحمل من غير بلدك».

(٥٨) ـ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾؛ أي: مجلسِ يوسفَ، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسفُ ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾؛ أي: عرفَهُم ولـم يعرِفُوه، ولم يكُنْ لهم فِعلٌ، ونكِرَ وأنكرَ بمعنًى[١].

وإنَّما لم يعرِفُوه لأنَّه كانَ قد تقرَّرَ في أنفُسِهم هلاكُه، ولأنَّ بينَ إلقائِهم إيّاه في البئرِ وبين دُخولِـهم عليه أربعينَ سنةً، قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٢].

وقيل: كانَ بينَهم وبينَه حجابٌ.

وقيل: لأنَّه كان في زِيِّ الملوكِ على رأسِه تاجٌ، وفي عنُقِه طَوقٌ من ذهبٍ، وعليه ثيابُ حريرٍ، جالسًا على سريرٍ، فلمَّا نظرَ إليهم يوسُفُ وكلَّموه بالعِبْرانيّةِ قالَ لهم: أخبِروني: مَن أنتم؟ وما أمرُكُم؟ ولعلَّكم عيونٌ جئتُم تنظرونَ عورةَ بلادِنا؟ قالوا: والله ما نحنُ بجواسيسَ، وإنَّما نحنُ إخوةٌ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شيخٌ يُقالُ له: يعقوب، نبيٌّ منَ الأنبياءِ، قالَ: فكم أنتُم؟ قالوا: كنَّا اثنا عشرَ، فذهَبَ أخٌ لنا إلى البرِّيّةِ فهلَكَ فيها وكانَ أحبَّنا إلى أبينا، قال: فكم أنتُم هاهنا؟ قالوا: عشرةً، قالَ: فأينَ الآخَرُ؟ قالوا: عندَ أبينا، وهو أخُو الذي هلَكَ من أمِّه، وأبونا يتسلَّى به، قال: فمَن يعلَمُ أنَّ الذي تقولون حقٌّ؟ قالوا: أيُّها الملِكُ، إنّا ببلادٍ لا يعرِفُنا أحدٌ، فقال يوسفُ: فائتُوني بأخيكم الذي من أبيكُم إنْ كنتُم صادِقين، فأنا أرضَى بذلك؛ أظهرَ لهم أنَّه يُريدُ أن يستبرِئَ به أحوالَهم.

---

(١) تقدم في تفسير ﴿نَكِرَهُمْ﴾ عن ابن عيسى أن (نكر) أشد مبالغة من (أنكر)، واسم الفاعل هنا من (أنكر).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٢) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٥٢٧) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قالَ صاحبُ «النَّظمِ»: سألوه أن يُعطِيَهم وِقرًا لأخٍ لهم[١] من أبيهم، فأعطاهُم، ثمَّ اعتَلَّ عليهم في الرَّجعةِ فقال: ائتوني بهذا الأخ الذي لأبيكُم حتَّى أعلَمَ صِدقكُم من كذبِكُم، وإنْ لم تأتُوني به علمتُ كذبَكُم فلم أُعطِكُم شيئًا بعدَه.

قالوا: إنَّ أبانا يحزنُ على فراقِه، وسنُراوِدُ عنه أبانا وإنَّا لفاعلون، قال: فدَعُوا بعضَكُم عندي رهينةً حتَّى تأتوني بأخيكم الذي من أبيكُم، فاقترَعُوا بينَهم فأصابتِ القرعةُ شمعونَ، وكانَ أحسنَهم رأيًا في يوسفَ وأبرَّهُم به، فجعلُوه عندَه، وهو قولُه:

(٥٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾؛ أي: مارَهُم، وكان لكلِّ واحدٍ منهم كيلُ بعيرٍ، والباءُ زائدةٌ؛ أي: جهَّزَهُم جهازَهُم.

ابنُ عيسى: الجَهازُ: فاخِرُ المتاعِ الذي يُحمَلُ من بلدٍ إلى بلدٍ[٢].

﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾: أُتِمُّه. وقيلَ: معناه: ألا ترونَ أنَّ بيدي الكيلَ ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: المُضِيْفين.

ابنُ عيسى: المُنزِلُ: واضِعُ الشَّيءِ في منزلِه.

رغَّبَهم بهذا الكلامِ على الرُّجوعِ إليه، ونكَّرَ قولَه: ﴿بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ وحقُّه التَّعريفُ؛ لأنَّ التَّقديرَ: بأخٍ لكم قد سمعتُ به، والوصفُ ينوبُ عنِ التَّعريفِ.

***

---

(١) في (و): «لأخيه».

(٢) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٤٣) بلا نسبة.

(٦٠) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾؛ أي: لا تُباعُ الميرةُ منكم فيُكالَ لكم، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: لا تقربُوا دارِي وبلادِي.

***

(٦١) ـ ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾؛ أي: نجتهدُ في طلبِه من أبيه، وأصلُه من رادَ يرودُ: إذا جاءَ وذهَبَ.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ما أمَرْتَنا به. وقيل: لفاعلون المُراوَدةَ[1].

وأرادَ بذلك يوسفُ تنبيهَ يعقوبَ على حالِ يوسفَ، وقيلَ: أمرَه الله بذلك.

***

(٦٢) ـ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾: الفِتيةُ والفِتيانُ[2]: جمعُ فتًى، والفتى: الشَّابُّ القويُّ.

قتادةُ: كانوا غلمانًا له[3].

و﴿بِضَٰعَتَهُمْ﴾: ما جعلوها في ثمنِ الطَّعامِ، قتادةُ: أوراقَهم[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٣).

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿وقال لفتيانه﴾ بالألف والنون، والباقون: ﴿لفتيته﴾ بالتاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٥). والمعنى: أثمان الطعام التي أُخذت منهم كما أشار الطبري.

الضَّحَّاكُ: كانت نِعالًا وأَدَمًا[1].

والرَّحلُ: الشَّيءُ المُعَدُّ للرَّحيلِ من حملٍ ووعاءٍ للمتاعِ.

وإنَّما فعلَ ذلك يوسفُ مخافةَ أن لا يكونَ عندَ أبيه ما يرجعونَ إليه مرَّةً أخرى.

وقيل: أرادَ أن يتَّسِعَ به أبوه.

وقيل: رأى لو ما أخذَ ثمنَ الطَّعامِ من إخوتِه وأبيه.

وقيل: حرَّضَهم بذلك على الرُّجوعِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لكي يعرِفُوا ذلك عند انصِرافِهم إلى أهلِهم، فيرجِعُوا إليَّ.

***

(٦٣) - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾ بالطَّعامِ وأخبروه خبرَه ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: حُكِمَ بمنعِه بعدَ هذا إنْ لم نذهَبْ بأخينا بنيامين. وقيل: مُنِعَ منّا إتمامُ الكيلِ الذي أرَدْنا[2]، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نكتالُ لنا وله، و: ﴿يكتل﴾ بالياءِ[3] هو لنفسِه وعيالِه، والاكتيالُ: الكيلُ للنَّفسِ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أن ينالَه مكروهٌ.

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٦٤) من طريق الضحاك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) في (و): «أردت».

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٦٤) - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على بنيامين ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسفَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد قلتُم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]؛ لم يثِقْ بهم لِمَا كانَ منهم في حقِّ يوسفَ.

﴿فاللهُ خيرٌ حِفْظًا وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾؛ أي: حِفْظُ الله خيرٌ من حِفْظِكُم، ومَن قرأ بالألفِ(١) فنصبُه على التَّمييزِ، وقيلَ: على الحالِ.

قال كعبٌ: لـمَّا قالَ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قالَ الله تعالى: وعزَّتي وجَلالي لأرُدَّنَّ عليك كلَيهما بعدَما فوَّضْتَ إليَّ(٢).

***

(٦٥) - ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾: أوعيتَهم ﴿وَجَدُواْ﴾ الوِجْدانُ: ظهورُ الشَّيءِ للنَّفسِ بحاسَّةٍ أو ما يُغني عن الحاسَّةِ.

﴿بِضَٰعَتَهُمْ﴾: ثـمنَ الطَّعامِ ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ﴾ لأبيـهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: ماذا نطلُبُ، وماذا نُريد؟ وهل فوقَ هذا من مزيد؟ أكرَمَنا وباعَ منَّا وردَّ علينا الثَّمنَ(٣).

---

(١) قرأ بها حفص وحمزة والكسائي: ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء، والباقون: ﴿حفظًا﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٧)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤)، واستغربه.

وقيلَ: ﴿مَا﴾ للنَّفي؛ أي: لا نطلُبُ منك ما ترُدُّنا به إلى مصرَ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾: ننصرِفُ بها.

وقيلَ: ﴿مَا نَبْغِى﴾: ما نكذِبُ فيما نُخبِرُكَ به عن صاحبِ مصرَ[١]، ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾: ما حمَلْناه في ثمنِ الطَّعامِ ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نجلِبُ إليهم الميرةَ، والميرةُ: الطَّعامُ يُحمَلُ من غيرِ بلدِكَ.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ في ذهابِنا ومجيئِنا ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: حملَ جملٍ، مجاهدٌ: حمارٍ[٢].

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: يسهُلُ عليه، واليُسرُ: إتيانُ الخيرِ بغيرِ[٣] مشقَّةٍ، وهذا يدفعُ قولَ صاحبِ «النَّظمِ»[٤].

* * *

(٦٦) - ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عَقْدًا مُؤكَّدًا بذكرِ الله.

جُوَيبِرٌ عنِ الضَّحّاكِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حتَّى تحلِفُوا لي بحقِّ محمَّدٍ خاتمِ النَّبيِّين وسيِّدِ المُرسلين أنْ لا تغدُروا بأخيكُم[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤)، واستغربه.

(٣) في (و) «بعد»، وهو تحريف، والله أعلم.

(٤) وهو ما تقدم عن صاحب «النظم» من أن إخوة يوسف سألوه أن يعطيهم وقراً لأخ لهم من أبيهم.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٣)، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلَّا أن تهلِكُوا جميعًا.

قتادةُ: إلّا أن تُغلَبُوا حتَّى لا تُطيقوا ذلك(١).

ابنُ عيسى: ﴿أَن يُحَاطَ﴾ موضِعُه نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ له.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: عهدَهُم.

ابنُ عبّاسٍ: حلَفُوا بمنزلةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ(٢).

﴿قَالَ﴾ يعقوبُ: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شاهدٌ، وقيل: كفيلٌ حفيظٌ، وقيل: ﴿وَكِيلٌ﴾: ضامِنٌ للقيامِ على ما أُسنِدَ إليه.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ جُلُّ المُفسِّرين على أنَّه خافَ عليهم العينَ؛ لأنَّهم كانوا ذَوي صورةٍ وجمالٍ.

وقيل: خافَ عليهم حسَدَ النّاسِ، وأن يبلُغَ الملِكَ قوَّتُهم وشدَّةُ بطشِهم فيُهلِكَهُم خوفًا على مملكتِه.

إبراهيمُ النَّخعيُّ: قال ذلك رجاءَ أن يلقَوا يوسُفَ(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٤) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وحاله كما ذكرنا.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٨)، =

وأنكرَ أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ العينَ[١]، وليس كما زعمَ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «العينُ حقٌّ»[٢]، وقال: «العينُ تُدخِلُ الرَّجلَ القبرَ، والجمَلَ القِدْرَ»[٣]، وقال في عُوذَتِه للحَسَنِ والحُسَينِ رضيَ الله عنهما: «وأُعيذُكما من كلِّ عينٍ لامَّةٍ»[٤]، ونزلَ في العينِ أيضًا: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١].

﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أحذَرُه عليكم، يُريدُ أنَّ المقدورَ كائنٌ، وأنَّ الحذرَ لا ينفعُ منَ القدَرِ.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ جمعَ بينَ الواوِ والفاءِ في عطفِ الجملةِ لمَّا تقدَّم[٥] الصّلةُ، وهي ﴿عَلَيْهِ﴾[٦].

***

= وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤) دون نسبة، واستغربه.

(١) أبو علي الجبائي هو محمد بن عبد الوهاب، من أئمة المعتزلة، ورؤساء علم الكلام، وإليه تنسب الطائفة الجبائية، وقوله في العين ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١/ ٤٨٢)، وردَّ عليه كما فعل المصنف.

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٧)، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٣٧١) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

(٥) في (و): «في عطفِ الجملةِ على الجملةِ على ما تقدم»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤).

(٦) لا يجوز في الأصل دخول حرف العطف على مثله، لكن تقدُّم الجار والمجرور فصل بين الواو والفاء، فجاء دخولهما على جملة واحدة. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ٢٦).

(٦٨) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ كانت لمصرَ أربعةُ أبوابٍ، فدخَلُوها مُتفرِّقين.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾ دُخولُهم من أبوابٍ مُتفرِّقةٍ ﴿عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ صدَّقَ الله نبيَّه يعقوبَ في قولِه: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، قولُه: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: حزازةً وهمَّةً[1] ﴿قَضَاهَا﴾: قضى تلكَ الحاجةَ، وهي تفريقُهم خوفَ العينِ، أو خوفَ الحسدِ، أو رجاءَ أن يلقَوا يوسُفَ.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: ذو يقينٍ ومعرفةٍ بالله.

وقيل: معناه: ليس يعملُ على جهلٍ، بل على علمٍ.

وقيلَ: كان عاملًا بعلمِه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ يعقوبَ بهذه الصِّفةِ، وقيل: لا يعلمون ما يعلَمُ يعقوبُ.

* * *

(٦٩) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: أنزلَه في الموضعِ الذي يأوي إليه، وخلا به دونَهم، وقيل: ضمَّه إليه وأنزلَه عندَه، وقيل: اعتنقَه وبكى.

---

(١) ذكر هذا التفسير الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٦)، وقال الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٧٤): «والمفسرون فسروا الحاجة هاهنا: الحزازة والهمة؛ قال ابن الأنباري: وقد يقال للحاجة: حزازة؛ لأنها تؤثِّر في القلب، ويلزم همُّها النفس، المعنى: أن ذلك الدخول شفى حزازةَ قلبه، ولما سميت الحزازةُ حاجة، جُعل إزالتها قضاء».

والإيواءُ: تصييرُ الشَّيءِ إلى المأوى الذي يأوي إليه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ اعترَفَ له بنسبِه وقالَ له: لا تُخبِرْهم بما أخبرتُك.

وهبٌ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ مكانَ أخيك الذي زَعَمُوا أنَّه أكلَه الذِّئبُ[1].

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: لا تحزَنْ. والابتِئاسُ: افتِعالٌ من البُؤْسِ، وهو سوءُ العيشِ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في حقِّنا.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾؛ أي: فلمَّا هيَّأَ أسبابَهم وأوفَى الكيلَ لهم وحمَلَ لهم بعيرًا بعيرًا، وحملَ باسمِ بنيامين بعيرًا، ثمَّ أمرَ بسقايةِ الملكِ فجُعِلَتْ في رحلِ أخيه بنيامين بغيرِ علمِه.

وقيل: كان ذلك بتقريرٍ منه وتوطينِ نفسٍ على ما نُسِبَ إليه منَ السَّرقةِ.

وكانت مِشْرَبةً يشربُ منها الملِكُ.

وقيل: كان كأسًا من فضَّةٍ.

وقيل: من ذهبٍ مُرصَّعةً بالجوهرِ[2].

وقيل: السِّقايةُ والصَّاعُ واحدٌ.

وقيل: كانت سِقايةً فجُعِلَتْ صاعًا يُكالُ به؛ لعزَّةِ الطَّعامِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «بالجواهر».

وقولُه: ﴿فِى رَحۡلِ أَخِيهِ﴾: في جملةِ متاعِه.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾: نادى مُنادٍ، وقيل: أعلَمَ مُعْلِمٌ.

والتَّأذينُ: إعلامٌ بقولٍ يُسمَع بالآذان[١]، وحُمِلَ هاهنا على معنى القولِ، ولهذا لم يقعْ بعدَه (أنْ) ولا (أنَّ).

﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ يُريدُ: يا أهلَ العيرِ، فحُذِفَ المُضافُ.

و﴿ٱلۡعِيرُ﴾: الإبلُ، لا واحدَ لها.

مُجاهدٌ: ﴿ٱلۡعِيرُ﴾: الحميرُ[٢].

﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ اختلَفوا في تأويلِه؛ قال بعضُهم: إنَّ المُناديَ ناداهُم من غيرِ إذنِ يوسفَ.

وقيل: إنَّكم لَسارقون يوسفَ، يُريدُ: حينَ أخذوه من أبيه ورمَوه في الجُبِّ[٣].

وقيل: فيه استفهامٌ؛ أي: أَإِنَّكم لسارِقون؟

وقيل: أرادَ: إنْ ظهرَ منكم السَّرَقُ فإنَّكم سارِقون.

وقيل: إنَّكم في قومٍ مَن يسرِقُ، كما يُقالُ: قتلَ بنو فلانٍ رجلًا، والقاتلُ واحدٌ أو اثنانِ.

وقيل: تعريضٌ.

***

(٧١) - ﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾؛ أي: قابَلُوهم بوجوهِهم ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾: أيَّ شيءٍ ضاعَ منكم؟ والفَقْدُ: غيبةُ الشَّيءِ عنِ الحسِّ بحيثُ لا يُدرَى أين هو.

---

(١) في (و): «والتأذين قول يسمع بالأذن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٢).

(٣) في (ن): «البئر».

(٧٢) ـ ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾.

﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ الصُّواعُ: المِكيالُ لا غير، يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ[١].

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾: أظهرَ الصُّواعَ وردَّه ﴿حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ هذا دأبُ النّاشدِ في طلبِ ضالَّته.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بالحِمْلِ ﴿زَعِيمٞ﴾: كفيلٌ ضمينٌ.

وحَّدَ المُؤذِّنَ ثمَّ جمعَ الضَّميرَ العائدَ ثمَّ وحَّدَ الزَّعيمَ؛ لأنَّ المُؤذِّنَ أو النّاشدَ لا يكونُ إلّا واحدًا، والزَّعيمُ هو المُؤذِّنُ ولسانُ القومِ[٢].

* * *

(٧٣) ـ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ التّاءُ بدلٌ من الواوِ، والواوُ بدلٌ من الباءِ، وخُصَّ اسمُ الله به[٣]، وفيه معنى التَّعجُّبِ[٤].

وإنَّما قالوا ذلك لأنَّهم كلَّما دخلُوا مصرَ كعَمُوا[٥] أفواهَ دوابِّهم كي لا تتناوَلَ من حروثِ النّاسِ، وكان قد عُرِفَ ذلك منهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٣٠)، وقال أبو عبيد: «أنا لا أرى التذكير والتأنيث اجتمعا في اسم الصواع، ولكنهما عندي إنما اجتمعا لأنه سمي باسمين؛ أحدهما مذكر والآخر مؤنث، فالمذكر الصواع، والمؤنث السقاية». انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ٤٨٢).

(٢) لسان القوم هو المتكلم عنهم. انظر: «المنجد» لكراع النمل (ص: ٣٦).

(٣) أي: بالتاء، وقد نصَّ سيبويه في «الكتاب» (٧/ ٥٩) على اختصاصه بلفظ الجلالة، وقد حُكي عن العرب دخولها على الربِّ والرحمنِ وحياتِكَ، قالوا: تَربِّ الكعبة، وتَالرَّحمنِ، وتحياتك. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٢ ـ ١٣)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (ص: ١٧١٧)، و«البحر» له أيضاً (٦/ ٣٠٤٤).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢٩٣) و(٣/ ٤٩٧)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ١٧٥).

(٥) كعَمَ البعير: شدَّ فاه لئلا يعض أو يأكل. انظر: «المحكم» مادة: (ك ع م) (١/ ٢٨٨).

وقيل: لأنَّهم ردُّوا ما وجَدُوا في رحالِهم، وهذا لا يليقُ بالسَّرَّاقِ.

قال الشَّيخُ[١] رحمَه الله: ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: تالله ما كنَّا سارِقين، ولقد علمتُم ما جِئْنا لنُفسِدَ في الأرضِ؛ لتكونَ اليمينُ واقعةً على فعلِهم لا فعلِ غيرِهم[٢].

***

(٧٤) ـ ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: فما عقوبةُ السّارقِ؟ وقيل: ما جزاءُ السّارقِ ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في قولِكم: ﴿ما كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾؟

***

(٧٥) ـ ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: جزاؤُه أَخْذُ مَن وُجِدَ في رحلِه رِقًّا فهو جزاؤُه عندَنا، وكانَ عندَ آلِ يعقوبَ: مَن يسرِقُ يُسترَقُّ، وعند أهلِ مصرَ أن يُضرَبَ ويُغرَّمَ.

وله تقديرانِ منَ الإعرابِ:

الأوَّلُ: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ خبرُ المبتدأ، ولا بدَّ من إضمارٍ ليأتَلِفا، تصحيحُه: جزاؤُه استِرقاقُ مَن وُجِدَ في رحلِه؛ أي: جزاؤُه ذاتُه، و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، والفاءُ في قولِه: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

---

(١) «الشيخ»: من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٥)، واستغربه، والظاهر أنه رأي للمصنف، ولم أقف على من قال به قبله.

والثّاني: أن يكونَ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ رفعًا بالابتداءِ، و﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ ابتداءٌ[1] ثانٍ ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ خبرٌ، والعائدُ إلى المبتدأ الأوَّلِ عينُ المبتدأ، كما تقولُ: زيدٌ ضربتُ زيدًا؛ تُريدُ: ضربتُه، و﴿مَن﴾ على هذا يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ شرطًا، والفاءُ دخلَ للجزاءِ.

ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: الذي، والفاءُ دخلَ لتضمينِ المبتدأ معنى الشَّرطِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: السَّارِقين.

***

(٧٦) - ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ يُريدُ: المُؤذِّنَ الزَّعيمَ، وقيلَ: ردُّوهم إلى مصرَ، فبدأ يوسفُ واحدًا بعدَ واحدٍ ﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾؛ لتزولَ الرِّيبةُ، ولو بدأ بوعاءِ أخيه لَعلِموا أنَّهم جعلوه فيه.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾؛ أي: السِّقايةَ، وقيل: الصُّواعَ، وقيل: السَّرِقةَ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾: صنعْنا له، وقيل: ألهَمْنا له، وقيل: أرَدْنا، كما أنَّ قولَه: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] بمعنى: يكادُ[2].

وقيل: كِدْنا لأجلِ يوسفَ إخوتَه بما دبَّرْنا في أمرِه[3].

ابنُ عيسى: الكيدُ: التَّعريضُ للضرِّ في خُفيةٍ.

---

(١) في (ن): «مبتدأ».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦) واستغربه، ولم أقف على من ذكره قبل المصنف.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦)، واستغربه.

والكيدُ هاهنا: ردُّ الحكمِ إلى بني يعقوبَ ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: حُكمِه وسُلطانِه وطاعتِه؛ لأنَّ دينَه في السَّرقةِ الضَّربُ والتَّغريمُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الحسنُ: لأنَّ اللهَ أمرَه بذلك[1]. وقيل: هو ما أجرَى على لسانِ إخوتِه: أنَّ جزاءَ السَّارقِ الاسترقاقُ، والتَّقديرُ: إلَّا بمشيئةِ الله.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلمِ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وهو الله سُبحانَه، وقيل: وفوقَ كلِّ عالمٍ عالمٌ إلى أن ينتهيَ العلمُ إلى الله وحدَه.

***

(٧٧) - ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ﴾؛ أي: بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يعنونَ: يوسفَ؛ أي: له عِرْقٌ في السَّرقةِ من أخيه نزَعَ في الشَّبهِ إليه.

عكرمةُ: هذه عقوبةٌ منَ الله ليوسفَ، أجراها على ألسنتِهم في مُقابلةِ قولِه: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[2].

وللمُفسِّرين في ذلك أقوالٌ:

قيل: إنَّه كان يسرِقُ الطَّعامَ منَ المائدةِ ويدفعُه إلى الفقراءِ والمساكينِ.

وقيل: أخذَ بيضةً فدفعَها إلى الفقيرِ، وقيل: ديكًا، وقيل: جَدْيًا.

مجاهدٌ: إنَّ عمَّتَه بنتَ إسحاقَ ورِثَتْ من أبيها مِنطَقةً له، وكانت هي تكفلُ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٧). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦)، واستغربه.

يوسفَ وتحبُّه ولا تصبرُ عنه، فأرادَ يعقوبُ أخذَ يوسفَ منها، فساءَها ذلك، فشدَّتِ المِنطَقَةَ على وسطِه، ثمَّ أظهرَتْ ضَياعَ المِنطَقةِ، فصارَتْ في حُكمِهم أحقَّ به(١).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: سرقَ صنمًا من أبي أمِّه فكسرَه وألقاه في الطَّريقِ(٢).

الحسنُ: بَهَتُوا عليه(٣).

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: وَعاها وأكنَّها ولـم يُظهِرْها؛ إرادة التَّوبيخِ عليها والمُجازاةِ بها.

وفي الضَّميرِ ثلاثةُ أقوالٍ: قولٌ للزَّجَّاجِ، وزيَّفَه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، وقولانِ لأبي عليٍّ؛ أمَّا قولُ الزَّجَّاجِ فإنَّه ذكرَ في «المعاني» أنَّها كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وفسَّرَها قولُه: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ كأنَّه أضمرَ هذه الكلمةَ؛ أي: أنتُم شرٌّ مكانًا في السَّرقةِ(٤).

قال أبو عليٍّ: الإضمارُ على شريطةِ(٥) التَّفسيرِ ضربانِ:

إمَّا جملةٌ تُفسِّرُ مُفرَدًا نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُريدُ: الضَّميرَ الذي يتقدَّمُ المبتدأَ والخبرَ، ويُسمِّيه النَّحويُّون: ضميرَ الأمرِ والشَّأنِ، وكذلك مع العواملِ الدّاخلةِ على المُبتدأ والخبرِ.

وإمّـا مُفردٌ يُفسِّـرُ مُفرَدًا نحـو: نِعْمَ رجُلًا، ورُبَّـه رجُلًا، فرجلٌ تفسيرُ المُضمرِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٦٥) عن الحسن بلفظ: «إنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه»، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٤٩٠) دون نسبة.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٢٣).

(٥) في (و): «الإضمار بشريطة».

في (رُبَّه) كما كانَ تفسيرًا لفاعلِ (نِعْمَ)، وليس لهذَين المُفردَين نظيرٌ، ولا في التّقسيمِ ثالثٌ[1].

وأمَّا قولا أبي عليٍّ[2]:

فأحدُهما: أنَّه كنايةٌ عن الإجابةِ؛ أي: أسرَّها إلى وقتٍ ثانٍ.

والثّاني: كنايةٌ عن المقالةِ، وأرادَ بها المقولَ؛ كضَرْبِ الأميرِ، ونَسْجِ اليمَنِ.

ومعنى: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ عندَ ابنِ عبَّاسٍ: شرٌّ صنيعًا؛ لِمَا فعلتُم من ظُلمِ أخيكم وعُقوقِ أبيكم[3].

وقيل: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في السَّرَقِ؛ لأنَّكم سرَقتُم أخاكُم يوسفَ من أبيكم على الحقيقةِ.

وقيل: أنتم شرٌّ فِعالًا.

وليس (أفعَلَ) هاهنا للتَّفضيلِ، بل للمُبالغةِ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: تقولون، وقيل: تكذِبون.

***

(٧٨) ـ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا﴾: كَلِفًا بحبِّه ﴿كَبِيرًا﴾ في السِّنِّ، وقيل: في المنزلةِ.

---

(١) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦)، وقد أعاد المصنف تأليف كلام أبي علي واختصره؛ على عادته في أكثر ما ينقل.

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٩٨) من رواية عطاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾: خُذْ أحدًا منَّا عبدًا بدلَه.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالِك. وقيل: منَ المُحسنين بالمسلمين. وقيل: منَ المُحسنين إلينا بردِّ بضاعتِنا وإيفاءِ الكيلِ لنا. وقيل: إنْ فعلتَ أحسنتَ إلينا.

* * *

(٧٩) ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذُ بالله وأعتصِمُ به ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا﴾: الصّاعَ ﴿عِندَهُۥٓ﴾؛ أي: أستجيرُ بالله من أخذي بريئًا بسقيمٍ ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ﴾ في الحكمِ والقضاءِ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: أَيِسُوا، ويئِسَ واستيْأَسَ بمعنًى، كسَخِرَ واستَسْخَرَ، وعجِبَ واستَعْجَبَ، وأَيِسَ مقلوبُ يئِسَ وبمعناه[1]، ومنه قراءةُ ابنِ كثيرٍ: ﴿استايَسَ﴾[2].

﴿مِنْهُ﴾: من يوسفَ وإجابتِه إيَّاهُم، وقيل: بنيامين.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ي أ س) (١٣/ ٩٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٤١).

(٢) رويت عن البزي عن ابن كثير بخلف عنه فيها وفي أخواتها: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾، و﴿لَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ﴾، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾، وفي الرعد: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ﴾؛ بقلب الهمزة إلى موضع الياء وتأخير الياء إلى موضع الهمزة، ثم تبدل الهمزة ألفًا، والوجه الثاني له كقراءة الجمهور. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١١١)، و«النشر» (١/ ٤٠٥).

﴿خَلَصُواْ﴾: انفرَدُوا من غيرِ أن يكونَ معَهم مَن ليس منهم ﴿نَجِيًّا﴾: يتناجَونَ، ووحَّدَ ﴿نَجِيًّا﴾ لأنَّه مصدرٌ. والنَّجِيُّ: النَّاجي أيضًا، وجمعُه: أَنْجِيَةٌ.

ابنُ عيسى: أصلُه منَ النَّجْوِ، وهو الارتفاعُ منَ الأرضِ؛ لأنَّ المُناجيَ يرفعُ ما عندَه إلى صاحبِه في خُفيةٍ.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في الرَّأيِ، وهو شمعونُ رئيسُهم. وقيل: كبيرُهم في السِّنِّ، وهو روبيلُ، وقيل: يهوذا.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عَهْدًا وثيقًا، وهو قولُه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾؛ أي: قدَّمتُم، ومنه: الفارِطُ. وقيل: قصَّرتُم، وتقديرُه: وتعلمونَ تفريطَكُم.

وقيل: ﴿مَا فَرَّطتُمْ﴾ مبتدأٌ، خبرُه: ﴿من قَبْلُ﴾؛ أي: وتفريطُكم في يوسفَ ثابتٌ من قبلُ.

وقيل: ﴿فِى يُوسُفَ﴾ خبرُه، وهذا أظهرُ.

وقيل: ﴿مَا﴾ صلةٌ، وتقديرُه: ومن قبلُ فرَّطتُم في يوسفَ.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: لا أفارِقُ أرضَ مصرَ، وبرِحَ وزالَ بمعنًى.

و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ منصوبةٌ بواسطةِ الجارِّ[1]؛ أي: عنِ الأرضِ، وليست ظرفًا ولا مفعولًا به[2].

---

(١) استعمل المصنف هذا المصطلح هنا، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧)، وهو يقابل النصب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٥)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١/ ١٧٠)، و«شرح الرضي على الكافية» (٢/ ١٩٠).

(٢) وفي هذا الجزم بمنع كونها مفعولًا به نظر، فقد أجاز ذلك أبو حيان وتابعه السمين على أن يكون ﴿أَبْرَحَ﴾ تامًّا مضمناً معنى: أفارق. انظر: «البحر» (٦/ ٣١٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٢).

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾؛ أي: في الرُّجوعِ إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: يقضيَ لي بالخروجِ منها فيرُدَّ عليَّ أخي.

وقيل: يأمرَ لي بالمُقاتلةِ مع القومِ. وذلك أنَّ بني يعقوبَ كانوا يُكلِّمون العزيزَ في أخيهم، فقالَ روبيلُ: أيُّها الملِكُ، والله لتترُكنَّنا[1] أو لأصيحَنَّ صحيةً لا تبقى بمصرَ امرأةٌ حاملٌ إلّا وضعَتْ وألقَتْ ما في بطنِها لها، وقامَتْ كلُّ شعرةٍ في جسدِه فخرَجَتْ من ثيابِه، فقالَ يوسفُ لأخيه: قُمْ إلى جنبِ روبيلَ فمُسَّه، وكانَ بنو يعقوبَ إذا غضبَ أحدُهم فمَسَّه الآخرُ ذهبَ غضبُه، فقال روبيلُ: مَن هذا؟ إنَّ في هذا البلدِ لبذرًا من بذرِ يعقوبَ، فقال يوسفُ: مَن يعقوبُ؟ قال: أيُّها الملكُ، لا تذكرْ يعقوبَ، فإنَّه إسرائيلُ الله، ابنُ ذبيحِ الله، ابنُ خليلِ الله. وهذا معنى قولِ مَن قال: يأمرَ لي بالقتالِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

***

(٨١) ـ ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾؛ أي: اشرَحُوا له كيفيّةَ الحالِ.

وقولُه: ﴿سَرَقَ﴾، يعنون: في ظاهرِ الأمرِ.

وقُرِئَ: (سُرِّقَ) بالتَّشديدِ[2]، وله وجهانِ: أحدُهما: أنَّه نُسِبَ إلى السَّرقةِ، والثّاني: أنَّه علمَ منه أنَّه سَرَقَ.

---

(١) في (و): «لتتركنا».

(٢) نسبت لابن عباس وغيره. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٢٧٠).

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾؛ أي: شهادتُنا بما ظهَرَ ورأينا، والغيبُ عندَ الله.

وقيل: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾؛ أي: وما قلنا إلّا بما رأينا؛ أُخرِجَتْ من رحلِه.

وقيل: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ أنَّ السّارقَ يُستَرَقُّ ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من كتبنا؛ لأنَّ يعقوب قال لهم: ومن أين علم الملك أن السارقَ يُسترقُّ؟

ولم نعلَمْ أنَّ ابنكَ يُسترَقُّ.

وقيل: معناه: لا ندري باطنَ أمرِ السَّرقةِ.

وقيل: معناه: لم نعلَمْ أنَّك تُصابُ به كما أُصِبْتَ بيوسفَ[1].

ابنُ عبَّاسٍ: الغيبُ: اللَّيلُ بلغةِ حميرَ[2]؛ أي: ما كنَّا نحفظُه باللَّيلِ.

عكرمةُ: فلعلَّها دُسَّتْ في رحلِه باللَّيلِ[3].

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتملُ: وما كنَّا نحفظُه إذا غابَ عنَّا.

* * *

(٨٢) - ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ قيل: مصرَ، وقيل: قريةً بالقُربِ منها؛ لأنَّهم كانوا خرجُوا من مصرَ.

---

(١) في (و): «به».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٢)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٠) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٧) دون نسبة، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٢)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٠٨).

وأرادَ: أهلَ القريةِ، فحُذِفَ المضافُ إيجازًا من غيرِ إخلالٍ.

وقيل: ليس في هذا حذفٌ، والمعنى: ليس بمُستَنكَرٍ أن تُكلِّمَك جدرانُ القريةِ؛ فإنَّك نبيٌّ[١].

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكان معهم جماعةٌ من أهلِ كنعانَ.

والعِيرُ: الإبلُ، وقيل: القافلةُ منَ الحميرِ وقد يُستعملُ للإبلِ مجازًا، والعَيرُ: حمارُ الوحشِ[٢].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ تأكيدٌ يجري مَجرى القسمِ.

* * *

(٨٣) - ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يُريدُ: فلمَّا رجعُوا إلى يعقوبَ وقالوا له هذا القولَ وشرَحُوا هذا الأمرَ اتَّهمَهُم وقالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: زيَّنَتْ، وقيل: سهَّلَتْ.

ابنُ عيسى: التَّسويلُ: حديثُ النَّفسِ بما تطمعُ فيه[٣]، ومنه السُّولُ غيرَ مهموزٍ[٤]، وهو المُنَى.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فأمري صبرٌ جميلٌ، وقيل: فصبرٌ جميلٌ أولى وأمثَلُ.

والصَّبرُ الجميلُ: هو الذي لا جزَعَ فيه ولا شكوَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٠)، واستغربه.

(٢) وقيل: هو الحمار أهلياً كان أو وحشياً، لكنه غلب على الوحشي. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع ي ر) (١٣/ ١٧٢).

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٨) ونسبه لأهل المعاني.

(٤) ذكر الأزهري أن الأصل في الهمزة لكنه ضعف. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س أ ل) (١٣/ ٤٧).

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يُريدُ: يوسفَ وبنيامين وأخاهما الذي بمصرَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بتدبيرِه.

***

(٨٤) - ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: أعرَضَ عنهم. والتَّولِّي: الانصِرافُ بالوجهِ عن الشَّيءِ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لم يُعطَ أحدٌ منَ الأممِ «إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعون» إلّا أمّةُ محمَّدٍ»، ألا ترى أنَّ يعقوبَ حين أصابَه ما أصابَه لـم يسترجِعْ إنَّما قال: ﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(١).

الأسَفُ: أشدُّ الحزنِ، وقيلَ: الأسَفُ: أشدُّ الحزنِ على ما فاتَ، والألفُ بدلٌ من ياءِ الإضافةِ، والمعنى: يا أسَفِي تعالَ فهذا أوانُكَ.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: انقلَبَتْ إلى حالِ البياضِ؛ أي: عمِيَتا فغطَّى البياضُ سوادَ الحدقةِ ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾؛ أي: لكثرةِ بُكائِه منَ الحزنِ، فحُذِفَ لدلالةِ الحالِ عليه.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، كقولِه: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي: مملوءٌ حُزنًا.

---

(١) رواه هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٧)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦٢٧).

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٤٢) عن سعيد بن جبير موقوفًا عليه، وقال البيهقي: «رفعه بعض الضعفاء إلى ابن عبّاسٍ، ثم منه إلى النبي ﷺ».

ورواه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤١١)، وفي «الدعاء» (١٢٢٨)، ولفظه: «أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٣٠): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن خالد الطحان، وهو ضعيف».

وقيل: فعيلٌ بمعنى: فاعلٍ، كقولِه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ أي: ممسكٌ للحُزنِ في قلبِه لابنَيه، وأصلُه من كظَمَ البعيرُ جِرَّتَهُ: رَدَّها في جوفِه، وكظَمَ الغيظَ: اجترَعَه.

المُبرِّدُ: ﴿كَظِيمٌ﴾: أخذَ الحزنُ بكَظَمِه، وهو مَجرى النَّفَسِ(١).

السُّدِّيُّ: ﴿كَظِيمٌ﴾ بالغيظِ على نفسِه؛ لِـمَ أرسلَه مع إخوتِه(٢)؟

وقيل: انْضافَ حزنُه بيوسفَ إلى حزنِه ببنيامين، وانضافَ إليهما حزنُ ذهابِ بصرِه، فصارَ كظيمًا ممتلِئًا حزنًا، ولهذا حسُنَ الفاءُ في ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه عمِيَ وذهبَ بصرُه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه ضعُفَ بصرُه لبياضٍ حصَلَ فيه من كثرةِ البكاءِ.

الحسنُ: كان بينَ خروجِ يوسفَ من حَجْرِ أبيه إلى يومِ التقى معه ثمانون سنةً لـم تجِفَّ عينا يعقوبَ، وما على وجهِ الأرضِ أكرمُ على الله من يعقوبَ(٣).

* * *

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٩٥)، وفيه: «قال المبرد: تأويله: أنه كتمه على امتلائه منه، ويقال: كظمت السقاء: إذا ملأته، وشددت عليه. ويقال: ما يكظم فلان على جرة: إذا كان لا يحتمل شيئًا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٧)، بلفظ: «كظيم من الغيظ».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٨).

وروى عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٢٠)، والدينوري في «المجالسة» (٢٨٠٢) أنه قال: «ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة، ثم جمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة».

(٨٥) - ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾؛ أي: لا تزالُ تتوجَّعُ عليه وتذكرُه، وقيل: لا تفتأُ، تقولُ: فتِئَ يفتأُ فَتاءً وفُتُوءًا، وتقديرُه: لا تفتأُ؛ لأنَّ القسمَ إذا لم يكُنْ معه علامةُ الإثباتِ وهي (إنَّ) أو اللّامُ عُلِمَ أنَّه للنَّفيِ؛ قال:

لقد آلَيْتُ أَغْدِرُ في جَداعِ[1]

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿حَرَضًا﴾ دنِفًا[2].

أبو عبيدةَ: الحرَضُ: الذي أذابَه الهمُّ[3].

ابنُ عيسى: الحرَضُ: فسادُ الجسمِ والعقلِ للحزنِ أو للحُبِّ[4]، قال:

---

(١) لأبي حنبل الطائي، انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١٨٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١١٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١١٢٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٨٧)، وله قصة ذكرها الميداني في «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٧٧) ملخصها: أن امرأ القيس نزل به ومعه أهله وماله وسلاحه، فقالت زوجته: رزق أتاك الله به، ولا ذمة له عليك، ولا عقد، ولا جوار، فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك، فقال هذا الشعر، فقيل في المثل: أوفى من أبي حنبل، وعجزه:

ولو مُنِّيتُ أُمَّاتِ الرِّباعِ

قوله: «آليت أغدر»؛ أي: لا أغدر. والرّباع: ما ولد من الإبل في الربيع. والأمَّات: جمع أم من البهائم. وجداع: السنة الشديدة التي تجدع بالمال؛ أي: تذهب به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٧)؛ ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠١) بلفظ: «الجهد في المرض البالي». والدَّنَف: المرض الملازم. انظر: «الصحاح» مادة: (د ن ف).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١٦)، وفيه: «والحرض: الذي أذابه الحزن أو العشق، وهو في موضع محرض».

(٤) حكاه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٢٠) عن أصل المعاني، وذكره الحوفي في «البرهان» (ص: ٢٩٣) بلا نسبة.

إِنِّـي امـرؤٌ لـجَّ بـي حـبٌّ فأَحْرَضَـنِي حتَّى بَلِيْـتُ وحتَّـى شَـفَّنِي السَّـقَمُ(١)

ابنُ بحرٍ: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾؛ أي: حتَّى تمرضَ أو تموتَ، قالوا ذلك لأبيهم شفقًا عليه.

***

(٨٦) - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: ﴿بَثِّي﴾: همِّي(٢). وقيل: حاجَتي. وقيل: البثُّ منَ الحزنِ: ما لا صبرَ على كتمانِه. وقيل: تفريقُ الهمِّ عن القلبِ بإظهارِه، تقولُ: بثَّه ما في نفسِه وأبثَّه.

أي: أشكو إلى مَن يملكُ الفَرَجَ منَ البلوى لا إليكُم، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قيل: إنَّ ملكَ الموتِ أخبرَه بحياةِ يوسفَ يقظةً. وقيل: رأى ملكَ الموتِ في المنامِ، فسألَه عن يوسفَ فقال: هو في الأحياءِ.

ابنُ عبّاسٍ: علِمَ أنَّ رُؤيا يوسفَ صادقةٌ، وأنَّه يسجدُ له(٣).

وقيل: علِمَ بإحسانِ الله ما يُوجِبُ حسنَ الظَّنِّ بالله.

***

(٨٧) - ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) البيت للعرجي. انظر: «ديوانه» (ص: ٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٣٠١)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ١٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٩).

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: استكشِفُوا عن أحوالِـهما واستَخْبِرُوا خبرَهما. والتَّحسُّسُ: طلَبُ الإحساسِ مرَّةً بعدَ أُخرَى، والإحساسُ: الإدراكُ، والحِسُّ الاسمُ، كالطّاعةِ من (أطاعَ)[١].

قيل: إنَّ يعقوبَ لـمَّا سمعَ من بنيه ما حكَوا له من أحوالِ الملِكِ مع بنيامين؛ من طلبِه أوَّلًا، ثمَّ خُلُوِّه به دونَهم، ثمَّ إمساكِه إيَّاه بالاحتيالِ في الصُّواعِ= قال لهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ ونسَبِه وآبائِه ودينِه، فإنِّي أرجو وأظنُّ أنَّه يوسفُ ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: لا تقنَطُوا من رحمةِ الله وفرجِه.

والرَّوحُ: الاستِراحةُ، ابنُ عيسى: الرَّوحُ يقعُ[٢] بريحٍ يَلَذُّ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: الإيمانُ بالله وبصفاتِه يُوجِبُ للمُؤمنِ رجاءَ ثوابِه من غيرِ قنوطٍ من رحمتِه.

* * *

(٨٨) - ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ يُريدُ: خرَجُوا من عندِ أبيهم راجِعينَ إلى مصرَ حتَّى وصلُوا إليها ودخلُوا على[٣] يوسفَ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: الملكُ بلغةِ حميرَ، ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾؛ أي: أصابَنا وأهلَنا الجوعُ ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾: دراهمَ رديئةٍ،

---

(١) أي: الحسُّ اسم للإحساس، والكرامة: اسم للإكرام، والطاعة اسم للإطاعة. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ١٠٩).

(٢) في (ن): «نفع»، والظاهر أنه تصحيف.

(٣) في (و): «قبل».

وقيل: زُيوفٍ، وقيل: بضاعةِ الأعرابِ؛ أي: الصُّوفِ والسَّمنِ والأَقِطِ، وقيل: الحبَّةِ الخضراءِ والصَّنوبرِ، وقيل: خَلَقِ الغِرارِ(١) والحبالِ، وقيل: النِّعالِ والأدَمِ.

ومعنى ﴿مُّزۡجَىٰةٖ﴾: قليلةٍ، وقيل: نفايةٍ، وقيل: كاسدةٍ، وأصلُه منَ الدَّفعِ، ومنه: تَزْجِيَةُ الأوقاتِ.

﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾: أتِمَّ لنا الكيلَ.

﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الصَّدقةَ التي هي زكاةُ الأموالِ لم تحِلَّ لنبيٍّ قطُّ، وهذا قولُ جُلِّ المُفسِّرين، فحمَلوا عليه قولَه: ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ على معنًى يصحُّ من الأنبياءِ:

فقال بعضُهم: تصدَّقْ علينا بما بينَ السِّعرَين؛ فأعطِنا بالرَّديءِ ما تُعطي بالجيِّدِ. وقيل: تصدَّقْ علينا بأخذِ متاعِنا وإنْ لم يكُنْ من حاجتِك. وقيل: تصدَّقْ علينا بأخينا. وقيل: تفضَّلْ علينا. وقيل: تجوَّزْ عنَّا.

والثَّاني: أنَّ الصَّدقةَ كانت حلالًا للأنبياءِ، وإنَّما حُرِّمَتْ على نبيِّنا محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: يُكافِئُهم.

والصَّدقةُ: العطيَّةُ للفقراءِ ابتغاءَ الأجرِ.

---

(١) كذا في النسختين: «الغرار والحبال»، والذي في المصادر: «الغرائر والحبال». انظر: «درج الدرر» للجرجاني (٢/ ١٤٣) وعزاه لابن زيد، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٦٠) عن الكلبي، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٢) دون نسبة، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٢٧٣) عن ابن عباس.

والغرائر: جمع الغرارة، وهي: وعاء من صوف أو شعر أو خيش لنقل التبن وما أشبهه، وهو الحوالق، أو هو أكبر منه. انظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٩٦)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ١٨)، و«المعجم الوسيط» مادة: (غ ر ر).

(٨٩) ـ ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون في مُوجِبِ قولِه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾:

فقالَ بعضُهم: لمَّا قالوا: ﴿يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ دخلَتْه رِقَّةٌ فعندَها قال.

وقيل: كتَبَ إليه يعقوبُ كتابًا في تخليصِ بنيامين، وذكرَ فيه أحوالَه وما هو فيه منَ الحزنِ على فَقدِ يوسفَ وأخيه، وذكرَ أحوالَ أبوَيه إسحاقَ وإبراهيمَ فأخذَتْه رِقَّةٌ.

وقيلَ: قالَ لهم: إنَّ مالكَ بنَ ذُعْرٍ قال: اشتريتُ منكم بمكانِ كذا غُلامًا من صفتِه كذا وكذا، فقالوا: نحنُ بعناه منه، فغضبَ عليهم وأمرَ بقتلِهم، فبكَوا وجزِعُوا، فدمعَتْ عيناهُ ورقَّ لهم، وقالَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ ﴾ حكاه الثَّعلبيُّ[1].

وحكى ابنُ الهيصَمِ في «قصصِه»: أنَّه صلَبَهم[2].

وفي القولَينِ بُعدٌ، والله أعلَمُ.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ قيل: شُبَّانٌ، ومَظِنَّةُ الجهلِ الشَّبابُ. وقيل: صِبيانٌ، وفيه بُعدٌ. وقيل: مُذنِبون.

وقيلَ: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾: يومَ كنتُم جاهلين.

وقيل: جاهلون بعاقبةِ ما يصيرُ إليه أمرُكم وأمرُ يوسفَ.

ابنُ عيسى: هذا تذكيرٌ يتضمَّنُ التَّوبيخَ لهم بما صنَعوا به من إلقائِه في الجبِّ بعد أن كانوا عزَمُوا على قتلِه، ثمَّ بيعِهم إيَّاه منَ التَّاجرِ، وبما صنَعوا بأخيه، من

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨) عن الكلبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩)، وعدَّه من العجائب.

إفـرادِه عـن أخيـه لأبيـه وأمِّه، ثـمَّ جفائهم بـه حتَّـى كان لا يُكلِّمُ أحـدًا منهـم إلّا كلامَ الذَّليـلِ للعزيز[١].

***

(٩٠) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قُرِئَ بالخبرِ والاستفهامِ[٢]، والوجهُ الخبرُ؛ لأنَّ بينَ الاستفهامِ وبين (إنَّ) واللَّامِ تنافيًا؛ هذا للتَّردُّدِ، وهذا للتَّحقيقِ[٣].

وقيل: هو ألفُ النِّداءِ، وتقديرُه: يا مَن تُخاطِبُنا إنَّك لأنتَ يوسفُ.

وقيل: مَن قرأ بالخبرِ فالاستفهامُ[٤] مُقدَّرٌ، والوجهُ ما سبقَ.

وجاء في القِصّةِ: أنَّه كان يتكلَّمُ معَهم قبل ذلك من وراءِ الحجابِ، فرفعَ يومئذٍ الحجابَ، ووضعَ التّاجَ وتبسَّمَ في وجوهِهم فعرفُوه، وقالوا: ﴿إنَّك لأنتَ يوسفُ﴾، ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي﴾ من أبي وأمِّي ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾ بالسَّلامةِ والكرامةِ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿مَن يَتَّقِ﴾ الفاحشةَ ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على بلواه، وقيل: يتَّقِ الزِّنى ويصبرْ على الغُرْبةِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ،

---

(١) في (و): «العزيز للذليل». ذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٠١) بعض كلام ابن عيسى بلا نسبة.

(٢) قرأ ابن كثير بالخبر، والباقون على الاستفهام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٣) ويرجح جانب الاستفهام قوله عقبه: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾، ويرجح جانب الخبر اللام، ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩) وقد كان متقدمو النحويين مولعين بالترجيح بين القراءات، ولا وجه للترجيح بين القراءات المتواترة، فهي كلها قرآن معجز، نبه على ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٥٨٨) و(٣/ ٢٣٢).

(٤) في (و): «بالاستفهام فالخبر».

والعائدُ على المبتدأ محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ المتَّقيَ الصّابرَ مُحسِنٌ لا محالةَ[١].

***

(٩١) ـ ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾: اختارَكَ وفضَّلَكَ علينا بالعقلِ والحِلمِ[٢] والحُسْنِ.

وحقيقةُ الإيثارِ: تفضيلُ الشَّيءِ لكونِ أثرِه أجملَ من أثرِ غيرِه.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾: مُذنبين، فمَن ذهبَ إلى أنَّهم كانوا بالغينَ احتجَّ بهذا، ومَن ذهبَ إلى أنَّهم لم يكونُوا بالِغين، وأنَّ ذلك كانَ منهم لصِباهُم، قال: إقامتُهم على كتمانِ الأمرِ عن أبيهم ـ مُوهِمينَ له أنَّ الأمرَ على ما أخبَروه أوَّلًا ـ خطأٌ ومعصيةٌ.

***

(٩٢) ـ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾: لا تعييرَ عليكُم، وقيل: لا أذكرُ لكم ذنبَكُم، وقيل: لا مُجازاةَ لكم عندي على ما فعلتُم، وقيل: لا تخليطَ عليكم ولا إفسادَ.

الزَّجَّاجُ: لا إفسادَ[٣].

---

(١) المبتدأ هو (مَنْ)، وهو اسم موصول على قراءة ابن كثير حيث أثبت الياء فقرأ (مَنْ يتقي)، وخبر (مَنْ) على هذه القراءة هو جملة (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)، وقد سبق التنبيه على دخول الفاء في جملة الخبر، ولكن الجملة ليس فيها ضمير يعود على (من)، فقالوا: المحسن هو معنى المنفي، فإعادة معنى اللفظ أغنى عن إعادة الضمير. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٥٠)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٦٣)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٧٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٣٢٠).

(٢) في (و): «والعلم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٢٨).

وقيلَ: لا لومَ ولا عتبَ.

ابنُ عيسى: التَّثريبُ: تعليقُ الضُّرِّ بالإنسانِ من أجلِ جُرمٍ كانَ منه[١].

ابنُ بحرٍ: هو مأخوذٌ من الثَّرْبِ، وهو شحمُ الجوفِ، وهو بلوغُ الأقصى منَ الأمرِ[٢].

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ أنَّه منَ الثَّرْبِ، حيثُ لم يأتِ على هذا التَّرتيبِ من هذا التَّركيبِ غيرُه[٣]، ويكونُ المعنى: لا تعييرَ عليكم، كما يُقالُ: فلانٌ يتناولُ كبدَ فلانٍ ويأكلُ الكبدَ، جعلَ أكلَ الكبدِ كنايةً عن التَّوبيخِ، وعن اللَّومِ، وعن الانتظارِ، وهذا معنًى جليٌّ[٤]، والله أعلَمُ[٥].

﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ ما كانَ منكم، دَعا لهم من غيرِ مسألةٍ.

وقيل: خبرٌ، والمعنى: كانَ اللهُ آخذَكم بحقِّي إلّا أنْ أصفَحَ، وقد صفَحْتُ عنكم، ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * *

(٩٣) - ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ وذلك أنَّه سألَهم عن حالِ أبيه فقالوا: إنَّه عَمِيَ من كثرةِ البكاءِ. وفي القميصِ قولانِ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) جعل ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: (ث ر ب) (١/ ٣٧٥) كلمتي (الثوب) و(التثريب) متباينتي الأصل، وذكر أنه لا فروع لهما.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، واستغربه.

(٥) «والله أعلم»: من (ن).

أحدُهما: كان قميصَه الذي يلبَسُه.

والثّاني: كانَ القميصُ منَ الجنَّةِ، لا يمسُّه ذو عاهةٍ إلّا صَحَّ، وجاء في التَّفسيرِ أنَّه القميصُ الذي ألبَسَه الله إبراهيمَ يومَ طُرِحَ في النَّارِ، فكساه إسحاقَ، ثمَّ كساه يعقوبَ، ثمَّ جعلَه يعقوبُ في تعويذٍ وعلَّقَه من جيدِ[1] يوسفَ، ولم يعلَمْ إخوتُه بذلك[2].

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾: يرجِعْ إلى حالِ الصِّحّةِ والبصرِ، وقال بعضُهم: معناه: يأتيني بصيرًا.

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: نسائِكم وأولادِكم وعبيدِكم وإمائِكم.

***

(٩٤) - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: خرجَتِ الرُّفقةُ من مصرَ نحو كنعانَ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمَن حضرَه من أسباطِه، وإنَّ أولادَه بعدُ في الطَّريقِ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أدرَكَه شمًّا.

ابنُ عبَّاسٍ: حملتِ الرِّيحُ رائحةَ يوسفَ من مسيرةِ ثماني ليالٍ[3].

الحسنُ: من مسيرةِ شهرٍ[4].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١): «في تعويذة وعلقة في جيد»، وهو واضح.

(٢) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٤٧) عن مجاهد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٣).

(٤) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨١). وذكر الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٤٢) عن الحسن قال: «وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة عشرة أيام».

مجاهدٌ: من مسيرةِ ثلاثةِ أيَّامٍ[(١)].

وذلك أنَّهم حين نشروه فاحَتْ منه رائحةُ الجنَّةِ، فحملَتْها الرِّيحُ إلى يعقوبَ، فعلِمَ أنْ ليس في الأرضِ من ريحِ الجنَّةِ إلَّا ما كان من ذلك القميصِ، فمِن ثَمَّ قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾.

ومَن ذهَبَ إلى أنَّه قميصُه الذي كان يلبَسُه قال: بلغَتْ ريحُ يوسفَ يعقوبَ على بُعدِ المسافةِ مُعجزةً حيثُ كانوا أنبياءَ.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تُجهِّلون وتُسفِّهون وتُهزِّمون وتُكذِّبون وتُحمِّقون وتُضعِّفون وتُقبِّحون وتُعجِّزون وتُضلِّلون، هذه كلُّها أقوالُ المُفسِّرين.

والتَّفنيدُ في اللُّغةِ: تضعيفُ الرَّأيِ، والفَنَدُ: ضَعفُ الرَّأيِ، والتَّفعيلُ هاهنا للنَّسْبِ إلى الشَّيءِ[(٢)].

وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُه: لقلتُ: إنَّه قريبٌ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿قَالُوا۟ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: أسباطُه: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: خطَئِكَ[(٣)] القديمِ من حُبِّ يوسفَ لا تنساه، غلَّظُوا له القولَ بهذه الكلمةِ إشفاقًا عليه، وكان عندَهُم أنَّه قد ماتَ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: ﴿ضَلَٰلِكَ﴾: حَيرتك[(٤)].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٤٩).

(٢) قال السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٤/ ٤٣٨): «الباب في نسبته إلى الشيء أن يكون على (فعَّلت)، كقولك: لحَّنته وخطَّأته».

(٣) في (و): «خطابك».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٧٨)، كلاهما بلفظ: «جنونك القديم».

الحسنُ: هذا عقوقٌ[1]. كأنَّه لـم يرضَ هذا القولَ.

وقيل: ﴿فِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: محبَّتِكَ القديمةِ[2].

قال الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّهم عَنَوا بهذا الضَّلالِ ما حكى الله عن نبيِّه في قولِه: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ولهذا قالوا: ﴿فِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾؛ لأنَّ القديمَ هو الموجودُ الذي لـم يزَلْ، ثمَّ يستعملُ للعتيقِ مُبالغةً كقولِه: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩][3]، والله أعلَمُ.

***

(٩٦) ـ ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ جُلُّ المُفسِّرين على أنَّ البشيرَ يهوذا بنُ يعقوبَ، قال: أنا ذهبتُ إليه بالقميصِ مُلطَّخًا بالدَّمِ، فأكونُ أنا الذَّاهبَ بالقميصِ مُبشِّرًا.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا: أنَّ البشيرَ مالكُ بنُ ذُعْرٍ[4].

﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: ألقى البشيرُ القميصَ على وجهِ يعقوبَ ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾: عادَ كما كانَ.

وقيل: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ بخبرِ يوسفَ. حكاه أقضى القُضاةِ[5].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٧٨).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياةِ يوسفَ، وأنَّ الله يجمعُ بينَنا.

وقيل: إنِّي أعلَمُ من صحَّةِ رُؤيا يوسفَ.

وقيل: بلوى الأنبياءِ بالمِحَنِ ونزولِ[1] الفرجِ.

وقيل: من إخبارِ ملَكِ الموتِ إيّايَ.

***

(٩٧) ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾؛ أي: سلِ الله لنا مغفرةَ ما ارتكَبْناه في حقِّكَ وحقِّ ابنِكَ، إنَّا تُبنا واعترَفْنا بخطَئِنا.

***

(٩٨) ـ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أخَّرَه إلى صلاةِ اللَّيلِ، وقيل: إلى السَّحَرِ[2]، وقيل: إلى ليلةِ الجمعةِ، وقيل: أدومُ إلى الاستغفارِ خلفَ كلِّ صلاةٍ، وقيل: عندَ[3] كلِّ دعاءٍ، وقيل: أسألُ يوسفَ، فإنْ عفا عنكم أستغفِرُ لكم ربِّي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثمَّ إنَّ يوسفَ حملَ إلى يعقوبَ جهازَ السَّفرِ ومئتَي راحلةٍ، وسألَه أن يأتيَه بأهلِه أجمعين، فهيَّأ يعقوبُ أسبابَ السَّفرِ فخرجَ بأهلِه ـ قالَ ابنُ سيرين: كانوا

(١) في (ن): «وبزوال».

(٢) في (و): «السجود».

(٣) في (و): «عند».

ثلاثةً وسبعينَ إنسانًا[١] ـ فلمَّا بلغَ قريبًا من مصرَ كلَّمَ يوسفُ الملِكَ الكبيرَ، فخرجَ يوسفُ والملكُ في جُندٍ عظيمٍ، وأدخلُوهم مصرَ، وهو قولُه:

(٩٩) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: ضمَّ إليه ﴿أَبَوَيْهِ﴾: يُريدُ: أباه وخالتَه، وكانت تحتَ يعقوبَ.

الحسنُ: كانت أمُّ يوسفَ راحيلُ باقيةً إلى دخولِ مصرَ[٢].

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ قيل: هذا كانَ قبلَ الدُّخولِ. وقيل: بعد أن دخلوا مصرَ؛ أي: ادخلوا مُقيمينَ فيها.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من ملوكِها، وكانوا لا يدخلونَ إلّا بجِوارٍ، وقيل: آمنين منَ القَحْطِ.

والاستثناءُ منَ الأمنِ، وقيل: كان قبلَ الدُّخولِ[٣].

وقيل: هو راجعٌ إلى قولِ يعقوبَ؛ سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله[٤].

---

(١) لم أقف عليه، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان أهله حين أرسل إليهم وهو بمصر ثلاثة وتسعين إنساناً رجالهم أنبياء ونساؤهم صديقات، والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٢) عن الحسن وابن إسحاق، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢) عن ابن إسحاق، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢) عن الحسن، واستغربه، وروى الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٦٧) أنها نشرت من قبرها لتحقيق الرؤية.

(٣) فالاستثناء من الدخول، والمعنى: ادخلوا إن شاء الله مصر. والمراد بالاستثناء قول: «إن شاء الله»، وليس الاستثناء المعروف في النحو. انظر: «الكليات» للكفوي (ص: ٩١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، وعدَّه من العجائب.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ أنَّ هذا على وجهِ التَّسبيحِ(١)، كقولِه عليه السَّلامُ حين دخلَ المقابرَ: «وإنَّا بكم لاحِقونَ إنْ شاءَ اللهُ»(٢)، وإلى هذا المعنى ذهبَ بعضُ المُفسِّرين في قولِه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧](٣).

***

(١٠٠) - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ الواوُ لا تقتضي التَّرتيبَ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: خرُّوا له سُجَّدًا ورفعَ أبوَيه على العرشِ: على السَّريرِ، وكان تحيَّتَهم السُّجودُ(٤).

الحسَنُ: أمرَهُم الله بالسُّجودِ له لتأويلِ الرُّؤيا(٥).

ابنُ عبّاسٍ: خرُّوا لله سُجَّدًا(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «وإنَّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحِقون».

(٣) قال ثعلب في الآية: «استثنى وهو يعلم ليعلّمنا الاستثناء». انظر: «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٧٤).

(٤) هو مروي عن عدي بن حاتم وقتادة. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٢٠٢).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨٢).

(٦) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٠١) أنه قول الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣) بلا نسبة، واستغربه.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾: صادقةً، وكان بينَ الرُّؤيا وبين التّأويلِ أربعون سنةً. الحسنُ: ثمانونَ سنةً[1]. وقيل: ستٌّ وثلاثونَ سنةً. وقيل: اثنتانِ وعشرونَ سنةً. وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ ولم يذكُرِ الجبَّ؛ لقولِه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وكانوا يسكُنون البرارِيَ، وقيل: جاؤوا منَ الباديةِ، وكانوا يسكُنونَ المُدنَ قِبَلَ فلسطين، وقيلَ: الجزيرةَ من حرّانَ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: أفسَدَ وحرَّش ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ وقيل: أفسَدَ ذاتَ بينِنا.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾ بالغٌ إرادتَه، وقيل: لطَفَ بيوسفَ حتَّى نجا منَ الشَّدائدِ ونالَ ما نالَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

* * *

(١٠١) - ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: ملكِ مصرَ، ودخلَ ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيضِ؛ لأنَّه لم يُؤتَ الملكَ كلَّه[2]، وقيل: ﴿مِنَ﴾ للبيانِ.

﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: تفسيرِ كتُبِك المُنزَّلةِ على الأنبياءِ، وقيل: تعبيرِ الرُّؤيا، و﴿مِنَ﴾ للتَّبعيضِ أو للتَّبيينِ كالأوّلِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٨).

(٢) ذكر القشيري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٩) أن (من) للتبعيض؛ لأن الملك بالكمال لله وحده.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: ناصِري ومُعيني ومُتولِّي تدبيري ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾: اقبِضْني على الإسلامِ مُخلِصًا في الطَّاعةِ.

ابنُ جريرٍ: سألَ الموتَ، وما سألَه غيرُه[1].

وقيل: ليس هذا سؤالًا، وإنَّما المعنى: توفَّني يومَ توفَّني[2] مُخلِصًا.

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ. وقيل: آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. وقيل: أهلِ الجنَّةِ.

***

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: نبأ يوسفَ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: مِنَ الأخبارِ العظيمةِ وقد غبتَ عنها ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: نُرسِلُ به جبريلَ إليك، ولم يكُنْ من علمِكَ ولا من علمِ قومِكَ.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى بني يعقوبَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾: عزمُوا على ما همُّوا به من إلقاءِ يوسفَ في الجُبِّ ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسفَ، وقيل: بأبيهم.

***

(١٠٣) ـ ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٦٥)، وفيه: «وقيل: إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف».

(٢) كذا في (و)، وسقطت الجملة من (ن)، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣): «حين تتوفى»، وفي (ط) «تتوفاني».

يرجو إيمانَ قُريشٍ واليهودِ لمَّا سألُوا عن قصَّةِ يوسفَ، فقصَّ الله عليهم أحسَنَ القصَصِ وبيَّنَها أحسَنَ بيانٍ، فلم يكونوا عندَ ظنِّه، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١)، وتقديرُها: وما أكثرُ النّاسِ بمُؤمنينَ ولو حرَصْتَ: اجتَهَدْتَ كلَّ الاجتهادِ، فإنَّ ذلك إلى الله فحسب.

***

(١٠٤) ـ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على القرآنِ، وقيل: على التَّبليغِ، وقيل: على الإنباءِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْلٍ ومالٍ فيُثقِلَهم ذلك، ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: ما في القرآنِ إلّا عِظةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: للخلائقِ أجمعين.

***

(١٠٥) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن﴾ معناه: كم، وتقديرُه: كأيِّ عددٍ شئتَ، ويلزمُ ما بعدَه من قولِه: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية: ما يُوجِبُ العلمَ اليقينَ عندَ التَّأمُّلِ.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: على الآياتِ.

وقيل: على الأرضِ(٢). ويُقوِّي هذا القولَ قراءةُ مَن قرأ بالرَّفعِ والنَّصبِ(٣)،

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٣٠)، ونقله عن ابن الأنباري، والظاهر أن المصنف أفاده منه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣)، واستغربه.

(٣) يعني قوله: (والأرض) قرئت بالنصب والرفع، وقد نسبت القراءة بالنصب للسدي، وبالرفع إلى ابن عبّاسٍ وعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٥٢).

وكذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (يمشون عليها)[١]، والكلُّ شاذٌّ.

﴿وَهُمْ عَنْهَا﴾: عنِ الآياتِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾: غيرُ مُفكِّرينَ فيها.

الحسنُ: منَ الآياتِ إهلاكُ مَن أُهلِكَ منَ الأُممِ[٢].

***

(١٠٦) - ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّها نزلَتْ في الكفّارِ؛ لأنَّهم مُقِرُّونَ بأنَّ الله خالقُهم ورازقُهم، وإذا حزبَهم أمرٌ شديدٌ دعَوُا الله.

وقيل: نزلَتْ في الثَّنَوِيَّةِ وقولِـهم بالنُّورِ والظُّلمةِ، والمجوسِ وقولِـهم: الخيرُ منَ الله والشَّرُّ من إبليسَ.

وقيل: في النَّصارى، آمَنُوا ثمَّ أشرَكُوا بالتَّثليثِ.

ابنُ عبّاسٍ: نزلَتْ في تلبيةِ المُشركين، وهي قولُـهم: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلّا شريكٌ هو لك، تملِكُه وما مَلَكَ[٣].

وقيل: نزلَتْ في المنافقين، أظهَروا الإسلامَ[٤] وأسرُّوا الكفرَ والشِّركَ.

وقيل: نزلَتْ في أهلِ الكتابِ، آمنوا ببعضِ الأنبياءِ وكفروا ببعضٍ، فجمَعُوا بين الإيمانِ والشِّركِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٧) عن قتادة، وذكر هذه القراءة ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٥٠).

(٢) لم أجده.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٢)، ورواه مسلم (١١٨٥) لكن دون ذكر النزول، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، واستغربه.

(٤) في (و): «الإيمان».

ابنُ جريرٍ: هو كقولِ القائلِ: لولا اللهُ وفلانٌ لكانَ كذا[١].

وقيل: تقديرُه: وما يُؤمِنُ أكثرُهم باللهِ إلّا وهم كانوا مشركين، وله نظائرُ.

ورُوِيَ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ: «مَن حلَفَ بغيرِ اللهِ فقد أشرَكَ»[٢].

***

(١٠٧) - ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبةٌ تغشاهُم وتَشْملُهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً من غيرِ سابقةِ علامةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانِها؛ أي: وهم غيرُ مُستعِدِّين لها.

***

(١) روى الطبري عن عكرمة: «لولا كلبنا لدخل علينا اللصُّ الدار...» ثم قال: «فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره...» والظاهر أن هذا تعليق على الآية ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وليس على هذا التفسير. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، وعدَّه من العجائب، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٨) عن أبي جعفر محمد بن علي، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨٧) عن أبي جعفر، فلعل المصنف وهم فظنه أبا جعفر الطبري صاحب التفسير، أو أنه جعل تعليق الطبري المتقدم على كلام عكرمة إقراراً له، فنقله عنه، وقد تبيّن أن المصنف ينقل الشيء عمن تقدمه بمجرَّد روايته له، أو ذكره له ولو احتمالاً، فلا يستغرب أن يكون هذا من ذلك والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وقال: «حديث حسن».

(١٠٨) - ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾: يا محمَّدُ: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الطَّريقةُ وهذه الدَّعوةُ ﴿سَبِيلِىٓ﴾: طريقي ومنهاجي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: أدعو النّاسَ إلى الله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠﴾: على هُدًى وبيانٍ.

ابنُ عيسى: البصيرةُ: المعرفةُ التي يتميَّزُ بها الحقُّ منَ الباطلِ، وهي مصدرُ (بَصُرَ).

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: آمَنَ بي وصدَّقَني؛ أي: وهم يدعون النّاسَ أيضًا إلى الله.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فيكونُ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبرَ المبتدأ[١]، وهذا أحسنُ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ حالٌ.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وقل: سبحانَ الله، نزِّهْهُ عمَّا لا يليقُ بوصفِه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معَ الله غيرَ الله.

***

(١٠٩) - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ أي: حالُ مَن سبقَ منَ الأنبياءِ كحالِكَ، وبُعِثُوا من أهلِ القُرى لأنَّهم أعلَمُ وأحلَمُ، ولم يَبعثِ الله نبيًّا منَ الباديةِ ولا منَ النِّساءِ، الحسنُ: ولا منَ الجنِّ[٢].

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٧٢٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٦٤).

و﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ، و(قبل): اسمٌ للزَّمانِ الذي تقدَّمَ زمانَ ما أُضيفَ (قبل) إليه، وأفادَ دُخولُ ﴿مِن﴾ استيعابَ الطَّرفَينِ(١).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يُحذِّرُ أمّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ من تكذيبِه بما وقعَ بمَن كذَّبَ الرُّسلَ قبلَهم، ويُحرِّضُهم على الامتدادِ في الأرضِ والنَّظرِ إلى مصارعِ مَن أُهلِكُوا قبلَهم.

وأفادَ دخولُ الفاءِ أنَّ ما قبلَه يقتضي ما بعدَه.

﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني: الجنَّة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ وآمَنُوا بالله ﴿أفلا يعقلون﴾(٢) فيعرِفُوا أنَّها خيرٌ فيتوسَّلُوا بالإيمانِ إليها.

وقيل: أوَلَـم يقرؤُوا القرآنَ فيعرِفُوا كيفَ كان حالُ مَن كذَّبَ الرُّسلَ قبلَهم.

وأضافَ (الدّارَ) هاهنا إلى (الآخرةِ) على تقديرِ حذفِ الموصوفِ، كأنَّه قال: ولَدارُ النَّشأةِ الأُخرى، وفي غيرِها صفةٌ لـ(الدّار)(٣).

***

(١١٠) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: يئِسُوا وانقطَعَ رجاؤُهم من صلاحِ القومِ وإيمانِهم ﴿وظنّوا أنّهم قد كُذِّبوا﴾: وأيقنَ الرُّسلُ أنَّ قومَهم كذَّبوهم.

---

(١) «الطرفين»: من (ن)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٥٠)، وذلك لأن (قبل) قد يقع على بعض ما تقدم، فلما دخلت عليه (من) أفاد الاستيعاب.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالياء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦)، وقراءة المصنف بالياء.

(٣) ومن ذلك: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

ومَن قرأ بالتَّخفيفِ[١] يَحتمِلُ وجهَين:

أحدُهما: أنَّ الضَّميرَ للمُرسَلِ إليهم، ودلَّ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ على المُرسَلِ إليهم، وقيل: تقدَّمَ ذِكرُهم في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والثّاني: أن يعودَ إلى ﴿ٱلرُّسُلُ﴾، والمعنى: ظنَّ الرُّسلُ أنَّ قومَهم كذَبوهم فيما وعَدُوهم منَ الإجابةِ إلى الإيمانِ.

و(كذَبَ) يتعدَّى إلى مفعولَين: كذَبتُه الحديثَ.

وما ذكرَه القُتَبيُّ في جماعةٍ في هذه الآيةِ فبعيدٌ، لا نعتَقِدُ مثلَه في الأنبياءِ والمُرسَلين[٢].

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: نُصرَتُنا للأنبياءِ والمُؤمنين بهم ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾: النَّبيُّ ومَن آمَنَ به، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: وأهلَكْنا الكاذبين حيثُ لا رادَّ لعذابِنا عنهم إذا نزَلَ بهم.

***

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿قَدْ كُذِبُواْ﴾ بتخفيف الذال، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٦): «العجيب: حكى القتبي في «المشكل»: كانوا بشراً؛ يعني: الرسل. يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم أخلقوا». ثم تعقبه المصنف بقوله: «وهذا بعيد لا يعتقد مثله في الأنبياء والمرسلين».

والذي في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٣٤) هو نقل لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين في الآية، ومنها ما روي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: «كانوا بشراً؛ يعني: الرسل، يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنّوا أنهم قد أخلفوا». وهو ما نقله المصنف عن ابن قتيبة على عادته بنسبة القول إلى مَن نقله رواية أو احتمالاً، على أنَّ ابن قتيبة استحسن واختار قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لم يزل البلاء بالرّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذّبوهم».

(١١١) - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾؛ أي: في قَصَصِ الأنبياءِ وأُممِهم. وقيل: في قصَّةِ يوسفَ وإخوتِه وأبيه ﴿عِبْرَةٌ﴾: ما يُعبرُ به عن الجهلِ إلى العلمِ ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذَوي العقولِ. ولبُّ كلِّ شيءٍ: خُلاصتُه وخِيارُه.

أي: الذي قَدرَ على إعزازِ يوسفَ بعد الجُبِّ والسِّجنِ، وتمليكِه مصرَ بعد العبوديّةِ والذُّلِّ، والجمعِ بينَه وبينَ إخوتِه على المحبوبِ بعد المدَّةِ المديدةِ والشُّقَّةِ البعيدةِ = قادرٌ على إعزازِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وإعلاءِ كلمتِه على مَن عاداه منَ الكفَّارِ والجُهَّالِ.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾؛ أي: ما كانَ القرآنُ حديثًا مُفترًى كما زعمَ الكفّارُ ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: ولكنْ كانَ تصديقَ الكتُبِ المُتقدِّمةِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وبيانَ دينِ الله وشرائعِه ﴿وَهُدًى﴾ منَ الضَّلالِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ منَ العذابِ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقونَ بتوحيدِ الله، ويُقِرُّونَ بنبوّةِ محمَّدٍ ﷺ.

* * *

سُورَةُ الرَّعۡدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

ثلاثٌ وأربعونَ آيةً[1]. مدنيّةٌ في قولِ قتادةَ[2].

وقالَ عطاءٌ: هي مكّيّةٌ إلّا آيةً من قولِه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [٤٣][3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) «ثلاث وأربعون آية» من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٩)، وفيه: «وهي أربعون وثلاث آيات في الكوفي وأربع في المدنيين والمكي وخمس بَصري وسبع شامي، اختلافها خمس آيات..».

(٢) ذكره عن قتادة هكذا دون استثناء الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٤٧). وعند غيره عن قتادة استثناء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] فهي مكية، هكذا رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٩٩)، وذكره مكي في «الهداية» (٥/ ٣٦٥٩)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٩).

(٣) ذكره هكذا عن عطاء أبو حيان في «البحر» (٦/ ٣٤٢) ولعله أخذه من المؤلف، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٧٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس مع استثناء آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾. وذكر الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٩) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنها مكية ولم يستثن. وهكذا رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

﴿الٓمٓر﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: أنا اللهُ أعلَمُ وأرى[١]. والكلامُ فيها سبقَ.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل: الكتابُ: التَّوراةُ والإنجيلُ، وقيل: الزَّبورُ، وقيلَ: القرآنُ، وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ.

﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآنُ بإجماعٍ؛ لقولِه: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فمَن جعَلَ الكتابَ القرآنَ جعَلَ الواوَ مُقحمًا[٢]، أو جوَّزَ العطفَ على الوصفِ بالواوِ[٣]، كقولِ الشّاعِرِ:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمامِ ... ولَيْثِ الكَتيبَةِ في المُزْدَحَمْ[٤]

وقيل: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ما نزَلَ منَ القرآنِ قبلَ هذه السُّورةِ، ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ﴾ هذه السُّورةُ.

ومحلُّ ﴿الّذي﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبرُه، وقيل: جَرٌّ عطفًا على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبرُ المبتدأ[٥].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ نزلَتْ حينَ قالتِ العربُ: إنَّ محمَّدًا يتقوَّلُ القرآنَ من تلقاءِ نفسِه.

---

(١) رواه الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (٦٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٧٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿الٓمٓ﴾: أنا الله أعلم».

(٢) أي: زائدة، وهذا قول الكسائي. انظر: «تفسير الثعالبي» (٣/ ٣٠٥).

(٣) في (و): «جوّز عطف الوصف بالوصف». والمثبت من (ن)، والمعنى: أن الواوَ تكونُ داخلةً وقد ذكر المصنف أن العرب قد تعطف بالواو. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٠١).

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥)، و«الاستذكار» (٢/ ١٨٨).

(٥) أي: خبر مبتدأ محذوف، والجملة صفة (الذي)، وقد ذكر الطبري أن الصواب على هذا الوجه أنه يقرأ (الحق) بالخبر. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٠٧)، «والبحر المحيط» (٦/ ٣٤٣).

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: وضعَها من جانبِ العُلوِّ ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جمعُ عِمادٍ. وقيل: جمعُ: عَمُودٍ، فإنَّ العربَ تقولُ: عِمادُ البيتِ وعَمودُ البيت، وجمعُهما: عَمَدٌ بفتحتَينِ كأَدَمٍ وأَفَقٍ وأَهَبٍ[1]، وهو قليلٌ.

ابنُ عيسى: هو جسمٌ مُستطيلٌ يمنعُ المرتفِعَ أن يميلَ[2].

﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: ترونَها كذلك، فلا حاجةَ إلى بيانٍ.

وقيل: يعودُ إلى العَمَدِ، وفيه قولانِ:

أحدُهما: لها عمَدٌ غيرُ مرئيَّةٍ، وهي قدرةُ الله سبحانَه.

وقيل: هي جبلُ قافٍ، والسَّماواتُ مُقَبَّبةٌ عليه، وإنَّ خُضْرةَ السَّماءِ من جبلِ قافٍ[3].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ سبقَ بيانُه.

---

(١) إهاب وأَهَب، وأديم وأَدَم، وأَفيق وأَفَق. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٨).

(٢) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٧٥)، وابن الجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٣) بلا نسبة.

(٣) روي في هذا المعنى خبر عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه: «(ق) جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، خضرة السماء منه...» ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣١)، والنسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقصة جبل قاف من خرافات الإسرائيليات، وقد ذهب القرافي إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه ثم قال: «ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه». ذكر ذلك الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٢)، ثم قال: «والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس».

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: ذلَّلهما لِـمَا يُرادُ منهما تذليلَ الفرسِ للرُّكوبِ.

وقيل: سخَّرَهما لمنافعِ العبادِ.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لانقِضاءِ الدُّنيا، والأجلُ: الوقتُ المضروبُ لحدوثِ أمرٍ أو انقطاعِه.

ابنُ عبّاسٍ: ﴿يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يُريدُ: درجاتِهما ومنازِلـهما ينتَهيانِ إليها لا يتجاوَزانِها[1].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه وحدَه ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: يُبيِّنها ويُميِّزُ بعضَها عن بعضٍ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: كي تتفكَّروا فتعرِفُوا قدرتَه على البعثِ والإعادةِ.

* * *

(٣) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسَطَها طُولًا وعرضًا ليُثبِّتَ عليها أقدامَ الخلقِ.

واختلفوا في شكل الأرض فقيل: بسيطٌ، وقيل: كُرِيٌّ، والآيةُ حُجَّةٌ لمَن قالَ: بسيطٌ[2].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا ثوابتَ، من رسا الشَّيءُ: إذا ثبَتَ، وكانتِ الأرضُ تضطرِبُ، فخلَقَ الله الجبالَ أوتادًا فاستقرَّتْ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٨٥).

(٢) ذكر المصنف هذا الخلاف في كروية الأرض في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٥) ومال إلى أنها غير كروية، وقد أثبت العلم أن الأرض كروية، وليس في الآية ما ينافي ذلك، فإن المد يتعلق بما يعاينه الإنسان في محيطه الذي تبلغه حواسه، وهذا لا يظهر في الكروية لاتساع مساحة الأرض. وانظر: «تفسير الرازي» (١٣/ ٨٣).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان أبو قُبَيسٍ أوَّلَ جبلٍ وُضِعَ على الأرضِ[١].

و﴿رَوَٰسِيَ﴾: جمعُ راسيةٍ، والتَّاءُ للتَّأنيثِ؛ أي: جبلٌ راسٍ، وأجبُلٌ راسيةٌ، وجبالٌ رواسٍ، فجبالٌ جمعُ أجبُلٍ.

وقيلَ: التّاءُ للمُبالغةِ، كنسَّابةٍ وعلَّامةٍ[٢]، والأوَّلُ أولى.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: جمعُ نهرٍ، وهو مسيلُ الماءِ، من نهَرْتُ الشَّيءَ؛ أي: وسَّعتُه.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ أي: لونَينِ وضربَين؛ حُلوًا وحامِضًا، ومُرًّا وعَذْبًا، وحارًّا وبارِدًا، يُريدُ اختلافَ كلِّ جنسٍ منَ الثَّمرِ.

والزَّوجُ: واحدٌ، والزَّوجُ: اثنانِ[٣]، ولهذا قُيِّدَ ليُعلَمَ أنَّ المُرادَ بالزَّوجِ هاهنا: الفردُ، لا التَّثنيةُ فيكونَ أربعًا.

وخَصَّ اثنَين بالذِّكرِ ـ وإنْ كان من أجناسِ الثِّمارِ ما يزيدُ على ذلك ـ لأنَّه الأقلُّ؛ إذ لا نوعَ ينقصُ أصنافُه عن اثنَينِ[٤].

وقيلَ: ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: الشَّمسُ والقمرُ، وقيل: اللَّيلُ والنَّهارُ، على أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[٥].

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢)، وأبو عروبة الحراني في «الأوائل» (٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٢). ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا. وفيه: عبدُ الرحمن بنُ علِي بن عَجلان القرشيُّ، قال العقيلي: مجهولٌ.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره ذلك ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٧٠)، وقال ابن شميل: الزوج اثنان، أما الأصمعي قال لا يجيز أن يقال لاثنين من الحمام: زوج، ويقول: هما زوجان، واختار ذلك الأزهري. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ز و ج) (١١/ ١٠٦).

(٤) نقل أبو حيان كلام الكرماني هذا في «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

قولُه: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾، أي: يأتي باللَّيلِ في إثرِ النَّهارِ فيسترُه بظلامِه.

وقيل: يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ، ويُغشي النَّهارَ اللَّيلَ، فاكتَفَى بذكرِ أحدِهما.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ: أنَّ الاكتِفاءَ بأحدِهما إنَّما وقعَ لاحتمالِ أنَّ ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ ظرفٌ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾ مفعولٌ به، وأنَّ ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ ظرفٌ، و﴿ٱلَّيۡلَ﴾ مفعولٌ به[1].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

***

(٤) ـ ﴿وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾: ﴿قِطَعٞ﴾: جمعُ قِطْعةٍ، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾: مُتَدانياتٌ؛ بعضُها مُنبِتٌ طيِّبٌ[2]، وبعضُها سَبِخةٌ غيرُ مُنبِتٍ.

وقيل: ﴿قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾؛ أي: قرى[3] مُتَدانياتٌ بعضُها من بعضٍ.

﴿وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾: وبساتينُ من ثمرِ الكرمِ.

﴿وَزَرۡعٞ﴾ الزَّرعُ: إلقاءُ الحبِّ للنَّباتِ في الأرضِ.

﴿وَنَخِيلٞ﴾: جمعُ نخلةٍ ﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ الصِّنوانُ: النَّخلاتُ أصلُها واحدٌ، ﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾: المُتفرِّقاتُ، واحدُها: صِنْوٌ، ومثلُها: قِنْوٌ وقِنْوانٌ، وهو العِذْقُ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «بعض».

(٣) «قرى»: ليس في (و).

(٤) العَذق بالفتح: النخلة بحملها، وبالكسر: القنو منها. انظر: «القاموس المحيط» مادة: (ع ذ ق) (ص: ٩٠٧).

وقيل: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ وصفٌ للجنّاتِ؛ أي: أشكالٌ وغيرُ أشكالٍ[1]، والصِّنْوُ: الشَّكلُ. والأوَّلُ أكثرُ.

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: اختلافُ ألوانِ الماءِ وطُعومِه بالمُجاورةِ، والماءُ في أصلِه متَّحِدُ الوصفِ.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في الثَّمرِ، وهو خلاصةُ الشَّجرِ.

وهذا مثلٌ لبني آدمَ صالِحهم وطالِحهم وأبوهم واحدٌ[2].

وقيل: مثلٌ لقلوبِ بني آدمَ ينزلُ عليها تذكيرٌ واحدٌ فيرِقُّ بعضُها ويقسو البعضُ[3].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: دلالاتٍ لمَن يتفكَّرُ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ من إنكارِهم البعثَ والنُّشورَ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: إذا كنَّا تُرابًا نُبعثُ ونُحيى؟! وحُذِفَ لأنَّ قولَه: ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يدلُّ عليه.

وليس ﴿جَدِيدٍ﴾ بعاملٍ في (إذا)؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعملُ فيما قبلَه[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٤) نبه على ذلك الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٣٩).

واختلفَ القرَّاءُ في الاستفهامَين، وكتبُ القراءةِ أولى بهذه المسألةِ[١]، وتقديرُ الآيةِ: وإنْ تعجَبْ فقولُهم: أئِذا كنَّا تُرابًا إنَّا لفي خلقٍ جديدٍ عجَبٌ، فـ(القولُ): مبتدأٌ، و(عجبٌ): خبرُه.

واختلفُوا في وصفِ الله بالعجَبِ؛ فذهبَ قتادةُ إلى جوازِه[٢]، وأنكرَه غيرُه[٣]، وقالوا: إنَّما يكونُ العجبُ منَّا إذا شاهَدْنا ما لـم نُشاهِدْ مثلَه ولـم نعرِفْ سببَه، وهذا مُنتفٍ عن الله عزَّ وجلَّ، قالوا: والمعنى: فعَجَبٌ قولُـهم عندَكُم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ لأنَّهم أنكروا البعثَ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ هي جمعُ: غُلٍّ، والغُلُّ: ما يَجمعُ اليمينَ والعنُقَ في القيدِ والتَّعذيبِ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(٦) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: الاستِعجالُ طلَبُ التَّعجيلِ، والتَّعجيلُ: تقديمُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبةِ قبل العافيةِ، وهو اختيارُ كثيرٍ منَ المُفسِّرين.

وقال بعضُهم: بالشَّرِّ قبل الخيرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٢)، ولفظه: «إن عجبت يا محمد فعجب ﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٣) كشريح. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧).

وقيل: بالكفرِ قبل الإجابةِ.

ابنُ عيسى: يطلُبون ما يسوؤُهم منَ العذابِ قبلَ الإحسانِ بالإنظارِ[١].

وقيل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: بالعذابِ بقولِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقولِهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قيل: الحسنةُ: التَّوحيدُ؛ أي: الله يدعوهم إلى التَّوحيدِ ليُكرمَهم، وهم يستعجِلون بالعذابِ.

وقيل: السَّيِّئةُ: الشِّركُ، والحسنةُ: التَّوحيدُ.

وقيل: معنى ﴿قَبْلَ﴾ هاهنا: الوقتُ؛ أي: ويستعجِلونَك بالعذابِ وقتَ إحسانِ الله إليهم بتأخيرِه عنهم إلى يومِ القيامةِ[٢].

وقيل: معناه التَّفضيلُ[٣]؛ أي: تطلُبونَ العذابَ مُؤْثِرين له على ما تُوعَدون من الإحسانِ.

قال الشَّيخُ رحمه الله: ويحتملُ ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: دونَ الحسنة كما يُستعملُ (دونَ) بمعنى: قبل، نحوَ قولِه عليه السَّلامُ: «مَن قُتِلَ دونَ مالِه فهو شهيدٌ»[٤]، و: اخترِ الجودَ قبلَ البُخلِ؛ أي: دونَه[٥].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ قد مضَتْ وتقدَّمَتْ عقوباتُ الله بالأممِ الكافرةِ قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٤) رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، وعدَّه من العجائب.

الحسنُ: وقائعُ الله في الأممِ الخاليةِ[1].

واحدُها: مَثُلةٌ، نحو: صَدُقةٍ وصَدُقاتٍ، تقولُ: مَثَلَ به يمثُلُ مَثْلًا ـ بفتحِ الميمِ وسكونِ الثّاءِ ـ: إذا فعَلَ به فعلًا يُنكِّلُ به غيرَه، والاسمُ المَثُلةُ، ويجوزُ التَّسكينُ والنَّقلُ[2].

أبو عبيدةَ: هي الأمثالُ والأشباهُ والنَّظائرُ[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يريدُ: تأخيرَ العذابِ إلى يومِ الدِّينِ، لا غُفرانَ الذُّنوبِ، وقيل: هو كقولِه: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

قولُه: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ حالٌ ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ما لم يكُنْ شِرْكًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ بالتَّوبةِ منه[4].

وقيل: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: على الصَّغائرِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ يعني: على المُشركين.

***

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٥) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) فيقال: المَثْلة، والمُثْلة، وقد ذكر غير المصنف أنها تثقَّل فيقال: المُثُلة. انظر: «تاج العروس» مادة: (م ع ل) (٣٠/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٢٣)، وفيه: «﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ واحدتها: مثلة، ومجازها مجاز الأمثال»، وقال في (٢/ ١١٦): «﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [العنكبوت: ٤٣] مجازها: هذه الأشباه والنظائر نحتج بها».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٩٨) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠) بلا نسبة.

(٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ أي: هلَّا أُنزِلَ، يُريدُ: ما اقترحوا عليه منَ الآياتِ.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ﴾؛ أي: ليس عليك إلّا إبلاغُ الرِّسالةِ وإنذارُ الكفَّارِ وتبشيرُ المُؤمنين، ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ يهدي إلى الطّاعةِ، وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الهاديَ هو المُنذرُ وهو النَّبيُّ عليه السَّلامُ؛ أي: أنت مُنذرٌ وهادٍ لكلِّ قومٍ.

والثّاني: الهادي هو الله تعالى؛ أي: والله هادٍ لكلِّ قومٍ، ورُوِيَ عن بعضٍ الوقفُ على قولِه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ﴾، فيكونُ المبتدأُ متأخِّرًا لا مُضمَرًا[1].

والثّالثُ: عامٌّ؛ أي: ولكلِّ أمَّةٍ نبيٌّ بُعِثَ إليهم يهديهم بما يُعطيه الله منَ الآياتِ، لا بما يتحكَّمون فيه وعليه.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾: داعٍ إلى الحقِّ[2]، وهو منَ القولِ الثّالثِ.

---

(١) ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦١)، ولم أقف على من ذكر هذا الوقف في كتب الوقف والابتداء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٥)، من طريق علي بن أبي طلحة دون قوله: «إلى الحق».

وروى عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٥) من طريق عكرمة كالقول الأول، ولفظه: «﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ قال: هو المنذرُ وهو الهادِ».

وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٠) من طريق العوفي كالقول الثاني، ولفظه: «أنت يا محمد منذر، وأنا هادي كل قوم».

والرّابع: حكاه الثَّعلبيُّ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: هو[١] عليٌّ رضي الله عنه[٢].

***

(٨) - ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ منَ العددِ، الذَّكرِ والأنثى، والصُّورةِ والشَّكلِ، والسَّعادةِ والشَّقاوةِ.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾: (غاضَ) لازمٌ ومُتعدٍّ؛ فإنْ جعلتَه اللّازمَ فـ﴿مَا﴾ للمصدرِ؛ أي: وغَيْضَ الأرحامِ وازديادَها، وإن جعلتَه المُتعدِّيَ فتقديرُه: وما تَغيضُه الأرحامُ؛ أي: وما تنقصُه.

والمُرادُ بالنُّقصانِ: السِّقْطُ والخديجُ، وبالازديادِ: التَّمامُ.

وقيل: نُقصانُ مدَّةِ الحملِ، فيأتي لستَّةِ أشهرٍ، وازديادُ مدَّةِ الحملِ فيأتي لسنتَينِ، وقيل: أكثرَ.

وقيل: نقصانُ دمِ الحيضِ وازديادُه.

وقيل: الحبَلُ والحيالُ[٣].

وقيل: كلَّما حاضَتْ على حملِها يومًا ازدادَتْ في طُهرِها يومًا حتى تستكملَ تسعةَ أشهُرٍ طهرًا[٤]. ومعنى حاضَتْ على حملِها: رأت دمًا.

---

(١) في (ن): «وهو».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٢٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا. قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢): «هذا الحديث فيه نكارة شديدة». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) حَالَت تَحُولُ حِيَالًا: إذا وُطئت فلم تحْمِل، فهي حَائِل. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٠٧)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٥٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، وعدَّه من العجائب.

قال الشَّيخُ: ويحتملُ: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ عن الواحدِ بالإسقاطِ والإخلاجِ، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على[1] الواحدِ والاثنين[2].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ من غَيضِ الأرحامِ وازديادِها.

وقيل: طولِ الجنينِ وعرضِه وحياتِه وموتِه ورزقِه وأجلِه.

وقيل: عامٌّ.

***

(٩) ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غابَ عن العبادِ فلا اطِّلاعَ لهم عليه، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما عايَنُوه وعلِمُوه، لا يخفَى على الله من ذلك شيءٌ.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: عظيمُ الشَّأنِ ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ عن المكانِ والزَّمانِ، وعمَّا يقولُ الظَّالمون.

***

(١٠) ـ ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾: مَن أضمرَ معنى القولِ في نفسِه من غيرِ لفظٍ ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: رفعَ الصَّوتَ بالقولِ، ومعنى: ﴿سَوَآءٌ﴾: ذو سواءٍ؛ لأنَّه مصدرٌ، والمعنى: مُستويانِ؛ أي: المُسِرُّ والمُجاهِرُ سواءٌ.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: مُتَوارٍ، وهو الذي يطلُبُ الخفاءَ كي لا يُرى، و﴿بِٱلَّيْلِ﴾ ظرفٌ؛ أي: في اللَّيلِ[3].

---

(١) في (و): «عن».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، واستغربه.

(٣) وهذا على مذهب الكوفيين الذين يرون أن حروف الجر تتعاور، وقد تقدمت الإشارة إلى مذهبهم.

قال الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّه للآلةِ؛ أي: يستتِرُ به[١].

﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: ظاهرٌ خارجٌ، من سرَبَ سُروبًا: إذا خرَجَ وبرزَ.

وقيل: السّارِبُ: السّائرُ، من سرَبَ الماءُ: إذا خرَجَ منَ الخُرْزةِ.

وقيل: يُخفي عملَه باللَّيلِ ويُظهِرُه بالنَّهارِ.

وقيل فيهما[٢] على الضِّدِّ[٣]، والمُستَخفي من خفَيتُ الشَّيءَ: أظهرتُه، والمُختَفي النَّبَّاشُ من هذا، والسَّارِبُ الدَّاخلُ في السَّرَبِ.

***

(١١) ـ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ الهاءُ تعودُ إلى ﴿مَّنۡ﴾، وقيلَ: إلى الله تعالى.

والمُعقِّباتُ: جمعُ (مُعقِّبةٍ)، بُنِيَ على (فَعَّلَ) للمُبالغةِ، وأصلُه من عَقَبَه يعقُبُه: إذا جاء بعدَه، وهم الحفظةُ الكرامُ البَرَرةُ، على كلِّ إنسانٍ ملكانِ باللَّيلِ وملكانِ بالنَّهارِ، وقيل: عشرةٌ باللَّيلِ وعشرةٌ بالنَّهارِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ ومجاهدٍ: هم الحرسُ والرِّجالُ يتعقَّبون على الأمراءِ[٤].

---

(١) وهذا على مذهب البصريين الذين يرون أن لكل حرف معنى خاص، ومعنى الباء عندهم الاستعانة.

(٢) في (ن): «فهما».

(٣) أي: يظهر عملة بالليل، ويخفيه بالنَّهار.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٠) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «ذكر ملكاً من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٩) من طريق جويبر عن الضحاك عنه بلفظ: «يعني بالمُعقِّبات: الملوكَ الذين يَتَّخذون الحرَسَ».

عكرمةُ: هم الجَلاوِزةُ(١).

قولُه: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾؛ أي: قُدَّامَه ووَراءَه.

﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ ما لم يجِئِ القدَرُ، فإذا جاء القَدَرُ خلَّوا بينَه وبينَه(٢).

وقيل: يحفظونَه منَ المخلوقاتِ كالعقاربِ والحيَّاتِ، وكلُّها من أمرِ الله(٣).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: له مُعقِّباتٌ من أمرِ الله، كما تقولُ: له غلامٌ يحفظُه مِن مصرَ(٤)، وهذا أظهر(٥).

وقيل: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: بأمرِه، وهو معنى قولِ مَن قالَ: ﴿مِنۡ﴾ لابتداءِ الغايةِ؛ أي: ابتداءُ حفظِهم إيَّاه منَ الله.

ومَن فسَّرَ المُعقِّباتِ على الحرسِ والرِّجالِ والجَلاوِزةِ فقولُه: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ على زَعمِه أو زَعمِهم.

وقيل: الهاءُ في ﴿لَهُۥ﴾ يعودُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٣٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦١) بلفظ: «المواكب من بين يديه ومن خلفه». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، وعدَّه من العجائب. والجلاوزة: جمع جلواز، وهو الشرطي. انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٦٩) مادة: (ج ل ز).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، واستغربه.

(٤) اختلفت النسخ الخطية في هذا الموضع؛ ففي (ن): «ممن يضرُّه»، وفي (و): «من بصره»، وفي (ط): «من مصر»، وهذا الأقرب؛ فما في (ن) مستقيم اللفظ، ولكن ليس فيه تقديم وتأخير، وما في (و) غير واضح، وهو كذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢) ولعله: «من مِصرِه»، والله أعلم.

(٥) «وهذا أظهر» ليس في (و).

مُعقِّباتٌ منَ الله يحفظونَه عنِ الأعداءِ، وذلك حين همَّ به أَرْبَدُ وعامرٌ فكفاهما الله[١]، ويأتي ذكرُهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾؛ أي: لا يسلبُ ما أعطاهم منَ النِّعمةِ والعافيةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ منَ الأحوالِ الجميلةِ والطّاعةِ، فيعصُون الله ويظلِمون النَّاسَ، والمعنى: لا يُغيِّرُ الله ذلك حتَّى يكونوا هم يُغيِّرونه بالمعصيةِ وتركِ الشُّكرِ.

وقال النَّحَّاسُ: لا يُغيِّرُ ما بقومٍ مؤمنين صالحين فيُسمِّيهم كافرين فاسقين إلّا أن يفعلوا ما يُوجِبُ ذلك، ولا يأمرُ بإذلالِهم إلّا أن يُغيِّروا ما بأنفُسِهم[٢].

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ عذابًا وعقابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: فلا يدفعُه شيءٌ ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: من دونِ الله ﴿مِن وَالٍ﴾ يلي أمرَهم وينصرُهم، وهو اسمُ الفاعلِ من: وَلِيَ يلي؛ إذا تولَّى تدبيرَ شيءٍ، والوليُّ بمعناه.

***

(١٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ هو لَمْعٌ كعمودِ النّارِ يَنْقدحُ منَ السَّحابِ ﴿خَوْفًا﴾ للمُسافرِ من أذاه ﴿وَطَمَعًا﴾ للمُقيمِ في الرِّزقِ به.

وقيل: خوفًا منَ الصَّواعقِ التي تكونُ مع البرقِ، وطمعًا في الغيثِ.

ونصبُهما يحتمِلُ وجهَين:

---

(١) في (و): «وكفاهما بالله». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، واستغربه، وفيه: «فكفاه الله».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢١)، وقد روى النحاس معناه عن مجاهد في «معاني القرآن» (١/ ٢٧٢).

أحدُهما: المصدرُ وقعَ موقعَ الحالِ؛ أي: خائفين طامعين؛ كقولِه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والثّاني: المفعولُ له؛ أي: إخافةً وإطماعًا؛ كما تقولُ: فعلتُ ذلك رَغْمًا للشَّيطانِ؛ أي: إرغامًا له(١).

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾: الغيمَ المُنسحِبَ في الهواءِ ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ بالماءِ.

***

(١٣) ـ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرَّعدُ: ملَكٌ مُوكَّلٌ بالسَّحابِ، وقيل: الرَّعدُ: صوتُه. وجاءَ في الحديثِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ كانَ إذا سمعَ الرَّعدَ قال: «سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِه»(٢).

وعن(٣) ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: مَن سمعَ صوتَ الرَّعدِ فقال: سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفَتِه وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فإنْ أصابَتْه صاعقةٌ فعليَّ دِيَتُه(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، واستغربه، وهذا القول مبني على أن المفعول لأجله لا يكون إلا للفعل المبتدي. انظر: «إتحاف الحثيث» للعكبري (ص: ٢٨٥)، و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» (٢/ ١٤٥)، و«شرح الحدود» للفاكهي (١٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٧) من رواية إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة. وقد صح موقوفًا كما رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣) عن عبد الله بن الزبير.

(٣) «وعن» ليست في (ن).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٦٥)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٢٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٥١).

وقيلَ: الرَّعدُ: صوتُ أجرامِ السَّحابِ، وتسبيحُه: دلالتُه على وحدانيَّةِ الله تعالى[١]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾؛ أي: وتُسبِّحُ الملائكةُ من خوفِ الله، وقيل: من خيفةِ الرَّعدِ، حكاه الماوَرْدِيُّ[٢].

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ بعثَ رجلًا مرَّةً إلى رجلٍ من فراعنةِ العربِ فقال: «اذهَبْ إليه فادعُه لي» فقال: يا رسولَ الله، إنَّه أعتى من ذلك، قال: «اذهَبْ فادعُه لي»، قال: فذهَبَ إليه فقال: يدعوكَ رسولُ الله عليه السَّلامُ، فقال: وما اللهُ؟ أمِن ذَهَبٍ هو أو فضَّةٍ أو من نُحاسٍ؟ قال: فرجعَ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ فأخبرَه وقال: قد أخبرتُكَ أنَّه أعتى من ذلك، قالَ لي كذا وكذا، فقال: «ارجِعْ إليه الثَّانيةَ فادعُه»، فرجعَ إليه فأعادَ عليه مثلَ الكلامِ الأوَّلِ، ورجعَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فأخبرَه، فقال: «ارجِعْ إليه»، فرجعَ إليه الثَّالثةَ فأعادَ عليه ذلك الكلامَ، فبينا هو يُكلِّمُه إذ بعثَ الله سُبحانَه حِيالَ رأسِه سحابةً، فرعَدَتْ فوقعَتْ منها صاعقةٌ فذهبَتْ بقِحْفِ رأسِه، فأنزلَ الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[٣].

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ هذه الآيةُ والتي قبلَها في عامرِ بنِ الطُّفَيلِ وأَرْبَدَ بنِ ربيعةَ، وذلك أنَّهما أقبلا يُريدانِ رسولَ الله عليه

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٤)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٠١).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٧٠٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٦) عن أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف».

السَّلامُ، فقال رجلٌ من أصحابِه: يا رسولَ الله، هذا عامرُ بنُ الطُّفيلِ قد أقبلَ نحوَكَ فقال: «دَعْه فإنْ يُرِدِ الله به خيرًا يَهْدِه»، فأقبلَ حتَّى قامَ عليه، فقالَ: يا محمَّدُ؛ ما لي إنْ أسلَمْتُ؟ قال: «لك ما للمُسلمين وعليكَ ما عليهم» قال: تجعلُ لي الأمرَ بعدَكَ؟ قال: «لا، ليس ذلك إليَّ، إنَّما ذلك إلى الله يجعلُه حيثُ يشاءُ»، قال: فتجعلُني على الوبرِ وأنتَ على المدَرِ؟ قال: «لا»، قال: فماذا تجعلُ لي؟ قال: «أجعلُ لك أعِنَّةَ الخيلِ تغزُو عليها»، قال: أوَلَيس ذلك إليَّ اليومَ؟! وكانَ أوصى إلى أَرْبَدَ إذا رأيتَني أُكلِّمُه فدُرْ من خلفِه فاضرِبْه بالسَّيفِ، فدارَ أَرْبَدُ ليضرِبَه فاخترَطَ من سيفِه شبرًا، ثمَّ حبَسَه الله فلم يقدِرْ على سلِّه، فجعلَ عامرٌ يُومِئُ إليه، فالتَفَتَ رسولُ الله عليه السَّلامُ، فرأى أَرْبَدَ وما يصنعُ بسيفِه، فقالَ: «اللَّهمَّ اكفِنيهما بما شِئْتَ»، فأرسلَ الله على أَرْبَدَ صاعقةً في يومٍ صائفٍ صاحٍ فأحرَقَتْه، وولَّى عامرٌ هارِبًا وقال: يا محمَّدُ، دَعَوْتَ ربَّك فقتَلَ أَرْبَدَ، والله لأملأنَّها عليك خيلًا جُرْدًا وفِتيانًا مُرْدًا، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «يمنعُكَ اللهُ من ذلك وابنا قَيْلَةَ» يُريدُ: الأوسَ والخزرجَ، فنزلَ عامرٌ بيتَ امرأةٍ سلوليَّةٍ، فلمَّا أصبحَ ضمَّ عليه سلاحَه، وخرجَ وهو يقولُ: واللّاتِ لَئِنْ أصحَرَ محمَّدٌ إليَّ وصاحبُه ـ يعني: ملكَ الموتِ ـ لَأنفذَنَّهما برُمحي، فلمَّا رأى الله ذلك منه أرسلَ ملَكًا فلَطَمَه بجناحِه، فأذراه في التُّرابِ وخرجَتْ على رُكبتِه غُدَّةٌ عظيمةٌ في الوقتِ، فعادَ إلى بيتِ السَّلوليَّةِ وهو يقولُ: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعيرِ، وموتٌ في بيتِ سلوليَّةٍ، ثمَّ ماتَ على ظهرِ فرسِه، وأنزَلَ اللهُ فيه هذه الآيَةَ[1].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٩١٢٧) من طريق عبد العزيز ابن عمرانَ، عن عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلَمَ، عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف». =

والصَّواعقُ: جمعُ صاعقةٍ، وهي نارٌ تسقطُ من شدَّةِ البرقِ تحرقُ ما أصابته، وتُستعملُ أيضًا في الأمرِ الشَّديدِ المُهلِكِ.

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ الجدالُ: التَّشدُّدُ في الخصومةِ، مشتقٌّ منَ الجَدْلِ، وهو الفَتْلُ.

وقيل: الجدالُ: المُصارعةُ، مشتقٌّ من الجَدالةِ، وهو وجهُ الأرضِ.

وجِدالُهم في الله: دَفعُ الإيمانِ به.

الحسنُ: جِدالُهم في الله: مُجادَلتُهم لرسولِ الله في عبادتِهم الأوثانَ(١).

والواوُ يصلُحُ للحالِ، ويصلُحُ لعطفِ الجملةِ على الجملةِ.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: والله شديدُ القوَّةِ، وقيل: شديدُ الغضبِ، وقيل: شديدُ الأخذِ والانتقامِ، وقيل: شديدُ العداوةِ، وقيل: شديدُ الإهلاكِ بالمَحْلِ، وهو القَحْطُ، حكاه أقضى القُضاةِ(٢).

وفي الميمِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الميمَ أصلٌ، تقولُ: محَلَ به؛ إذا عرَّضَه للهلاكِ، وكذلك: ماحلَه مِحالًا.

والثَّاني: أنَّ الميمَ زيادةٌ، والكلمةُ(٣) منَ الحولِ والحيلةِ، وهو مرويٌّ عن ابنِ

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٧ - ٤٧٠) عن عبد الرحمن بن زيد أسلم، و(١٣/ ٤٨١ - ٤٨٢) عن ابن جريج. وكلاهما مرسل.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٦) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح (وتسمى سلسلة الكذب) عن ابن عباس.

(١) هو مستفاد من كلام الحسن. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٥٥) و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٠٢).

(٣) في (ن): «في الكلمة».

عبّاسٍ وقتادةَ وغيرِهما[1]، ولعلَّهم عنَوا به معنى المِحالِ لا لفظَه؛ فإنَّ هذا عند النُّحاةِ فاسدٌ؛ لأنَّ مِفعَلًا ومِفعالًا يصحَّانِ كالمِخْيَطِ والمِقْوَدِ والمِحْوَرِ[2].

***

(١٤) - ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: لا إلهَ إلّا اللهُ؛ أي[3]: هو المُستحِقُّ للدُّعاءِ، ودعاءُ غيرِه باطلٌ، وإضافتُه كـ«ثوب خزٍّ»[4].

وقيلَ: دعوةُ الطَّلبِ الحقِّ؛ أي: مرجوُّ الإجابةِ؛ ودعاءُ غيرِ الله لا يُجابُ، وهو قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «شديد الحول»، وعن قتادة بلفظ: «شديد الحيلة». وقال: «وقولاهما يدلان على أنهما كانا يقرآن: (وهو شديد المَحال) بفتح الميم؛ لأن (الحيلة) لا يأتي مصدرها (مِحالاً) بكسر الميم، ولكن قد يأتي على تقدير المَفْعَلة منها، فيكون (مَحالة)، ومن ذلك قولهم: «المرء يعجز لا محالة»، والمَحالة في هذا الموضع: المَفعلة من الحيلة، فأما بكسر الميم فلا تكون إلا مصدراً من ماحلت فلاناً أماحله محالاً، والمماحلةُ بعيدة المعنى من الحيلة، ولا أعلم أحداً قرأه بفتح الميم...».

وهذا القول ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٤)، وجعله من الغريب العجيب، واستبعده معللاً ذلك بما سيأتي.

(٢) أما تصحيح مِفعال فلأن ما بعد الياء ساكن، وأما تصحيح مِفْعَل فلأنه منقوص منه. انظر: «المنصف» لابن جني (ص: ٣٢٣).

(٣) «أي» من (ن).

(٤) أي: من الاسم إلى جنسه، والبعض إلى الكل. انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٤)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٥٣).

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أنَّ الذين يدعونَ هم الكفَّارُ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: يدعونَ الأصنامَ، وقولُه: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ﴾ يعودُ إلى الأصنامِ كما سبقَ.

والثّاني: أنَّ قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ للأصنامِ، و﴿يَدۡعُونَ﴾ للكفَّارِ، والضَّميرُ محذوفٌ؛ أي: يدعونَهم.

فـ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾ خبرُ ﴿الّذين﴾ في الوجهَينِ؛ أي: لا يفعلونَ شيئًا ممَّا يُسألون.

وقولُه: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾ الاستثناءُ منَ الاستجابةِ؛ أي: لا يستجيبُ الصَّنمُ إلّا كاستجابةِ الماءِ داعيَه، وهذا مَثَلٌ؛ أي: عابدُ الصَّنمِ وراجيهِ[1] كمَن يُشيرُ إلى الماءِ ليبلُغَ فاه، والماءُ غيرُ بالغٍ فاه بدعائِه إيّاه إلّا أن يغترفَ بيدِه أو بإنائِه.

وقيل: كالماءِ في البئرِ بلا دلوٍ ولا رِشاءٍ، يريدُ أن يتناولَه بكفَّيه فلا ينالُه.

وقيل: كالقابضِ على الماءِ فلا محصولَ له.

وقيل: كباسطِ كفَّيه إلى الماءِ فلا يحصُلُ في كفَّيه ما لم يقبِضْهما ويجمعُ الأناملَ.

وقيل: كمَن كرَبَه الموتُ عطشًا وكفَّاه في الماءِ فلا يقدرُ على شُربِه.

وقيل: كمَثَلِ العطشانِ ينظرُ في خيالِه في الماءِ، وهو يريدُ أن يتناولَه فلا يقدرُ.

والمعنى: أنَّ الصَّنمَ لا يُجيبُهم كما لا يُجيبُ الماءُ مَن دَعاه.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ اللهَ ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾؛ فإنَّ أصواتَهم محجوبةٌ عنِ الله تعالى.

وقيلَ: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الأصنامَ ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ لا يُجدي شيئًا.

---

(١) في (و): «وداعيه».

(١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ سجودَ تعبُّدٍ وانقيادٍ ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: ﴿طَوۡعٗا﴾: سجودُ الملائكةِ والمؤمنين، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: مَن أُكرِهَ على الإيمانِ.

وقيل: الطَّواعيةُ والكراهيةُ في سجودِ أهلِ الأرضِ، فإنَّ مَن في السَّماواتِ يسجُدون طوعًا، وقيل: طَبعًا.

وقيل: المُرادُ بالسُّجودِ كَرْهًا: قهرُ الله الأشياءَ لما[1] أرادَ منهم، وإنْ لم يسجُدوا سجودَ عبادةٍ.

﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾؛ أي: وتسجدُ ظِلالُهم: جمعُ الظِّلِّ، وهو ما سترَ الشَّيءَ عن شُعاعِ الشَّمسِ، يقصُرُ مرَّةً ويمتدُّ أُخرى، وظلُّ الكافرِ يسجدُ طوعًا وهو كارهٌ، وظلُّ المؤمنِ يسجدُ طوعًا وهو طائعٌ.

وقيل: ظلُّ كلِّ شيءٍ من كلِّ جنسٍ يسجدُ لله.

قولُه: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ قال الفرَّاءُ: هو مصدرٌ ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ جمعٌ[2]، كقولِه: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] العشيُّ: اسمٌ، والإبكارُ مصدرٌ.

وقيل: الغُدُوُّ: جمعُ غداةٍ، كقُنِيٍّ وقَناةٍ، والآصالُ جمعُ: أصيلٍ.

وقيل: جمعُ أُصُلٍ، وأُصُلٌ جمعُ أصيلٍ، وهو ما بينَ العصرِ إلى المغربِ.

وقيل: ظلالُهم: أشخاصُهم[3]. وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ للقلوبِ، والثَّانيَ للأشخاصِ.

* * *

---

(١) في (ن): «كما»، وهو تحريف.

(٢) نقله عن الفراءِ النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٧٠٢)، لكنهما ذكرا عنه أن الآصال واحدها أُصُل، وواحد الأُصُل: أصيل. وهو قول سيذكره المصنف قريبًا.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٥)، واستغربه.

(١٦) ـ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمَّدُ للكفَّارِ: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ استفهامُ تقريرٍ واستنطاقٍ، فإنَّهم يقولون: اللهُ، فإذا قالوها ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هو اللهُ كما قلتُم.

وقيل: فإنْ أجابوكَ وإلّا فقُل: اللهُ؛ إذ لا جوابَ غيرُ هذا.

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم ﴾ استفهامُ إنكارٍ على شركِهم بعدَ إقرارِهم، والمعنى: أعدَدْتُم لمَنافعِكُم ودَفعِ مضارِّكُم ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هذا مثلٌ ضربَه اللهُ لمَن يعبدُ الأصنامَ ولمَن يعبدُ اللهَ؛ أي: ليسا بسواءٍ.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾: الشِّركُ والإيمانُ ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قيل: هي المُنقطِعةُ، والمعنى: بل أجعَلُوا لله شركاءَ؟ وقيل: المُعادِلةُ؛ لتقدُّمِ الاستفهامِ.

وقولُه: ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾: خلقُوا مثلَ ما خلقَ اللهُ ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: اشتبهَ مخلوقُ الله بمخلوقِ الشُّركاءِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: خالقُ الأجسامِ والأعراضِ، فيدخلُ فيه أفعالُ العبادِ، ومَن أثبتَ للعبادِ فعلًا فقد فعلوا كفِعلِه وصنَعُوا كصُنعِه[١].

﴿وَهُوَ﴾: اللهُ ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ المُنفرِدُ بالخلقِ والإحداثِ ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾: يقهرُ كلَّ شيءٍ بقُدرتِه.

---

(١) هذا ردّ على المعتزلة، وأهل السنة على أنها من خلق الله. انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤١٥)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ٩١)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ٩٢)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٩٢)، وكتابُ الإمام البخاري «خلق أفعال العباد» عمدةُ هذا الباب.

(١٧) - ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.

﴿أَنزَلَ﴾؛ أي: أنزلَ الواحدُ القهَّارُ، وهو اللهُ سبحانه ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السَّحابِ، وقيل: من جانبِ السَّماءِ ﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾: جمعُ وادٍ، وهو الموضعُ الذي يسيلُ فيه الماءُ بكثرةٍ.

﴿بِقَدَرِهَا﴾ في الصِّغَرِ والكِبَرِ.

والقَدَرُ: اتِّزانُ الشَّيءِ بغيرِه من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ.

الزَّجَّاجُ: ﴿بِقَدَرِهَا﴾: ما قُدِّرَ لها من مَلْئِها، قال: ويجوزُ بقَدَرِ مَلْئِها(١).

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾: دفَعَ، وأصلُه: الحَمْلُ على الظَّهرِ.

﴿زَبَدًا﴾ ابنُ عيسى: الزَّبَدُ: وَضَرُ الغليانِ وخَبَثُه(٢).

والمعنى: علاهُ زَبَدٌ، ومعنى: ﴿رَّابِيًا﴾: عاليًا. ابنُ عيسى: زائدًا بانتِفاخِه(٣).

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ هذا مَثَلٌ ضربَه الله للقرآنِ والقلوبِ والحقِّ والباطلِ، فالماءُ هو مَثَلُ القرآنِ لِمَا فيه من حياةِ القلوبِ وبقاءِ الشَّرعِ والدِّينِ، والأوديةُ مَثَلُ القلوبِ، ومعنى(٤): ﴿بِقَدَرِهَا﴾ على سَعةِ القلبِ وضِيقِه، فمنها ما انتَفَعَ به وحفِظَه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٤٥). والأول من وجهي الزجاج ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، لكن المصنف لم ينسبه ثمة.

(٣) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، واستغربه.

(٤) في (و): «والمعنى»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦).

ووَعاهُ فتدبَّرَ فيه، فظهرَتْ ثمرتُه وأدركَ تأويلَه ومعناه، ومنها دونَ ذلك بطبقةٍ، ومنها دونَه بطبقاتٍ، والزَّبَدُ مَثَلُ الشُّكوكِ والشُّبَهِ وإنكارِ الكافرين أنَّـه كلامُ الله ودَفعِهم إيَّاه، والماءُ الصَّافي المُنتفَعُ به مَثَلُ الحقِّ.

ثمَّ قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ يُريدُ: الفِلزَّاتِ كالذَّهبِ والفِضَّةِ والرَّصاصِ والصُّفرِ والنُّحاسِ، ومعنى: ﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾: يُلقُونَ الحطَبَ في النَّارِ تحتَه ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلَبَ حُليٍّ، هو الذَّهبُ والفِضَّةُ يُتَّخَذُ منهما حِلْيَةُ السَّيفِ والمركبِ والدَّوابِّ وحليةُ النِّساءِ[1] ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ كالرَّصاصِ والنُّحاسِ والصُّفرِ، منها تُتَّخَذُ الأواني وما يُتَّمتَّعُ به في السَّفرِ والحضَرِ.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: خَبَثٌ؛ يُريدُ: لهذه الفِلزَّاتِ إذا أُغلِيَتْ زَبَدٌ مثلُ زبَدِ الماءِ.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾؛ أي: يضربُ الله مثَلَ الحقِّ والباطلِ.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: باطِلًا، من قولِهم: جَفَأَتِ القِدْرُ وأجْفَأَتْ: إذا رَمَتْ زبَدَها عندَ الغَلَيانِ، وجَفَأْتُ الرَّجُلَ: صَرَعْتُه، وبناءُ (فُعال) مـمَّا يُرمَى ويُطَّرَحُ[2].

وقيل: جَفَأَ الوادي وأَجْفَأَ: إذا نَشِفَ[3].

مُجاهدٌ: ﴿جُفَآءً﴾: جُمُودًا[4]. لأنَّه يجتمِعُ على الماءِ، ويجمُدُ حتَّى يذهبَ به الماءُ.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ منَ الماءِ والحُليِّ والأواني ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يشربُ منه الحيوانُ ويُزرَعُ به، فيكونُ منه معاشُ الخلقِ، وانتفاعُ النَّاسِ بالأمتعةِ والحُليِّ ظاهرٌ.

---

(١) في (و): «الدنيا».

(٢) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٤٦): «وزعم البصريون والكوفيون جميعاً أن ما كان مثل القماش والقمام والجفاء، فهذه الأشياء تجيء على مثال فُعال».

(٣) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٠) بلفظ: «جموداً في الأرض».

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ أي: كما بيَّنَ هذا بضربِ المثَلِ كذلك يُبيِّنُ الله سائرَ المُشكلاتِ، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ.

***

(١٨) ـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: أجابُوا وآمنُوا، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّةُ، وقيل: تضاعُفُ الحسناتِ، وقيل: الحياةُ والرِّزقُ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾؛ أي: كفرُوا به ولـم يُؤمِنُوا ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ أي: لو ملَكُوا أموالَ الدُّنيا وملَكُوا معها مثلَها ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾: لبذَلُوه ليدفَعُوا عن أنفُسِهم عذابَ الله، وتقديرُه: لو أنَّ لهم ما في الأرضِ جميعًا ومثلَه وقُبِلَ الفِداءُ لافتدَوا به.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المُناقشةُ فيها، و«مَن نُوقِشَ الحسابَ هلَكَ»(١).

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: أن لا تُغفَرَ سيِّئاتُهم، ولا تُقبلَ حسناتُهم.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: الذي معه التَّوبيخُ والتَّقريعُ.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: شدَّةُ العذابِ، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾: الجزاءُ وإعطاءُ الاستِحقاقِ.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المُقايَسةُ بالأعمالِ.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مرجِعُهم إلى النَّارِ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المُستقَرُّ، والمكانُ المذمومُ محذوفٌ؛ وهو جهنَّمُ.

***

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٨٧٦) والإمام أحمد (٢٥٥١٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(١٩) ـ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾: (ما) بمعنى: الذي، و﴿الْحَقُّ﴾ خبرُه، والمُراد به: القرآنُ.

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عمَى القلبِ، لا يتنبَّه على رشدِه بالقرآنِ، وقيل: كمَن أنكرَ القرآنَ فجرَى مَجرى العميانِ.

نزلَتْ بمكَّةَ في حمزةَ وأبي جهلٍ[١]؛ أي: هما لا يستويانِ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوو العقولِ، ولُبُّ كلِّ شيءٍ: أفضَلُ ما فيه.

***

(٢٠) ـ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَٰقَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَٰقَ﴾: ما عُهِدَ إليهم يومَ الميثاقِ.

وقيل: ما عُهِدَ إليهم في الكتبِ المُتقدِّمةِ.

وقيلَ: ما في جبلَّتِهم وعقولِهم.

قتادةُ: إنَّ الله تعالى لم يتقدَّمْ في ذنبٍ ما تقدَّمَ في نقضِ هذا الميثاقِ، لقد ذكرَه في بضعٍ وعشرينَ آيةً تَقْدِمةً ونصيحةً وعِظةً[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٧)، بلفظ: «فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدَّم فيه أشد التَّقْدمة، فذكره في بضع وعشرين موضعًا، نصيحةً لكم وتقدِمَةً إليكم، وحجة عليكم، وإنما يعظُمُ الأمر بما عظَّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظِّموا ما عظم الله».

(٢١) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ قيل: الرَّحِمُ، وقيل: نُصرةُ المُؤمنين، وقيل: صِلةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقيل: الإيمانُ بجميعِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ من غيرِ تفريقٍ بينَهم في النُّبوَّةِ.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: يخافون عِقابَه، وقيل: ﴿يخشون رَبَّهُمْ﴾: يُعظِّمونَه.

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: شديدَه، وقد سبقَ.

***

(٢٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: طلَبَ رِضا الله، وقيل: طلَبَ تعظيمِ الله.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: الزَّكاةَ وسائرَ مُواساةِ المُسلمين ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: مُسرِّينَ الإنفاقَ ومُعلنينَ له ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾؛ أي: يُجازُونَ الإساءةَ إليهم بالإحسانِ منهم كما قال:

يَجْزُونَ مِن ظُلمِ أهلِ الظُّلمِ مَغْفِرةً ... ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا[1]

وقيل: يدرَؤُونَ بالتَّوبةِ الذَّنبَ.

وقيل: يدفَعُونَ العذابَ بالصَّدقةِ.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: العاقبةُ الحسنةُ، وقيل: ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: الجنَّةُ، وقيل:

(١) نسب البيت لقريط بن أنيف أحد بني العنبر، كما في «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (١/ ٥)، و«المقاصد النحوية» للعيني (٣/ ١٠٥٨)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٧/ ٤٤١).

عُقبى الشَّيءِ[1]: مُنتَهاه؛ أي: كانت لهم بعدَ دارِ الدُّنيا ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ فهي بدلٌ من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

***

(٢٣) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: دارُ إقامةٍ، وقد سبقَ.

﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾؛ أي: هم ومَن صلَحَ، وأجازَ الزَّجَّاجُ أن يكونَ مفعولًا معه[2].

ووصفَهم بالصَّلاحِ ليُعلمَ أنَّ مُجرَّدَ النَّسبِ لا يُغني.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

***

(٢٤) ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾؛ أي: يقولونَ: سلامٌ عليكم، وقيل: هي بشارةٌ بدوامِ السَّلامةِ.

﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾؛ أي: بدَلَ صبرِكُم، والباءُ يجوزُ أن تكونَ مُتَّصلةً بالسَّلامِ، ويجوزُ أن تكونَ مُتَّصلةً بـ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾.

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾؛ أي: الجنَّاتُ.

---

(١) في (و): «الدار».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٤٧)، وعبارته: «موضع (من) رفع، عطف على الواو في قوله: (يدخلونها) وجائز أن يكون نصباً، كما تقول: قد دخلوا وزيداً؛ أي: مع زيد».

(٢٥) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ سبق تفسيرُه.

وقالَ عليه السَّلامُ: «إذا لم تمشِ إلى ذي رَحِمِك برِجلِكَ، ولم تُعطِه من مالِكَ، فقد قطَعْتَه»(١).

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفرِ والظُّلمِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: الإبعادُ من الرَّحمةِ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ يعني: جهنَّمَ ونَكالَها.

***

(٢٦) ـ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: يُوسِّعُه، والبَسطُ: مُباعَدةُ أطرافِ الشَّيءِ.

﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: ويقدرُ لمن يشاءُ: يُضيِّقُ، من قولِه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧].

المُبرِّدُ: يبسطُ الرِّزقَ ويقدرُ؛ أي: ويَخيرُ له في البسطِ.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أشِرُوا وبطِرُوا بما نالُوا منها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبِ الآخرةِ ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ كزادِ الرّاعي.

وقيل: قليلُ النَّفعِ ينقطعُ عن قريبٍ.

وقيل: مُتعةٌ وبُلغةٌ لا تدومُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥١٥) عن ابن جريج بلاغًا. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٣٧) لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ سبق.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراحِ الآياتِ بعد ظُهورِ المُعجِزاتِ ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: آمَنَ وتابَ.

***

(٢٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: هم الذين آمَنُوا، وقيل: بدلٌ من ﴿مَن﴾ ومحلُّه نصبٌ(١).

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تسكُنُ وتهدأُ ويزولُ عنها القَلَقُ والاضطرابُ، والهمزةُ أصلٌ عند المُحقِّقين، وقيل: زيادةٌ، وأصلُه منَ الطَّمْنِ، وهو الأرضُ المُنخفِضةُ(٢).

قولُه: ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: بوعدِ الله، فهو مصدرٌ مضافٌ إلى الفاعلِ؛ أي: تطمئِنُّ بوعدِه كما تَوْجَلُ بوعيدِه.

وقيل: بذكرِهم اللهَ بألسنتِهم أو بألسنةِ غيرِهم، فيكونُ مصدرًا مُضافًا إلى المفعولِ.

وقيل: ذكرُ الله هاهنا: القرآنُ(٣).

---

(١) لأن (من) في الآية السابقة في محل نصب مفعول به، و(الذين)على هذا القول بدل منه، وعلى القول الأول خبر لمبتدأ محذوف، فهو في محل رفع.

(٢) يقال: (طمأن) و(طأمن) و(أطمأنّ)، وبقاء الهمزة في اللغات الثلاثة دليل أصالة، والأصل: طامن عند سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٤٢٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، واستغربه.

وقيل: بنعمةِ الله[1].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ بسببِ ذكرِه تطمئِنُّ قلوبُ المُؤمنين.

* * *

(٢٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ فيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها شجرةٌ في الجنَّةِ غرسَها الله بيدِه في دارِ كلِّ مؤمنٍ، منها غصنٌ كالشَّمسِ. وقيل: أصلُها في دارِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ. وقيل: في دارِ عليٍّ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[2].

وقيل: ﴿طُوبَىٰ﴾: اسمٌ من أسماءِ الجنّةِ، كلمةٌ حبشيّةٌ، وقيل: هنديّةٌ.

وقيل: طُوبى: فُعْلى من الطَّيِّبِ؛ أي: الرّاحةُ والطِّيبُ ولينُ العَيشِ لهم. وقيل: خيرٌ لهم. وقيل: غِبطةٌ لهم[3]. وقيل: قُرَّةُ عينٍ وفرحٌ لهم.

وقيل: هي تأنيثُ الأفعلِ؛ أي: أطيبُ الأشياءِ لهم، وهي الجنّةُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الأفعلَ تأنيثُه الفُعْلى بالألفِ واللّامِ أو بالإضافةِ.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾؛ أي: حسنُ مرجعٍ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) في (و): «خير لهم وغبطة».

(٣٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ أي: كما أرسلنا قبلَكَ رُسُلًا أرسلناكَ إلى أمَّتِكَ.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾؛ أي: لستَ بِدْعًا منَ الرُّسلِ، وليست أمَّتُك أُولى أمَّةٍ أُرسِلَ إليها رسولٌ ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ جاء في سببِ النُّزولِ: أنّها نزلَتْ في صُلحِ الحُديبيةِ حين أرادوا كتابَ الصُّلحِ، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ لعليٍّ رضي الله عنه: «اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمنِ الرحيمِ»، فقال سُهَيلُ بنُ عمرٍو والمشركون: ما نعرِفُ الرَّحمن إلّا صاحبَ اليمامةِ ـ يعنون: مُسيلمةَ الكذَّابَ ـ اكتُبْ: باسمِكَ اللَّهمَّ، وهكذا كانَ أهلُ الجاهليّة يكتُبون، فأنزَلَ اللهُ فيهم هذه الآيةَ[1].

ابنُ عبَّاسٍ في روايةِ الضَّحَّاكِ: نزلَتْ في كفَّارِ قُريشٍ حينَ قال لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠]، قالوا: وما الرَّحمنُ[2]؟!

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾؛ أي: الرَّحمنُ ربِّي؛ خالِقي ورازِقي ومُدبِّري.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وثِقْتُ به وفوَّضْتُ أمري إليه ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: وإلى الله أتوبُ من خطيئَتي السّالفةِ. وقيل: إليه مَرجِعي.

* * *

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣١) عن قتادة ومجاهد، وعزاه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦) لقتادة وابن جريج، واللفظ له. وأصل الحديث رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٣).

(٣١) - ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ قُريشًا اجتمعَتْ وقالت: يا محمَّدُ، إنْ سَرَّكَ[1] أن نتَّبعَكَ فسيِّرْ لنا جبالَ مكَّةَ بالقرآنِ، أو سخِّرْ[2] لنا الرِّيحَ نركبُها إلى الشَّامِ، أو أحْيِ آباءَنا لنسألَهم: أحقٌّ ما تقولُ أم باطلٌ؟ فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾[3]: كتابًا ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وجوابُ (لو) محذوفٌ، وهو محذوفًا أبينُ منه ملفوظًا، واختلَفُوا فيه:

فقالَ بعضُهم: جوابُه: لكانَ هذا القرآنَ.

وقيل: جوابُه: لَمَا آمَنُوا، كقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١].

وقيل: جوابُه: ما يدلُّ عليه قولُه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: وهم يكفُرون بالرَّحمنِ ولو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ[4].

---

(١) في (و): «يسرك».

(٢) في (و): «وسخر».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣١٩)، دون راو ولا سند، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، عن قتادة والضحاك وابن زيد.
وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قالوا للنبي ﷺ: إن كان كما تقول: فأرنا أشياخنا الأول من الموتى نكلمهم، وافتح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٣): « فيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ضعيف، وقد وثق».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، واستغربه.

وقيل: هـذا تفخيمٌ للقـرآنِ، وأنَّـه ليس فـي كتـبِ الله مـا يجمعُ مـنَ الحِكَـمِ والشَّـواهدِ والدَّلائـلِ والبيِّناتِ[1] ما يجمعُه القرآنُ، ولو سُـيِّرَتْ[2] جبـالٌ بقراءةِ كتابٍ لـكانَ هذا القـرآنَ.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: هذا وأمثالُه يفعلُه الله القادرُ الذي له كلُّ الأمرِ.

وقيلَ: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ وليس لأحدٍ أن يقترحَ عليه آيةً.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ اليـأسُ ضـدُّ الطَّمعِ، وفيـه لُغتـان سـبقَ بيانُهمـا[3]، واختلفُـوا فـي الآيةِ، فذهـبَ أكثرُهـم إلى أنَّـه بمعنى العلمِ، وأنشـدَ:

ألَـمْ يَيْـأسِ الأقـوامُ أنِّـي أنـا ابنُـه وإنْ كنـتُ عـن أرضِ العشـيرةِ نائيـا[4]

يُريدُ: ألَـم يعلَمْ، وهي لغةُ نَخَعٍ[5]، وقيل: لغةُ هوازِنَ.

المُبرِّدُ: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ علمًا منهم أنْ لو يشاءُ الله لهدَى النَّاسَ جميعًا.

وقيل: أفلم يعلمِ الذين آمنُوا علمًا يئِسُوا معَه من أن يكونَ غيرَ ما علِموا.

---

(١) في (و): «والبيان».

(٢) في (و): «وموأن قرآناً سيرت».

(٣) اللغتان: أيس ويئس، وقد تقدم الكلام عليها في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠].

(٤) نسب البيت لرباح بن عدي كما في «النكت والعيون» (٣/ ١١٣)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٣٢٠). ونسب لمالك بن عوف في «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٢٨). وهو بلا نسبة في «العين» (٧/ ٣٣١)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٦)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٦٧).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٦٣٢)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (٥/ ٣٧٥).

وقيل: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من إيمانِ هؤلاءِ الذين وصفَهم الله أنَّهم لا يُؤمنون؛ لأنَّه قد قالَ: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيكونُ ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ على أصلِه.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: (أفلَمْ يَتبيَّنِ الذين آمَنُوا)[1]؛ أي: أفلمْ يعلَمُوا، وقُرِئَ: (أفلم يتبيَّن للَّذين آمنوا)[2]؛ أي: يَظهرْ.

ورُوِيَ عن عكرمةَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنّه قال: ما كتبَها الكاتبُ إلّا وهو ناعسٌ[3].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧).

(٢) ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٤٩٧)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٢٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٠)، وعدَّه من العجائب.

وهذا الخبر رجاله جميعهم ثقات لكن ظاهر متنه النكارة، ولذلك فقد اشتد إنكار جماعة من المفسرين عليه دون نظر منهم لإسناده، منهم الزمخشري الذي قال في «الكشاف» (٢/ ٥٣٠): «وهذا ونحوُه ممَّا لا يُصدَّق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلْفه، وكيف يَخْفَى مثلُ هذا حتى يَبْقى ثابتاً بين دفَّتي الإمام، وكان متقلِّباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطِينَ في دِين الله المُهيمِنين عليه...» إلى أن قال: «وهي والله فرية ما فيها مرية».

أما أبو حيان فكان أكثر عمقاً من الزمخشري حيث ميز بين القراءة وقصة الناعس، فقال في «البحر» (٦/ ٣٩١): «وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ، وليست مخالِفة للسواد إذ كتبوا ﴿ييئس﴾ بغير صورة الهمزة، وهذا كقراءة: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ و: ﴿فتثبتوا﴾ وكلتاهما في السبعة، وأما قول مَن قال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين، فقول زنديق ملحد». وتابعه في كلامه هذا الآلوسي في «روح المعاني» (٧/ ١٤٨).

قلت: وفي هذا ـ بعد صحة الإسناد ـ ما لا يخفى من المبالغة، لكن مما يشكل على هذا الخبر أيضاً أن الطبري رواه عن شيخه أحمد بن يوسف عن القاسم ـ هو ابن سلام ـ بإسناده إلى ابن عباس، وأحمد بن يوسف التغلبي الأحول شيخ الطبري، هو صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، مشهور =

ونسبةُ الرّاوي إلى النُّعاسِ أولى[1] من كتابِ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يدَيه ولا من خلفِه.

وقولُه: ﴿يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ على لفظِ المُستقبلِ، و﴿لَهَدَى﴾ على لفظِ الماضي؛ لأنَّ ما يشاؤُه الآنَ فهو الذي شاءَه قبلُ، فلفظُ الماضي والمُستقبلِ سواءٌ.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عامٌّ، وقيل: طائفةٌ منهم ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾؛ أي: بصنيعِهم، وقيل: بالذي صنَعوه ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهيةٌ تُقلِقُهم ونازلةٌ تُهلِكُهم، منَ القَرْعِ، وهو الضَّربُ بالمِقرَعةِ؛ أي: لا يأمَنُون المسلمين بعدَ اليومِ.

= بصحبته، وهو ثقة مأمون، وهو الذي أخذ عنه الطبري كتب أبي عبيد القاسم بن سلام، كما قال الشيخ أحمد شاكر، لكن أبا عبيد رواه في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٢) بذلك الإسناد مقتصراً على ذكر القراءة فقط، دون قصة الناعس.

ومن العلماء من مال لجانب البحث عن تأويل لهذا الخبر المشكل وأمثاله مما صح إسناده، منهم ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٣٧٣): «وهذه الأشياء وإن كان غيرها المعتمد لكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل فلينظر في تأويله بما يليق به». وقد تكلم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٥٢) على هذا الأثر وبين صحة إسناده، وذكر أنه كتب رسالة مستقلة حول هذا الأثر المشكل وأشباهه.

قلت: وقد نقل السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٣٢٩) تأويل بعض العلماء ـ وهو ابن أشتة ـ لما روي من هذه الأخبار المشكلات، فذكر في هذا الخبر: أن معنى قولِ ابنِ عبَّاسٍ: «كتبَهَا وهو ناعِسٌ» يعني: فلم يتدبَّرِ الوجهَ الذي هو أولى من الآخر. والله أعلم بالصواب. وانظر كلام الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣١).

(١) كلمة: «أولى» كذا في النسخ الخطية، وكأن مراد المصنف: ونسبة الراوي إلى النعاس أولى من نسبة الخطأ إلى كتاب الله... وكلامه غير واضح، وقد قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٠): «وهذا بعيد لا يجوز القول به».

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعةُ ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: هي سرايا المُسلمين، وقيل: هي أنواعُ البلاءِ منَ القَحْطِ والجلاءِ والأسرِ والجِزْيةِ وغيرِها.

ابنُ عبَّاسٍ: أو تحلُّ أنتَ يا محمَّدُ قريبًا من دارِهم، وهذا وعدٌ بفتحِ مكّةَ[١].

وقيل: ﴿وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ يومُ القيامةِ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: لا خُلفَ في موعودِه.

***

(٣٢) - ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: يُعزِّي نبيَّه عليه السَّلامُ على ما نالَه من استهزاءِ قومِه به.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أطلْتُ لهم المُدَّةَ وأخَّرتُ عنهم العذابَ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: عاقَبْتُهم بأشدِّ العقابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؛ أي: عقابي إيّاهم.

***

(٣٣) - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: الله يعلَمُ أينما كنتم[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٠)، وحسن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٣٧٣).

(٢) كذا في النسخ الخطية، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٦) بلفظ: «﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ =

وقيل: توكيلُه الحفظةَ عليهم: قيامُه على كلِّ نفسٍ.

وقيل: القائمُ على الشَّيءِ: هو الحافظُ له يُدبِّرُ أمرَه.

وقيل: هو المُجازي على الأعمالِ.

وقيل: هو القاهرُ له المُقتَدِرُ عليه.

والخبرُ محذوفٌ تقديرُه: كغيرِه منَ المخلوقين؟ أو: كمَن ليس بهذه الصِّفةِ؟ ثمَّ استأنفَ فقال:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ بما خلَقُوا وصنعُوا وأماتُوا وأحيَوا لتصِحَّ الشَّركةُ.

وقيل: طالِبُوهم بحجَّةٍ على أنَّها آلهةٌ.

وقيل: صِفُوهم فانظُروا هل يستحِقُّون الإلهيّةَ.

وقيل: هذا تهديدٌ، كما تقولُ لِمَن تُهدِّدُه على شُربِ الخمرِ: سمِّ الخمرَ بعد هذا.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نفى العلمَ لانتفاءِ المعلومِ؛ أي: لا شريكَ له في السَّماواتِ والأرضِ فلا يعلمُه.

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: أي: إذا ادَّعَيتُم في الأرضِ إلهًا غيرَ الله فقد أخبرتُم اللهَ بما لا وجودَ له[1].

= بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني بذلك نفسه، يقول: هو معكم أينما كنتم، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر»، والظاهر أن (يعلم) تصحيف، وأن صوابها: «معكم»، والله أعلم.

(١) لم أجده هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٨) عن ابن جريج قال: «﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾، ولو سموهم كذبوا وقالوا في ذلك ما لا يعلم الله، ما =

الحسنُ: إذا ادَّعَيتُم فعلًا لأصنامِكُم فقد أخبرتُم اللهَ بما لا يعلمُ.

والكلُّ يعودُ إلى القول الأول[١].

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: (لا) بمعنى: ليس، والعلمُ زيادةٌ[٢]، وتقديرُه: بما ليس في الأرضِ، وهذا مُزيَّفٌ.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: باطلٍ.

وقال:

وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها[٣]

وقيل: ظاهرٌ منَ القولِ: مجرَّدُ التَّسميةِ.

وقيل: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أنزلَه على بعضِ الأنبياءِ.

وقيل: أرادَ ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: المعدومَ، و﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: الموجودَ، والمعنى: أتُنبِّئون الله بشيءٍ موجودٍ أم معدومٍ.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: زيَّنَ الشَّيطانُ لهم كُفرَهم وتمويهَهُم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عن سبيلِ الله.

= من إله غير الله، فذلك قوله: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾». وبنحوه عن الضحاك، وروى معهما على أنه من ذات المعنى قول ابن عباس: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ والله خلقهم.

(١) في (و): «يعود إلى الله تعال».

(٢) ذهب إلى هذا ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٥٧)، ونقل الواحدي هذا القول عن صاحب النظم في «البسيط» (١٢/ ٣٦٠).

(٣) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٢١)، وصدره:

وعيَّرها الواشون أنِّي أحبُّها

ومَن قرأ بالفتحِ[١] فالمعنى: وصَدُّوا المسلمينَ عن سبيلِ الله.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ أي: مَن خذَلَه لا يُوفِّقْه غيرُه.

***

(٣٤) ـ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والأَسرِ والجلاءِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشدُّ لدوامِه واستمرارِه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: دافعٍ يدفعُ عنهم عذابَ الله.

***

(٣٥) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قيل: شبهُ الجنَّةِ. وقيل: صِفةُ الجنَّةِ. وهذا ضعيفٌ في اللُّغةِ.

وقيل: ﴿مَّثَلُ﴾ زيادةٌ كـ(مِثْلٍ) في مواضعَ[٢].

وهو مرفوعٌ بالابتداءِ، وخبرُه عند سيبويهِ: فيما أُنزِلَ[٣].

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿وَصُدُّوا۟﴾ بضم الصاد، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٣).

(٢) أما زيادة (مِثل) فكثيرة، ومما استدلَّ به على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقوله ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد ذهب إلى ذلك الأخفش، وقال أبو حيان في «المختار عند حذاق النحويين أن الأسماء لا تزاد»، والقول بزيادة (مَثَل) أضعف مما قبله. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٩٧)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٤١٨)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٦٧٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٥٨).

(٣) أي: الخبر محذوف هذا المذكور تقديره، أو نحوه كـ: فيما قَصَصْناه عليكم مَثَلُ الجنَّة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣)، و«الكشاف» (١/ ٧٢) و(٢/ ٥٣٢).

وقيل: خبرُه: ﴿تَجۡرِي﴾ فيمَن جعل (مَثَلًا) زيادة.

وأجازَ الفرَّاءُ أن يكونَ ﴿تَجۡرِي﴾ الخبرَ[١]، وإنْ لـم يَجعَلْ (مَثَلًا) زيادةً.

وقيل: الخبرُ محذوفٌ لطولِ الكلامِ.

وقيل: هذه صفةُ الجنَّةِ، فهو خبرُ[٢] المُبتدأ، ثمَّ أخذَ يصِفُها.

وقيلَ: مثلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتَّقون جنَّةٌ تجري.

قولُه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾؛ أي: ثمرُها دائمُ الوجودِ لا ينقطعُ صيفًا ولا شتاءً.

وقال مالكُ بنُ أنسٍ: ليس في الدُّنيا شيءٌ يُشبِهُ ثمرَ الجنَّةِ إلّا الموزُ، فإنَّه يوجدُ صيفًا وشتاءً[٣].

وقيل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾: لا ينقطعُ بالموتِ والبِلى.

﴿وَظِلُّهَا﴾؛ أي: وظلُّها أيضًا دائمٌ لا تنسخُه الشَّمسُ، وإنَّما يستضيءُ أهلُ الجنَّةِ بنورٍ لا حرَّ معه ولا بردَ.

﴿تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾؛ أي: الجنَّةُ الموصوفةُ عُقبَى تقواهم؛ أي: مُنتَهى أمرِهم ومآله[٤]، ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مُنتَهى دارِهم وأعمالِـهم.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٥).

(٢) أي: «مَثَلُ» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٧) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) في (ن): «أعمالهم».

(٣٦) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قيل: همُ اليهودُ والنَّصارى؛ أي: يفرحونَ بما يُوافِقُ كتبَهم ويُصدِّقُ ما معهم.

وقيل: هم الذين آمنُوا منهم كابنِ سلَامٍ وأصحابِه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ الأحزابُ: هم الذين تحزَّبُوا على رسولِ الله عليه السَّلامُ؛ أي: اجتَمَعوا على عداوتِه، وهم المُشرِكون.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾: يُقِرُّون بالله ويُنكِرونَ نُبوّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾: ذِكرَ الرَّجْمِ.

وقيل: ﴿الّذين ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ ﴾ يعني: مُؤمنيهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ الباقونَ منهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾ آمنتُم أو كفرتُم ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ ﴾: إلى الله أدعوكُم ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾: وإلى الله مرجِعي ومرجِعُكم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: كما أنزلنا الكتابَ على الأنبياءِ بلسانِهم ﴿أَنزَلْنَٰهُ ﴾؛ أي: القرآنَ عليك ﴿حُكْمًا ﴾: يحكُمُ ويفصِلُ بين الحقِّ والباطلِ ﴿عَرَبِيًّا ﴾ بلسانِهم.

وقيل: ﴿كذلك﴾ إشارةٌ إلى قولِه: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾؛ أي: كما أمرناكَ أن تقولَه أنزلناه في القرآنِ.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ في دُعائِهم إيَّاك إلى ملَّةِ آبائِهم ﴿بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ هذا وعيدٌ حسَمَ به طمعَهم.

***

(٣٨) - ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾ في سببِ النُّزولِ:

قالَ الكلبيُّ: عيَّرتِ اليهودُ رسولَ الله عليه السَّلامُ وقالت: ما نرى لهذا الرَّجلِ هِمَّةً إلَّا النِّساءَ والنِّكاحَ، ولو كان نبيًّا كما زعمَ لشغَلَه أمرُ النُّبوَّةِ عن النِّساءِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[1].

والمعنى: كانوا بشرًا يأكلُون ويباشِرُون النِّساءَ ويلِدُونَ الأولادَ.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس في وُسعِهم إتيانُ الآياتِ على ما يقترحُه قومُهم، إنَّما ذلك إلى الله.

وقولُه: بإذنِه: بعلمِه وأمرِه.

واللَّفظُ لفظُ الحظرِ، والحظرُ إنَّما يكونُ مع القُدرةِ، ومثلُه: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖ﴾ [مريم: ٣٥]، والمعنى معنى النَّفيِ؛ أي: لا يفعلُ ما لا يليقُ به[2].

﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ الأجَلُ: الوقتُ الذي يقَعُ فيه المقدورُ، والكتابُ: المكتوبُ؛ أي: كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٤).

(٢) لأن الله سبحانه وتعالى لا يُحظر عليه، كما قال مكي في «الهداية» (٣/ ٣٨٠٤)، والحظر المنع من الفعل والحكم بأنه لا يكون، ومن عباراته: (ما كان) و(ما ينبغي)، وربما كان الامتناع بحكم العقل أو الشرع. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٨٥).

وقيل: هو مُتَّصلٌ بالأوَّلِ على تقديرِ: لكلِّ ما اقترَحُوا أجَلٌ يقعُ فيه.

وقيل: هذا منَ المقلوبِ؛ أي: لكلِّ كتابٍ أنزلَه الله منَ السَّماءِ أجَلٌ ووقتٌ معلومٌ[1].

وقيل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: انقضاءُ عمرِ الإنسانِ ﴿كِتَابٌ﴾ مشتمِلٌ على جميعِ أعمالِه.

وقيل: لكلِّ أمرٍ قضاه الله كتابٌ كتبَه فهو عندَه.

وقيل: معناه: لكلِّ وقتٍ حُكمٌ.

***

(٣٩) ـ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاءُ.

وقال بعضُهم: يمحو ويُثبِتُ إلّا الشَّقاوةَ والسَّعادةَ.

وقيل: إلّا الأجلَ والرِّزقَ.

وقيل: المُراد به: المنسوخُ والنّاسخُ.

وقيل: المُرادُ: يمحو السِّيِّئاتِ منَ التَّائبِ ويُثبِتُ مكانَها الحسناتِ.

وقيل: يمحو من كتابِ الحفظةِ ما لا يتعلَّقُ به جزاءٌ ولا حسابٌ ويُثبِتُ ما سواه؛ أي: يتركُه مُثبَتًا.

وقيل: يمحو مَن قد جاءَ أجلُه، ويُثبِتُ مَن لم يجِئْ أجلُه.

وقيل: يغفرُ ذنوبَ مَن يشاءُ ويتركُ ذنوبَ مَن لم يغفرْ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧١)، واستغربه.

وقيل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: القمرَ، ﴿وَيُثْبِتُ﴾: الشَّمسَ.

وقيل: يمحو الله بالنَّومِ ويُثبِتُ باليقظةِ.

وقيل: يمحو الله الدُّنيا ويُثبِتُ الآخرةَ.

قال الشَّيخُ: ويحتملُ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ عندَ الموتِ ﴿وَيُثْبِتُ﴾ عندَ الولادةِ(١).

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللَّوحُ المحفوظُ، وهو أصلُ كلِّ كتابٍ، فيه ما خَلَقَ وما يخلُقُ.

وقيل: فيه الحلالُ والحرامُ.

وقيل: ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: جملةُ الكتابِ.

* * *

(٤٠) - ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يعني: العذابَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُريَكَ(٢) فيقعَ بهم في الدُّنيا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ يريدُ: تبليغَ الرِّسالةِ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: المُجازاةُ.

وقيل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من إظهارِ دينِ الإسلامِ على سائرِ الأديانِ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ ذلك.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧١)، واستغربه.

(٢) في (ن): «نرينَّك».

(٤١) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل: نفتحُ على المسلمين شيئًا فشيئًا، وذلك نُقصانُ أرضِ الكفَّارِ وزيادةُ أرضِ المسلمين.

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يريدُ: خرابَ العمرانِ وهلاكَ أهلِها[١].

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بذهابِ البركةِ[٢] عن ثمارِها ونباتِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نُقصانُها: موتُ العلماءِ والفقهاءِ وخيارِ النَّاسِ[٣].

وقيل: نُقصانُها: موتُ أهلِها[٤]، والمُرادُ بالأرضِ: أهلُها.

وقيل: نُقصانُها: جَورُ وُلاتِها[٥].

وقيل: ننقُصُ من جوانبِ الشَّامِ ونزيد في الشَّامِ، وهي أرضُ المحشَرِ، حكاه مُجاهدٌ[٦].

---

(١) روى الطبري نحوه عن مجاهد. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٧٦).

(٢) في (و): «نأخذ البركة».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (ص: ٦٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٨).

(٤) رواه الطبري عن مجاهد أيضاً في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، واستغربه.

(٦) لم أجده، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٠) عن مجاهد نحو قول ابن عباس، وقال يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣١٧): «وفي تفسير عمرو عن الحسن عن الأحنف بن قيس: أن الله تبارك وتعالى يبعث نارًا قبل يوم القيامة تطرد الناس من أطراف الأرض إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترتحل معهم إذا ارتحلوا، فتقوم عليهم القيامة بالشام وهو قوله: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾»، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٢) عن قتادة: «ما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر».

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا مُغيِّرَ لإرادتِه ولا مانعَ.

ابنُ عيسى: التَّعقيبُ: ردُّ الحكمِ بعد فَصْلِه[1].

﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ حسابُه لأعمالهم أسرعُ من لمحِ البصرِ لا يشغلُه مُحاسبةُ أحدِهم عن مُحاسبةِ الآخرين.

وقيل: لا يحتاجُ إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ وعقدٍ باليدِ.

وقيل: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: سريعُ الجزاءِ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يُريدُ كفَّارَ الأممِ الخاليةِ، كفروا ومكروا بأنبيائِهم. والمكرُ: إرادةُ المكروهِ في خُفيةٍ.

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: أسبابُ المكرِ بيدِ الله لا يضرُّه إلّا مَن أرادَه[2].

وقيل: مكرُهم بالأنبياءِ مكرُهم بأنفسِهم؛ لأنَّ الله يُنجِّي الأنبياءَ ويُهلِكُهم.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الخيرِ والشَّرِّ فيُجازيها عليه.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾؛ أي: العاقبةُ المحمودةُ، واللّامُ يدلُّ على المحمودةِ، كما أنَّ (على) يدلُّ على المذمومةِ[3]، وهذا وعيدٌ للكفّارِ.

---

(١) في (ن): «قضائه».

(٢) أي: لا يضرُّ المكرر ـ الذي سببه بيد الله ـ إلا مَن أراد الله أن يضرَّه به.

(٣) أي: لو قلنا: سنعلم على مَن عقبى الدار، دلت (على) في العبارة على أن الدار مذمومة.

(٤٣) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ جاء في التَّفسيرِ: أنَّ المُرادَ بهم كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه ورُؤساءُ اليهودِ، جحدوا فقالوا: لستَ مُرسلًا[1].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فلا حاجةَ مع شهادتِه إلى شهادةِ غيرِه، والباءُ دخلتِ الفاعلَ، و﴿شَهِيدًا﴾ منصوبٌ على التَّمييزِ، وقيل: على الحالِ.

وقيل: معناه: اكتَفِ به.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو عبدُ الله بنُ سلامٍ[2].

وقال عبدُ الله: فِـيَّ نزلَتْ هذه الآيةُ[3].

ومجاهدٌ والضَّحَّاكُ أنكراه وقالا: كيف نزلَتْ فيه والسُّورةُ مكِّيَّةٌ[4]؟! وقد سبقَ أوَّلَ السُّورةِ الكلامُ في نزولِـها.

وقيل: هم مَن آمَنَ مِن أهلِ الكتابِ.

وقيل: هو اللهُ عزَّ وجلَّ[5]، وتقديرُه: كفى بالله الذي عندَه علمُ الكتابِ

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) دون نسبة بلفظ: «﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر اليهود».

(٢) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٣٠٥) عن مجاهد. وروي عن غيره أيضًا.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٥٦) وقال: «حديث غريب».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١١٩) عن الحسن ومجاهد والضحاك، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن سعيد بن جبير، وذكره نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٣) عن عبد الله بن مسعود، وذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ١٠١) عن الشعبي وعكرمة.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، وعدَّه من العجائب.

شهيدًا بيني وبينكم، ودليلُه قراءةُ مَن قرأ: (ومِنْ عندِه عِلْمُ الكتابِ)[1]، وكذلك قراءةُ مَن قرأ: (ومِنْ عندِه عُلِمَ الكتابُ)[2].

وقيل: هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[3].

ومحلُّ ﴿مَنْ﴾ جرٌّ بالعطفِ على (الله)، ويجوزُ أن يكونَ رَفعًا على المحلِّ؛ لأنَّ[4] التَّقديرَ: كفى الله[5]، والله تعالى أعلمُ.

---

(١) نسبت للنبي ﷺ، وعليٍّ وابن عباس وأبيٍّ رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير وعكرمة، ومجاهد بخلاف، والحسن بخلاف، وعبد الرحمن بن أبي بكرة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة، ورُويت عن الأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٥٨).

ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك.

وأما نسبتها للنبي ﷺ فقد قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦) بعد أن ذكر خبرًا مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ يؤيد هذه القراءة: «وهذا خبر ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزُّهري، فإذا كان ذلك كذلك، وكانت قراء الأمصار من أهل الحجاز والشَّام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، كان التَّأويل الذي على المعنى الذي عليه قرَّاء الأمصار أولى بالصَّواب ممَّن خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب».

(٢) نسبت لعلي رضي الله عنه وابن السميفع والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٨).

ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦) عن الحسن.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٥) عن أبي جعفر.

(٤) «لأن»: ليست في (و).

(٥) فلفظ الجلالة في اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ويجوز عطف (مَن) على لفظه أو على محلّه، والله أعلم.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
عليه السَّلامُ

اثنتانِ وخمسونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

قتادةُ: مكيَّةٌ إلَّا آيتينِ من قولِه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨][2].

ليس فيها ناسخٌ ولا منسوخٌ، ولم تُذكَرْ في سببِ النُّزولِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

﴿الٓر﴾: أنا الله أعلَمُ وأرى، وقد سبقَ الكلامُ فيه.

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: أنزلْناه لتُخرِجَ النَّاسَ بدُعائِكَ إيَّاهُم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الجمهورُ على أنَّ المُرادَ بـ﴿ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: الكفرُ وبـ﴿ٱلنُّورِ﴾: الإيمانُ.

---

(١) «اثنتان وخمسون آية» من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧١)، وفيه: «وهي خمسون وآيةٌ في البَصْريّ، وآيتان في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشَّامي»، ثم ذكر الآيات التي وقع الاختلاف فيها.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٧٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٢٠). وهاتان الآيتان نزلتا بالمدينة في قتلى قريش يوم بدر، كما في «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧١)، ونسبه لابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة.

وقيل: منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ.

وقيل: منَ البِدعةِ إلى السُّنّةِ[١]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ قيل: بتوفيقِ ربِّهم. وقيل: بعلمِ ربِّهم.

وقيل: بإطلاقِ الله ذلك لك[٢].

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلنُّورِ﴾ وهو الإسلامُ ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالبِ المُمتنعِ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ لأفعالِ الخلقِ، وهو بمعنى فاعلٍ، وقيل: بمعنى مفعولٍ.

***

(٢) - ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قُرِئَ بالجرِّ على عطفِ البيانِ أو البدلِ[٣]، وبالرَّفعِ[٤] على الاستئنافِ.

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ فشِدَّةُ[٥] عذابٍ لهم، وقد سبقَ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣): «ولا ينجر على الوصف، فإن اسم الله تعالى جارٍ مجرى الأعلام، والأعلام توصف ولا يوصف بها».

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، والباقي بالكسر على البدل. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٥) في (و): «شدة».

(٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾؛ أي: يختارُونَ ويُؤثِرونَ الدُّنيا على العُقبى ويترُكون العملَ بها.

ابنُ عيسى: الاستِحبابُ: طلَبُ المحبّةِ بالتَّعريضِ لها[١].

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بتعويقِ النَّاسِ عن الإيمانِ بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾: يلتَمِسُونَ لها[٢] زَيْغًا وعَيْبًا، تقولُ: بغَيتُه الشَّيءَ: طلبتُه له، وأبغَيْتُه: أعنْتُه.

وقيل: ينتظِرونَ لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ هلاكًا، حكاه الماوَرْدِيُّ[٣].

وقيل: يطلُبونَ غيرَ سبيلِ القصدِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ ﴿فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾: في خطأٍ وطريقٍ جائرٍ عن الصَّوابِ.

* * *

(٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾؛ أي: بلُغتِهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ ما هو

---

(١) ذكره نحو الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤١) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «يلتمسونها».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٤) عن السدي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

مبعوثٌ به وله، ومحمَّدٌ عليه السَّلامُ مبعوثٌ إلى الخلقِ كافَّةً بلسانِ قومِه الذي وُلِدَ فيهم وتربَّى بينَهم، وليس المُرادُ بالقومِ الأمّةَ.

وقيل: تقديرُ الآيةِ: وما أرسلنا قبلَكَ رسولًا إلّا بلسانِ قومِه وإليهم فحَسْبُ، وأنتَ مُرسَلٌ بلسانِ قومِك إلى الكافّةِ.

الكلبيُّ: إنَّ الله بعَثَ جميعَ الكتبِ إلى جبريلَ بالعربيَّةِ، وأمرَه أن يأتيَ رسولَ كلِّ قومٍ بلُغتِهم[1]، حكاه النَّقّاشُ في «تفسيرِه»[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: بعَثَ الله نبيًّا حبشيًّا[3].

ثمَّ استأنَفَ فقالَ: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلانِ عن الإيمانِ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتَّوفيقِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يُريدُ: اليدَ والعصا إلى سائرِ آياتِه التِّسعِ.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ﴿أَنْ﴾ هي المُفسِّرةُ بمعنى: أي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في هامش (ن): «قال: كانت صحف شيث وإدريس بالسريانية حتى وصل أيام إبراهيم وبعده إلى أيام عيسى بالعبرانية، ومعنى العبرانية: أي عبَّر عنه إلى غيره، والسريانية: لا أعبرت عنها».

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢).

وقيل: معناه: بأن تُخرِجَ قومَك، فحُذِفَ الجارُّ.

والأمرُ واقعٌ موقعَ الخبرِ، والمعنى: إنَّ موسى كانَ مأمورًا كما أنتَ مأمورٌ به.

والقومُ: القِبْطُ، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ، و﴿ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ، على ما سبقَ.

وقيل: القومُ: بنو إسرائيلَ، فيكونُ المعنى: أخرِجْ قومَكَ من ذُلِّ الاستعبادِ إلى عزِّ الملكةِ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا مُؤمنين.

﴿وَذَكِّرْهُم﴾: جدِّدْ لهم الذِّكرَ. والذِّكرُ: حصولُ المعنى للنَّفسِ، وقد يغيبُ عنها بالنِّسيانِ فيُعادُ إليها بالتَّذكيرِ.

﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ يُريدُ: ما خلا منَ الزَّمانِ.

وقيل: بنِقَمِه وشدائدِه، وأكثرُ استعمالِ الأيّامِ للوقائعِ والشَّدائدِ.

وقيل: بنِعَمِ الله، وجاء ذلك مرفوعًا[1].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: للمُؤمنين، فإنَّ الإيمانَ نصفانِ؛ نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ.

* * *

---

(١) روى مسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه بينما موسى عليه السَّلامُ في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماؤه وبلاؤه، إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني...».

وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢١١٢٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٦) عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤١١): «ورواه عبد الله ابنه أيضًا موقوفًا، وهو أشبه».

(٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سبق.

قولُه: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ عطفٌ على ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ وحيثُ لا واوَ بدلٌ عنِ الأوَّلِ[١].

***

(٧) - ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: أعلَمَ، وتأذَّنَ وأَذَّنَ بمعنًى واحدٍ، كتوَعَّدَ وأَوْعَدَ، وهو عطفٌ على كلامِ موسى عليه السَّلامُ لقومِه.

وقيل: ﴿تَأَذَّنَ﴾: قالَ[٢]، وقيل: سمعَ.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾؛ أي: إنْ شكرتُم ما أنعمتُ به عليكم في قولِه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جحَدْتُم حقِّي وحقَّ نعمَتي ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ يُريدُ: في الدُّنيا بسلبِ النِّعمةِ، وفي العُقبى بالنَّارِ والنَّكالِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢٨)، وقد أفاد أنَّ الواو تفيد أن التذبيح غير العذاب، وحذفها يجعل العذاب الذي ذكر أولاً هو التذبيح. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٨)، وللنحاس (٣/ ٥١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤)، واستغربه.

(٨) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادتِكُم ﴿حَمِيدٌ﴾: يحمدُه أهلُ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ﴿حَمِيدٌ﴾ بإحسانِه لمَن عبدَه.

***

(٩) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ للمُفسِّرين فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا من كلامِ موسى لقومِه.

والثَّاني: أنَّه خطابُ محمَّدٍ[1] عليه[2] السَّلامُ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكثرتِهم، ولا يعرفُ رسلَهم إلَّا اللهُ.

وأكثرُ المُفسِّرين رَوَوا أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال عندَ نزولِ هذه الآيةِ: «كذَبَ النَّسَّابُون»[3].

---

(١) في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤): «خطاب للنبي ﷺ».

(٢) في (ن): «عليهما».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٧)، وخليفة بن خياط في «طبقاته» (ص: ٢٧)، عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد ابن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسابون قال الله: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾» وإسناده ضعيف جداً. وروي موقوفًا على عدد من الصحابة والتابعين، منهم عمر رضي الله عنه، رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٧٩٨). =

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ التي تَثْبُتُ بها نُبوَّتُهم، ووجبَتْ إجابتُهم ثمَّ لـم يُؤمِنوا، وهو قولُه: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ وفيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الضَّميرَين يعودانِ إلى الكفرةِ؛ أي: ردَّ القومُ أيديَهم في أفواهِهم غيظًا عليهم بها؛ كقولِه: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وهو قولُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[(١)].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عجِبُوا من كلامِ الله فوضعوا أيديَهم مُتفكِّرين فيه[(٢)].

وقالَ بعضُهم: أشارُوا إليهم بالسُّكوتِ، ووضَعُوا أناملهم[(٣)] على شفاهِهم، وقد طبَقُوها.

وقيل: الضَّميرُ الثّاني يعودُ إلى الأنبياءِ؛ أي: ردَّ القومُ أيديَهم في أفواهِ الرُّسلِ كي لا يتكلَّموا بما أُرسِلوا به. وهو قولُ الحسَنِ والفرَّاءِ، وأشارَ الفرَّاءُ بظهرِ كفِّه إلى مَن كانَ يُخاطِبُه[(٤)].

وقيل: الضَّميرانِ يعودانِ إلى الرُّسلِ، فيكونُ المعنى: لـم يقبَلُوا كلامَهم بل ردُّوا عليهم ما أَتَوا به، فيكونُ هذا مَثَلًا.

= وابن مسعود رضي الله عنه وعمرو بن ميمون، رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٤).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٧) وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٧) بلفظ: «لما سمعوا كتاب الله عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٧).

(٣) في (و): «أيديهم»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٩).

وقيل: ردُّوا نعمَهم في أفواهِهم؛ لأنَّ ما أتَوا به كانَ نعمةً.

وقيل: ﴿فِيٓ﴾ هاهنا بمعنى: الباءِ؛ أي: رَدُّوا النِّعمَ بأفواهِهم بالنُّطقِ بالتَّكذيبِ، فيكونُ بـ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ للقومِ.

وقيل: كانت بعثةُ الرُّسلِ نعمةً حصلَتْ في أفواهِهم فلَفَظُوها من أفواهِهم ورَدُّوها.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بما تدَّعونَ أنَّه رسالةٌ ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ في الرِّيبةِ. أرابَ: أتى بالرِّيبةِ، وأتْهمَ: أتى بالتُّهمةِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا جوابٌ لهم على قولِهم: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ﴾؛ أي: لا تشكُّوا في وجودِ الله ووَحدانيَّتِه سُبحانَه، فقد دلَّ على توحيدِه ووجودِه وقُدرتِه خلقُه السَّماواتِ والأرضَ ابتداءً.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمانِ ببعثِه إيَّانا إليكم ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إذا آمنتُم به ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموتُ، فلا يأخذُكم بالعذابِ كما أخذَ به مَن كفرَ قبلَكم.

و﴿مِّن﴾ زيادةٌ[1].

---

(١) ذكر أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ٢٥٢ ـ ٢٥٤): أن (من) تفيد في هذه الحالة معنى: كل، فمعناه: يغفر لكم ذنوبكم، وذكر أن بعضهم قال: إنها مجنسة، والمعنى: يغفر لكم من أجل وقوع الذنب منكم.

ابنُ عيسى: ﴿مِّن﴾ للبدلِ؛ أي: يجعلُ لكم المغفرةَ بدلَ الذُّنوبِ(١).

قالَ الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّه للتَّبعيضِ؛ أي: ما سلَفَ من ذُنوبِكم(٢).

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: القومُ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ أي: أنتم مثلُنا في الصُّورةِ والهيئةِ، ولستُم ملائكةً، تحبُّون صدَّنا عن عبادةِ الأصنامِ التي كان يعبُدُها آباؤُنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ واضِحةٍ نتيقَّنُ بها أنَّكم مُحِقُّون في دَعواكُم.

***

(١١) ـ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: سلَّمْنا لكم أنَّا بشرٌ مثلُكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالإيمانِ والنُّبوَّةِ والتَّوفيقِ كما مَنَّ علينا بها ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ جوابُ لقولِهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، اقترَحُوا عليهم آياتٍ سوى ما كانَ معهم منَ المُعجِزاتِ فقالوا: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾: بيانٍ ومعجزةٍ من تلقاءِ أنفُسِنا.

وقيل: معناه: إنَّ الذي أتينا به من عندِ اللهِ؛ لأنَّا لا نقدرُ على الإتيانِ بالآياتِ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بأمرِه وعلمِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥)، واستغربه.

(٢) ذهب المصنف إلى أن (مِن) باقية على معناها الأشهر، وهو التبعيض، وفسَّر هذا بأن البعض الذي يغفره هو ما كان من ذنب قبل الإسلام، وقد ذهب الرازي في «تفسيره» إلى أن المعنى: مَن غفر محلَّ بعض منه فقد غفر كله، وذهب أبو الفداء في «الكناش» (٢/ ٧٥) إلى أن المغفرة للبعض فقط وأن هذا القوم نوح.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مَن كان يُريدُ اتِّباعَ الحقِّ إذا قامَ الدَّليلُ فإنَّه يتوكَّلُ على الله، ويرضى بما يُعطيهِ، ولا يُعانِدُ باقتراحِ الآياتِ.

ويحتمِلُ أنَّه استئنافٌ منَ الله(١).

***

(١٢) ـ ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا عُذرَ لنا إنْ تركْنا التَّوكُّلَ عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: أرشَدَنا للإيمانِ ورزَقَنا النُّبوّةَ، وأفادَ دخولُ (أنْ) إثباتَ التَّوكُّلِ عليه.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ جوابُ قسمٍ مُضمَرٍ، حلَفُوا على الصَّبرِ على أذاهُم وأن لا يُمسِكُوا عن دُعائِهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يُريدُ: في صبرِنا على أذاكُم.

والتَّوكُّلُ على الله: تفويضُ الأمرِ إليه والتَّسليمُ له.

ويحتملُ أنَّه استئنافٌ منَ الله(٢).

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾: لنُخرِجنَّكم ومَن آمَنَ

---

(١) «ويحتمل أنه استئناف من الله»: ليس في (ن).

(٢) «ويحتمل أنه استئناف من الله» من (ن).

معكم من بلادِنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: إلّا أن ترجِعُوا عن دعوتِكم هذه وتعودوا إلى عبادةِ الأصنامِ.

و(أو) هاهنا مثلُ (أو) في ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، والعَودُ سبقَ بيانُه في (الأعراف).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أوحى اللهُ تعالى إلى الأنبياءِ عليهم السَّلامُ أنَّه يُهلِكُ الكافرين ويُورِثُهم ديارَهم وأموالَهم، فأنجزَ وعدَه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإهلاكُ والإسكانُ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾؛ أي: مقامَه بينَ يديَّ، وأضافَه سُبحانَه إليه لأنَّه يُقيمُه فيه.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: عذابي[1]، وقيل: زَواجِرَ القرآنِ.

وقيل: ﴿خَافَ مَقَامِى﴾ من قولِه سُبحانَه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، حكاه الثَّعلبيُّ[2].

* * *

(١٥) - ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾: سألوا الفتحَ وهو النَّصرُ، وقيل: سألوا الفتحَ وهو القضاءُ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الضَّميرَ للأنبياءِ؛ أي: سألوا الله أن ينصُرَهم على الكفّارِ.

---

(١) في (و): «وعيدَ ربي».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٣٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥)، واستغربه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه للكُفَّارِ؛ كقولِهم: ﴿ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧] و﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: إنَّه يعودُ إلى الجميعِ؛ أي: كلُّهم سألُوا أن يُنصرَ المُحِقُّ ويُهلَكَ المُبطِلُ.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: خابَ ما أرادَ ولم يُدرِكْ ما تمنَّى.

والجبَّارُ: العاتي المُتكبِّرُ على الله، وهو صفةُ ذمٍّ في المخلوقين، وقيل: هو الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقًّا.

تقولُ: أجبرَ فهو جبَّارٌ، ومثلُه: أسأَرَ فهو سأَّرٌ[1]، وأدركَ فهو درَّاكٌ، وهو قليلٌ[2].

وقيل: (جبّارٌ) في حقِّ الله من (جبَرَ)، وقد سبقَ.

والعنيدُ: المائِلُ عن الحقِّ.

ابنُ عيسى: تقول: عَنَدَ عنِ الحقِّ: قصدَ عنه، والعنيدُ منَ الإبلِ: الذي يخرُجُ عن الطَّريقِ، وعِرْقٌ عاندٌ: لا يرقأُ دمُه كأنَّه خرجَ عنِ المُعتادِ[3].

قتادةُ: الجبَّارُ العنيدُ: الذي يأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلَّا الله[4].

***

(١) تلفظ: سيناً فهمزة ساكنة فمفتوحة فألف فراء.

(٢) يعني: مجيء «فعَّال» من «أَفْعَلَ» الرباعي، وحصره ابن خالويه في هذه الأفعال الثلاثة، وزاد ابن جني: أقصر عن الشيء فهو قصار، وحصرها في هذه الأربعة، وذكر أبو علي الفارسي أن بعضهم ينكر (سأَّر). انظر: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ص: ٣١٥)، و«المسائل البصريات» لأبي علي (١/ ١٧). و«المحتسب» (٢/ ٢٤١ و٣٤٩). ومعنى أسأر: أبقى شيئاً من الشراب في قعرِ الإناء، وسَأَّرٌ نعت منه على غير قياسٍ؛ لأن قياسه: مُسْئِر. انظر: «الصحاح» مادة: (س أ ر).

(٣) ذكر نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة»، مادة: (ع ن د) (٢/ ١٣١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٦).

(١٦) ـ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أكثرُهم على أنَّه هاهنا بمعنى: قُدَّام، وقيل: من وراءِ حياتِه؛ أي: بعدَ موتِه، وهو ظرفُ مكانٍ خلافَ: قُدَّام.

وقيل: هو منَ الأضدادِ، وحقيقتُه: ما توارى عنك(١).

وقيل: معناه: من وراءِ ما هو فيه جهنَّمُ؛ أي: يتلوه.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ جاءَ في التَّفسيرِ: أنَّه القيحُ والدَّمُ.

قتادةُ: ما يخرُجُ من بينِ جلدِ الكافرِ ولحمِه(٢).

الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: هو غُسالةُ أهلِ النّارِ، وذلك من فُروجِ الزُّناةِ(٣).

فعلى هذه الأقاويلِ ﴿صَدِيدٍ﴾ بدلٌ منَ (الماءِ).

وقيل: من ماءٍ مثلِ صديدٍ، فحُذِفَ المُضافُ(٤).

وقيل: ﴿صَدِيدٍ﴾: يصُدُّ عن شُربه لكراهةِ مذاقِه، فيكونُ وصفًا(٥).

***

(١٧) ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتحسَّاهُ ويشربُه جُرعةً جُرعةً لمَرارتِه وحرارتِه.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾؛ أي: يُسيغُه بعد إبطاءٍ، تقولُ: ساغَ الشَّرابُ يسوغُ سَوغًا: إذا جازَ الحَلْقَ ووصلَ إلى الجوفِ.

وقيل: لا يسوغُ في حلقِه، بل يَغَصُّ به فيطولُ به عذابُه.

وقيل: الإساغةُ إنَّما تكونُ مع تقبُّلِ النَّفسِ، فيكونُ ﴿لَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ نفيًا.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: أسبابُه منَ الشَّدائدِ التي الواحدةُ منها مُهلِكةٌ لو كانَ ثَمَّ موتٌ.

وقولُه: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جهاتِه السِّتِّ.

وقيل: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من بدنِه حتَّى أطرافِ شعرِه[1].

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنَّه لو ماتَ استراحَ، وليس لهم موتٌ ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: ومن وراءِ المذكورِ الخلودُ في النّارِ، وقيل: هو حبسُ الأنفاسِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: فيما أَنزلَ اللهُ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[2]، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

وقيل: تقديرُه: مثَلُ أعمالِ الذين كفَرُوا بربِّهم كرمادٍ، فلما حُذِفَ التبَسَ فأُعيدَ[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦) واستغربه.

(٢) أي: ﴿مَّثَلُ﴾ مرفوعٌ بالابتداءِ، وخبرُه محذوف تقديره: فيما أَنزلَ الله، أو نحوه كـ: فيما يقص عليكم مَثَلُ الذين كفروا. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣)، و«الكشاف» (١/ ٧٢) و(٢/ ٥٣٢ و٥٤٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، واستغربه.

وقيل: المثلُ زيادةٌ، وتقديرُه: الذين كفروا أعمالُهم كرَمادٍ.

وقيل: معنى المثَلِ الصِّفةُ، وفيه ضعفٌ، وقد سبق.

﴿كَرَمَادٍ﴾ ابنُ عيسى: هو جسمٌ يسحَقُه الاحتِراقُ سحقَ الغُبارِ[1].

﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: حملَتْه.

وقيل: ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: أسرعَتِ الذَّهابَ به.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العُصوفُ: اشتِدادُ الرِّيحِ، وجازَ وصفُ اليومِ به كما جاء: نهارُه صائمٌ وليلُه قائمٌ؛ أي: هو صائمٌ قائمٌ فيه، وكذلك: ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ أي: ريحُه عاصفةٌ.

وقيل: في يومٍ عاصفِ الرِّيحِ، فحُذِفَتِ الرِّيحُ ونُوِّنَ الاسمُ.

وقال الكوفيُّونَ: مجرورٌ للجِوارِ[2]، وفيه ضعفٌ.

قال الشَّيخُ[3]: ويحتمِلُ: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ هبوبُ ريحِه.

وقيل: ﴿عَاصِفٍ﴾ ذو عَصْفٍ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أعمالُهم وكسبُهم هي التي كسبوها منَ الخيراتِ كالصَّدقاتِ وصلةِ الرَّحمِ وبناءِ القناطرِ وسائرِ أبوابِ البرِّ؛ لأنَّ الكفرَ مُحبِطٌ.

والثاني: هي أعمالُهم التي عمِلُوها للأصنامِ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٢١).

(٢) أي: ﴿عَاصِفٍ﴾ مِن صِفَة الرِّيح، إلاَّ أنه لمَّا جاء بعدَ اليومِ أُتبعَ إعرابَه كما قيل: جُحرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٣)، و«البحر» (٦/ ٤٢٣).

(٣) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

ومعنى الآيةِ: إنَّ أعمالَ الكفّارِ تصيرُ هباءً منثورًا، فتَبْطلُ بُطلانَ رمادٍ حصلَ في غبراءَ ذهبَتْ به الرِّيحُ فبدَّدَتْه ومزَّقَتْه فصيَّرَتْه بحيثُ لا يُرَى ولا يُنتَفَعُ به.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾؛ أي: ما وصَفْنا ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ عنِ القصدِ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الرَّشادِ.

***

(١٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: قُلْ لكلِّ واحدٍ منهم. وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه.

وقُرِئَ: ﴿خالقُ﴾ بالإضافةِ[1]، والمعنى فيهما سواءٌ.

قولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًّا. وقيل: لم يخلُقْهما عبثًا. وقيل: للحقِّ؛ أي: ليُعلِّمَ النّاسَ الحقَّ ويأمرَهُم به.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما لجلِّ[2] المُفسِّرين؛ أي: يُفني مَن على الأرضِ ويأتي بأمثالٍ لهم.

وقيل: يُفني بني آدمَ ويأتي بنوعٍ غيرِهم[3].

وقيل: خطابٌ لأهلِ مكّةَ؛ أي: يُميتُكم ويخلُقُ غيرَكم مَن هم أطوعُ له منكم.

والجديدُ: القريبُ العهدِ بالجَدِّ، وهو القطعُ.

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون: ﴿خَلَقَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٢) في (و): «جلّ».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، واستغربه.

(٢٠) - ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾.

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾: ممتنعٍ، بل سهلٌ عليه يسيرٌ.

***

(٢١) - ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ أي: خرَجُوا من قُبورِهم لأمرِ الله ومحاسبتِه.

والبُروزُ: الظُّهورُ، والبَرازُ بفتحِ الباءِ: الصَّحراءُ؛ لظُهورِها.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾: جمعُ ضعيفٍ؛ أي: ضعيفُ الرَّأيِ والتَّدبيرِ، وهم السَّفلةُ والتّابعون.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾: تكبَّروا. ابنُ عيسى: طلَبُوا الكِبْرَ، والكِبْرُ: رفعُ النَّفسِ فوقَ القَدْرِ[1]. وهم الرُّؤساءُ والسّادةُ.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾؛ أي: فعَلْنا ما أمرتُمونا به، جمعُ تابعٍ، وقيل: مصدرٌ.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾: فهل تقدرون أن تدفعُوا عنّا شيئًا ممّا نحنُ فيه بصرفِه عنَّا أو بحملِه، وإنْ قلَّ.

﴿قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾؛ أي: اختَرْنا لكم ما اختَرْناه لأنفُسِنا، وكنَّا حَسِبْنا أنّا راشِدون مُرشِدون، ولكنْ ضلَلْنا فأضلَلْناكُم.

وقيل: لو هدانا الله إلى النَّجاةِ منَ العذابِ لهدَيناكُم إليها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ قال مُقاتلٌ: إنَّهم يقولون في النّارِ: تعالَوا نجزَعْ،

---

(١) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» (٣/ ١٩٢) بلا نسبة.

فيجزَعُونَ خمسَ مئةِ عامٍ فلا ينفعُهم الجزَعُ، فيقولون: تعالَوا نصبِرْ، فيصبِرون خمسَ مِئةِ عامٍ فلا ينفعُهم الصَّبرُ، فحينئذٍ يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾[1].

﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: مَهربٍ ومَعدِلٍ[2] عنِ العذابِ. والحيصُ: الزَّوالُ عنِ المكروهِ. وقيل: الحيصُ: العدول[3] على جهةِ الفرارِ، ووقعَ فلانٌ في حَيْصَ بَيْصَ: إذا وقعَ فيما لا يقدرُ أن يتخلَّصَ منه[4].

***

(٢٢) - ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: إبليسَ ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: أُحكِمَ وفُرِغَ منه ودخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ.

وجاء في التَّفاسيرِ: أنَّه يُوضَعُ له مِنبرٌ في النَّارِ فيرقاهُ، فيقولُ: يا أهلَ النَّارِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: وعَدَ وأنجزَ ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾؛ أي: وعدتُكم وعدَ الباطلِ، وهو ما وعَدَ وأخلَفَ، وهما ضِدّانِ، ووعدُ الله الجنّةُ والثَّوابُ، ووعدُ إبليسَ أنْ لا جنّةَ ولا نارَ ولا بعثَ ولا حساب.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٢)، وذكره عن مقاتل الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٢٧ - ٦٢٨) معناه عن ابن زيد.

(٢) أي: مَصرِف. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع و ل) (٢٩/ ٤٤٩).

(٣) في (و): «العدل».

(٤) انظر: «العين» مادة: (ح ي ص) (٣/ ٢٦٩)، و«الإتباع» لأبي الطيب اللغوي (ص: ١٤).

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ. وقيل: من اقتدارٍ وإمكانٍ ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناءٌ مُنقطعٌ؛ أي: لكنِّي دعوتُكم بالوساوسِ ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أسرعتُم إجابَتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ فإنَّ مَن تجرَّدَ بالعداوةِ لا يُلامُ إذا دعا إلى أمرٍ قبيحٍ، ولأنَّ الله قد قالَ لكم: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ إذ تبِعتُموني لا لحجَّةٍ وبرهانٍ، ولا لتَسليطٍ وغلَبةٍ.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثِكُم فأُخرِجَكم منَ النّارِ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمُغيثِيَّ فتُخرِجُوني منها.

تقولُ: استَصْرَخَني فأَصْرَخْتُه؛ أي: استَغاثَني فأغَثْتُه، وأصلُه منَ الصُّراخِ، وهو الصَّوتُ الشَّديدُ.

وقراءةُ حمزةَ(١) محمولةٌ على أنَّ الياءَ حُرِّكت بالكسرِ عند اجتماعِ السّاكنَين، ووجهُ قراءةِ سائرِ القُرّاءِ أنَّ الياءَ لـمَّا وجَبَ تحريكُه رُدَّ إلى حركتِه التي كانت له، وهي الفتحُ.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: (ما) بمعنى: مَن، و﴿مِن قَبْلُ﴾ متَّصلٌ بالكفرِ؛ أي: كفرتُ باللهِ زمنَ آدمَ حينَ امتنعْتُ عنِ السُّجودِ له.

ابنُ جريرٍ: جحَدْتُ أن أكونَ شريكًا لله فيما أشرَكْتُموني فيه من عبادتِكُم في الدُّنيا(٢).

---

(١) قرأ حمزة: (بمصرخيِّ) بتحريك الياء بالكسر، وحركها الباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤)، وقال الداني: «هي لغة حكاها الفراء وقطرب وأجازها أبو عمر».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٦٢٩).

ابنُ بحرٍ: إنِّي كفرتُ اليومَ بما كنتُم في الدُّنيا تدَّعونَه لي من الشَّركةِ لله(١). قال: وهذا كقولِه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

وقيل: كفرتُ بإشراكِكُم إيَّايَ بالله.

وقيل: بطاعتِكُم إيَّايَ في الدُّنيا.

وقيل: إنِّي كفرتُ قبلَكم بما أشرَكْتُموني من بعدُ، فإنَّ كفرَ إبليسَ قبلَ كُفرِهم.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمِلُ أنَّه من تمامِ كلامِ إبليسَ، ويحتمِلُ الاستئنافَ.

***

(٢٣) ـ ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: هو تسليمُ بعضِهم على بعضٍ في الجنَّةِ، وتسليمُ الملائكةِ عليهم.

***

(٢٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: ألَـم تعلَمْ، والعلمُ مُعلَّقٌ لمكانِ الاستفهامِ(٢)، والمعنى: تنبَّه لهذا المثَلِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٣١).

(٢) أي: علق الفعل (تر) عن العمل بسبب الاستفهام، والتعليق: ترك العمل في اللفظ لا في التقدير =

والكلمةُ الطَّيِّبةُ: هي لا إلهَ إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله، هذا قولُ الجمهورِ.

وقيل: الكلمةُ الطَّيِّبةُ: جميعُ أفعالِ المُؤمنِ وطاعتِه.

الأصمُّ: الكلمةُ الطَّيِّبةُ: القرآنُ(١).

ابنُ بحرٍ: الكلمةُ الطَّيِّبةُ: دعوةُ الإسلامِ، وهو الدِّينُ وما يَعتزي إليه المُؤمنُ(٢).

والمُرادُ بالطَّيِّبِ: أن يكونَ منَ الإخلاصِ.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي شجرةٌ في الجنّةِ(٣).

والجمهورُ على أنَّها النَّخلةُ، وفي «الصِّحاحِ» من حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال ذاتَ يومٍ لأصحابِه: «إنَّ شجرةً منَ الشَّجرِ لا تطرحُ ورقَها، وهي مَثَلُ المؤمنِ، فأخبِروني ما هي؟» قال: فوقعَ النّاسُ في شجرِ البوادي، ووقعَ في نفسي أنَّها النَّخلةُ وأردتُ أن أقولَ: هي النَّخلةُ، ثمَّ نظرتُ فإذا أنا أصغرُ القومِ فاستحيَيْتُ وسكَتُّ، فقالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «هي النَّخلةُ» فذكَرْتُ ذلك لأبي فقالَ: يا بُنيَّ، لو كنتَ قُلتَها لكانَتْ أحبَّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ(٤).

وقيل: الشَّجرةُ الطَّيِّبةُ: هي المؤمنُ(٥).

= لمانع، وقد ذهب الجمهور إلى أن التعليق يكون في أفعال القلوب عامة، ونقل عن ثعلب والمبرد وابن كيسان أن أفعال الظن لا تعلق. انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ٢١١٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٥٥٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨)، وعدَّه من العجائب. ويعتزي: ينتمي وينتسب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٤).

(٤) رواه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨) واستغربه.

قولُه: ﴿أَصْلُهَا﴾: أصلُ هذه الشَّجرةِ ﴿ثَابِتٌ﴾ في الأرضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾: أعلاها وأفنانُها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: عالٍ نحوَ السَّماءِ، كذلك الإيمانُ والقرآنُ ثابتٌ في قلبِ المؤمنِ، وقراءتُه وتسبيحُه وطاعتُه عالٍ[1] مُرتفِعٌ إلى السَّماءِ ليس لها حجابٌ، ومثلُه قولُه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

* * *

(٢٥) ـ ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾: تُخرِجُ ثمرَها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قيل: كلَّ سنةٍ؛ لأنَّ الثَّمرَ في السَّنةِ مرّةٌ.

وقيل: ستّةَ أشهُرٍ؛ لأنَّ الثَّمرةَ تبقى عليها ستّةَ أشهرٍ.

وقيل: شهرَين، وهما مدّةُ الصِّرامِ إلى وقتِ ظُهورِ الطَّلْعِ[2].

وقيل: بُكرةً وعشيًّا، وهذا فيمَنْ فسَّرَ الشَّجرةَ بالمُؤمنِ؛ أي: يصعدُ منها إلى الله صالحُ أعمالِه دائمًا[3].

وأصلُ (حين) اسمٌ للزَّمانِ مُبهَمٌ[4].

والمعنى: أنَّ المؤمنَ في إدامةِ الخيرِ من جهتِه كالنَّخلةِ دامَ خيرُها.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ فإنَّها أتمُّ للبيانِ وأوضحُ للبرهانِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) «عال»: من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) المقصود باسم الزمان المبهم أنه يُفسر بما يضاف إليه، ولكن أسماء الزمان المبهمة تقسم إلى موغل في الإبهام. وغير موغل في الإبهام، و(حين) غير موغل في الإبهام. انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٥٤)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٨١)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ١٥١).

(٢٦) ـ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ يعني: الكفرَ، وقيل: كلُّ كلمةٍ نهى الله عنها فهي خبيثةٌ.

ابنُ بحرٍ: دعوةُ الكفرِ وما يَعتزي إليه الكافرُ[١].

والخبيثُ: القبيحُ، وكلُّ كلامٍ لا يرضاهُ الله فهو خبيثٌ.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنَّها الحنظلُ»[٢].

وقيلَ: الكُشُوث[٣].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه شجرةٌ لم يخلُقْها الله، وهو مثَلٌ[٤].

ومعنى ﴿خَبِيثَةٍ﴾: كريهةُ المطعمِ مرُّ المَذاقِ، تنفرُ عنها الطِّباعُ.

﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: استُؤْصِلَتْ جُثَّتُه وقُلِعَتْ بتمامِها؛ لأنَّ عروقَها قريبةٌ منَ الظَّاهرِ لا تثبُتُ زمانًا، بخلافِ النَّخلةِ وكثيرٍ من سائرِ الأشجارِ، كذلك الكافرُ ليس لقولِه ولا لعملِه أصلٌ يستقرُّ على الأرضِ ولا فرعٌ يصعدُ إلى السَّماءِ.

---

(١) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٣٣)، وقد وقع في المطبوع منه: «أن تجر»، وهو تحريف، ووقع فيه: «يعزى» وهو تحريف أيضاً، والاعتزاء الاتصال بالدعوى إذا كانت حرب، فكل من ادَّعى أنا فلان بن فلان، فقد اعتزى إليه. واعتزى إلى أبيه: انتسب. انظر: «العين» مادة: (ع ز و) (٢/ ٢٠٥)، و«ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ١٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٣١١٩) عن أنس رضي الله عنه، مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف، ورواه أيضًا أبو يعلى في «مسنده» (٤١٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٥).

(٣) (الكشوث) بالثاء المثلثة: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ش ث).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٥٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّه قال: ذُكِرَتِ الكَمْأةُ عندَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فقالَ رجلٌ: إنّي لأراها الشَّجرةَ اجتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ، واللهِ ما لها من فرعٍ ولا أصلٍ، فقالَ عليه السَّلامُ: «لا تقُلْ ذلك، إنَّها منَ المنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعينِ[1]، والعجوةُ منَ الجنّةِ، وهي شفاءٌ منَ السُّمِّ»[2].

ورَوَى أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنّه قال: «مثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ كمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها طيِّبٌ، ومثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثَلِ التَّمرةِ؛ طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومثَلُ الفاجرِ الذي يقرأُ القرآنَ كمثَلِ الرَّيحانِ؛ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مرٌّ، ومثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثَلِ[3] الحنظَلِ؛ طعمُه خبيثٌ وريحُه خبيثٌ»[4].

***

(٢٧) ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، أي: يُديمُهم عليه ويمنعُهم منَ الزَّوالِ والاضطِرابِ، والقولُ الثّابتُ هو قولُ: لا إلهَ إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله.

والباءُ باءُ السَّببِ[5]؛ أي: بسببِه.

---

(١) في (و): «العين».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٠٥١)، والترمذي (٢٠٦٨) وقال: «حديث حسن».

(٣) في (و): «مثل» دون كاف في المواضع الثلاثة.

(٤) رواه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٥) وهو متعلق بالفعل (يثبت)، وهذه الباء تشبه الباء التي يسميها النحويون باء الاستعانة، ولكن استخدام الاستعانة غير جائز إلا في الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى، أما السبب فلا إشكال فيه، انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٥٠)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٣٩).

وقيل: الباءُ مُتَّصلٌ بالإيمانِ؛ أي: آمنوا بهذا القولِ[١].

ومعنى ﴿ٱلثَّابِتِ﴾: الدّائمُ النَّفعِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ.

جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في عذابِ القبرِ.

ورَوَى البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ ذكرَ قبضَ روحِ المؤمنِ قال: «فتُعادُ رُوحُه في جسدِه ويأتيه ملَكانِ فيُجلِسانِه في قبرِه ويقولانِ له: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقولُ: الله ربِّي[٢]، وديني الإسلامُ، ونبيِّي محمَّدٌ، فينتَهِرانِه ويقولانِ الثّانيةَ: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومَن نبيُّك؟ وهي آخرُ فتنةٍ، فيُنادي مُنادٍ منَ السَّماءِ: أنْ صدَقَ عبدي» قالَ: «فذلك قولُه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[٣].

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ قيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: القبر، ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾: بعدَ البعثِ.

وقيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُريدُ: الإيمانَ في الدُّنيا ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ القبرِ.

وقيل: يَحْيَى في الدُّنيا على الإيمانِ، ويُحشَرُ على الإيمانِ.

وقيل: التَّثبيتُ في الدُّنيا: الفتحُ والنَّصرُ، وفي الآخرةِ: الجنَّةُ والثَّوابُ.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا يُثبِّتُهم على القولِ الثّابتِ.

وقيل: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: يخذُلُهم ولا يُوفِّقُهم.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: فلا اعتِراضَ عليه في تثبيتِ المُؤمنين وإضلالِ الظّالمين.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

(٢) في (ن): «فيقول ربي الله».

(٣) رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، والطيالسي في «مسنده» (٧٥٣)، وأبو داود (٤٧٥٣). ورواية الصحيحين مختصرة.

(٢٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ هم صناديدُ قُريشٍ وظلَمَتُهم، قطعَ الله دابرَهم يومَ بدرٍ.

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ وعليٍّ رضيَ الله عنهما: أنَّها نزَلَتْ في الأفجَرَين[١] من قُريشٍ؛ بنو المُغيرةِ وبنو أميَّةَ، فأمَّا بنو المُغيرةِ فكُفيتُموهُم يومَ بدرٍ، وأمَّا بنو أميَّةَ فمُتِّعوا إلى حينٍ[٢].

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ المُشركين.

و﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، بعثَه الله نعمةً عليهم فكفَرُوا وغيَّروا.

وقولُه: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ أي: بدَّلوا شكرَ نعمةِ الله كُفرًا.

الزَّجَّاجُ: هم أهلُ مكَّةَ؛ أسكنَهم الله حرَمَه، وآتاهُم نِعَمَه، وجعلَهم قُوَّامَ بيتِه، فبدَّلوا ذلك كفرًا[٣].

---

(١) في (ن) و(ط): «الأفخرين» وكذا وقع في مطبوع «المعجم الأوسط»، ولم تنقط في (و)، والمثبت من باقي المصادر.

(٢) في (و): «حتى حين». رواه عن علي رضي الله عنه سفيان في «تفسيره» (٤٦٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١٠) و(٢٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٢٦). ورواه عن عمر رضي الله عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٦٩) واللفظ له.

(٣) لم أقف عليه عن الزجاج، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٨١٥) دون نسبة. وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هم والله ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ قال: قريش أو قال: أهل مكة».

﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: هي جهنَّمُ. والبَوارُ: الهلاكُ، والبُوارُ: الهَلْكى، ورجلٌ بُورٌ، وامرأةٌ بُورٌ، ونسوةٌ بُورٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: دارُ البوارِ: بدرٌ(١).

***

(٢٩) - ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

﴿جَهَنَّمَ﴾ بدلٌ من: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

وعلى قولِ عليٍّ رضي الله عنه منصوبةٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ومعناه: يدخلُونها، وقيل: يُقاسُونَ حرَّها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾؛ أي: وبئسَ المقرُّ جهنَّمُ.

***

(٣٠) - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾؛ أي: سمَّوا أصنامَهم ﴿أَندَادًا﴾: أمثالًا لله ﴿لِيَضلُّوا عن سبيلِه﴾ اللّامُ لامُ العاقبةِ، والمعنى: كانت عاقبةُ اتِّخاذِهم الأندادَ الضَّلالَ عن الصَّوابِ، ومَن ضمَّ الياءَ(٢) فاللّامُ لامُ (كي)(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٣) عن علي رضي الله عنه قال في الآية: «هم كفار قريش يوم بدر».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٣) انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩)، و«منازل الحروف» للرماني (ص: ٢٢)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٠٨).

﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ﴾ بشـهواتِكُم وبعبـادةِ الأوثـانِ ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: مآلُكـم ومرجِعُكـم إليها، أمـرُ تهديـدٍ ووعيدٍ.

***

(٣١) ـ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خَصَّهم اللهُ بالإضافةِ إليه تشريفًا لهم[1].

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، وإقامتُها: إدامتُها بشروطِها.

﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ الزَّكاةَ الواجبةَ، وسائرَ أبوابِ البِرِّ.

وجَزمُ ﴿يُقِيمُواْ﴾ ﴿وَيُنفِقُواْ﴾ مُختَلَفٌ فيه:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿قُل﴾ بمعنى: مُرْ؛ أي: مُرْهُم بالصَّلاةِ يُقيمُوها؛ لأنَّهم مُؤمنون.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿قُل﴾ يقتَضي مقولًا وهو: ﴿أقيموا﴾؛ أي: قل: أقيموا يُقيموا؛ لأنَّهم آمنُوا.

وبعضُهم ذهبَ إلى أنَّه أمرٌ، والتَّقديرُ: لِيُقيمُوا ولْيُنفِقُوا، فحُذِفَ اللَّامُ.

﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ مصدرانِ وقَعا موقعَ الحالِ؛ أي: مُسرِّين ومُعلِنين.

والسِّرُّ: ما خفِيَ، والعلانيةُ: ما ظهرَ. وقيل: السِّرُّ: التَّطوُّعُ، والعلانيةُ: الفرضُ. وقيل: السِّرُّ: الصَّدقاتُ، والعلانيةُ: النَّفقاتُ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ يُريدُ: من قبلِ يومِ القيامةِ، ومعنى:

---

(١) لفظ (عباد) مخصوص بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم تنبيه المصنف على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: لا فِداءٌ، وقيل: لا يَقدرُ على ابتياعٍ[1] ما يُنجيه ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾؛ أي: لا مُخالّةٌ، وهي المودّةُ؛ أي: لا شفاعةَ للكفّارِ؛ لأنَّ الخليلَ يشفعُ للخليلِ.

و(الخِلالُ) مصدرٌ، وقيل: جمعُ خُلَّةٍ، كقُلَّةٍ وقِلالٍ.

***

(٣٢) - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ. وقيل: منَ السَّماءِ التي فيها الملائكةُ ينزلُ إلى السَّحابِ، ثمَّ ينزلُ منَ السَّحابِ إلى الأرضِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ حملِ الأشجارِ وغيرِه ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ مَعاشًا وغِذاءً.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ ذلَّلَ لكم رُكوبَ[2] السُّفُنِ ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ تجري فيها المياهُ.

وقيل: تسخيرُ هذه الأشياءِ: تعليمُ كيفيّةِ اتّخاذِها.

***

(٣٣) - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ في إصلاحِ ما يُصلِحانِه منَ النّاسِ والنَّباتِ لا يفتُرانِ. وقيل: دُؤُوبُهما في طاعةِ الله.

---

(١) في (و): «بيع».

(٢) في (و): «ركاب».

وغلَّبَ تذكيرَ القمرِ على تأنيثِ الشَّمسِ[١].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: هيَّأهما لمعاشِكُم، ولو كان الوقتُ كلُّه ليلًا أو كلُّه نهارًا ما كانَ على الأرضِ نباتٌ ولا حيوانٌ كما هو كذلك؛ حيثُ لا تُفارِقُه الشَّمسُ، وحيثُ لا تطلعُ عليه الشَّمسُ.

***

(٣٤) - ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾؛ أي: طلبتُم منَ الله ورغِبتُم فيه، والتَّقديرُ: من كلِّ شيءٍ سألتُموه شيئًا، كقولِه: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]: أي: من كلِّ[٢] شيءٍ احتاجَتْ إليه شيئًا.

وقيل: ما مِن شيءٍ إلّا وقد سألَه بعضُ النّاسِ[٣].

وقيل: معنى ﴿مِّن كُلِّ﴾ التَّكثيرُ، كما تقولُ: فلانٌ يعرِفُ كلَّ شيءٍ.

وقرأ يعقوبُ بالتَّنوينِ[٤]، فيكونُ ﴿مَا﴾ مفعولًا، ويجوزُ أن يكونَ نفيًا، ويجوزُ أن يكونَ للعمومِ.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (نعمةُ الله) هاهنا للجنسِ، وقد يأتي المُضافُ

---

(١) ومن سنن العرب تغليب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا. انظر: «فقه اللغة» (ص: ٢٢٥).

(٢) «من كل» من (ط).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٠)، واستغربه.

(٤) هي رواية شاذة عنه. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٥١٤).

جنسًا، والإحصاءُ: الإحاطةُ بمبلغِ العددِ، والمعنى: إن تَروموا عدَّها بقَصدِكم إليها لا تُحصوها لكثرتِها.

وقيل: وإنْ تعدُّوا آحادَها لا تُحصوا نهايتَها؛ لكثرتِها وجُمومِها[١].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾؛ أي: ظَلومٌ على نفسِه ﴿كَفَّارٌ﴾: كفورٌ نِعَمَ ربِّه.

الزَّجَّاجُ: تقديرُه: غيرَ المُؤمنين[٢].

***

(٣٥) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾: اذكُرْ إذ قالَ إبراهيمُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ صيِّرْ مكَّةَ ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمنٍ لمَن سكنَها.

قتادةُ: حرِّمْه من استِحلالِ حُرُماتِ الله فيه والاستِخفافِ بحقِّه[٣].

﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾؛ أي: بَعِّدْنا واجعَلْنا منه في جانبٍ؛ أي: ناحيةٍ وبُعدٍ؛ أي: ثبِّتْنا على اجتنابِها، تقولُ: جنبَه اللهُ السُّوءَ وأجْنبَه وجنَّبَه بمعنًى.

***

(٣٦) ـ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾؛ أي: ضلَّ بسببِ الأصنامِ كثيرٌ ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: هي ما يُسمَعُ منَ الصَّوتِ يخرجُ من أفواهِها بدخولِ الشَّيطانِ فيها.

---

(١) جموم: جمع جَمٍّ، وجمُّ الماء: معظمه. انظر: «تاج العروس» مادة: (ج م م) (٣١/ ٤١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٦٤).

(٣) لم أقف عليه عن قتادة، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٠٨).

﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ على ديني وملَّتي، وقيل: وليِّي ونَصيري.

﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: له إنْ تابَ وآمنَ.

* * *

(٣٧) - ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ يعني: إسماعيلَ وأمَّه هاجرَ، والمفعولُ محذوفٌ، وقيلَ: ﴿مِن﴾ زيادةٌ[1]، والوجهُ الأوَّلُ.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: مكَّةَ، لا زرعَ بها ولا نباتَ؛ لأنَّها جبلٌ وحجرٌ، والباءُ بمعنى: في.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ هو بيتُ الله لـم يملِكْه أحدٌ سوى الله.

ومعنى ﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾: حـرَّمَ فيه المُجامعةَ وأشياءَ ممّا يجوزُ لهم تعاطيها في بيوتِهم منَ الدِّماءِ والأقذارِ وغيرِها.

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾؛ أي: عظيمِ الحرمةِ.

وأشارَ بقولِه: ﴿بَيْتِكَ﴾ إلى ما بناه آدمُ عليه السَّلامُ فرفعَ زمنَ[2] الطُّوفانِ.

وقيل: ﴿بَيْتِكَ﴾ الذي قضَيتَ في سابقِ علمِكَ أن يُبنَى.

وجاءَ في القصصِ: أنَّ سارةَ كانت لها جاريةٌ يُقالُ لها: هاجَرُ، فوهبَتْها لإبراهيمَ

---

(١) التقدير على القول الأول: أسكنت ذريةً من ذريتي؛ فـ (مِن) للتبعيض، والجار والمجرور صفة المفعول المحذوف، والتقدير على القول الثاني: أسكنت ذريتي، والمعنى أدق على التقدير الأول؛ لأن إسحاق وأبناءه من ذرية إبراهيم ولم يسكنهم مكة.

(٢) في (و): «من».

عليه السَّلامُ، فولدَتْ منه إسماعيلَ، فغارَتْ سارةُ وناشدَتْه أن يُخرِجَهما من عندِها، فأخرَجَهما إبراهيمُ إلى أرضِ مكّةَ، ثمَّ رجعَ إلى سارةَ.

وذكرَ محمَّدُ بنُ الـهَيْصَمِ في «القصصِ»: أنَّ سارةَ بعدَما بُشِّرت بالولدِ جعلَتْ تُهيِّئُ أسبابَ الولادةِ منَ المهدِ وغيرِه، وكان فيها أصفرُ وأخضرُ، فضحكَ إسماعيلُ، فغضِبَتْ سارةُ وقالت: منزلتُك بلغَتْ أن تضحَكَ منِّي، إنِّي لا أراكَ تمكُثُ هاهنا، فحملَه إبراهيمُ وأسكنَه الوادي، فأظهرَ الله عينَ زمزمَ، ثمَّ إنَّ جُرهُمَ ـ قبيلةً منَ العربِ ـ نظروا فرأَوا ثَمَّ طيورًا، فقالوا: لا طيرَ إلّا على الماءِ، فقصدوا ذلك الموضعَ فرأَوا هاجرَ وإسماعيلَ وعندَهما عينُ ماءٍ، فقالوا: أشرِكينا في مائِكِ هذا نُشْرِكْكِ في ألبانِنا، ففعَلَتْ ذلك، فنزَلُوا.

واختلَفُوا في سِنِّ إسماعيلَ؛ فقيل: كان بالغًا حينَ أسكنَه الوادي، ألا ترى أنَّه كان يُعينُ إبراهيمَ في بناءِ البيتِ. وقيل: إنَّه كان قد نشأ ولـم يبلُغْ بعدُ. وقيل: إنَّه كان طفلًا. وهو الأكثرُ.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذه لامُ (كي)، وهي مُتَّصلةٌ عندَ بعضِ النُّحاةِ بقولِه: ﴿أَسْكَنتُ﴾، وعندَ بعضِهم بقولِه: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وعندَ بعضِهم: هي لامُ الأمرِ، كأنَّه دَعا لهم بإقامةِ الصَّلاةِ.

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: جمعُ فـؤادٍ، وسُـمِّي فُـؤادًا لتفَـؤُّدِه[1]، وفَأَدْتُ: شَـوَيْتُ، والمِفْأَدُ: السَّـفُّودُ[2].

وقال المُؤرِّجُ: الأفئدةُ: القِطَعُ منَ النّاسِ بلُغةِ قُريشٍ، وإليه ذهبَ ابنُ بحرٍ، وفيه نظرٌ[3].

---

(١) أي: لتوقُّده. انظر: «العين» مادة: (ف ي د) (٨/ ٧٩).

(٢) السَّفُّود: حديدة يُشْوَى عليها اللحمُ. انظر: «اللسان» مادة: (س ف د).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨١)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٧).

﴿تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾: تُسرِعُ إليهم بالمودَّةِ والمحبَّةِ فينزلون بها ويحجُّونَ إليها عامًا فعامًا، والهُوِيُّ: النُّزولُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وإذا كانَ على الضِّدِّ فـ (الهَوِيُّ) بالفتحِ[1].

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (تَهْوَى) بالفتحِ[2] من: هَوَيتُ الشَّيءَ.

مُجاهدٌ: لو لـم يُدْخِلْ (من) لازدَحَمَتْ عليه فارسُ والرُّومُ[3].

ابنُ جُبيرٍ: لو قالَ: أفئدةَ النّاسِ، لحجَّتِ اليهودُ والنَّصارى[4].

سأَلَ اللهَ إبراهيمُ أن يُحبِّبَ مكّةَ إلى النّاسِ، فاستجابَ الله دُعاءَه ففرَضَ على النّاسِ الحجَّ إليه، فسارُوا إليه من كلِّ فجٍّ عميقٍ.

وقولُه: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: هي ما تُحمَلُ إليها منَ الأطرافِ، فصارَ سببًا لمعاشِهم، وأظهرَ طائفَ بالقُربِ منها، أو نُقلَ إليها على ما يُذكرُ في (القصصِ)[5]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

* * *

(٣٨) ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: ما نُظهِرُ وما نُضمِرُ.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٣٧٩).

(٢) نسبت هذه القراءة لجعفر بن محمد ومجاهد اليماني. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٣).

(٥) في (ن): «في القصص: أن طائف هي قرية من سبأ نقل إلى قرب مكة، ومن وادي مكة نقل إلى سبأ».

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: هو اعتراضٌ بينَ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وبينَ كلامِ الله.

وقيل: ذلك من تمامِ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وُلِدَ إسماعيلُ لإبراهيمَ وهو ابنُ تسعٍ وتسعينَ سنةً، ووُلِدَ له إسحاقُ وهو ابنُ مئةٍ واثنتَي عشرةَ سنةً(١).

وقيل: سبعَ(٢) عشرةَ ومئةِ سنةٍ(٣).

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: سامعٌ له، وقيل: مُجيبُ الدُّعاءِ لمَن أرادَ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ابنُ عبَّاسٍ: لا يزالُ ناسٌ من ولدِ إبراهيمَ على الفطرةِ حتَّى تقومَ السَّاعةُ(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٩٠).

(٢) في (ن): «تسع». والمثبت من (و) و(ط)، وهو الموافق لما في المصادر وستأتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٢) عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٧)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٦١).

(٤) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩) عن ابن جريج.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: استَجِبْ دُعائي. وقيل: اجعَلْه دُعاءً[١] مقبولًا مُجابًا. وقيل: معنى[٢] دُعائي: إيماني وعمَلي وعبادَتي.

***

(٤١) ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ العذرُ لإبراهيمَ عن استغفارِه لأبيه سبقَ[٣].

وقد قُرِئَ في الشَّواذِّ: (ولولديَّ)[٤] يُريدُ: إسماعيلَ وإسحاقَ.

قولُه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يومَ القيامةِ.

***

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ميمونُ بنُ مِهْرانَ: إنَّ هذا وعيدٌ للظَّالمينَ وتعزيةٌ للمظلومين[٥].

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يُؤخِّرُ عذابَهم ويُمهِلُهم ﴿لِيَوْمٍ﴾: لجزاءِ يومٍ. ويجوزُ:

---

(١) «وقيل اجعله» ليس في (ن).

(٢) «معنى» من (ن).

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٥].

(٤) نسبت إلى الحسين بن علي والزهري والنخعي. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٦٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦٢)،

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٩٥).

إلى يوم ﴿تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؛ أي: لا تغتمِضُ ممَّا تنالُه منَ الكربِ والهولِ، مثلُه: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

***

(٤٣) ـ ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾.

﴿مُهۡطِعِينَ﴾: مُسرِعين إلى الدَّاعي، والإِهْطاعُ في اللُّغةِ: الإسراعُ والبِدارُ(١).

وقيل: المُهطِعُ: الفاتحُ عينَه لا يَطرُفُ.

وقيل: النَّاظرُ بذُلٍّ.

ابنُ عيسى عن أبي زيدٍ: المُهطِعُ: المُطرِقُ لا يرفعُ رأسَه(٢).

وقيل: الإِهطاعُ: إدامةُ النَّظرِ مع فتحِ العينَينِ، وليس من هذا التَّركيبِ غيرُ هذه الكلمةِ.

﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ مُفسَّرٌ بوجهَين:

أحدُهما: رافِعي رُؤوسِهم، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٣).

والثَّاني: ناكِسي رُؤوسِهم بلغةِ قُريشٍ، حكاه المُؤرِّجُ(٤).

والأوَّلُ أكثرُ(٥).

---

(١) وهو المعنى الأشهر كما قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٦) عن ابن زيد، وذكره عن الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٦)، وحكي في «الهداية» (٥/ ٣٨٣٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥١).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٤٠).

(٥) فهو من الأضداد، ومعنى رفع فيه أكثر كما نقل أبو حيان عن المبرد. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٣).

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أي: نظرُهم، فهو مصدرٌ؛ أي: بقيَتْ عيونُهم شاخصةً منَ الخوفِ لا تطرُفُ.

وقيل: الطَّرفُ: العينُ، ووحَّدَ اكتِفاءً بجمعِ المُضافِ إليه(١).

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: لا تعي شيئًا.

وقيل: نُزِعَتْ أفئِدتُهم من أجوافِهم.

وقيل: ﴿هَوَآءٌ﴾: جَوْفٌ لا عقلَ لها.

وقيل: خاليةٌ عن كلِّ خيرٍ.

وقيل: تدورُ في أجوافِهم لا تستقرُّ(٢).

وقيل: الفؤادُ موضعُ القلبِ كالصَّدرِ(٣).

والمعنى: خلَعَ الخوفُ قلبَهم فليس بينَ جوانِحِهم قلبٌ.

* * *

(٤٤) - ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: أنذِرْ يا محمَّدُ كفَّارَ مكَّةَ وغيرَهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يُريدُ: يومَ القيامةِ، وهو مفعولٌ به(٤).

---

(١) فكلمة (عينهم) تدلُّ على ما تدلُّ عليه (عيونهم)؛ لأنه يستحيل أن تكون لهم جميعاً عين واحدة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) لأن يوم مجيء العذاب ليس ظرفاً للإنذار، فهو يوم لا ينفع فيه الإنذار سواء فسِّر بيوم القيامة أو يوم الموت.

وقيل: يومَ الموتِ[١].

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: يقولُ الكفّارُ: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾؛ أي: أخِّرِ العذابَ عنَّا ورُدَّنا إلى الدُّنيا.

ومَن حمَلَ (اليومَ) على يومِ الموتِ قالَ: سألُوا أن يُؤخِّرَهم فلا يُميتَهم في الوقتِ ويُبقِيَهم إلى أجلٍ يُؤمنون فيه.

ومعنى ﴿قَرِيبٍ﴾: مِقدارُ ما نُجيبُ دعوتَك، وهو الإسلامُ، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ على دينِهم، وذلك زمانٌ قليلٌ. فيُجابون:

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾؛ أي: حلَفْتُم في الدُّنيا أنَّكم إذا مِتُّم لا تزولون عن تلك الحالةِ إلى حياةٍ ثانيةٍ، كقولِه: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

وقيل: حلَفْتُم لا تزولون بعذابٍ، وليس يعني به زوالَ موتٍ؛ لأنَّهم مُقِرُّون بالموتِ.

وقيل: لا تزولون عن هذه الدُّنيا إلى دارٍ أُخرَى، بل نحيَى فيها ونموتُ فيها[٢].

المُبرِّدُ: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يعني: قولَهم: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾؛ أي: لا تزولون عمّا أنتم عليه، ولا تُجابونَ إلى ما تُريدونَ[٣].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٣) دون نسبة، واستغربه.

(٤٥) ـ ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾.

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالكفرِ والمعاصي؛ أي: نزلتُم منازلَ الكفّارِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرِهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾؛ أي: ظهرَ لكم حالُهم.

وقولُه: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ تفسيرُ الحالِ؛ أي: شاهدتُم في منازلِهم آثارَ ما نزَلَ بهم؛ فإنَّها باقيةٌ.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾؛ أي: حُكمُكُم في كُفرِكُم حُكمُهم في حُلولِ العذابِ.

***

(٤٦) ـ ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾.

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ في تأييدِ الكفرِ[1] وبُطلانِ أمرِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، والمعنى: فعَلُوا ما أمكنَهم.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾: جزاءُ مكرِهم. وقيل: هو ثابتٌ عندَ الله ليومِ الجزاءِ غيرُ خافٍ عليه.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: وما كانَ مكرُهم لتزولَ، و﴿إِنْ﴾ بمعنى: (ما) كقولِه: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الجن: ٢٥] ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ [الأنبياء: ١١١]، واللامُ للجحدِ نحو: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣][2].

---

(١) في (و): «في تأييدهم في الكفر».

(٢) يرى البصريون أن المضارع ينتصب بعدها بأن المضمرة، ويرى الكوفيون أنها تنصبه بنفسها. انظر: =

و﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ أمرُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ وأعلامُه ودلالاتُه(١).

ومَن قرأ بفتحِ اللامِ(٢) فـ﴿إِن﴾ هي المُخفَّفةُ منَ الثَّقيلةِ، فيكونُ التَّعظيمُ لمكرِهم كقولِه: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح: ٢٢] خلافَ القراءةِ الأُخرى، وهذا كلُّه معنى كلامِ أبي عليٍّ(٣).

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه في جماعةٍ: أنَّ المُرادَ بالمكرِ هاهنا: ما كانَ من نُمْروذَ الجبَّارِ، وذلك أنَّه قالَ: إنْ كانَ ما يقولُه إبراهيمُ حقًّا فلا أنتهي حتَّى أعلَمَ ما في السَّماءِ، فعمَدَ إلى أربعةِ أفرُخٍ منَ النُّسورِ وعلَفَها اللَّحمَ وربَّاها حتَّى شبَّتْ واستفحَلَتْ ـ ويروى: استفلحت(٤) ـ، ثمَّ قعدَ في تابوتٍ، وجعَلَ معَه رجلًا آخرَ، وجعلَ له بابًا من أعلى وبابًا من أسفلَ، وربطَ التَّابوتَ بأرجُلِ النُّسورِ، وعلَّقَ اللَّحمَ فوقَ التَّابوتِ على عصًا، ثمَّ خلَّا عن النُّسورِ فطِرْنَ وصَعِدْنَ طمعًا في اللَّحمِ حتَّى أبعَدْنَ في الهواءِ، فقال نُمْروذُ لصاحبِه: افتحِ البابَ الأعلى وانظُرْ إلى السَّماءِ هل قربْنا منها، ففتحَ ونظرَ فقال: إنَّ السَّماءَ كهيأتِها، ثمَّ قالَ: افتحِ البابَ الأسفَلَ فانظُرْ إلى الأرضِ كيفَ تراها؟ ففعلَ ذلك، فقالَ: أرى الأرضَ مثلَ اللُّجّةِ البيضاءِ، والجبالَ مثلَ الدُّخانِ، فطارتِ النُّسورُ وارتفعَتْ حتَّى حالتِ الرِّيحُ بينَها

= «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٤٥)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ١٩٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٤٨٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٦٧)، وفيه: «أي: ما كان مكرهم ليزول به أمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام، وثبوته كثبوت الجبال الراسية».

(٢) قرأ الكسائي: ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١ ـ ٣٢).

(٤) «ويروى: استفلحت» ليس في (و)، ومعنى استفلح: فاز. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٧٩).

وبين الطَّيرانِ، فقالَ لصاحبِه: افتحِ البابين، ففتحَ الأعلى فإذا السَّماءُ كهيأتِها، وفتحَ الأسفلَ فإذا الأرضُ سوداءُ مُظلِمةٌ، ونُودِيَ: أيُّها الطّاغيةُ، أين تُريدُ؟

قال عِكرمةُ: كان معَه في التّابوتِ غلامٌ قد حملَ القوسَ والنُّشّابَ، فرمى بسهمٍ فعادَ إليه السَّهمُ مُتلطِّخًا بدمٍ، فقال: كُفيتَ شغلَ إلهِ السَّماءِ.

قال عكرمةُ: سمكةٌ فدَتْ نفسَها من بحرِ الهواءِ.

وقيل: طائرٌ منَ الطُّيورِ أصابَه السَّهمُ.

ثمَّ إنَّ نُمْروذَ أمرَ صاحبَه أن يُصوِّبَ العصا ويُنكِّسَ اللَّحمَ، ففعلَ ذلك، فهبَطَتِ النُّسورُ بالتّابوتِ[1].

ورَوَى الثَّعلبيُّ: فسمِعَتِ الجبالُ حفيفَ التّابوتِ والنُّسورِ، ففَزِعَتْ وظنَّتْ أنْ قد حدَثَ بها حدَثٌ منَ السَّماءِ، وأنَّ السّاعةَ قد قامَتْ، فذلك قولُه: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[2]. والعُهدةُ في هذا وأمثالِه على الرّاوي[3].

---

(١) ذكره الثعلبي «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤١٢ ـ ٤١٤)، وعنه نقل المصنف، ورواه عن علي رضي الله عنه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧١٨)، ورواه أيضًا عن سعيد بن جبير ومجاهد، ورواه الطبري أيضًا (١٤/ ٢٠٣) عن السدي، وفي خبر مجاهد أنه بختنصر، وكيف كان فقد ردَّ العلماء هذه القصة، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٦): «وذلك عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد أن يغرر أحد بنفسه في مثل هذا».

وقال الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٥): «واستبعد العلماء هذه الحكاية وقالوا: إن الخطر فيه عظيم، ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم، وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه، ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤١٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢١) عن سعيد بن جبير.

(٣) وهذه العبارة من المصنف تدلُّ على أنه يرى في هذه الأخبار شيئاً، لكن الظاهر أنه لم يكن من نقّادها.

(٤٧) ـ ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ هذا خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه. وقيل: تقديرُه: قل لكلِّ عاتٍ منهم.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: مُخلِفَ رُسُلِه وعدَه، فأُضيفَ إلى (الوعدِ) وهو في تقديرِ الانفصالِ؛ أي: مُخلِفًا وعدَه رُسُلَه.

الفرَّاءُ وقُطربٌ: لـمَّا تعدَّى الفعلُ إليهما جميعًا لم يُبالِ بالتَّقديمِ والتَّأخيرِ[1].

قال الشَّيخُ[2]: ويحتمِلُ أنَّ ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ منصوبٌ بالوعدِ لا بـ﴿مُخْلِفَ﴾[3]، ويكونُ معناه من قولِه: ﴿آتنا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، واقتصرَ المُخلِفُ على مفعولٍ واحدٍ كقولِه: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[4] [الزمر: ٢٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: لا يمتنعُ عليه شيءٌ.

ابنُ عيسى: الانتقامُ: الانتِصافُ منَ الجاني بالعقابِ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: تُزالُ وتُجعَلُ مكانَها أُخرَى.

والتَّبديلُ يُستَعملُ أيضًا في تغييرِ الأوصافِ مع بقاءِ الذّاتِ، كما يُبدَّلُ الخاتمُ خاتمًا إذا كُسِرَ وصيغَ صياغةً أُخرَى.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٩، ٨٠)، «البسيط» (١٢/ ٥١٣).

(٢) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، واستغربه.

(٤) في (و): «﴿لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾»، وهي الآية (٩) من آل عمران، و(٣١) من الرعد. وتصلح شاهداً كالمثبت.

فذهَبَ جماعةٌ إلى أنَّ الله تعالى يُفني هذه ويأتي بأُخرَى.

وابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ قالوا: يُؤتَى بأرضٍ كالفِضَّةِ نقيّةٍ لم يُسفَكْ فيها دمٌ، ولم يُعمَلْ عليها خطيئةٌ(١).

وقيل: تلك الأرضُ نارٌ(٢)، والجنّةُ من ورائِها يُرى أكوابُها وكواعِبُها.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ تلك الأرضَ من فضّةٍ، والجنّةُ من ذهبٍ(٣).

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ومحمَّدِ بنِ كعبٍ: هي أرضٌ من خُبزٍ يأكلُ منها المؤمنون من تحتِ أقدامِهم(٤). وجاء هذا مرفوعًا أيضًا(٥).

وذهبَ بعضُهم إلى أنْ تبدَّلَ أوصافُها، فابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: تُمَدُّ كما يُمَدُّ الأديمُ العكاظيُّ، وتُزالُ عنها جبالُها وآكامُها وأشجارُها وجميعُ ما فيها حتَّى تصيرَ مُستويةً، لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢٩)، والشاشي في «مسنده» (٢/ ١٣١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٩)، وقال الذهبي: «إسناده قوي».

(٢) في (ن): «النار»، والمثبت موافق لما رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤)، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي رضي الله عنه.

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥).

(٥) رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) روى ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٧)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٥١/ ٤١٦) واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأرض هي تلك الأرض، وإنما تبدل آكامها وجبالها وأنهارها وأشجارها، ثم أنشد: =

وقيل: يُزادُ فيها ويُنقَصُ.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾؛ أي: وتُبدَّلُ السَّماواتُ غيرَ السَّماواتِ.

قال عليٌّ رضي الله عنه: تصيرُ السَّماءُ من ذهبٍ(١).

كعبُ الأحبارِ: تصيرُ السَّماواتُ جِنانًا، ويصيرُ مكانُ البحرِ النّارَ(٢).

وقيل: تبديلُ السَّماواتِ: تكويرُ شمسِها وانتِثارُ كواكبِها وانشِقاقُها، وخُسوفُ قمرِها، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٣).

وقيل: تبديلُها: طيُّها، من قولِه: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

= وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩)، واللفظ للطبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات، فيبسطها، ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى، ما كان في بطنها ففي بطنها، وما كان على ظهرها كان على ظهرها، وذلك حين يطوي السماوات كطي السجل للكتاب، ثم يدحو بهما، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات».

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٦٦)، وهو رواية ثانية للخبر المتقدم قريباً عن علي: أنَّ تلك الأرضَ من فضّةٍ، والجنّةُ من ذهب، وإسناده مثله ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤١٦).

(٣) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٢٠). وبلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٦٩)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٨٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٦٧) وغيرهم.

وروى البيهقي في «البعث والنشور» ـ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٧) ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: تذهب شمسها وقمرها ونجومها». ولم أقف عليه في المطبوع من «البعث».

وقيل: تبديلُها: أن تكونَ مَرّةً كالمُهلِ، ومرّةً وردةً كالدِّهانِ.

وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ: أين يكونُ النّاسُ يومَ تُبدَّلُ الأرضِ؟ فقالَ: «على الصِّراطِ»[1]. ويُروَى: «على جسرِ جهنَّمَ»[2]، ويُروَى: «أضيافُ الله»[3]، ويُروَى: «في الظُّلمةِ دونَ الجسرِ»[4].

﴿وَبَرَزُوا﴾: خرَجُوا من قُبورِهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: لمُحاسبتِه إيّاهُم ومُجازاتِه على أعمالِهم.

***

(٤٩) ـ ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: الكفّارَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودينَ في القَرَنِ[5] وهو الحبلُ، وقيل: قُرِنوا في القيودِ والأغلالِ، من قرَنْتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ؛ أي: ضمَمْتُه، فيُقرَنُ الكافرُ مع الكافرِ، وقيلَ: الكافرُ مع شيطانِه.

المُبرِّدُ: يُجعَلُ كلُّ واحدٍ مع قرينِه.

﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: جمعُ صَفَدٍ، وهو الغُلُّ. وقيل: القَيدُ والكَبْلُ.

والصَّفَدُ: العطاءُ أيضًا[6].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٧٢٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥٣) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٣١٥) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٥) في (و): «القران».

(٦) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٣٩): «الصاد والفاء والدال أصلان صحيحان: أحدهما =

(٥٠) ـ ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾: قُمصانُهم. وقيل: لباسُهم، والقَطِرانُ: ما يُدهَنُ به الإبلُ.

قتادةُ: القَطِرانُ: النُّحاسُ[١].

الضَّحّاكُ: القَطِرانُ: النُّحاسُ، والنُّحاسُ: الصُّفْرُ[٢].

وقيل: القَطِرانُ: شيءٌ منَ[٣] النّارِ. واللهُ أعلَمُ به.

وقيل: القَطِرانُ ما يتحلَّبُ من شجرِ[٤] الأبْهَلِ[٥]، وهو أقبلُ الأشياءِ اشتِعالًا.

وقُرِئَ: (مِنْ قِطْرٍ آنٍ)[٦]، فالقِطْرُ: النُّحاسُ لا غيرُ، والآني: الذي بلَغَ النِّهايةَ في الحرارةِ.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾: تعلُوها باشتِعالِها.

***

= عطاء، والآخر شدٌّ بشيء».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤٣).

(٢) في (ن): «القطران والنحاس الصفر». لم أقف عليه عن الضحاك بهذا اللفظ، وذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٢٤٩) عن الضحاك: «من صفر حار قد انتهى حرُّه».

(٣) في (ن): «في».

(٤) في (ن): «شجرة».

(٥) انظر: «العين» مادة: (ق ط ر) (٥/ ٩٦).

(٦) رويت عن علي وابن عباس وأبي هريرة وعكرمة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٨)، و«البحر» (١٣/ ٢١٨). ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤٣ ـ ٧٤٥) عن عكرمة.

(٥١) ـ ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ﴾: يجزي وَفْقَ أعمالِـهم؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُحاسِبُ جميعَ العبادِ في أسرعَ[1] من لَـمْحِ البصرِ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: القرآنُ.

وقيل: هذه[2] السُّورةُ، وحُمِلَ على قولِه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾.

وقيل: ما فيها منَ الوَعْظِ بلاغٌ أبلَغَ الله به إليهم في الحجّةِ عليهم.

وقيل: عِظةٌ كافيةٌ.

وقيل: البلاغُ: الكفايةُ، من قولِه: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾ [الأنبياء: ١٠٦]؛ أي: هو كافٍ في إنذارِ النّاسِ.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بالرَّسولِ ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريكَ معَه ولا مُعينَ ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

المازنيُّ: الواوُ في ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ زائدةٌ[3].

---

(١) في (و): «أقرب».

(٢) «هذه»: من (ن).

(٣) في (ن): «زيادة». وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٥٩) للماوردي.

المُبرِّدُ: لعطفِ مُفردٍ على مُفردٍ؛ أي: هذا إبلاغٌ[١] وإنذارٌ[٢].

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: ليُبلَّغُوا وليُنذَرُوا به.

ويحتملُ أنَّه عطفٌ على أوَّلِ السُّورةِ؛ أي: أنزلناهُ إليك لتُخرِجَ النَّاسَ وليُنذَرُوا به[٣].

وقيل: اللّامُ لامُ الأمرِ. وهو حسَنٌ لولا قولُه: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾؛ فإنَّه منصوبٌ لا غيرُ[٤].

***

---

(١) في (و): «بلاغ».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٥٩)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ١٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، واستغربه. وهذا إنما يصحُّ على الوجه الثالث من تفسير ﴿هَٰذَا﴾، وهو حمله على ﴿الْكِتَابُ﴾.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، وعدَّه من العجائب.